

جامع البيان

عن
تأويل آي القرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٢٢٠ هـ

الجزءان
٣ - ٤

دار الكتب

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الثالث

دار الفكر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَیروت } لَبْنَان
بَرقیة، فکسی - تلکس ٤١٣٩٢ فکر FIKR 41392 LE



٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٥٥	إن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة ...	١٠	أتت امرأة النبي ﷺ فقالت ادع الله ...
١٠٠	إن الله عز وجل كره لكم ثلاثاً ...	٣٤٨	اجعلها في فقراء أهلك .
١٠٥	إن الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه فيريها ...	١٧٩	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ...
١٠٥	إن الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ...	١٧٩	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه به فأولئك ...
١٠٠	إن الله يحب الحلیم الغني المتعفف ...	١٧٩	إذا رأيتموهم فاحذروهم ...
٣٠٨	إن لكل نبي ولاية من النبيين ...	١	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ...
٨٨	إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة ...	٣٢٢	أقم بينتك ، قال الرجل : ليس يشهد ...
١٩٦	بعث النبي ﷺ نفرأ من أصحابه إلى ماء ...	٢٩١	الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ...
٣٤٨	جاء زيد بفرس له يقال لها (سيل) ...	١٠٩	ألا إن ربا الجاهلية موضوع كله ...
٣٤٨	جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها ...	١٦٣	ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد ...
٢٦٤	جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة ...	٣٤٨	أما إن الله قد قبلها .
٢٦٣	حسبك بمرم بنت عمران ، وامرأة فرعون ...	٢٣٢	أمر الله جل وعز نبيه محمداً ﷺ ...
٣٢٥	حين اجتمعت الأخبار من اليهود ...	١٠٧	إن رضوا وإلا فآذنه بحرب .
٢٦٣	خير نساء الجنة مريم بنت عمران ...	٢٣٢	إن كنتم صادقين فيما تقولون ...
٢٦٣	خير نساء ركن الإبل صلح نساء قريش ...	٣٢٢	أن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل ...
٢٦٣	خير نساء ركن الإبل صوالح نساء قريش ...	١٨٥	أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين ...
٢٦٣	خير نساء العالمين أربع : مريم ...	٢٢٦	أن النبي ﷺ دخل على بعض نسائه ...
٢٦٣	خير نسائها مريم بنت عمران ...	١٦٣	أن النصراني أتوا رسول الله ﷺ فخاصموه ...
٢١٧	دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس ...	٣٢٩	أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة ...
٢٦٤	دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة ...	١٠٥	إن العبد إذا تصدق من طيب تقبلها الله ...
١٦٢	دعوههم فصلوا إلى المشرق .	٢٨٩	إن عيسى لم يميت ، وإنه راجع إليكم ...
٢١٦	رجل قتل نبياً ، أو رجل أمر بالمنكر ...	١٨٨	إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين ...
١٩٦	سار رسول الله ﷺ إلى بدر فسبقنا المشركين ...	١٠	إن كرسيه وسع السموات والأرض ...
١٨٩	سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ ...	١٠٩	إن كل ربا موضوع وأول ربا العباس .
١٤٣	سمعنا وأطعنا وسلمنا .	١٠٥	إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ...
٣٢٢	شاهدك أو يمينه ، فقلت إذا يحلف ...		

مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة
اللهم مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك ...	١٨٧	علق انسان حشفاً في الاقضاء ...	٨٣
لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت ...	١٥٢	فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه ...	١٨١، ١٧٨
لعن الله آكل الربا، ومؤكله ...	١٠٣	فان أبيتم فأسلموا، ولكم ما للمسلمين ...	٢٩٩
لكل نبي حواري، وحواري الزبير ...	٢٨٧	فضلت خديجة على نساء أمتي ...	٢٦٤
لما أراد النبي ﷺ أهل نجران أخذ ...	٣٠١	فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل ...	١٤٦
لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر ...	١٩٢	فهللوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم ...	٢١٧
لما نزلت هذه الآية ﴿ان تبدوا ما في أنفسكم﴾ ...	١٤٦	قال الله عز وجل: نعم ...	١٦٠
لوعلمت أن مريم ركبت الايل ما فضلت ...	٢٦٣	قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران ...	٣٠٠
ليهبطن الله عيسى بن مريم حكماً عدلاً ...	٢٩١	قد حذرکم الله، فان رأيتموهم فاعرفوهم ...	١٧٩
ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً ...	٢٩٨	قد خير أصحابكم ...	١٥
ما السموات السبع في الكرسي ...	١٠	قد قبلت صدقتك ...	٣٤٨
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ...	١٠	قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران ...	١٦٢
ما من بني آدم مولود إلا يمسسه الشيطان ...	٢٤٠	قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذاباً ...	٢١٦
ما من بني آدم مولود يولد إلا قد مسه ...	٢٣٩	القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية ...	١٩٩
ما من قلب إلا بين اصبعين من أصابع الرحمن ...	١٨٨	القنطار ألف ومائتا دينار ...	٢٠٠
ما من مولود يولد الا وقد عصره الشيطان ...	٢٤٠، ٢٣٩	كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت ...	٣٢١
ما من مولود يولد إلا يمسسه الشيطان ...	٢٣٩	كانت ثقيف قد صالحت النبي ﷺ ...	١٠٧
ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان ...	٢٣٨	كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله ﷺ ...	١٩٢
ما هذا؟ بثسما علق هذا ...	٨٣	كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية ...	٣١٨
معاذ الله أن نعبد غير الله ...	٣٢٥	كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى ...	٢٤٠
المكثرون هم الأسفلون قالوا: يا نبي الله ...	١٠٠	كل بني آدم طعن الشيطان في جنبه ...	٢٤٠
من برت يمينه، وصدق لسانه واستقام ...	١٨٥	كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب ...	٢٥٥
من حلف على يمين كاذبة ليقتطع ...	٣٢١	كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه ...	٢٤٠
من حلف على يمين يستحق بها مالاً ...	٣٢٢	كل بني آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه ...	٢٣٩
من همّ بحسنة فلم يعملها كتبته ...	١٥١	كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن ...	٢٦٦
الموازين بيد الله يرفع أقواماً ...	١٨٨	كل مولود من ولد آدم له طعنة ...	٢٣٩
نحن أحق بالشك من ابراهيم ...	٤٩	كل مولود يولد من بني آدم يمسسه الشيطان ...	٢٣٩
هم الذين سماهم الله، فاذا رأيتموهم ...	١٨٠	كم تنحرون كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعا ...	١٩٦
والذي نفس محمد بيده، إن كان العذاب ...	٣٠١	كم تنحرون من الجزر؟ قال عشرة كل يوم ...	١٩٦
والذي نفسي بيده لولا عنوني ما حال الحول ...	٣٠١	كُمّل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء ...	٢٦٣
وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ...	٨	كيف تهلك أمة أنا في أولها ...	٢٩٠
ويحق له أن يؤمن ...	١٥١	اللهم ثبت قلبي على دينك، قالت ...	١٨٩

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٨٨	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ...	٢١٦	يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ...
١٨٨	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قلنا: ...	٢٩٦	يا جبريل إنهم سألوني أن أخبرهم ...
٣٤٦	يجاء بالكافري يوم القيامة فيقال له: ...	٣٤٨	يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا ...
١٥٠	يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ...	١٩٢	يا معشر اليهود احذروا من الله ...
١٥٠	يدني الله عبده المؤمن يوم القيامة ...	١٩٢	يا معشر يهود، أسلموا ...
٢٩١	ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ...	١٨٨	يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا ...

[illegible]

١٧٧٩
 ١٧٨٠
 ١٧٨١
 ١٧٨٢
 ١٧٨٣
 ١٧٨٤
 ١٧٨٥
 ١٧٨٦
 ١٧٨٧
 ١٧٨٨
 ١٧٨٩
 ١٧٩٠
 ١٧٩١
 ١٧٩٢
 ١٧٩٣
 ١٧٩٤
 ١٧٩٥
 ١٧٩٦
 ١٧٩٧
 ١٧٩٨
 ١٧٩٩
 ١٨٠٠
 ١٨٠١
 ١٨٠٢
 ١٨٠٣
 ١٨٠٤
 ١٨٠٥
 ١٨٠٦
 ١٨٠٧
 ١٨٠٨
 ١٨٠٩
 ١٨١٠
 ١٨١١
 ١٨١٢
 ١٨١٣
 ١٨١٤
 ١٨١٥
 ١٨١٦
 ١٨١٧
 ١٨١٨
 ١٨١٩
 ١٨٢٠
 ١٨٢١
 ١٨٢٢
 ١٨٢٣
 ١٨٢٤
 ١٨٢٥
 ١٨٢٦
 ١٨٢٧
 ١٨٢٨
 ١٨٢٩
 ١٨٣٠
 ١٨٣١
 ١٨٣٢
 ١٨٣٣
 ١٨٣٤
 ١٨٣٥
 ١٨٣٦
 ١٨٣٧
 ١٨٣٨
 ١٨٣٩
 ١٨٤٠
 ١٨٤١
 ١٨٤٢
 ١٨٤٣
 ١٨٤٤
 ١٨٤٥
 ١٨٤٦
 ١٨٤٧
 ١٨٤٨
 ١٨٤٩
 ١٨٥٠
 ١٨٥١
 ١٨٥٢
 ١٨٥٣
 ١٨٥٤
 ١٨٥٥
 ١٨٥٦
 ١٨٥٧
 ١٨٥٨
 ١٨٥٩
 ١٨٦٠
 ١٨٦١
 ١٨٦٢
 ١٨٦٣
 ١٨٦٤
 ١٨٦٥
 ١٨٦٦
 ١٨٦٧
 ١٨٦٨
 ١٨٦٩
 ١٨٧٠
 ١٨٧١
 ١٨٧٢
 ١٨٧٣
 ١٨٧٤
 ١٨٧٥
 ١٨٧٦
 ١٨٧٧
 ١٨٧٨
 ١٨٧٩
 ١٨٨٠
 ١٨٨١
 ١٨٨٢
 ١٨٨٣
 ١٨٨٤
 ١٨٨٥
 ١٨٨٦
 ١٨٨٧
 ١٨٨٨
 ١٨٨٩
 ١٨٩٠
 ١٨٩١
 ١٨٩٢
 ١٨٩٣
 ١٨٩٤
 ١٨٩٥
 ١٨٩٦
 ١٨٩٧
 ١٨٩٨
 ١٨٩٩
 ١٩٠٠
 ١٩٠١
 ١٩٠٢
 ١٩٠٣
 ١٩٠٤
 ١٩٠٥
 ١٩٠٦
 ١٩٠٧
 ١٩٠٨
 ١٩٠٩
 ١٩١٠
 ١٩١١
 ١٩١٢
 ١٩١٣
 ١٩١٤
 ١٩١٥
 ١٩١٦
 ١٩١٧
 ١٩١٨
 ١٩١٩
 ١٩٢٠
 ١٩٢١
 ١٩٢٢
 ١٩٢٣
 ١٩٢٤
 ١٩٢٥
 ١٩٢٦
 ١٩٢٧
 ١٩٢٨
 ١٩٢٩
 ١٩٣٠
 ١٩٣١
 ١٩٣٢
 ١٩٣٣
 ١٩٣٤
 ١٩٣٥
 ١٩٣٦
 ١٩٣٧
 ١٩٣٨
 ١٩٣٩
 ١٩٤٠
 ١٩٤١
 ١٩٤٢
 ١٩٤٣
 ١٩٤٤
 ١٩٤٥
 ١٩٤٦
 ١٩٤٧
 ١٩٤٨
 ١٩٤٩
 ١٩٥٠
 ١٩٥١
 ١٩٥٢
 ١٩٥٣
 ١٩٥٤
 ١٩٥٥
 ١٩٥٦
 ١٩٥٧
 ١٩٥٨
 ١٩٥٩
 ١٩٦٠
 ١٩٦١
 ١٩٦٢
 ١٩٦٣
 ١٩٦٤
 ١٩٦٥
 ١٩٦٦
 ١٩٦٧
 ١٩٦٨
 ١٩٦٩
 ١٩٧٠
 ١٩٧١
 ١٩٧٢
 ١٩٧٣
 ١٩٧٤
 ١٩٧٥
 ١٩٧٦
 ١٩٧٧
 ١٩٧٨
 ١٩٧٩
 ١٩٨٠
 ١٩٨١
 ١٩٨٢
 ١٩٨٣
 ١٩٨٤
 ١٩٨٥
 ١٩٨٦
 ١٩٨٧
 ١٩٨٨
 ١٩٨٩
 ١٩٩٠
 ١٩٩١
 ١٩٩٢
 ١٩٩٣
 ١٩٩٤
 ١٩٩٥
 ١٩٩٦
 ١٩٩٧
 ١٩٩٨
 ١٩٩٩
 ٢٠٠٠
 ٢٠٠١
 ٢٠٠٢
 ٢٠٠٣
 ٢٠٠٤
 ٢٠٠٥
 ٢٠٠٦
 ٢٠٠٧
 ٢٠٠٨
 ٢٠٠٩
 ٢٠١٠
 ٢٠١١
 ٢٠١٢
 ٢٠١٣
 ٢٠١٤
 ٢٠١٥
 ٢٠١٦
 ٢٠١٧
 ٢٠١٨
 ٢٠١٩
 ٢٠٢٠
 ٢٠٢١
 ٢٠٢٢
 ٢٠٢٣
 ٢٠٢٤
 ٢٠٢٥
 ٢٠٢٦
 ٢٠٢٧
 ٢٠٢٨
 ٢٠٢٩
 ٢٠٣٠
 ٢٠٣١
 ٢٠٣٢
 ٢٠٣٣
 ٢٠٣٤
 ٢٠٣٥
 ٢٠٣٦
 ٢٠٣٧
 ٢٠٣٨
 ٢٠٣٩
 ٢٠٤٠
 ٢٠٤١
 ٢٠٤٢
 ٢٠٤٣
 ٢٠٤٤
 ٢٠٤٥
 ٢٠٤٦
 ٢٠٤٧
 ٢٠٤٨
 ٢٠٤٩
 ٢٠٥٠
 ٢٠٥١
 ٢٠٥٢
 ٢٠٥٣
 ٢٠٥٤
 ٢٠٥٥
 ٢٠٥٦
 ٢٠٥٧
 ٢٠٥٨
 ٢٠٥٩
 ٢٠٦٠
 ٢٠٦١
 ٢٠٦٢
 ٢٠٦٣
 ٢٠٦٤
 ٢٠٦٥
 ٢٠٦٦
 ٢٠٦٧
 ٢٠٦٨
 ٢٠٦٩
 ٢٠٧٠
 ٢٠٧١
 ٢٠٧٢
 ٢٠٧٣
 ٢٠٧٤
 ٢٠٧٥
 ٢٠٧٦
 ٢٠٧٧
 ٢٠٧٨
 ٢٠٧٩
 ٢٠٨٠
 ٢٠٨١
 ٢٠٨٢
 ٢٠٨٣
 ٢٠٨٤
 ٢٠٨٥
 ٢٠٨٦
 ٢٠٨٧
 ٢٠٨٨
 ٢٠٨٩
 ٢٠٩٠
 ٢٠٩١
 ٢٠٩٢
 ٢٠٩٣

فهارس الجزء الثالث من جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... ١	٢٧٧	٢٧٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ١٠٦	١٠٦
٢٥٤	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ... ٣	٢٧٨	٢٧٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ... ١٠٦	١٠٦
٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... ٤	٢٧٩	٢٧٩	فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ... ١٠٧	١٠٧
٢٥٦	لا إكراه في الدين ... ١٣	٢٨٠	٢٨٠	وإن كان ذو عسرة فنظرة ... ١٠٩	١٠٩
٢٥٧	الله وليّ الذين آمنوا ... ٢١	٢٨١	٢٨١	واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ... ١١٤	١١٤
٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ... ٢٣	٢٨٢	٢٨٢	يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... ١١٥	١١٥
٢٥٩	أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية ... ٢٧	٢٨٣	٢٨٣	وإن كنتم على سفر ولم تجدوا ... ١٣٨	١٣٨
٢٦٠	وإذ قال إبراهيم ربني أرني ... ٤٧	٢٨٤	٢٨٤	لله ما في السموات وما في الأرض ... ١٤٢	١٤٢
٢٦١	مثل الذين ينفقون أموالهم ... ٦٠	٢٨٥	٢٨٥	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ... ١٥١	١٥١
٢٦٢	الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ... ٦٢	٢٨٦	٢٨٦	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ... ١٥٤	١٥٤

تفسير سورة آل عمران

١٦١	الم ... ١	١٦١	٢٦٣	قول معروف ومغفرة خير ... ٦٣
١٦١	الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... ٢	١٦١	٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا ... ٦٤
١٦٦	نزل عليك الكتاب بالحق ... ٣	١٦٦	٢٦٥	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء ... ٦٨
١٦٦	من قبل هدى للناس ... ٤	١٦٦	٢٦٦	أبودّ أحدكم أن تكون له جنة ... ٧٤
١٦٨	إن الله لا ينجي عليه شيء ... ٥	١٦٦	٢٦٧	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ... ٨٠
١٦٨	هو الذي يصوركم في الأرحام ... ٦	١٦٦	٢٦٨	الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم ... ٨٧
١٧٠	هو الذي أنزل عليك الكتاب ... ٧	١٦٨	٢٦٩	يؤتى الحكمة من يشاء ... ٨٩
١٨٦	ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ... ٨	١٦٨	٢٧٠	وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم ... ٩١
١٨٩	ربنا إنك جامع الناس ليوم ... ٩	١٦٨	٢٧١	إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي ... ٩٢
١٨٩	إن الذين كفروا لن تغني عنهم ... ١٠	١٧٠	٢٧٢	ليس عليك هدام ... ٩٤
١٩٠	كدأب آل فرعون ... ١١	١٨٩	٢٧٣	للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ... ٩٥
١٩١	قل للذين كفروا ستغلبون ... ١٢	١٨٩	٢٧٤	الذين ينفقون أموالهم بالليل ... ١٠٠
		١٩٠	٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون ... ١٠١
		١٩١	٢٧٦	بمحق الله الربا ويربي الصدقات ... ١٠٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	قد كان لكم آية في فتتين التقتا . . .	١٩٣	٤١	قال رب اجعل لي آية . . .	٢٥٨
١٤	زين للناس حب الشهوات . . .	١٩٩	٤٢	وإذ قالت الملائكة يا مريم . . .	٢٦٢
١٥	قل أوبئكم بخير من ذلكم ؟ . . .	٢٠٥	٤٣	يا مريم اقنتي لربك . . .	٢٦٤
١٦	الذين يقولون ربنا إننا آمنّا . . .	٢٠٧	٤٤	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . . .	٢٦٦
١٧	الصابرين والصادقين والقانتين . . .	٢٠٧	٤٥	إذ قالت الملائكة يا مريم . . .	٢٦٩
١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو . . .	٢٠٩	٤٦	ويكلم الناس في المهد وكهلا . . .	٢٧١
١٩	إن الدين عند الله الإسلام . . .	٢١١	٤٧	قالت أنى يكون لى ولد . . .	٢٧٣
٢٠	فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله . . .	٢١٤	٤٨	ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة . . .	٢٧٣
٢١	إن الذين يكفرون بآيات الله . . .	٢١٥	٤٩	ورسولا إلى بنى إسرائيل . . .	٢٧٤
٢٢	أولئك الذين حبطت أعمالهم . . .	٢١٥	٥٠	ومصدقا لما بين يدى من التوراة . . .	٢٨١
٢٣	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا . . .	٢١٧	٥١	إن الله ربى وربكم فاعبدوه . . .	٢٨١
٢٤	ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار . . .	٢١٩	٥٢	فلما أحس عيسى منهم الكفر . . .	٢٨٣
٢٥	فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه . . .	٢٢٠	٥٣	ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول . . .	٢٨٨
٢٦	قل اللهم مالك الملك . . .	٢٢٠	٥٤	ومكروا ومكر الله . . .	٢٨٨
٢٧	تولج الليل في النهار . . .	٢٢٣	٥٥	إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك . . .	٢٨٩
٢٨	لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء . . .	٢٢٧	٥٦	فأما الذين كفروا فأعذبهم . . .	٢٩٣
٢٩	قل إن تخفوا ما فى صدوركم . . .	٢٣٠	٥٧	وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٩٣
٣٠	يوم تجد كل نفس ما عملت . . .	٢٣٠	٥٨	ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر . . .	٢٩٤
٣١	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى . . .	٢٣٢	٥٩	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . .	٢٩٥
٣٢	قل أطيعوا الله والرسول . . .	٢٣٣	٦٠	الحق من ربك فلا تكن من الممترين . . .	٢٩٧
٣٣	إن الله اصطفى آدم ونوحا . . .	٢٣٤	٦١	فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك . . .	٢٩٧
٣٤	ذرية بعضها من بعض . . .	٢٣٤	٦٢	إن هذا هو القصص الحق . . .	٢٩٨
٣٥	إذ قالت امرأة عمران . . .	٢٣٥	٦٣	فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين . . .	٢٩٨
٣٦	فلما وضعها قالت رب . . .	٢٣٧	٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة . . .	٣٠١
٣٧	فتقبلها ربها بقبول حسن . . .	٢٤١	٦٥	يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم . . .	٣٠٤
٣٨	هنالك دعا زكريا ربه . . .	٢٤٧	٦٦	ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم . . .	٣٠٦
٣٩	فنادته الملائكة وهو قائم يصلى . . .	٢٤٩	٦٧	ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا . . .	٣٠٦
٤٠	قال رب أنى يكون لى غلام . . .	٢٥٧		إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه . . .	٣٠٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٩	ودت طائفة من أهل الكتاب . . .	٣٠٨	٨١	وإذ أخذ الله ميثاق النبيين . . .	٣٢٩
٧٠	يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله . . .	٣٠٩	٨٢	فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . . .	٣٣٤
٧١	يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق . . .	٣١٠	٨٣	أفغير دين الله يبغون . . .	٣٣٥
٧٢	وقالت طائفة من أهل الكتاب . . .	٣١١	٨٤	قل آمنا بالله وما أنزل علينا . . .	٣٣٨
٧٣	يختص برحمته من يشاء . . .	٣١٣	٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً . . .	٣٣٩
٧٤	ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم	٣١٦	٨٦	كيف يهدي الله قوما كفروا . . .	٣٣٩
٧٥	ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار . . .	٣١٧	٨٧	أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله . . .	٣٣٩
٧٦	بل من أوفى بعهد واتقى . . .	٣١٩	٨٨	خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب . . .	٣٣٩
٧٧	إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم . . .	٣٢٠	٨٩	إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا . . .	٣٣٩
٧٨	وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم . . .	٣٢٣	٩٠	إن الذين كفروا بعد إيمانهم . . .	٣٤٢
٧٩	ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب . . .	٣٢٤	٩١	إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار . . .	٣٤٥
٨٠	ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة . . .	٣٢٨	٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . . .	٣٤٦

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٢٥ سبب المجادلة التي جرت بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ونمرود .	١ ما فضل به بعض الأنبياء بعضا ، وكرامة نبينا صلى الله عليه وسلم .
٢٨ الخلاف في الذي مرّ على قرية أنه عزيز أو غيره	٢ اقتتال من جاء بعد الرسل ، مع علمهم بتحريم القتال عليهم وكفرهم كان عنادا .
٣٢ السبب في خراب بيت المقدس المعنى من القرية ، وتمايم تاريخ تلك الحادثة .	٣ نفي الخلة في الآخرة ، ومعنى كون الكفر ظلما .
٣٧ الهاء في لم يتسنه أصلية ، والشاهد عليه .	٥ كونه تعالى حيا ، والخلاف فيه ، وأن القيوم معناه : القائم برزق ما يخلق ، والشاهد عليه من قول أمية .
٣٧ لا يجوز الحذف لشيء مما أثبت في المصحف إلا ما قد علم أنه أثبت على نية الوقف .	٦ السنّة : خثورة النوم ، والشاهد عليه من قول عدى والأعشى .
٤٤ النشر : المعيشة بعد الموت ، والشاهد عليه .	٩ معنى الكرسي وذكر الخلاف فيه .
٤٥ كل شيء غطي شيئا فهو لباس له ، والشاهد عليه .	١١ الصواب في معنى الكرسي هو العلم ، والشاهد عليه .
٤٥ ما اختاره من أوجه القراءة في « أعلم أن الله على كل شيء قدير » .	١٣ العظيم بمعنى المعظم ، والشاهد عليه .
٤٧ السبب في مسألة إبراهيم ربه رؤية الإحياء ، والخلاف فيه .	١٤ الإنسان لا يجوز له أن يلزم غيره اعتناق الدين وسبب نزول آية « لا إكراه في الدين » .
٥١ الطيور التي أمر بأخذها ، ومعنى « فصرهن » وما فيه من اللغات ، والشواهد عليه .	١٨ الألف واللام في الدين للعهد ، أو نيابة عن الضمير .
٥٧ عدد الجبال التي أمر يجعل الطيور عليها ، وما فيها من الخلاف .	١٨ الطاغوت ، وذكر الخلاف فيه .
٦٠ تعلق قوله « مثل الذين ينفقون » بقوله « من ذا الذي » .	٢٠ الانفصام : الكسر ، والشاهد عليه من قول الأعشى .
٦٢ معنى المنّ ، وأنه إظهار ما أعطاه ، وأن الأذى الشكاية .	٢٢ من النصارى من كان على حقّ ونور قبل البعثة ، ثم بعدها صار بكفره في ضلال وظلام .
٦٥ الصفوان ، وجمعه ، والشواهد عليه .	٢٣ نسب نمرود الذي حاج إبراهيم عليه السلام .

الصفحة	الصفحة
١١٣ التصديق على المعسر برأس المال خير من إنظاره .	٦٩ معنى التثبيت ، والشاهد عليه ، وما كان عليه السلف من أنهم لا ينفقون شيئا إلا إذا ثبتوا أنه لله .
١١٤ قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون » آخر آية نزلت .	٧١ معنى الربوة ، وأنها ما نشز من الأرض ، والشاهد عليه .
١١٧ اكتاب الدين بين المتدابين فرض لازم للإرشاد .	٧٣ قوله « فإن لم يصبها وابل » على تقدير كان ، والشاهد عليه .
١٢١ السفية الجاهل بالإملاء ، وموضع صواب ذلك من خطئه .	٧٤ قوله « أيود أحدكم » ضرب مثلا لنفقة المنافق .
١٢٤ تذكير إحدى الشاهدين الأخرى ، والاختلاف فيها على حسب القراءات .	٧٨ الإعصار ، وجمعه والشاهد عليه .
١٢٦ الاختلاف في الحال التي تلزم أن لا يأبى الشاهد عنها .	٨٠ طبيبات الكسب .
١٣٠ المنهى عن السامة في كتابته هو الدين ، ومعنى السامة ، والشاهد عليه .	٨١ التيمم معناه : القصد ، والشاهد عليه .
١٣٢ أوجه القراءة في قوله « إلا أن تكون نجارة » والشواهد عليها .	٨٣ قوله - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا - أنزلت في الزكاة المفروضة .
١٣٤ مضارة الكاتب والشهيد ، والخلاف فيها ، والصواب في ذلك .	٨٤ الحديث : معناه الحرام ، وأن الإنعماض معناه التجاني عن بعض الحقوق ، والشاهد عليه .
١٤٠ أوجه القراءات في قوله « ولم تجدوا كاتباً فرهان » ، وبيان اللغات ، والشاهد على ذلك .	٨٦ مستحقو الزكاة شركاء لأهل الأموال بقدر ما يستحقون ، فيلزمهم إنصافهم في القسمة .
١٤١ المواطن التي تجب فيها الشهادة ، ويكون المتأخر عنها فاجرا قلبه .	٨٩ الحكمة والخلاف فيها .
١٤٣ المحاسبة على إبداء ما في النفس أو إخفائه ، وأن ذلك خاص أو عام ، وهل هو منسوخ أولا ؟	٩٢ إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها خاص بصدقة التطوع .
١٤٥ قوله تعالى : « وإن تبدوا ما في أنفسكم » الآية ، ليست منسوخة بقوله « لا يكلف الله نفسا » ... الآية .	٩٤ « ليس عليك هداهم » مقصود به الترغيب في إعطاء الكفار من صدقة التطوع .
١٥٣ الشاهد على نصب قوله « غفرانك » .	٩٧ معنى السبأ ، والشاهد عليه .
	٩٩ الإلحاف في المسألة .
	١٠١ الربا المنهى عنه ، وأن المس معناه : الجنون .
	١٠٣ وعيد آكل الربا بخلود النار بسبب ما كانوا يقولونه .
	١٠٧ المنذر بالحرب من أكل الربا .

الصفحة	الصفحة
٢١٤ معنى الأمين وأهل الكتاب والإسلام .	١٥٥ النسيان منه ما هو مؤاخذ به ، ومنه ما لا يؤاخذ به .
٢١٧ التوراة تقرّ بها سائر الفرق المنتحلة الكتب أنها من عند الله .	١٥٦ الخطأ له وجهان : منه ما الشخص آثم به ، والشاهد على ذلك .
٢٢١ الشاهد على الجمع بين يا ، واللهم .	١٥٨ العفو والغفران .
٢٢٣ معنى الولوج ، وكيف إدخال الليل في النهار .	١٦٢ تفسير سورة آل عمران .
٢٢٦ الصواب في معنى إخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى .	١٦٢ بيان أن نيفا وثلاثين آية من هذه السورة نزلت احتجاجا على طائفة من النصارى ، وذكر قدومهم .
٢٢٨ ما يجوز للمسلم فعله مع الكفار إذا كانت لهم دولة ، أو يد عليه .	١٦٤ معنى الحى القيوم .
٢٣١ الأمد ، والشاهد عليه .	١٧٠ المحكم من الآيات .
٢٣٢ العلامات التي يتبين بها محبة الله تعالى .	١٧٢ المتشابه ، والخلاف فيه .
٢٣٣ آل الرجل : أتباعه .	١٧٦ اتباع المتشابه المنوّه عن فاعله بأن فيه زيغا .
٢٣٥ اسم امرأة عمران ، والسبب الداعي لنذرها تحرير ما في بطنها .	١٧٨ ابتغاء التأويل ، والخلاف فيه .
٢٣٨ ما يفعله الشيطان بكل مولود إلا مريم وابنها .	١٨٢ الرسوخ في العلم .
٢٤٣ من كان يلي بيت المقدس من أولاد هارون ، وما كانت وظيفة عمران أبي مريم .	١٨٧ زيغ القلب ، وخطأ قول القدرية .
٢٤٤ ما أجراه الله على يد مريم من الكرامات ، وكان يشاهده زكريا .	١٩٠ معنى الدأب وأنه العادة والسنة .
٢٤٧ ما كان يصنعه زكريا من التحفظ على مريم .	١٩١ الدأب يطلق على الشأن ، والشاهد عليه من قول امرئ القيس .
٢٤٧ السبب الذي دعا زكريا لسؤاله الولد .	١٩٣ قوله في فئتين : مراد به عصابة المسلمين ببدر وعصابة كفار قريش .
٢٤٨ جواز تأنيث الشيء لتأنيث لفظه ، وإن كان معناه مذكرا ، والشاهد على ذلك .	١٩٤ الشواهد على جواز رفع قوله « فئة تقاتل » .
٢٥١ اللغات في بشر ، والشواهد عليها .	١٩٥ عدد مشركى قريش ببدر ، وعدد المؤمنين ، وكيف قللوا .
٢٥٣ يحيى أول من آمن بعيسى .	١٩٩ مقدار القنطار ، والخلاف فيه .
٢٥٥ معنى الحصور ، والشواهد عليه .	٢٠٤ تسويم الخيل ، والشواهد عليه .
٢٥٧ العاقر يطلق على الرجل والمرأة ، والشاهد عليه .	٢٠٨ ما يعدّ به الإنسان مستغفرا ، ومعنى السحر .
٢٥٩ تحقيق الآية التي جعلت لزكريا ، وبيان معنى الرمز ، والشاهد عليه .	٢١١ الدين في قوله « إن الدين عند الله الإسلام » معناه الطاعة ، والشاهد عليه .

الصفحة	الصفحة
٢٦٢ تحديد زمن العشي والإبكار ، والشواهد عليه .	٣٠٥ ما كان يدّعيه فريق اليهود ، وفريق النصارى من موافقة السيد إبراهيم لهم في نحلّتهم وبيان كذبهم .
٢٦٣ خير نساء العالم ، والكمل منهن .	٣٠٨ الإضلال معناه : الإهلاك ، والشاهد عليه .
٢٦٦ معنى الوحي لغة ، والشواهد عليه .	٣٠٩ اليهود والنصارى كانوا يشهدون أن نعت النبي موجود في كتابهم ، وكان إنكارهم بغيا .
٢٦٧ ما صنع على كفالة مريم من القرعة .	٣١١ ما اتفقت عليه بعض أهل الكتاب من الإيمان أول النهار ، والكفر آخره التحيل في الشبه .
٢٧٢ أحوال سيدنا عيسى كانت كأحوال الخلق إلا الخصوصيات التي اختص بها	٣١٢ وجه النهار بمعنى أوله ، والشاهد عليه .
٢٧٥ الطائر الذي كان يصوره عيسى من الطين ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا .	٣١٤ قوله تعالى « قل إن هدى الله هو الهدى » خبر معترض من الله ، أو من قول بعض أهل الكتاب والاختلاف في تأويله .
٢٧٦ نفخ يتعدّى بنفسه تارة ، وبالباء أخرى ، والشاهد عليه .	٣١٧ تحذير الله المؤمنين أن ياتمنوا اليهود على أموالهم حيث كان فيهم من يستحل أموالهم ويقول : ليس علينا في الأميين سبيل .
٢٧٧ إن الأكمة هو الأعمى ، والشاهد عليه .	٣٢٠ الوفاء بالعهد من أهل الكتاب لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .
٢٧٨ الفرق بين الإخبارات الصادرة من النبيين والإخبارات الصادرة من المنجمين والمتكهنين	٣٢٠ معنى عدم نظر الله عدم التعطف والرحمة ، والشاهد عليه .
٢٨٠ اللغة الفصحى فيما إذا اجتمعت تاء وذال ، والشاهد عليه .	٣٢١ سبب نزول قوله تعالى « إن الذين يشتركون بعهد الله » .
٢٨٤ ما حصل لعيسى صلى الله عليه وسلم من المعجزات حين أخرجه بنو إسرائيل .	٣٢٣ ما كان يفعله بعض أهل الكتاب من تحريفهم الكتاب وليهم ألسنتهم ليظن أنه من الكتاب .
٢٨٧ لم سموا الحواريون بذلك الاسم والشاهد عليه .	٣٢٤ أن اللّي معناه : القوة والغلبة والخصومة ، والشاهد عليه .
٢٨٨ المكر الذي مكروه اليهود بعيسى .	٣٢٧ إن الربانيين جمع رباني ، وهو الذي يرب الناس ويصلح أمورهم ، والشاهد عليه .
٢٨٩ معنى الوفاة التي أخبر الله أنه صانعها بعيسى ، والخلاف فيها .	٣٣٠ تأويل قوله « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين » والاختلاف فيه ، وذكر الصواب من ذلك .
٢٩٢ الذين اتبعوا عيسى هم المسلمون .	
٢٩٥ ما حصل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد نجران من المحاجة .	
٢٩٩ ما حصل بين وفد نجران بعضهم مع بعض ، وإعراضهم عن الملاعة التي دعاهم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .	

الصفحة	الصفحة
٣٤٢ تأويل قوله « إن الذين كفروا » . . . الآية ، وبيان أن ازدياد الكفر ، هو الكفر برسول الله بعد الكفر ببعض من تقدمه من الأنبياء ، أو بغير ذلك من المعاصي ، وذكر الصواب من ذلك .	٣٣٦ تأويل قوله « وله أسلم من في السموات » . . . الآية ، وذكر الاختلاف في إسلام الكاره . ٣٣٩ قوله « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً » وإبطال دعوى كل فريق من الأمم أنهم مسلمون . ٣٤٠ بيان السبب في نزول قوله تعالى « كيف يهدي الله قوماً » . . . الآيات ، والخلاف فيه .
٣٤٦ تأويل قوله « لن تنالوا البرَّ » . . . الآية ، والخلاف في البرِّ ما هو .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٦٠	المدير	٥٣	وجدُ ودي	٣٢٧	ب
٢٥٥	بسوار	٧٣	بدا		
٣١٢	نهار	٢٤٩	بأردا		
٢٦٠	ز	٩٨	ر	١١	ربوب
				٣٢٤	تنوب
				٢٥١	غالبه
١١	س	٦٥	البصر	٢٧٦	كتابها
		٥٢	منهمير	١٨٤	أسلاب
		٢٧٦	صور	١٩١	ت
١١	القدس	٢٣	الصور		
١١	نفس	٥٣	الصدور		
٨٤	ض	٢٦٢	تنعير	١٩٤	ثمنت
		٢٥٢	فبكير	١٥٣	ح
		٢٤٦	أمير		
٢٧٧	ع	٢٢١	مستنير	١٥٣	السفاح
		٦٩	الكبار	٥٣	السلح
٥٤	نزع	٥٤	نصروا	٢٨٧	الدوالح
٥٢	وأجدع	٢٦٢	تنصار	٣٧	النوايح
١٣٢	صروع	٥٢	أميرها	٢٧٥	الجوائح
٩٧	ق	٥٢	أسورها	١٥٦	د
		٧٨	يصورها		
		٢٧١	المندري		
٢٦٢	العسق	٢٥٧	وجائير	٢٣١	المرشد
١٠٣	تدوق	٤٤	مخضري	٥٣	لسيد
١٣٢	أولق		الناشير		أمده
	وعناقا				بخلود

الجزء الثالث

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١٤٠	الرَّهْنُ	٤٥	سِرْبَالَا	ل	
٢٠٤	جِن	٣٠٨	ضَلَالَا		
١٩٤	الْحَدَثَانِ	م		٢٩٨	فَابْهَلُ
١٩٤	عُحْمَانِ			٢٨٣	الْحَضِيلُ
٢١١	دِينَا	٢٠	مُنْقَصِمُ	٧١	هَطِيلُ
٢١١	الْأَدْيَانَا	٢٦٧	الْأَصَمُ	٣٢١	أَقُولُ
٢٥٥	ضَنِينَا	٥	وَالنَّجُومُ		أَقُولُ
		٥	يَقُومُ	٢٤٢	كَافِلُ
		٥	عَظِيمُ	٣٠٩	وَنَائِلُ
	ه	٥٤	زَنِيمُ	٢٤٨	الْكَمَالُ
٢٦٧	تَدْهَمُهُ	٢٠٤	التَّسْوِيمُ	١٩١	مُعَوَّلُ
٢٦٧	تَثْمُهُ	٢٨١	فِيظَلِّمُ	١٩١	بِمَأْسَلِ
٢٦٧	مُنْمِنِمُهُ	٦	بِنَائِمُ	٦٦	مَعَزِلُ
٢٢١	اللَّهُ	٧٢	بَغْنِيمَةُ	٢٥١	مُمَحِّلُ
٢٧٧	الْمُتَهَتِّهِ	١٣٠	يَسَامُ	١٧١	حِلْ
٦٦	الْأَجَلُهُ	٢٢١	كُلَّمَا	١٧١	الطَّوَلُ
		٢٢١	اللَّهُمَّ مَا	١٧١	قَتَالِي
	ي	٢٢١	مُسَلَّمَا	٢١١	وَصِيَالِ
٦٥	الصُّفَى	ن		٢٠٤	الْأَجَالِ
٢٧٢	وَالصَّبِيَّاتِ			٦	السِّيَالِ
٣٢٤	الْمَلَاوِيَا			١٣	زُلَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا مِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا وَلَا كُنَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٠٩﴾

﴿٢٠٩﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة ، كـموسى بن عمران وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشمويل وداود ، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة . يقول تعالى ذكره : هؤلاء رسل فضلت بعضهم على بعض ، فكلمت بعضهم ، والذي كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم ، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال : يقول : منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات ، يقول : كلم الله موسى ، وأرسل محمداً إلى الناس كافة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ كَثِيرٌ عَنِّي عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَقِيلَ لِي : سَلْ تُعْطَ » ، فاختبأتها شفاعة لأمّتي ، فهى نائلة منكم إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وآتيناه عيسى ابن مريم الحجج والأدلة على نبوته : من إبراء الأكهم والأبرص ، وإحياء الموتى ، وما أشبه ذلك ، مع الإنجيل الذى أنزلته إليه ، فبينت فيه ما فرضت عليه .

ويعنى تعالى ذكره بقوله ﴿وَأَبَدْنَاهُ﴾ وقويناه وأعناؤه بروح القدس ، يعنى بروح الله ، وهو جبريل ، وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم فى معنى روح القدس ، والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

• القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ، يعنى من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضل بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، وبعد عيسى ابن مريم ، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه . ويعنى بقوله ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعنى من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق ، وأوضح لهم السبيل .

وقد قيل : إن الهاء والميم فى قوله ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾ من ذكر موسى وعيسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ

الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يقول : من بعد موسى وعيسى .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ

الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يقول من بعد موسى وعيسى .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا ، فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البيّنات من عند ربهم ، بتحريم الاقتتال والاختلاف ، وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحداية الله ورسالة رسله ووحى كتابه ، فكفر بالله وبآياته بعضهم ، وآمن بذلك بعضهم ، فأخبر تعالى ذكره : أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصى بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ ، تعمدا منهم للكفر بالله وآياته . ثم قال تعالى ذكره لعباده ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ يقول : ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه لإياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا ، ولكن الله يفعل ما يريد ، بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به ، فيؤمن به ويطيعه ، ويخذل هذا ، فيكفر به ويعصيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

﴿٢٥٤﴾ يعني تعالى ذكره بذلك : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم ، وتصدقوا منها ، وآتوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم ، وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ قال : من الزكاة والتطوع ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ يقول : ادخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم بالنفقة منها في سبيل الله ، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها ، وابتاعوا بها ما عنده مما أعدّه لأولياؤه من الكرامة ، بتقديم ذلك لأنفسكم ، مادام لكم السبيل إلى ابتياعه ، مما ندبتكم إليه ، وأمرتكم به من النفقة من أموالكم ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه ، يقول : لا تقدرّون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به ^١ ، أو ندبتكم إليه في الدنيا قادرين ، لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب ، لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية ، فيكون لهم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ ، أو بالعمل بطاعة الله سبيل ؛ ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم مع ارتفاع العمل الذي ينال به رضا الله ، أو الوصول إلى كرامته بالنفقة من الأموال ، إذ كان لا مال هنالك يمكن إدراك ذلك به ، يوم لا محالة فيه نافعة ، كما كانت في الدنيا ، فإن خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه ، وأراده بسوء ، والمظاهرة له على ذلك ؛ فأيسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك ، لأنه لأحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله ، بل الأنحلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، كما قال الله تعالى ذكره ؛ وأخبرهم أيضا أنهم يومئذ مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم ، والعمل بأبدانهم ، وعدمهم النصراء من الخلان ، والظهوراء من الإخوان ، لا شافع لهم يشفع عند الله ، كما كان ذلك لهم في الدنيا ، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقربة والجوار والخلة ، وغير ذلك من الأسباب ، فبطل ذلك كله يومئذ ، كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا فيها ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ﴾ وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص ، وإنما معناه : من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله ، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض ، وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿يَا أَيُّهَا

(١) قوله بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به ... الخ ، كذا في النسخ ، ولعله تحريف من الناسخ ، وأصل الكلام « الذي » في موضع « التي » صفة للابتياع ، أو تأنيث الضمير في « به » و « إليه » .

الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴿١﴾
 قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا ، ويشفع بعضهم لبعض ، فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين .
 وأما قوله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكره بذلك : والجاحدون لله المكذبون
 به وبرسله هم الظالمون . يقول : هم الواضعون جحودهم في غير موضعه ، والفاعلون غير ما لهم فعله ،
 والقائلون ما ليس لهم قوله . وقد دللنا على معنى الظلم بشواهد في ماضى قبل بما أغنى عن إعادته ، وفي قوله
 تعالى ذكره في هذا الموضع ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ دلالة واضحة على صحة ما قلناه ، وأن قوله
 ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ إنما هو مراد به أهل الكفر ، فلذلك أتبع قوله ذلك ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
 فدل بذلك على أن معنى ذلك : حرمان الكفار النصرة من الأخلاء ، والشفاعة من الأولياء والأقرباء ، ولم
 نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين ، إذ كان ذلك جزاء ما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا ، بل
 الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وكيف صرف الوعيد إلى الكفار ، والآية مبتدأة بذكر أهل الإيمان ؟ قيل له : إن
 الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس : أحدهما أهل كفر ، والآخر أهل إيمان ، وذلك قوله ﴿وَلَكِنْ
 اخْتَلَفُوا ، فَفِيهِمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به ،
 فحضر أهل الإيمان به على ما يقر بهم إليه من النفقة في طاعته ، وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر به قبل مجيء
 اليوم الذى وصف صفته ، وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به ، إذ كان قتال أهل الكفر به في
 معصيته ونفقتهم في الصد عن سبيله ، فقال تعالى ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أنتم ﴿مِمَّا
 رَزَقْنَاكُمْ﴾ في طاعتي ، إذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ
 فِيهِ﴾ فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا في ابتياعه في دنياهم ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ لهم يومئذ تنصرهم منى ، ولا
 شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي ، وهذا يومئذ فعل بهم جزاء لهم على كفرهم ، وهم
 الظالمون أنفسهم دوني ، لأنى غير ظلام لعبيدى .

وقد حدثني محمد بن عبد الرحيم ، قال : ثنى عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان ،
 يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولم يقل :
 الظالمون هم الكافرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
 شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

﴿قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله (الله)﴾ .

وأما تأويل قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإن معناه : النهى عن أن يعبد شيء غير الله ، الحى القيوم الذى صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره فى هذه الآية ، يقول الله الذى له عبادة الخلق الحى القيوم ، لا إله سواه : لا معبود سواه ، يعنى : ولا تعبدوا شيئا سواه ﴿الحى القيوم﴾ الذى ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والذى صفته ما وصف فى هذه الآية ؛ وهذه الآية لإبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به أقوال المختلفين فى البيئات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض ، واختلفوا فيه ، فاقترنتوا فيه كفرا به من بعض ، وإيمانا به من بعض ، فالحمد لله الذى هدانا للتصديق به ، ووفقنا للإقرار به .

وأما قوله ﴿الحى﴾ فإنه يعنى : الذى له الحياة الدائمة ، والبقاء الذى لا أول له يحد ، ولا آخر له يؤمدا ، إذ كان كل ما سواه ، فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود ، وآخر مأمود ، ينقطع بانقطاع أمدها ، وينقضى بانقضاء غايتها .

وبما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدث عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿الحى﴾ حتى لا يموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

وقد اختلف أهل البحث فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : إنما سمي الله نفسه حيا لصرفه الأمور مصارفها وتقديره الأشياء مقاديرها ، فهو حى بالتدبير لا بحياة .

وقال آخرون : بل هو حى بحياة هى له صفة .

وقال آخرون : بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به ، فقلناه تسليما لأمره .

وأما قوله ﴿القيوم﴾ فإنه الفيعل من القيام ، وأصله القيوم : سبق عين الفعل وهى واو ياء ساكنة ، فاندغمنا فصارتا ياء مشددة ، وكذلك تفعل العرب فى كل واو كانت للفعل عينا سبقتها ياء ساكنة . ومعنى قوله ﴿القيوم﴾ : القائم برزق ما خلق وحفظه ، كما قال أمية :

لَمْ يُخْلَقِ السَّمَاءُ وَالنُّجُومُ وَالشَّمْسُ مَعَهَا قَمَرٌ يَقُومُ
قَدَرَهُ الْمُهَيَّمِينَ الْقَيُّومُ وَالْحَشَرُ وَالْجَنَّةُ وَالْجَحِيمُ
إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَظِيمٌ^٢

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) يؤمد : يريد : ينتهى إليه . ولم أجد أمدا إلا بمعنى : غضب .

(٢) هذه خمسة أبيات من مشطور الرجز ، نسبها المؤلف لأمية ، يعنى أمية بن أبى الصلت الثقفى ، الذى كان يتكلم فى شئون الدين ، وهى فى ديوانه المطبوع فى ليبزج سنة ١٩١١ ص ٢٥ نقلا عن المؤلف . وفى اللسان : (قام) : قال الزجاج : القيوم والقيام ، فى صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى : القائم بتدبير أمر خلقه ، فى إنشائهم ورزقهم ، وعلمه بأمكنتهم . ولعل كلمة « يقوم » فى البيت الثانى محرقة عن « يعوم » .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿الْقَيُّومُ﴾ قال : القائم على كل شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿الْقَيُّومُ﴾ قيم كل شيء : يكلؤه ويرزقه ويحفظه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿الْقَيُّومُ﴾ وهو القائم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال : القائم الدائم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لَا تَأْخُذُهِ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿لَا تَأْخُذُهِ سِنَةٌ﴾ لا يأخذه نعاس فينعس ، ولا نوم فيستثقل نوما ، والوسن : خثورة النوم ، ومنه قول عدى بن الرقاع :

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النَّعَاسَ فَرَنْقَتَ فِي عَيْنِهِ سِنَةً وَلَيْسَ بِنَائِمٍ ١

ومن الدليل على ما قلنا ، من أنها خثورة النوم في عين الإنسان ، قول الأعشى ميمون بن قيس :

تُعَاطِي الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ بُعَيْدَ النَّعَاسِ وَقَبْلَ الْوَسَنِ ٢

وقال آخر :

بَاكَرَتْهَا الْأَغْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْمِ م فَتَجَرَّى خِلَالَ شَوْكِ السِّيَالِ ٣

يعني عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها ، يقال منه : وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان إذا كان كذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لعدي بن الرقاع كما في اللسان (رنق ، وسن) قال : فرق بين السنة والنوم كما ترى . وقال : رنق النوم في عينه : خالطها . وأقصده النوم : رماه بسهم .

(٢) البيت للأعشى في ديوانه طبعة القاهرة ص ١٧ ، والرواية فيه : « وعند الوسن » . وبعد البيت :

صَلِيفِيَّةٌ طَسِيْبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنٍ

وتعاطيه : تناوله . والضجيع من ينام معها في فراشها . والنعاس والوسن : ما يخالط الإنسان من النوم . والصليفيه : الخمر وكأنه يشبه ريقها في ذلك الوقت بطعم الخمر الصليفيه ، وهو معنى أغرم الشعراء بالقول فيه . يقول (على رواية الديوان) : إنها حين تستيقظ من نومها آخر الليل ، وهي لا تزال وسنى ، تعطى حبيبها كل ما يشتهي من تقبيلها وريقها التي تشبه الخمر .

(٣) وهذا البيت للأعشى أيضا كما في اللسان في (سيل) وروايته « الأعراب » بالعين المهملة . خطأ . وفي (غرب) والديوان ص ٥ (الأعراب) ، وجمله في (اللسان) جمعا لغربه بالسكون ، وهو القدح . والمراد به في البيت : منافع ريق الأسنان أو أطرافها وحدتها وماؤها . والسيال : شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه مثل اللبن . والهاء في باكرتها : راجعة إلى الخمر . وفي رواية اللسان في (غرب) باكرته ، والهاء ضمير الإسفط في البيت الذي قبله . يشبه الأعشى طيب ريق المرأة بالخمر ، ويشبه أسنانها في بياضها وحدتها بشوك السيال ، فكان ريقها خمر تجرى في فمها بين شوك السيال .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله تعالى ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾ قال : السنة : النعاس ، والنوم : هو النوم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾ السنة : النعاس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾ قال : نعسة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ قال : السنة : الوسنة ، وهو دون النوم ، والنوم : الاستئقال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السنة : النعاس ، والنوم : الاستئقال .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثله سواء . حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أما سنة : فهو ريح النوم الذى يأخذ في الوجه فينعس الإنسان .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ قال : السنة : الوسنان بين النائم واليقظان .

حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا منجاب بن الحرث ، قال : ثنا علي بن مسهر ، عن إسماعيل عن يحيى بن رافع ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ﴾ قال : النعاس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ قال : الوسنان : الذى يقوم من النوم لا يعقل ، حتى ربما أخذ السيف على أهله . وإنما عني تعالى ذكره بقوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لا تحله الآفات ، ولا تناله العاهات ، وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذى الفهم ، ويزيلان من أصابه عن الحال التى كان عليها قبل أن يصيباه .

﴿فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، الْقَيُّومُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ دُونَهُ بِالرِّزْقِ وَالْكَلاَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَا يَغْيِرُهُ مَا يَغْيِرُ غَيْرَهُ ، وَلَا يَزِيلُهُ عَمَّا لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ تَنْقُلِ الْأَحْوَالُ وَتَصْرِيفُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، بَلْ هُوَ الدَّائِمُ عَلَى حَالٍ ، وَالْقَيُّومُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ ، لَوْ نَامَ كَانَ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا ، لِأَنَّ النَّوْمَ غَالِبُ النَّائِمِ قَاهِرُهُ ، وَلَوْ وَسَّكَ لَكَانَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِمَا دَكَا ، لِأَنَّ قِيَامَ جَمِيعٍ ذَلِكَ بِتَدْبِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَالنَّوْمُ شَاغِلُ الْمُدَبِّرِ عَنِ التَّدْبِيرِ ، وَالنَّعَاسُ يَمْنَعُ الْمُقَدِّرَ عَنِ التَّقْدِيرِ بَوَسْنِهِ .﴾

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : وأخبرني الحكم

ابن أبان ، عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أن موسى سأل الملائكة : هل ينام الله ؟ فأوحى الله إلى الملائكة ، وأمرهم أن يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ، ففعلوا ، ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ، ثم تركوه وحذروه أن يكسرها ، قال : فجعل ينعس وهما في يديه ، في كل يد واحدة ، قال : فجعل ينعس وينتبه ، وينعس وينتبه ، حتى نعس نعسة ، فضرب بإحدهما الأخرى فكسرها ، قال معمر : إنما هو مثل ضربه الله ، يقول : فكذلك السموات والأرض في يديه .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : ثنا هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر ، قال : « وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى هَلْ يَنَامُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَأَرْقَاهُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ ، فِي كُلِّ يَدٍ قَارُورَةٌ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِمَا ، قَالَ : فَجَعَلَ يَنَامُ وَتَكَادُ يَدَاهُ تَلْتَقِيَانِ ، ثُمَّ يَسْتَيْفِظُ فَيَحْبِسُ أَحَدَاهُمَا عَنِ الْآخَرَى ، ثُمَّ نَامَ نَوْمَةً فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ وَانْكَسَرَتِ الْقَارُورَتَانِ » قال : ضرب الله مثله ، أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد ، وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود ، وإنما يعنى بذلك أنه لا تنبغى العبادة لشيء سواه ، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكة ، وليس له خدمة غيره إلا بأمره ، يقول : فجميع ما في السموات والأرض ملكى وخلقى ، فلا ينبغى أن يعبد أحد من خلقى غيرى وأنا مالكة ، لأنه لا ينبغى للعبد أن يعبد غير مالكة ، ولا يطيع سوى مولاه .

وأما قوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يعنى بذلك : من ذا الذى يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه ، ويأذن له بالشفاعة لهم ، وإنما قال ذلك تعالى ذكره ، لأن المشركين قالوا : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال الله تعالى ذكره لهم : لى ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكا ، فلا ينبغى العبادة لغيرى ، فلا تعبدوا الأوثان التى تزعمون أنها تقربكم منى زلفى ، فإنها لا تنفعكم عندى ، ولا تغنى عنكم شيئا ، ولا يشفع عندى أحد لأحد إلا بتخليتى إياه ، والشفاعة لمن يشفع له من رسل وأوليائى وأهل طاعتى .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان ، وبكل ما هو كائن ، علما لا يخفى عليه شيء منه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآخرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى من الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الآخرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج قوله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى أمامهم من الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال : ما بين أيديهم فالدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالآخرة .

وأما قوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء محيط بذلك كله محص له دون سائر من دونه ، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا بما شاء هو أن يعلمه فأراد فعله .

ولما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيئا البتة من وثن وصنم ، يقول : أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ، يعلمها لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ يقول : لا يعلمون بشيء من علمه إلا بما شاء هو أن يعلمهم .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والأرض ، فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ذكره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال : كرسيه : علمه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مطرف ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله ، وزاد فيه : ألا ترى إلى قوله ﴿وَلَا يَوْدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ . وقال آخرون : الكرسي : موضع القدمين .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثني أبي ، قال : ثني

محمد بن جحادة ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمار بن عمير ، عن أبي موسى ، قال : الكرسي : موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فإن السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قال : كرسيه الذي يوضع تحت العرش ، الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم . حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، قال : الكرسي : موضع القدمين .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قال : لما نزلت ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض ، فكيف العرش ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ قال ابن زيد : فحدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدرهم سبعة ألقيت في ترس » قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقمة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » .

وقال آخرون : الكرسي : هو العرش نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : كان الحسن يقول : الكرسي : هو العرش .

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة ، قال : أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ادع الله أن يدخلني الجنة ، فعظم الرب تعالى ذكره ، ثم قال : « إن كُرْسِيَّهٗ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَعْدُ عَلَيْهِ قَمَا يَفْضُلُ مِنْهُ مِقْدَارُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ ، ثُمَّ قَالَ بِأَصَابِعِهِ فَجَمَعَهَا : وَإِنْ لَهُ أَطِيطَا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ إِذَا رَكِبَ مِنْ ثِقَلِهِ » .

(١) أشار في اللسان : (كرسي) إلى حديث عمار الدهني ، وقال قال أبو منصور إنه الصحيح ، وقال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها . قال : ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل ، قلت : ولعل أبا منصور : هو الأزهري صاحب التهذيب في اللغة .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله ابن خليفة ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة ، قال : جاءت امرأة ، فذكر نحوه .

وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه أنه قال : هو علمه ، وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا يَوْدُهُ حِفْظُهُمَا﴾ على أن ذلك كذلك ، فأخبر أنه لا يؤده حفظ ما علم ، وأحاط به مما في السموات والأرض ، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء ، فكذلك قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وأصل الكرسي : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ، ومنه قول الراجز في صفة قانص :

حتى إذا ما احتازها تكرر سا

يعني علم ، ومنه يقال للعلماء : الكرسي ، لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : أوتاد الأرض ، يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ، ومنه قول الشاعر :

يَحْفُفُ بِهِمُ بَيْضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةُ كُرَاسِي بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنْوُبُ ٢

يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازها .

والعرب تسمى أصل كل شيء : الكرسي ، يقال منه : فلان كريم الكرسي : أي كريم الأصل ، قال العجاج :

قَدْ عَلِمَ الْقُدُّوسُ مَوْلَى الْقُدُّوسِ أَنْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسٍ

بِمَعْدِنِ الْمُلْكِ الْكَرِيمِ الْكِرْسِ ٣

يعني بذلك : الكريم الأصل ، ويروى :

فِي مَعْدِنِ الْعِزِّ الْكَرِيمِ الْكِرْسِ

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا يَوْدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

(١) لم أعرف قائل البيت .

(٢) رواية هذا البيت في أساس البلاغة للزمخشري ، عن قطرب : (به) في موضع (بهم) ولم ينسبه . قال : ويقال للعلماء : « الكرسي » عن قطرب ، وأنشد . . . (البيت) .

(٣) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للعجاج الراجز . ولم نجد لها في ديوانه طبعة . ليسك ، ووجدناها في « أراجيز العرب » للسيد « محمد توفيق البكري » طبعة القاهرة سنة (١٣٤٦ ص ١١٣) . وهي في ختام أرجوزة له يمدح بها الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، وكنيته : « أبو العباس » . والقُدُّوس : صيغة مبالغة من القدس ، وهو الطهارة . والرواية فيه وفي لسان العرب (كرس ، كرس : القديم) في موضع (الكريم) . والكرسي بكسر الكاف : الأصل والمعدن . وفي اللسان (قدس) : (الكرسي) ، بياء مشددة في آخره . وقال العجاج يمدح الوليد بن عبد الملك . أراد أنه أحق نفس بالخلافة . وأنشد البيتين الأخيرين في كرس هكذا :

أَنْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسٍ بِمَعْدِنِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ الْكِرْسِ

والكرسي : الأصل .

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ولا يشقّ عليه ولا يثقله ، يقال منه : قد آدنى هذا الأمر فهو يثودنى أودا وإيادا ، ويقال : ما آدك فهولى آثد ، يعنى بذلك : ما أثقلك فهولى مثقل .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ يقول : لا يثقل عليه .
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يثقل عليه حفظهما .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقل عليه لا يجهدده حفظهما .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يثقل عليه شىء .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يوسف بن خالد السمى ، قال : ثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يثقل عليه حفظهما .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، وحدثنا يحيى بن أبى طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : جميعا : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يثقل عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن عبيد ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعته ، يعنى خلادا يقول : سمعت أبا عبد الرحمن المدنى يقول فى هذه الآية ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يكثر عليه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يكرهه .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يثقل عليه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ يقول : لا يثقل عليه حفظهما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال : لا يعزّ عليه حفظهما .

قال أبو جعفر : والهاء والميم والألف فى قوله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ من ذكر السموات والأرض ، فتأويل الكلام : وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض .

وأما تأويل قوله ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فإنه يعني : والله العليّ ، والعلّيّ : الفعيل من قولك علا يعلو علواً : إذا ارتفع فهو عال وعلّيّ ، والعلّيّ : ذو العلوّ والارتفاع على خلقه بقدرته ، وكذلك قوله ﴿الْعَظِيمُ﴾ ذو العظمة ، الذي كل شيء دونه ، فلا شيء أعظم منه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : العظم الذي قد كمل في عظمته .

واختلف أهل البحث في معنى قوله ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فقال بعضهم : يعني بذلك : وهو العليّ عن النظر والأشباه ، وأنكروا أن يكون معنى ذلك : وهو العليّ المكان ، وقالوا : غير جائز أن يخلو منه مكان ، ولا معنى لوصفه بعلو المكان ، لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان .

وقال آخرون : معنى ذلك : وهو العليّ على خلقه ، بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه ، لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقته دونه ، كما وصف به نفسه أنه على العرش ، فهو عال بذلك عليهم .

وكذلك اختلفوا في معنى قوله ﴿الْعَظِيمُ﴾ فقال بعضهم : معنى العظم في هذا الموضع : المعظم صرف المفعّل إلى فعيل ، كما قيل للخمر المعتقة : خمر عتيق ، كما قال الشاعر :

وَكأنَّ الحَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الإسْفَنْطِ مَمزُوجَةٌ بِماءٍ زُلَالٍ

ولمّا هي معتقة ، قالوا : فقوله العظم : معناه : المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه . قالوا : وإنما يحتمل قول القائل : هو عظيم أحد معنيين : أحدهما : ما وصفنا من أنه معظم ، والآخر : أنه عظيم في المساحة والوزن . قالوا : وفي بطول القول بأن يكون معنى ذلك : أنه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا . وقال آخرون : بل تأويل قوله ﴿الْعَظِيمُ﴾ هو أن له عظمة هي له صفة . وقالوا : لانصف عظمته بكيفية ، ولكننا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات ، وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد ، لأن ذلك تشبيه له بخلقته ، وليس كذلك . وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها ، وقالوا : لو كان معنى ذلك أنه معظم ، لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق ، وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق ، لأنه لا معظم له في هذه الأحوال .

وقال آخرون : بل قوله : إنه العظم وصف منه نفسه بالعظم ، وقالوا : كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(١) هذا بيت من لامية الأعشى المشهورة (ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) . والعتيق القديم . والإسفنط بفتح الفاء ، قال الجوهري : ضرب من الأشربة . فارسي معرب . يشبه طعم ريقها في آخر الليل بخمر معتقة مزوجة بالماء الزلال في فيها . وخبر كان في البيت بعده ، ومزوجة : منصوب على الحال . والشاهد في العتيق بمعنى اسم المفعول .

﴿يختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار ، أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هودّوهم أو نصرّوهم ؛ فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه ، فهاهم الله عن ذلك ، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مقلاتا ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهودّه ؛ فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لاندع أبناءنا ، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانت المرأة تكون مقلّا ولا يعيش لها ولد ﴿قال شعبة : وإنما هو مقلات﴾ ، فتجعل عليها إن بقي لها ولد تهودّه ، قال : فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم ، فقالت الأنصار : كيف نصنع بأبنائنا ؟ فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : من شاء أن يقيم أقام ، ومن شاء أن يذهب ذهب .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن عامر ، قال : كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاتا لا يعيش لها ولد ، فتتذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم ، فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم ، فقالوا : إنما جعلناهم على دينهم ، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا ، وإذا جاء الله بالإسلام فلنكرههم ، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والإسلام ، فمن لحق بهم اختار اليهودية ، ومن أقام اختار الإسلام ، ولفظ الحديث لحميد .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود ، عن عامر ، بنحو معناه ، إلا أنه قال : فكان فصل ما بينهم إجماع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فلحق بهم من كان يهوديا ولم يسلم منهم ، وبقي من أسلم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر بنحوه ، إلا أنه قال : إجماع النضير إلى خيبر ، فمن اختار الإسلام أقام ، ومن كره لحق بخيبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد الحرثي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فلنهما قد أيا إلا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك .

(١) اشتقاق المقلات : من قلت لامن قلا . فالصواب ما قاله شعبة بن الحجاج

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد ابن جبير عن قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : نزلت هذه في الأنصار ، قال : قلت خاصة ؟ قال : خاصة ، قال : كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولدا أن يجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه ، قال : فجاء الإسلام وفيهم منهم ؛ فلما أجليت النضير ، قالوا : يا رسول الله ، أبناؤنا وإخواننا فيهم ، قال : فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ خَيْرَ أَصْحَابِكُمْ ، فَإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَهُمْ مِنْكُمْ ، وَإِنْ اخْتَارُوهُمْ فَهُمْ مِنْهُمْ » قال : فأجاوهم معهم .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ إلى ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ قال : نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان ، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت ؛ فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين ، فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ، فرجعا إلى الشام معهم ، فأتى أبوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن ابني تنصرا وخرجا ، فأطلبهما ؟ فقال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب وقال : أبعدهما الله ، هما أول من كفر ، فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما ، فنزلت ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ثم إنه نسخ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : كانت في اليهود يهود أرضعوا رجلا من الأوس ، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم ، قال أبناؤهم من الأوس : لنذهب معهم ، ولندين بدينهم ، فنعمهم أهلهم ، وأكرههم على الإسلام ، ففيهم نزلت هذه الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد جميعا ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة ، فأرادوا أن يكرههم على الإسلام ، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : كانت النضير يهودا فأرضعوا ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم . قال ابن جريج : وأخبرني عبد الكريم ، عن مجاهد أنهم كانوا قد دان بدينهم أبناء الأوس ، دانوا بدين النضير .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن

(١) عبارة الدر المنثور : كانت النضير أرضعت رجلا ... الخ .

الشعبي أن المرأة من الأنصار كانت تنذر إن عاش ولدها لتجعلنه في أهل الكتاب فلما جاء الإسلام قالت الأنصار : يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الإسلام ، فإنما جعلناهم فيها ، ونحن نرى أن اليهودية أفضل الأديان ؛ فلما أن جاء الله بالإسلام ، أفلا نكرههم على الإسلام ؟ فأنزل الله تعالى ذكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود ، عن الشعبي مثله ، وزاد : قال : كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم ، وبين من اختار الإسلام ، إجلاء بني النضير ؛ فمن خرج مع بني النضير كان منهم ، ومن تركهم اختار الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله ﴿الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى﴾ قال : هذا منسوخ .

حدثني سعيد بن الربيع الرازي ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ووائل ، عن الحسن ، أن أناسا من الأنصار كانوا مسترضعين في بني النضير ، فلما أجلوا ، أراد أهلهم أن يلحقوهم بدينهم ، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يكره أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية ، ولكنهم يقرّون على دينهم ، وقالوا : الآية في خاص من الكفار ، ولم ينسخ منها شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : أكره عليه هذا الحى من العرب ، لأنهم كانوا أمة أمية ، ليس لهم كتاب يعرفونه ، فلم يقبل منهم غير الإسلام ، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقرّوا بالجزية أو بالخراج ، ولم يفتنوا عن دينهم ، فيخلى عنهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة في قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : هو هذا الحى من العرب أكرهوا على الدين ، لم يقبل منهم إلا القتل أو الإسلام ، وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان ، فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله ، أو السيف ؛ ثم أمير فيمن سواهم بأن يقبل منهم الجزية ، فقال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : كانت العرب ليس لها دين ، فأكرهوا على الدين بالسيف ، قال : ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس إذا أعطوا الجزية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني : يا جرير أسلم ، ثم قال : هكذا كان يقال لهم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ قال : وذلك لما دخل الناس في الإسلام ، وأعطى أهل الكتاب الجزية .

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة ، وإنما نزلت قبل أن يفرض القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال : سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين ، فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم ، فاستأذن الله في قتلهم ، فأذن له .

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : غنى بقوله تعالى ذكره ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أهل الكتابين والمجوس ، وكل من جاء لإقراره على دينه المخالف دين الحق ، وأخذ الجزية منه وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا .

ولما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب « اللطيف من البيان عن أصول الأحكام » من أن الناسخ غير كائن ناسخا إلا مانئى حكم المنسوخ ، فلم يجز اجتماعهما . فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي ، وباطنه الخصوص ، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال : لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الإسلام قوما ، فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب ، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه ، وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ، ومن أشبههم كان بيننا بذلك أن معنى قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ، ورضاه بحكم الإسلام ، ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة بالحكم بالإذن بالمحاربة .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن ابن عباس وعمن روى عنه من أنها نزلت في قوم من الأنصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام ؟ قلنا : ذلك غير مدفوعة صحته ، ولكن الآية قد تنزل في خاص من الأمر ، ثم يكون حكمها عاما في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه ، فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره ، إنما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الإسلام لهم ، فنهى الله تعالى ذكره عن إكراههم على الإسلام ، وأنزل بالنهي عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان

في مثل معناهم ممن كان على دين من الأديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها ، وإقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك .

ومعنى قوله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لا يكره أحد في دين الإسلام عليه ، وإنما أدخلت الألف واللام في الدين تعريفاً للدين الذي عني الله بقوله : لا إكراه فيه ، وأنه هو الإسلام ، وقد يحتمل أن يكون أدخلنا عقيباً من الهاء المنوية في الدين ، فيكون معنى الكلام حينئذ : وهو العليّ العظيم لا إكراه في دينه ، قد تبين الرشد من الغي ، وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندي .

وأما قوله ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ فإنه مصدر من قول القائل : رشدت فأنا أرشدرشدا ورشداً ورشاداً ، وذلك إذا أصاب الحق والصواب . وأما الغي ، فإنه مصدر من قول القائل : قد غوى فلان فهو يغوى غياً وغواية . وبعض العرب يقول : غوى فلان يغوى ، والذي عليه قراءة القراء ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ بالفتح ، وهي أفصح اللغتين ، وذلك إذا عدا الحق وتجاوزته فضل .

فتأويل الكلام إذا : قد وضع الحق من الباطل ، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه ، فتميز من الضلالة والغواية ، فلا تكررهما من أهل الكتابين ، ومن أبحث لكم أخذ الجزية منه على دينكم ، دين الحق ؛ فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له ، فإلى ربه أمره ، وهو وليّ عقوبته في معاده .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الطاغوت ، فقال بعضهم : هو الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حسان بن فائد

العنسي قال : قال عمر بن الخطاب : الطاغوت : الشيطان .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حسان بن فائد ،

عن عمر ، مثله .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن حماد ، عن مجاهد ،

قال : الطاغوت : الشيطان .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبي ، قال : الطاغوت : الشيطان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾ قال : الشيطان .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، الطاغوت : الشيطان .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾

بالشيطان .

وقال آخرون : الطاغوت : هو الساحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى قال : ثنا داود ، عن أبي العالية ، أنه قال : الطاغوت : الساحر . وقد خولف عبد الأعلى في هذه الرواية ، وأنا أذكر الخلاف بعد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، قال : الطاغوت : الساحر وقال آخرون : بل الطاغوت : هو الكاهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا سعيد ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : الطاغوت : الكاهن .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رفيع ، قال : الطاغوت : الكاهن . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ ﴾ قال : كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . أخبرني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله ، أنه سمعه يقول : وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها ، فقال : كان في جهنمة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد ، وهي كهان ينزل عليها الشيطان .

والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، إنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا ، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء ؛ وأرى أن أصل الطاغوت : الطغوت ، من قول القائل : طغا فلان يطغو : إذا عدا قدره فتجاوز حدّه ، كالجبروت من التجبر ، والحلبوت من الحلب ، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير فعلت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعني لام الطغوت ، فجعلت له عينا وحوّلت عينه ، فجعلت مكان لامه ، كما قيل جذب وجذب وجاذب ، وصاعقة وصاقعة ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال .

فتأويل الكلام إذا : فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله ، يقول : ويصدق بالله أنه إلهه وربّه ومعبوده ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، يقول : فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه .

كما حدثني أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندي ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، عن حميد بن عتبة ، عن أبي الدرداء أنه عاد مريضا من جبرته فوجده في السوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد ، فسألهم يريد أن ينطق ؟ قالوا : نعم يريد أن يقول : آمنت بالله وكفرت بالطاغوت ، قال أبو الدرداء : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : لم يزل يرددّها حتى انكسر لسانه ، فنحن نعلم أنه إنما يريد أن ينطق بها ، فقال أبو الدرداء : أفلح صاحبكم ، إن الله يقول ﴿ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

والعروة في هذا المكان مثل للإيمان الذي اعتصم به المؤمن ، فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها ، إذ كان كل ذي عروة ، فإنما يتعلق من أراحه بعروته ، وجعل تعالى ذكره الإيمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله ، من أوثق عرى الأشياء بقوله ﴿الْوُثْقَى﴾ والوثقى : فعلى من الوثاقة ، يقال في الذكر : هو الأوثق ، وفي الأنثى : هي الوثقى ، كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال : الإيمان .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : : العروة الوثقى : هو الإسلام .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي السوءاء ، عن جعفر ، يعني ابن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير قوله ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال : لا إله إلا الله ، ثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي السوءاء النهدي ، عن سعيد بن جبير مثله . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ مثله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها ، والهاء والألف في قوله لها عائد على العروة . ومعنى الكلام : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا ينحشى مع اعتصامه بخذلانه إياه ، وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا ينحشى انكسار عراها ، وأصل انفصم : الكسر ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

وَمَبْسِمُهَا عَنْ شَتِيَتِ النَّبَا تِ غَيْرُ أَكْسٍ وَلَا مُنْفَضِّمٍ^(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة وهو أبو بصير (في ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٣٥) . والشتيت : المفليج .

والأكس : صفة من كس يكس كسا من باب فرح ، وهو القصير الأسنان ، أو الذي يكون حنكه الأعلى أقصر من الأسفل . فتكون الثنيتان الغليتان وراء السفليين من داخل الفم . والمنقضم : اسم فاعل وهو الذي فيه القضم (قضم يقضم قضمًا من باب فرح) وهو انصداع في السن ، أو تلثم وتكسر في أطراف الأسنان وتفلل واسوداد ورواية المؤلف : منقضم ، وهي صحيحة بمعنى الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ قال : لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .
حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ قال : لا انقطاع لها .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

يعني تعالى ذكره : والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده ، الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله ، وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله ، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه ، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره ، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكم عنه سر ، ولا يخفي عليه أمر ، حتى يجازي كلا يوم القيامة بما نطق به لسانه ، وأضمرته نفسه ، إن خيرا فخيلا ، وإن شرا فشرأ .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نصيرهم وظهيرهم ، يتولاهم بعونه وتوقيفه ،
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ يعني بذلك : يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وإنما عني
بالظلمات في هذا الموضع : الكفر ، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلا ، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها ، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان ، والعلم بصحته
وصحة أسبابه ، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه ،
وهاديه ، فوفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر ، وظلم سواثر أبصار القلوب ،
ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به ، فقال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الجاحدين وحادائته أولياؤهم
يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت ، يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله
﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يعني بالنور : الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات ، ويعني
بالظلمات : ظلمات الكفر وشكوكه ، الحائلة دون أبصار القلوب ، ورؤية ضياء الإيمان ، وحقائق أدلته وسبله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يقول : من الضلالة إلى الهدى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ﴾
الطَّاغُوتُ ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يقول : من الهدى إلى الضلالة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك رضي الله عنه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور رضي الله عنه الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان رضي الله عنه والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات رضي الله عنه يخرجونهم من الإيمان إلى الكفر .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله تعالى ذكره رضي الله عنه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور رضي الله عنه يقول : من الكفر إلى الإيمان رضي الله عنه والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات رضي الله عنه يقول : من الإيمان إلى الكفر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد أو مقسم في قول الله رضي الله عنه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات رضي الله عنه قال : كان قوم آمنوا بعتسى ، وقوم كفروا به ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعتسى ، وكفر به الذين آمنوا بعتسى ، أى يخرج الذين آمنوا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت آمنوا بعتسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قال : يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت منصورا ، عن رجل ، عن عبدة بن أبي لبابة قال في هذه الآية رضي الله عنه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور رضي الله عنه إلى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون رضي الله عنه قال : هم الذين كانوا آمنوا بعتسى ابن مريم ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به ، وأنزلت فيهم هذه الآية .

وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد وعبدة بن أبي لبابة يدل على أن الآية معناها الخصوص ، وأنها إن كان الأمر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الأوثان الذين لم يكونوا مقررين بنبوّة عيسى وسائر الملل التى كان أهلها تكذب بعتسى .

فإن قال قائل : أو كانت النصارى على حق قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذبوا به ؟ قيل : من كان منهم على ملة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فكان على حق وإياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله رضي الله عنه يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله رضي الله عنه .

فإن قال قائل : فهل يحتمل أن يكون قوله رضي الله عنه والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات رضي الله عنه أن يكون معنيا به غير الذين ذكر مجاهد وغيره أنهم عنوا به من المؤمنين بعتسى أو غير أهل الردة والإسلام ؟ قيل : نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك : والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الإيمان ، ويضلونهم فيكفرون ، فيكون تضليلهم إياهم حتى يكفروا إخراجا منهم لهم من الإيمان ، يعنى صدّهم إياهم عنه وحرمانهم إياهم خيره ، وإن لم يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل :

(١) فى الأصل : عبد الله فى الموضع الأول ، وعبدة فى الثانى والثالث . والصواب : عبدة فيها ، انظر خلاصة التحرير .

أخرجني والدي من ميراثه : إذا ملك ذلك في حياته غيره ، فحرمه منه خطيئة ، ولم يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه ، ولكنه لما حرمه ، وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه ، قيل : أخرجته منه ، وكقول القائل : أخرجني فلان من كتبتة ، يعني لم يجعلني من أهلها ، ولم يكن فيها قط قبل ذلك ، فكذا قوله ﴿ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ يحتمل أن يكون إخراجهم إياهم من الإيمان إلى الكفر على هذا المعنى ، وإن كان الذي قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية .

﴿ فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَكَيْفَ قَالَ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ ﴾ فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم ، والطاغوت واحد . قيل : إن الطاغوت اسم لجماع وواحد وقد يجمع طواغيت ، وإذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم : رجل عدل ، وقوم عدل ، ورجل فطر ، وقوم فطر ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي موحدة في اللفظ واحدا وجمعها ، وكما قال العباس بن مرداس :

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرِئْتَ مِنَ الْإِحْنِ الصَّدُورُ

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

يعني تعالى ذكره بذلك : هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار ، أهل النار الذين يخلدون فيها ، يعني في نار جهنم دون غيرهم من أهل الإيمان إلى غير غاية ولا نهاية أبدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِي إِلَى اللَّهِ حَاجٌّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾

﴿ يعني تعالى ذكره بقوله ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ألم تر يا محمد بقلبك الذي حاج إبراهيم ؟ يعني الذي خاصم إبراهيم ، يعني إبراهيم نبي الله صلى الله عليه وسلم في ربه . ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ يعني بذلك : حاجه فخاصمه في ربه ، لأن الله آتاه الملك ، وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، من الذي حاج إبراهيم في ربه ، ولذلك أدخات إلى في قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ ﴾ وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله ، قالوا : ماترى إلى هذا ، والمعنى : هل رأيت مثل هذا ، أو كهذا ؟ وقيل : إن الذي حاج إبراهيم في ربه جبار كان بيابل يقال له نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وقيل : إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح .

(١) البيت في اللسان (أخو) ونسبه للعباس بن مرداس السلمي ، واستشهد به على أن الأخ قد يجمع بالواو والنون ، وحذفت منه النون للإضافة . وأما المؤلف فقد جعله مفردا بمعنى الجمع . والإحن : العداوات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ قال : هو نمروذ بن كنعان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عدى ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ قال : كنا نتحدث أنه ملك يقال له نمروذ ، وهو أول ملك تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : هو اسمه نمروذ ، وهو أول ملك تجبر في الأرض حاج إبراهيم في ربه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ قال : ذكر لنا أن الذي حاج إبراهيم في ربه كان ملكا يقال له نمروذ ، وهو أول جبار تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هو نمروذ بن كنعان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : هو نمروذ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني زيد بن أسلم ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن

كثير أنه سمع مجاهدا يقول : هو نمروذ . قال ابن جريج : هو نمروذ ، ويقال إنه أول ملك في الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ . قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَضَبَّتِ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : ألم تر يا محمد إلى الذي حاج إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم : ربى الذى

يحيى ويميت ، يعنى بذلك : ربى الذى بيده الحياة والموت يحيى من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء ، قال :

أنا أفعل ذلك ، فأحيى وأميت ، أستحيى من أردت قتله ، فلا أقتله ، فيكون ذلك منى إحياء له ، وذلك

عند العرب يسمى إحياء ، كما قال تعالى ذكره ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وأقتل آخر

فيكون ذلك منى إماتة له ، قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : فإن الله الذى هو ربى يأتى بالشمس من مشرقها ،

(١) نمروذ : بضم النون ، وإهمال الدال وإعجامها . وصرح العصام وغيره بأنه بالمعجمة . (انظر تاج العروس) .

فأت بها إن كنت صادقا أنك إله من مغربها ، قال الله تعالى ذكره ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ يعني انقطع وبطلت حجته ، يقال منه : بُهِتَ يُبْهِتُ بُهْتًا ، وقد حكى عن بعض العرب أنها تقول بهذا المعنى : بُهِتَ ، ويقال : بُهِتَ الرجل إذا افتريت عليه كذبا وبهتانًا وبهاتة . وقد روى عن بعض القراء أنه قرأ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ بمعنى : فبهت إبراهيم الذي كفر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، قال أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴿وَذَكَرْنَا أَنَّهُ دَعَا بَرَجَلَيْنِ ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا ، وَاسْتَحْيَا الْآخَرَ ، فَقَالَ : أَنَا أَحْيِي هَذَا ، أَنَا أُسْتَحْيِي مِنْ شَيْءٍ ، وَأَقْتُلُ مِنْ شَيْءٍ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ : أَقْتُلُ مِنْ شَيْءٍ ، وَأُسْتَحْيِي مِنْ شَيْءٍ ، أَدْعُهُ حَيًّا فَلَا أَقْتُلُهُ ، وَقَالَ : مَلِكُ الْأَرْضِ مَشْرِقُهَا وَمَغْرِبُهَا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ : مُؤْمِنَانِ ، وَكَافِرَانِ ، فَالْمُؤْمِنَانِ : سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، وَذُو الْقَرَيْنَيْنِ ؛ وَالْكَافِرَانِ : بَخْتَنْصَرُ وَنَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ ، لَمْ يَمْلِكْهَا غَيْرَهُمْ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض نمروذ ، فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرَّ به ناس قال : من ربكم ، قالوا : أنت ، حتى مرَّ إبراهيم ، قال : من ربك ؟ قال : الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿قَالَ : فَرَدَّهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، قَالَ : فَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى أَهْلِهِ فَرَّ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ رَمْلِ أَغْفَرٍ ، فَقَالَ : أَلَا آخِذُ مِنْ هَذَا فَأَتِي بِهِ أَهْلِي فَتَطِيبُ أَنْفُسَهُمْ حِينَ أَدْخُلُ عَلَيْهِمْ ؟ فَأَخَذَ مِنْهُ فَأَتَى أَهْلَهُ ، قَالَ : فَوَضَعَ مَتَاعَهُ ثُمَّ نَامَ ، فَقَامَتِ امْرَأَتُهُ إِلَى مَتَاعِهِ ، فَفَتَحَتْهُ ، فَإِذَا هِيَ بِأَجُودِ طَعَامٍ رَأَتْهُ ، فَصَنَعَتْ لَهُ مِنْهُ ، فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ عَهْدُهُ بِأَهْلِهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهمْ طَعَامٌ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ هَذَا ؟ قَالَتْ : مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ ، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَهُ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى الْجَبَّارِ مَلَكًا أَنْ آمَنَ بِي وَأَتْرَكَكَ عَلَى مَلِكِكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَبٌّ غَيْرِي ؟ فَجَاءَهُ الثَّانِي ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثُ فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : اجْمَعْ جُوعَكَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَجَمَعَ الْجَبَّارُ جُوعَهُ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلِكَ ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابًا مِنَ الْبَعُوضِ ، فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَلَمْ يَرَوْهَا مِنْ كَثَرَتِهَا ، فَبِعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَكَلَتْ لَحُومَهُمْ ، وَشَرِبَتْ دِمَاءَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعِظَامُ ، وَالْمَلِكُ كَمَا هُوَ لَمْ يَصْبِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَبِعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعُوضَةً ، فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ ، فَكَثُرَتْ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ يُضْرَبُ رَأْسُهُ بِالْمِطَارِقِ ، وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِهِ مَنْ جَمَعَ يَدَيْهِ وَضَرَبَ بِهِمَا رَأْسَهُ ،

(١) أصل اسم بختنصر كما في سفر إرميا (٢٨ : ١٠) نبوخذ ناصر . وقد يبدلون النون الثانية راء كما في إرميا (٣٢ : ٢٩) .

وكان جباراً أربعمائة عام ، فعذب به الله أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته الله ، وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله ﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ قال : هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه ، فإذا دخلوا عليه ، قال : من ربكم ؟ فيقولون : أنت ، فيقول : ميروهم ؛ فلما دخل إبراهيم ، ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال : فعرضهم كلهم ، فيقول : من ربكم ؟ فيقولون : أنت ، فيقول : ميروهم ، حتى عرض إبراهيم مرتين ، فقال : من ربك ؟ قال : ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، إن شئت قتلتك فأمتك ، وإن شئت استحييتك ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : أخرجوا هذا عنى فلا تميروه شيئاً ، فخرج القوم كلهم قد امتاروا ، وجوالقا إبراهيم يصطفقان ، حتى إذا نظر إلى سواد جبال أهله ، قال : ليحزننى صبيائى إسماعيل وإسحاق ، لو أنى ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما ، قرّت عينا صبيئى ، حتى إذا كان الليل أهرقته ، قال : فلأهما ثم خيطهما ، ثم جاء بهما ، فترامى عليهما الصبيان فرحاً ، وألقى رأسه فى حجر سارة ساعة ، ثم قالت : ما يجلسنى قد جاء إبراهيم تعباً لغبا ، لو قمت فصنعت له طعاماً إلى أن يقوم ؟ قال : فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها ، وانسلت قليلاً قليلاً لئلا توقظه ، قال : فجاءت إلى إحدى الغرارتين ففتقتها ، فإذا حوارى^١ من النقى لم يروا مثله عند أحد قط ، فأخذت منه فطحنه وعجنته ، فلما أتت توقظ إبراهيم جاءته حتى وضعت بين يديه ، فقال : أى شئ هذا يا سارة ؟ قالت : من جوالقك ، لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير ، قال : فذهب ينظر إلى الجوالق الآخر فإذا هو مثله ، فعرف من أين ذاك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : لما قال له إبراهيم : ربى الذى يحيى ويميت ، قال هو ، يعنى نمرود : فأنا أحيى وأميت ، فدعا برجلين ، فاستحيا أحدهما ، وقتل الآخر ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال : أى أستحيى من شئت ، فقال إبراهيم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾ ، فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما خرج إبراهيم من النار ، أدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه ، وقال له : من ربك ؟ قال : ربى الذى يحيى ويميت ، قال نمرود : أنا أحيى وأميت ، أنا أدخل أربعة نفر بيتنا ، فلا يطعمون ولا يسقون ، حتى إذا هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا ، وتركت اثنين فاتا ، فعرف إبراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك ، قال له إبراهيم : فإن ربى الذى يأتى بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ، فهبت الذى كفر ، وقال : إن هذا إنسان مجنون ، فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم

(١) الحوارى : الدقيق الأبيض الخالص ، وهو الباب . النقى .

فكسرها ، وأن النار لم تأكله ، وخشى أن يفتضح في قومه ، أعني نمرود ، وهو قول الله تعالى ذكره ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ فكان يزعم أنه رب ، وأمر بإبراهيم فأخرج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : قال : أنا أحبي وأميت ، أحبي فلا أقتل ، وأميت من قتلت . قال ابن جريج : كان أتى برجلين ، فقتل أحدهما ، وترك الآخر ، فقال : أنا أحبي وأميت ، قال : أقتل فأميت من قتلت ، وأحبي ، قال : أستحي فلا أقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لنا والله أعلم ، أن نمرود قال لإبراهيم فيما يقول : أرأيت إلهك هذا الذي تعبد ، وتدعو إلى عبادته ، وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ قال له إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، قال نمرود : فأنا أحيي وأميت ، فقال له إبراهيم : كيف تحي وتميت ؟ قال : آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمّته ، وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ، أعرف أنه كما تقول ، فبهت عند ذلك نمرود ، ولم يرجع إليه شيئا ، وعرف أنه لا يطيق ذلك ، يقول تعالى ذكره ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ يعني وقعت عليه الحجة ، يعني نمرود ، وقوله ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول : والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند الحاجة والمخاصمة ، لأن أهل الباطل حججهم داحضة ، وقد بينا أن معنى الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، والكافر : وضع جحوده ما جحد في غير موضعه ، فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** أى لا يهديهم فى الحجة عند الحصومة لما هم عليه من الضلالة .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْكَالَ ذِي مِرٍّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَّا تِلْكَ الْمَائَةُ مِائَةٌ عَامِرٍ شَمَّرَ بَعْتَهُمْ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ
مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمْدُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْمَأَمٌ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٥﴾

(١) قوله « أعرف » . . . الخ هذه العبارة إن كانت من قول إبراهيم ، فهي إشارة إلى ما رد به نمرود من الإحياء والمجازين . وإن كانت من كلام نمرود ، احتج إلى لفظ قبلها . مثل : قال أو نحوه .

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ نظير الذي عنى بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه ، وقوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ عطف على قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وإنما عطف قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ على قوله ﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وإن اختلف لفظاهما ، لتشابه معنيهما ، لأن قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ بمعنى : هل رأيت يا محمد كالذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ، ثم عطف عليه بقوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه وإن خالف لفظه لفظه . وقد زعم بعض نحوي البصرة أن الكاف في قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ زائدة ، وأن المعنى : ألم تر إلى الذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ، أو الذي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ . وقد بينا قبل فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلف أهل التأويل في الذي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وهى نخاوية على عروشها ، فقال بعضهم : هو عزيز .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ نَخَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ قال : عزيز .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو خزيمة ، قال : سمعت سليمان بن بريدة في قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال : هو عزيز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ نَخَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ قال : ذكر لنا أنه عزيز .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال : قال الربيع : ذكر لنا والله أعلم أن الذي أتى على القرية هو عزيز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن عكرمة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ نَخَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ قال : عزيز .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال : عزيز .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ نَخَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ إنه هو عزيز .

حدثني يونس ، قال : قال لنا سالم الخواص : كان ابن عباس يقول : هو عزيز .

وقال آخرون : هو إرميا بن حلقيا^١ وزعم محمد بن إسحاق أن إرميا هو الخضر .

(١) كذا ضبط في سفر إرميا ١ : ١ .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : اسم الخضر فيما كان وهب بن منه يزعم عن بني إسرائيل : إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منه يقول في قوله ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أن إرميا لما خرب بيت المقدس ، وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل ، فقال ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منه ، قال : هو إرميا . حدثني محمد بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : سمعت عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منه ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن قيس بن سعد ، عن عبد الله ابن عبيد بن عمير في قول الله ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ قال : كان نبيا وكان اسمه إرميا .

حدثني الثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن عبد الله بن عبيد ، مثله . ثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بكر بن مضر ^(١) قال : يقولون والله أعلم : إنه إرميا . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ممن قال إذ رأى قرية خاوية على عروشها ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ مع علمه أنه ابتداء خلقها من غير شيء ، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها ، حتى قال : أني يحييها الله بعد موتها . ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك ، وجائز أن يكون ذلك عزيزا ، وجائز أن يكون إرميا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فناءهم ، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قریش ، ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب ، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل بإطلاعه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما يزيل شكهم في نبوته ، ويقطع عذرهم في رسالته ، إذ كانت هذه الأنبياء التي أوحاها إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه من الأنبياء التي لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ، ولم يكن علم ذلك إلا عند أهل الكتاب ، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم ، بل كان أميا وقومه أميون ، فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله إليه . ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر ، ويزيل الشك ، ولكن المقصد كان إلى ذم قيله ، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلق .

(١) مضر : ساقط من الأصول . وميثاق التصريح به فيما ينقله المؤلف من أحاديث يونس عن ابن وهب عن بكر بن مضر .

❦ واختلف أهل التأويل في القرية التي مرّ عليها القائل ❦ أُنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ❦ فقال بعضهم : هي بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك ، قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه ، قال : لما رأى إرميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم ، قال ❦ أُنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ❦ .

ثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه ، قال : هي بيت المقدس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق عن لايتهم أنه سمع وهب بن منبه يقول ذلك . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس ، أتى عليه عزيز بعد ما خربه بختنصر البابلي .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ❦ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ❦ أنه مرّ على الأرض المقدسة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله ❦ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ❦ قال : القرية : بيت المقدس ، مرّ بها عزيز ، بعد إذ خربها بختنصر .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ❦ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ❦ قال : القرية بيت المقدس ، مرّ عليها عزيز وقد خربها بختنصر . وقال آخرون : بل هي القرية التي كان الله أهلّك فيها الذين خرجوا من ديارهم ، وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم موتوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله تعالى ذكره ❦ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ❦ قال : قرية كان نزل بها الطاعون ، ثم اقتصد قصتهم التي ذكرناها في موضعها عنه ، إلى أن بلغ فقال لهم الله موتوا في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة ، فماتوا ثم أحياهم الله ، إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون . قال : ومرّ بها رجل وهي عظام تلوح ، فوقف ينظر ، فقال ❦ أُنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ❦ إلى قوله ❦ أَلَمْ يَتَسَنَّه ❦ .

❦ والصواب من القول في ذلك كالقول في اسم القائل ❦ أُنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ❦ سواء لا يختلفان .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ وهى خالية من أهلها وسكانها ، يقال من ذلك : خوت الدار تخوى خواء وخويا ، وقد يقال للقرية : خويت ، والأول أعرب وأفصح ؛ وأما فى المرأة إذا كانت نفساء فإنه يقال : خويت تخوى خوى منقوصا ، وقد يقال فيها : خوت تخوى ، كما يقال فى الدار ، وكذلك خوى الجوى يخوى خواء شديدا ، ولو قيل فى الجوف ما قيل فى الدار ، وفى الدار ما قيل فى الجوف كان صوابا ، غير أن القصيح ما ذكرت ؛ وأما العروش : فإنها الأبنية والبيوت ، واحدها عرش ، وجمع قليله أعرش ، وكل بناء فإنه عرش ، ويقال : عرش فلان يعرش ويعرش ، وعرش تعريشا ، ومنه قول الله تعالى ذكره ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يعنى يبنون ، ومنه قيل عريش مكة ، يعنى به خيامها وأبنيتها . وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : خاوية : خراب . قال ابن جريج : بلغنا أن عزيزا خرج ، فوقف على بيت المقدس وقد خرّبه بختنصر ، فوقف فقال : أبعد ما كان لك من المقدس والمقاتلة والمال ما كان ، فحزن .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ قال : هى خراب .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : مرّ عليها عزيز وقد خرّبها بختنصر .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يقول : ساقطة على سقفها .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ أَتَىٰ يَحْيَىٰ هَٰذَا اللَّهُ بِعَدَمِ مَوْتِهَا؟ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ ومعنى ذلك فيما ذكرت : أن قائله لما مرّ ببيت المقدس ، أو بالموضع الذى ذكر الله أنه مرّ به خرابا بعد ماعهده عامرا ، قال ﴿أَتَىٰ يَحْيَىٰ هَٰذَا اللَّهُ بِعَدَمِ مَوْتِهَا﴾ فقال بعضهم : كان قبله ما قال من ذلك شكاً فى قدرة الله على إحيائه ، فأراه الله قدرته على ذلك بضربه المثل له فى نفسه ، ثم أراه الموضع الذى أنكر قدرته على عمارته وإحيائه ، أحيا ما رآه قبل خرابه ، وأمر ما كان قبل خرابه ، وذلك أن قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامرا بأهله وسكانه ، ثم رآه خاويا على عروشه ، قد باد أهله وشتتهم القتل والسبأ ، فلم يبق منهم بذلك المكان أحد ، وخربت منازلهم ودورهم ، فلم يبق إلا الأثر ، فلما رآه كذلك بعد الحال التى عهده عليها ، قال : على أى وجه يحيى هذه الله بعد خرابها فيعمرها ، استنكارا فيما قاله بعض أهل التأويل ، فأراه كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له فى نفسه ، وفيما كان من شرابه وطعامه ، ثم عرفه

قدرته على ذلك وعلى غيره باظهاره احياء ما كان عجا عندده في قدرة الله احياءه لرأى عينه حتى أبصره ببصره ، فلما رأى ذلك ، قال ﴿ اَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وكان سبب قيله ذلك كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول : قال الله لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل : يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطنها طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعى نبأتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ، ولأمر عظيم اجتيتك ، فبعث الله تعالى ذكره إرميا إلى ملك بني إسرائيل يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه ؛ قال : ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا المحارم ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب ، فأوحى الله إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، فاقصص عليهم ما أمرك به ، وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم ، ثم ذكر ما أرسل الله به إرميا إلى قومه من بني إسرائيل ، قال : ثم أوحى الله إلى إرميا : أني مهلك بني إسرائيل بيافت ، ويافت أهل بابل ، وهم من ولد يافت بن نوح ؛ فلما سمع إرميا وحي ربه ، صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقيت التوراة ، ومن شر أيامي يوم ولدت فيه ، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شر على ، لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل ، فمن أجل تصيبهم الشقوة والهلاك ؛ فلما سمع الله تضرع الحضر وبكاءه وكيف يقول ، ناداه : إرميا أشق عليك ما أوحيت إليك ؟ قال : نعم يا رب أهلكني في بني إسرائيل ما لأسر به ، فقال الله : وعزتي العزيزة لأهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك ، ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه ، وقال : لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا أمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبدا ، ثم أتى ملك بني إسرائيل ، وأخبره بما أوحى الله إليه ، ففرح واستبشر ، وقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته ؛ ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية ، وتماذوا في الشر ، وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقل الوحي ، حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم ألهمهم الدنيا وشأنها ، فقال ملكهم : يا بني إسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس من الله ، وقبل أن يبعث عليكم ملوك لارحمة لهم بكم ، فإن ربكم قريب التوبة ، مبسوط اليدين بالخير ، رحيم من تاب إليه ، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه ، وإن الله ألقى في قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعله ، فخرج في ستمائة ألف زاية يريد أهل بيت المقدس ؛ فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربنا أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك ، فقال إرميا للملك : إن ربي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق ؛ فلما اقترب الأجل ، ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله على هلاكهم ، بعث الله ماكا من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا فاستفته ، وأمره

(۱) في التلوي : وحي التراب ، أي التواء .

بالذي يستفتيه فيه ، فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد تمثل له رجلا من بني إسرائيل ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري ، فأذن له ، فقال الملك : يا نبي الله أتيتك أستفتيك في أهل رحى ، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به ، لم آت إليهم إلا حسنا ، ولم آلهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسقاطا لي ، فأفتني فيهم يا نبي الله ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصل ما أمرك الله به أن تصل ، وأبشر بخير ، فانصرف عنه الملك ، فكث أياما ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك في شأن أهلي ، فقال له نبي الله ، أو ما طهرت لك أخلاقهم بعد ، ولم تر منهم الذي تحب ، فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحى إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويجنبكم سخطه ، فقال الملك من عنده ، فلبث أياما ، وقد نزل يختصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ، ففرع بنو إسرائيل فرعا شديدا ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل ، فدعا إرميا ، فقال : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ، فقال : إني برى واثق ، ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذي كنت استفتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أو لم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه ؟ فقال الملك : يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أنما قصدهم في ذلك سخطي ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله ، ولا يحبه الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبي ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكن غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم ، فقال إرميا : يا مالك السموات والأرض ، إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه ، فأهلكهم ، فلما خرجت الكلمة من في إرميا أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس ، فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها ، فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : يا ملك السماء ، ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني ؟ فنودي إرميا إنه لم يصبههم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا ، فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرات ، وأنه رسول ربه ، فطار إرميا حتى خالط الوحوش ، ودخل يختصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس ، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقدفه في بيت المقدس ، فقدفوا فيه التراب حتى ملئوه ، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل ، فاختر منهم تسعين ألف صبي ، فلما

خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمهم فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ، ففعل ، فأصاب كل واحد منهم أربعة غلّة ، وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وعزاريّا ، ومساييل ، وحنانيا^١ . وجعلهم يختصر ثلاث فرق : فثلثا أقرّ بالشام ، وثلثا سبي ، وثلثا قتل ، وذهب بأسيرة بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الألف^٢ حتى أقدمهم بابل ، فكانت هذه الواقعة الأولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبيّ الله بأحداثهم وظلمهم ، فلما ولي يختصر عنه راجعا إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل ، أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في زكرة وسلّة تين ، حتى أتى إيليا ، فلما وقف عليها ، ورأى ما بها من الخراب دخله شك ، فقال ﴿ أَتَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته الله ، ومات حماره معه ، فأعمى الله عنه العيون ، فلم يره أحد ، ثم بعثه الله تعالى ، فقال له ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ، فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ كَمْ يَتَسَنَّهٖ ﴾ يقول : لم يتغير ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ فنظر إلى حماره يتصل بعضه إلى بعض ، وقد مات معه بالعروق والعصب ، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم ، حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق ، ونظر إلى عصيره وتينه ، فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير ، ثم عمر الله إرميا بعد ذلك ، فهو الذي يرى بفلوات الأرض والبلدان .

حدثني محمد بن عسكر وابن زنجويه ، قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : أوحى الله إلى إرميا وهو بأرض مصر أن الحق بأرض إيليا ، فإن هذه ليست لك بأرض مقام ، فركب حماره ، حتى إذا كان ببعض الطريق ، ومعه سلّة من عنب وتين ، وكان معه سقاء جديد ، ففلاه ماء ، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد ، ونظر إلى خراب لا يوصف ، ورأى هدم^٣ بيت المقدس كالجبل العظيم ، قال ﴿ أَتَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وسار حتى تبوأ منها منزلا ، فربط حماره بجبل جديد ، وعلق سقائه ، وألقى الله عليه السبات ، فلما نام نزع الله روحه مائة عام ، فلما مرت من المائة سبعون عاما ، أرسل الله ملكا إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوسك^٤ ، فقال : إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها ، حتى تعود أعمار ما كانت ، فقال الملك : أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداة العمل ، فأنظره ثلاثة أيام ، فانتدب ثلاثمائة قهرمان ، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل ، وما يصلحه من أداة العمل ، فسار إليها قهارمته^٥ ، ومعهم ثلثمائة ألف عامل ، فلما وقعوا في العمل ردّ الله روح الحياة في عين إرميا ، وأخر جسده ميتا ، فنظر إلى إيليا وما حولها من القرى والمساجد والأنهار والحروث تعمل وتعمر وتجدد ،

(١) في سفر دانيال (١ : ٦) وكان بينهم من بني يهوذا : دانيال وحنانيا وميشائيل وعزاريّا .

(٢) كذا بتعريف الألف في الأصول . (٣) الهدم ، بوزن جبل : البناء المهدم .

(٤) التلعي : يوشك ، بالشين . وفي القرطبي : كوشك .

(٥) في الأصل : قهرمته . تحريف . والقهرمان : من أمناء الملك وخاصته .

حتى صارت كما كانت ، وبعد ثلاثين سنة تمام المائة ، ردّ إليه الروح ، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه ، ونظر إلى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه ، لم يطعم ، ولم يشرب ، ونظر إلى الرّمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة ، وقد أتى على ذلك ربح مائة عام وبرد مائة عام وحرّ مائة عام ، لم تتغير ، ولم تُنقص شيئا ، وقد نحل جسم إرميا من البلى ، فأثبت الله له لحما جديدا ، ونشّز عظامه ، وهو ينظر ، فقال له الله ﴿انْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ، و﴿انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ، وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، و﴿انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب ابن منبه يقول في قوله ﴿أَتَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إن إرميا لما خرب بيت المقدس ، وحرقت الكتب ، وقف في ناحية الجبل ، فقال ﴿أَتَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ، فأما الله مائة عام ثم ردّ الله من ردّ من بنى إسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمرونها ثلاثين سنة تمام المائة ؛ فلما ذهبت المائة ردّ الله روحه ، وقد عمرت على حالها الأولى ، فجعل ينظر إلى العظام كيف تلتام بعضها إلى بعض ، ثم نظر إلى العظام كيف تكسى عسبا ولحما ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ﴾ قال : أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فقال الله تعالى ذكره ﴿انْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قال : فكان طعامه تينا في مكنى ، وقلة فيها ماء .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ وذلك أن عزيزا مرّ جاثيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين ؛ فلما مرّ بالقرية فرآها ، وقف عليها وقلب يده وقال : كيف يحيى هذه الله بعد موتها ؟ ليس تكذيبا منه وشكا ، فأما الله وأمات حماره ، فهلكا ومرّ عليهما مائة سنة ، ثم إن الله أحيا عزيزا فقال له : كم لبثت ؟ قال له : لبثت يوما أو بعض ، قيل له : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك من التين والعنب ، وشرابك من العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ، قال : كَمْ لَبِثْتَ ؟ قال : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قال : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ .

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ثم أثاره حيا من بعد مماته ، وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل . وأما معنى قوله ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ فإن كَمْ استفهام في كلام العرب عن مبلغ العدد ، وهو في هذا الموضع نصب بلبث ، وتأويله : قال الله له : كم قدر الزمان الذى لبثت ميتا قبل أن أبعثك من مماتك حيا ؟ قال المبعوث بعد مماته : لبثت ميتا إلى أن بعثتنى حيا يوما واحدا أو بعض يوم ، وذكر أن المبعوث هو إرميا أو عزيز ، أو من كان ممن أخبر الله عنه هذا الخبر ، وإنما قال ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأن الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار ، ثم ردّ روحه آخر النهار بعد المائة عام فقليل له : كم لبثت ؟ قال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوما لأنه ذكر أنه قبض روحه أول النهار وسئل

(١) تلتام : يريد : تلتئم . أصله المنز فعمل .

عن مقدار لبثه ميتا آخر النهار ، وهو يرى أن الشمس قد غربت ، فقال : لبثت يوما ، ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب ، فقال : أو بعض يوم ، بمعنى : بل بعض يوم ، كما قال تعالى ذكره ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ بمعنى : بل يزيدون ، فكان قوله ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ رجوعا منه عن قوله ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ، قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قال : ذكر لنا أنه مات ضحى ، ثم بعثه قبل غيوبة الشمس ، فقال : لبثت يوما ، ثم التفت فرأى بقية من الشمس ، فقال : أو بعض يوم ، فقال : بل لبثت مائة عام .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال : مرّ على قرية فتعجب ، فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأما الله أول النهار ، فلبث مائة عام ، ثم بعثه في آخر النهار ، فقال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : قال الربيع : أماته الله مائة عام ، ثم بعثه ، قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : لما وقف على بيت المقدس وقد خربه بختنصر ، قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها : كيف يعيدها كما كانت ، فأما الله ، قال : وذكر لنا أنه مات ضحى ، وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام ، فقال : كم لبثت ؟ قال : يوما ، فلما رأى الشمس ، قال : أو بعض يوم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يغيره السنون التي أتت عليه ، وكان طعامه فيما ذكر بعضهم سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء . وقال بعضهم : بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه زق من عصير . وقال آخرون : بل كان طعامه سلة تين ، وشرابه دن خمر أو زكرة خمر . . وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر ما فيه فيما يستقبل إن شاء الله .

وأما قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ففيه وجهان من القراءة : أحدهما لم يتسنّ بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف ، ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله ﴿فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وجعل فعلت منه : تسنيت تسنيا ، واعتلّ في ذلك بأن السنة تجمع سنوات ، فيكون تفعلت على نهجه ، ومن قال في السنة سنينة فجائز على ذلك وإن كان قليلا أن يكون تسننت تفعلت ، أبدلت النون ياء لما كثرت النونات

(١) عبر « بفعلت » هذا وفيما يأتي قريبا ، عن الفعل الماضي ، و« بفعل » من المضارع .

كما قالوا : تظنيت وأصله الظن ؛ وقد قال قوم : هو مأخوذ من قوله ﴿مَنْ حَمَّ مَسْنُونٌ﴾ وهو المتغير ، وذلك أيضا إذا كان كذلك ، فهو أيضا مما بدلت نونه ياء ، وهو قراءة عامة قرأء الكوفة . والآخر منهما : إثبات الهاء في الوصل والوقف ، ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ، ويجعل فعلت منه تسنيت ، ويفعل : أتسنه تسنها ، وقال في تصغير السنة : سنيهة ، ومنه : أسنيت عند القوم ، وتسنيت عندهم : إذا أقمت سنة ، هذه قراءة عامة قرأ أهل المدينة والحجاز .

والصواب من القراءة عندى في ذلك ، إثبات الهاء في الوصل والوقف ، لأنها مثبتة في مصحف المسلمين ، وإثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك .

ومعنى قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهُ﴾ لم يأت عليه السنون فيتغير ، على لغة من قال : أسنيت عندكم أسنه : إذا أقام سنة ، وكما قال الشاعر :

وَلَيْسَتْ بِسَنَاءٍ وَلَا رُجْبِيَّةٍ وَلَكِنْ عَرَايَا فِي السَّنِينَ الْجَوَائِحِ

فجعل الهاء في السنة أصلا ، وهى اللغة الفصحى ، وغير جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لإثباته وجه معروف في كلامها .

فإن اعتلّ معتلّ بأن المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف ، والوجه في الأصل عند القراءة حذفهن ، وذلك كقوله ﴿فَبِهَذَا هُمُ اقْتَدِهْ﴾ وقوله ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ فإن ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد ، وأنه ألحق على نية الوقف . فأما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد فغير جائز . وهو في مصحف المسلمين مثبت صرفه إلى أنه من الزوائد والصلوات ، على أن ذلك وإن كان زائدا فيما لاشك أنه من الزوائد ، فإن العرب قد تصل الكلام بزائد ، فتنتطق به على نحو منطقها به في حال القطع ، فيكون وصلها إياه وقطعها سواء ، وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات الهاء في الوصل والوقف ، غير أن ذلك وإن كان كذلك فلقوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهُ﴾ حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدا لاشك في زيادته فيه .

ومما يدلّ على صحة ما قلنا ، من أن الهاء في يتسنه من لغة من قال : قد أسنيت والمسألة ، ما حدثت به عن القاسم بن سلام ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن أبي الجراح ، عن سليمان بن عمير ، قال : ثنى هاني مولى عثمان ، قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت ، فقال زيد : سله عن قوله : لم يتسنن ، أو لم يتسنه ، فقال عثمان : اجعلوا فيها هاء .

(١) البيت لسويد بن الصامت الأنصاري (اللسان : سنه) وقال : السناء : التي أصابتها السنة المجذبة . أو النخلة حملت عاما ولم تحمل الآخر . أو التي أصابها الجذب ، وأضر بها ، فنى ذلك عنها . وقد توصف به السنة التي تفعل ذلك ، والتي لا نبات بها ولا مطر . وهى لفظة مبنية من السنة ، كما يقال : ليلة ليلاء ، ويوم أيوم . وعن أبي زيد : طعام سنه وسن : إذا أتت عليه السنون . وسنه الطعام والشراب سنها وتسنه : تغير . وعليه وجه بعضهم قوله تعالى : «فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه» واختاره المؤلف هنا .

وأشد البيت صاحب اللسان في (رجب) وقال : تحلة رجبية ورجبية (بفتح الجيم مخففة ومثقلة) : بنى تحتها رجبية ، لتمضدها وتمنعها من السقوط كلاهما نسب نادر . والرجبة أن تعمد النخلة بخشبة ذات شعبتين - يصف نخلة بالجودة ، وأنه ليس فيها سناء ، وهى التي أصابتها السنة ، يعنى أضر بها الجذب . وقيل : هى التي تحمل سنة وتترك أخرى . والعرايا : جمع عرية ، وهى التي يذهب ثمرها . والجوائح : السنون الشداد التي تجميع المال . أى تملكه .

حدثت عن القاسم ، وحدثنا محمد بن محمد العطار ، عن القاسم ، وحدثنا أحمد والعطار جميعا ، عن القاسم ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن ابن المبارك ، قال : ثنا أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هاشم البربري ، قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها : لم يتسنن ، و«فأمهل الكافرين» و«لا تبديل للمخلوق» قال : فدعا بالدواة ، فحدا إحدى اللامين وكتب : «لا تبديل لخلق الله» و«فأمهل وكتب : «فهل الكافرين» وكتب : «لم يتسنه» ألحق فيها الهاء ، ولو كان ذلك من يتسنى أو يتسنن لما ألحق فيه أبي هاء لاموضع لها فيه ، ولا أمر عثمان بإلحاقها فيها ، وقد روى عن زيد بن ثابت في ذلك نحو الذي روى فيه عن أبي بن كعب .

❖ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ فقال بعضهم بمثل الذي قلنا فيه . من أن معناه لم يتغير . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يقول : فانظر إلى طعامك من التين والعنب ، وشرابك من العصير لم يتسنه ، يقول : لم يتغير فيحمض التين والعنب ، ولم يخنم العصير هما حلوان كما هما ، وذلك أنه مرّ جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين ، فأماته الله ، وأمات حماره ، ومرّ عليهما مائة سنة . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يقول : لم يتغير ، وقد أتى عليه مائة عام .

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاک ، بنحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن النضر ، عن عكرمة ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير في مائة سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بكر بن مضر ، قال : يزعمون في بعض الكتب أن إرمياء كان بإيليا حين خرج منها إلى مصر فكان بها ، فأوحى الله إليه أن اخرج منها إلى بيت المقدس ، فأتاها فإذا هي خربة ، فنظر إليها فقال : أني يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، فإذا حماره حي قائم على رباطه ، وإذا طعامه سلّ عنب وسلّ تين لم يتغير عن حاله ، قال يونس : قال لنا سالم الخواص : كان طعامه وشرابه سلّ عنب وسلّ تين وزقّ عصير .

وقال آخرون : معنى ذلك : لم ينتن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ لم ينتن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد قوله ﴿ إلى طعامك ﴾ قال : سلّ تين ﴿ وشرابك ﴾ دن خمر ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ يقول : لم ينتن . وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال في ذلك بقولهما رأوا أن قوله ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾ من قول الله تعالى ذكره ﴿ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ ﴾ بمعنى المتغير الريح بالتين من قول القائل : تسنن ، وقد بينت الدلالة فيما مضى على أن ذلك ليس كذلك .

﴿ فَإِنْ ظَنَّ أَنْهُ مِنَ الْأَسْنِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : أَسِنَ هَذَا الْمَاءُ يَأْسَنُ أَسَنًا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ فَإِنْ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْكَلَامُ : فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَأْسِنَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَسَنَّهٗ فَإِنَّهُ مِنْهُ ١ ، غَيْرَ أَنَّهُ تَرَكَ هَمْزَهُ ، قِيلَ : فَانْه وَإِنْ تَرَكَ هَمْزَهُ فَغَيْرُ جَائِزٍ تَشْدِيدُ نُونِهِ ، لِأَنَّ النُّونَ غَيْرُ مُشَدَّدَةٍ ، وَهِيَ فِي يَتَسَنَّهٗ مُشَدَّدَةٌ ، وَلَوْ نَطَقَ مِنْ يَتَأْسِنَ بِتَرْكِ الْهَمْزَةِ لَقِيلَ يَتَسَنَّ بِتَخْفِيفِ نُونِهِ بَغَيْرِ هَاءٍ تَلْحَقُ فِيهِ ، فَبِذَلِكَ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَسْنِ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك : وانظر إلى إحيائي حمارك ، وإلى عظامه كيف أنشزها ، ثم أكسوها لحما .

ثم اختلف متأولوا ذلك في هذا التأويل ، فقال بعضهم : قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن أحياه خلقا سويا ، ثم أراد أن يحيي حماره تعريفا منه تعالى ذكره له كيفية إحيائه القربة التي رآها خاوية على عروشها ، فقال ﴿ أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ مستنكرا إحياء الله إياها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : بعثه الله فقال ﴿ كَمْ لَبِثَ ؟ ﴾ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴾ ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾ قال : فنظر إلى حماره يتصل بعض إلى بعض ، وقد كان مات معه بالعروق والعصب ، ثم كسا ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق ، ونظر إلى عصيره وتينه ، فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير ، فلما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال ﴿ أَعْلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ثم إن الله أحيانا عزيزا ، فقال : كَمْ لَبِثَ ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ،

(١) قوله « فإنه منه » هكذا بالأصل ، ولعل فيه سقطا ، ووجه الكلام : فإن قيل فإنه منه غير ... الخ .

وانظر إلى حمارك قد هلك ، وبليت عظامه ، وانظر إلى عظامه كيف ننشزها ، ثم نكسوها لحما ، فبعث الله ريحا ، فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع ، فاجتمعت ، فركب بعضها في بعض وهو ينظر ، فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ، ثم إن الله كسا العظام لحما ودما ، فقام حمارا من لحم ودم وليس فيه روح ، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار ، فنفخ فيه فنهق الحمار ، فقال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

فتأويل الكلام على ما تأوله قائل هذا القول : وانظر إلى إحيائنا حمارك ، وإلى عظامه كيف ننشزها ، ثم نكسوها لحما ، ولنجعلك آية للناس ، فيكون في قوله : وانظر إلى حمارك ، متروك من الكلام ، استغنى بدلالة ظاهره عليه من ذكره ، وتكون الألف واللام في قوله ﴿وانظر إلى العظام﴾ بدلا من الهاء المرادة في المعنى ، لأن معناه : وانظر إلى عظامه : يعنى إلى عظام الحمار .

وقال آخرون منهم : بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن نفخ فيه الروح في عينه ، قالوا : وهى أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح ، وذلك بعد أن سواه خلقا سويا ، وقبل أن يحيي حماره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال كان هذا رجلا من بني إسرائيل نفخ الروح في عينيه ، فنظر إلى خلقه كله حين يحييه الله ، وإلى حماره حين يحييه الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بدأ بعينه فنفخ فيهما الروح ، ثم بعظامه فأنشزها ، ثم وصل بعضها إلى بعض ، ثم كساها العصب ، ثم العروق ، ثم اللحم ، ثم نظر إلى حماره ، فإذا حماره قد بلى وابيضت عظامه في المكان الذي ربطه فيه ، فنودى يا عظام اجتمعي ، فإن الله منزل عليك روحا ، فسعى كل عظم إلى صاحبه ، فوصل العظام ، ثم العصب ، ثم العروق ، ثم اللحم ، ثم الجلد ، ثم الشعر ، وكان حماره جذعا ، فأحياه الله كبيرا قد تشنأ ، فلم يبق منه إلا الجلد من طول الزمن ، وكان طعامه سلّ عنب وشرابه دنّ خمر . قال ابن جريج عن مجاهد : نفخ الروح في عينيه ، ثم نظر بهما إلى خلقه كله حين نشره الله ، وإلى حماره حين يحييه الله .

وقال آخرون : بل جعل الله الروح في رأسه وبصره وجسده ميتا ، فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حلّ البقعة ، ثم قال الله له : انظر إلى عظامك نفسك كيف ننشزها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : ردّ الله روح الحياة في عين إرمياء وآخر جسده ميت ، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه ، ونظر إلى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه ، لم يطعم ولم يشرب ، ونظر إلى الرمة في عتق

(١) تشن : تقبض ويبس من الحر .

الحمار لم تتغير جديدة .

حدثت عن الحسن ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ فنظر إلى حماره قائما قد مكث مائة عام ، وإلى طعامه لم يتغير ، قد أتى عليه مائة عام ﴿ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ ثُمَّ نَكَسُوها لَحْمًا ﴿ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ رَأْسَهُ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى سَائِرِ خَلْقِهِ يَخْلُقُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاک في قوله ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ فنظر إلى حماره قائما ، وإلى طعامه وشرابه لم يتغير ، فكان أول شيء خلق منه رأسه ، فجعل ينظر إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض ؛ فلما تبين له ، قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه أول ما خلق الله منه رأسه ، ثم ركبت فيه عيناه ، ثم قيل له انظر ، فجعل ينظر ، فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض ، وبعين نبي الله عليه السلام كان ذلك ، فقال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ، وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ ﴿ وَكَانَ حِمَارُهُ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ ﴾ وَلَيَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴿ قَالَ الرَّبِيعُ : ذَكَرَ لَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا خَلَقَ مِنْهُ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قِيلَ انْظُرْ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الْعِظَامِ يَتَوَاصَلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَذَلِكَ بِعَيْنَيْهِ ، فَقِيلَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن زيد قال قوله ﴿ وَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ ﴿ وَاقِفًا عَلَيْكَ مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ ﴾ وَلَيَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ ﴿ يَقُولُ : وَانْظُرْ إِلَى عِظَامِكَ كَيْفَ نَحْيِيهَا حِينَ سَأَلْتَنَا كَيْفَ نَحْيِي هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَالَ : فَجَعَلَ اللَّهُ الرُّوحَ فِي بَصَرِهِ وَفِي لِسَانِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ادْعِ الْآنَ بِلِسَانِكَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَانْظُرْ بِبَصَرِكَ ، قَالَ : فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْجَمِجِمَةِ ، قَالَ : فَنَادَى : لِيَلْحَقْ كُلُّ عَظْمٍ بِأَلْفِهِ ، قَالَ : فَجَاءَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى صَاحِبِهِ ، حَتَّى اتَّصَلَتْ وَهُوَ يَرَاهَا ، حَتَّى إِنْ الْكَسْرَةَ مِنَ الْعِظَامِ لَتَأْتِيَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي انْكَسَرَتْ مِنْهُ ، فَتَلْصِقُ بِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى جَمِجِمَتِهِ ، وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَتْ شَدَّهَا بِالْعَصَبِ وَالْعُرُوقِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهَا اللَّحْمَ وَالْجِلْدَ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ ، ثُمَّ قَالَ ﴿ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ ثُمَّ نَكَسُوها لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴿ ذَلِكَ ﴾ قَالَ ﴿ أَعْلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ فَنَادَى تِلْكَ الْعِظَامُ الَّتِي قَالَ ﴿ أَأَنْتِ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ كَمَا نَادَى عِظَامَ نَفْسِهِ ، ثُمَّ أَحْيَاهَا اللَّهُ كَمَا أَحْيَاهَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني بكر بن مضر ، قال : يزعمون في بعض الكتب أن الله أمات إرمياء مائة عام ، ثم بعثه ، فإذا حماره حي قائم على رباطه ، قال : ورد الله إليه بصره

وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ، ثم نظر إلى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله ، قال : فيقولون والله أعلم : إنه الذي قال الله تعالى ذكره ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ... الآية . ومعنى الآية على تأويل هؤلاء : وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى عظامك كيف ننشرها بعد بلاها ، ثم نكسوها لحما ، فنحييها بحياتك ، فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها .

﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِعَثْ قَائِلٌ ﴿أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ مِنْ مَمَاتِهِ ، ثُمَّ أَرَاهُ نَظِيرَ مَا اسْتَنَكَرَ مِنْ إِحْيَاءِ اللَّهِ الْقَرْيَةَ الَّتِي مَرَّ بِهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا عَيَانًا مِنْ نَفْسِهِ وَطَعَامِهِ وَحِمَارِهِ ، فَجَعَلَ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَا أَرَاهُ مِنْ إِحْيَائِهِ نَفْسَهُ وَحِمَارَهُ مِثْلًا لِمَا اسْتَنَكَرَ مِنْ إِحْيَائِهِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا ، وَجَعَلَ مَا أَرَاهُ مِنَ الْعِبَرَةِ فِي طَعَامِهِ وَشِرَابِهِ عِبْرَةً لَهُ وَحُجَّةً عَلَيْهِ فِي كَيْفِيَةِ إِحْيَائِهِ مَنَازِلَ الْقَرْيَةِ وَجَنَانِهَا ، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن قوله ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ إنما هو بمعنى : وانظر إلى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشرها ، ثم نكسوها لحما ، وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التأويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب ، فلم يمكن صرف معنى قوله ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها ، ولا إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره ، كان الأولى بالتأويل أن يكون الأمر بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لأن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أمثالك مائة عام ثم بعثناك ، وإنما أدخلت الواو مع اللام التي في قوله ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ وهو بمعنى كى ، لأن في دخولها في كى وأخواتها دلالة على أنها شرط لفعل بعدها ، بمعنى : ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك ، ولو لم تكن قبل اللام أعني لام كى واو كانت اللام شرطا للفعل الذي قبلها ، وكان يكون معناه : وانظر إلى حمارك ، لنجعلك آية للناس ، وإنما عني بقوله ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي ، وشك في عظمتي ، وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء ، وإفناء وإنشاء ، وإنعام وإذلال ، وإقتار وإغناء ، بيدي ذلك كله ، لا يملكه أحد دوني ، ولا يقدر عليه غيري .

وكان بعض أهل التأويل يقول : كان آية للناس بأنه جاء بعد مائة عام إلى ولده وولد ولده شابا وهم شيوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، عن سفيان ، قال : سمعت الأعمش

يقول ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ قال : جاء شابا وولده شيوخ .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من يعرفه ، فكان آية لمن قدم عليه من قومه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : رجع إلى أهله ، فوجد داره قد بيعت وبنت ، وهلك من كان يعرفه ، فقال : اخرجوا من داري ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عزيز ، قالوا : أليس قد هلك عزيز منذ كذا وكذا ؟ قال : فإن عزيزا أنا هو ، كان من حالي وكان ؛ فلما عرفوا ذلك ، خرجوا له من الدار ودفعوها إليه .

والذي هو أولى بتأويل الآية من القول ، أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس ، فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته ، وإحياء الله إياه بعد مماته ، وعلى من بعث إليه منهم .

• القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾

قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر إليها هي عظام نفسه وحماره ، وذكرنا اختلاف المختلفين في تأويل ذلك ، وما يعنى كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأ بعضهم ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ بضم النون وبالزاي ، وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين ، بمعنى : وانظر كيف نركب بعضها على بعض ، وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم ، وأصل النشز^١ : الارتفاع ، ومنه قيل : قد نشز الغلام إذا ارتفع طوله وشب ، ومنه نشوز المرأة على زوجها ، ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الأرض : نشز ونشز ونشاز^٢ ، فإذا أردت أنك رفعت ، قلت : أنشزته إنشازا ، ونشز هو : إذا ارتفع ؛ فعنى قوله ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ في قراءة من قرأ ذلك بالزاي كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فردّها إلى أماكنها من الجسم .

ومن تأول ذلك هذا التأويل جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ كيف نخرجها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قال : نخرجها . وقرأ ذلك آخرون ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ بضم النون ، قالوا من قول القائل : أنشر الله الموتى فهو ينشرهم إنشارا ، وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة ، بمعنى : وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما .

(١) الصواب : النشوز ، إذا أراد المصدر .

(٢) في الأصل : نشز ونشزة ونشازة ؛ والذي في اللسان : النشز بتسكين النون وفتحها ، والنشاز مثله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ قال : نظر إليها حين يحييها الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ قال : كيف يحييها .

واحتج بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ فرأى أن من الصواب إلحاق قوله ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ به ، وقرأ ذلك بعضهم ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ بفتح النون من أوله وبالراء ، كأنه وجه ذلك إلى مثل معنى نشر الشيء وطيه ، وذلك قراءة غير محمودة ، لأن العرب لا تقول : نشر الموتى ، وإنما تقول : أنشر الله الموتى ، فنشروا هم بمعنى : أحيواهم فحيواهم ، ويدل على ذلك قوله ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ وقوله ﴿ آلهةٌ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾ وعلى أنه إذا أريد به حيي الميت وعاش بعد مماته ، قيل : نشر قول أعشى بنى ثعلبة :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

وروى سماعا من العرب كان به جرب فنشر : إذا عاد وحي .

والقول في ذلك عندى أن معنى الإنشار ، ومعنى الإنشاز ، متقاربان ، لأن معنى الإنشاز : التركيب والإثبات ، ورد العظام من العظام ، وإعادتها لاشك أنه ردّها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها ، فهما وإن اختلفا في اللفظ ، فتقاربا المعنى ، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئا يقطع العذر ويوجب الحجة ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب لانتقياد معنييهما ، ولا حجة توجب لإحداهما من القضاء بالصواب على الأخرى .

فإن ظنّ أن الإنشار إذا كان إحياء فهو بالصواب أولى ، لأن المأمور بالنظر إلى العظام وهى تنشر إنما أمر به ليرى عيانا ما أنكره بقوله ﴿ أَأَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فإن إحياء العظام لاشك في هذا الموضع إنما عني به ردّها إلى أماكنها من جسد المنظور إليه ، وهو يحيا ، لإعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات ، والذي يدل على ذلك قوله ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾ ولا شك أن الروح إنما نفخت في العظام التي أنشرت بعد أن كسيت اللحم . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان معنى الإنشاز تركيب العظام وردّها إلى أماكنها من الجسد ، وكان ذلك معنى الإنشار ، كان معلوما استواء معنييهما ، وأنهما

(١) البيت في ديوان الأعشى أبي بصير (طبعة القاهرة ص ١٤١) والناشر : الحى . وقوله :

لَوْ أَسْتَسَدْتُ مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْشَقَلْ إِلَى قَابِرِ

والقابر : من يدخل الميت في قبره .

وأنشد البيت في اللسان في (نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا أنشره ، فنشر الميت لاغير . قال الأعشى ... (البيت)

(٢) قوله « فإن إحياء العظام الخ » هذا في الحقيقة جواب ، فإن ظنّ ظان ، وإن كان تركيب العبارة يوم اتصالهما قبله .

متفقا المعنى لاختلافه ، ففى ذلك إبانة عن صحة ما قلنا فيه ؛ وأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندى
وهى قراءة من قرأ ﴿ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ﴾ بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن
الصحيح الفصيح من كلام العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها ﴾ أى العظام لحما ، والهاء التى فى قوله ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾
من ذكر العظام ، ومعنى نكسوها : نلبسها ونوارىها به كما يوارى جسد الإنسان كسوته التى يلبسها ،
وكذلك تفعل العرب ، تجعل كل شىء غطى شيئا وواراه لباسا له وكسوة ، ومنه قول النابغة الجعدي :

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

فجعل الإسلام إذ غطى الذى كان عليه فواراه وأذهب كسوة له وسربالا .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ قال : أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ على كل شىء قديرٌ

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ فلما اتضح له عيانا ما كان مستنكرا من قدرة الله وعظمته
عنده قبل عيانه ذلك ، قال : أعلم الآن بعد المعاينة والاتضح به والبيان أن الله على كل شىء قدير .

ثم اختلفت القراءة فى قراءة قوله ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﴾ فقرأه بعضهم : قال اعلم على معنى الأمر
بوصل الألف من أعلم ، وجزم الميم منها ، وهى قراءة عامة قراء أهل الكوفة ، ويذكرون أنها فى قراءة
عبد الله ؛ قيل : اعلم على وجه الأمر من الله للذى أحى بعد مماته ، فأمر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته ،
وكذلك روى عن ابن عباس .

حدثنى أحمد بن يوسف الثعلبى ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، قال :
هى فى قراءة عبد الله ، قيل اعلم أن الله على وجه الأمر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ،
أحسبه شك أبو جعفر الطبرى ، سمعت ابن عباس يقرأ ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ قال أَعْلَمُ قال : إنما
قيل ذلك له .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ذكر لنا والله أعلم أنه قيل
له انظر ، فجعل ينظر إلى العظام كيف يتواصل بعضها إلى بعض وذلك بعينه ، فقيل : اعلم أن الله على
كل شىء قدير . فعلى هذا القول تأويل ذلك ، فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم
الآن أن الله على كل شىء قدير ، ولو صرف متأول قوله قال : اعلم ، وقد قرأه على وجه الأمر إلى أنه

(١) البيت : نسه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ ص ١٤٩) إلى لبيد بن ربيعة العامرى ، وليس فى ترجمة
النابغة الجعدي . قال : ولم يقل (لبيد) فى الإسلام إلا بيتا واحدا . واختلف فى البيت : قال أبو اليقظان هو : (وذكر البيت) ،
وقال غيره : بل هو قوله :

ماعتب المرأة الكريم كنف نفسه والمرء يضلححه الجليس الصالح

وفى رواية أبي اليقظان والديوان ص ٥٦ والأغانى (١٤ : ٩٧) والخزانة (١ : ٣٣٧) : حتى كساف .

من قبل المخبر عنه بما اقتصر في هذه الآية من قصته كان وجهها صحيحا ، وكان ذلك كما يقول القائل : اعلم أن قد كان كذا وكذا على وجه الأمر منه لغيره ، وهو يعنى به نفسه .
 وقرأ ذلك آخرون ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به بهمز ألف أعلم وقطعها ورفع الميم . بمعنى : فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعانيته ماغيته ، قال : أليس ذلك أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير ، وبذلك قرأ عامة أهل المدينة ، وبعض قراء أهل العراق ، وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب ابن منبه يقول ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : يعنى نبي الله عليه السلام ، يعنى إنشار العظام ، فقال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .
 حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : قال عزيز عند ذلك : يعنى عند معاينة إحياء الله حماره ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : جعل ينظر إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، نحوه .
 ﴿ وَأُولَى الْقُرْآنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قِرَاءَةٌ مِنْ قُرْآنِ أَعْلَمُ ﴾ بوصل الألف وجزم الميم على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذى قد أحياه بعد مماته بالأمر بأن يعلم أن الله الذى أراه بعينه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من إحيائه إياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه ، حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما ، وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شيء قادر كذلك .
 وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك ، وحكمنا له بالصواب دون غيره ، لأن ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذى أحياه الله بعد مماته وخطابا له به ، وذلك قوله ﴿ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ... وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ فلما تبين له ذلك جوابا عن مسئلته ربها ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال الله له : أعلم أن الله الذى فعل هذه الأشياء على ما رأيت على غير ذلك من الأشياء قدير ، كقدرته على ما رأيت وأمثاله ، كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، بعد أن أجابه عن مسئلته إياه في قوله ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾

(١) كذا وردت هذه العبارة في الأصل .

﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم ، وكذلك أمر الذي سأل فقال ﴿أَتَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها أن يعلم أن الله على كل شيء قدير .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٠﴾

﴿يعنى تعالى ذكره بذلك : ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرني ، وإنما صلح أن يعطف بقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ على قوله ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لأن قوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ليس معناه : ألم تر بعينيك ، وإنما معناه : ألم تر بقلبك ، فعناه : ألم تعلم فتذكر ، فهو وإن كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام ، وأحيانا بما يوافق معناه .
واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموت ؟ فقال بعضهم : كانت مسألته ذلك ربه ، أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطيور ، فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الأرض ليرى ذلك عيانا ، فيزداد يقينا برؤيته ذلك عيانا إلى علمه به خبرا ، فأراه الله ذلك مثلا بما أخبر أنه أمره به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ ذكر لنا أن خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعها الدواب والسباع ، فقال ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال أولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليبطئَنَّ قلبي .

حدثنا عن الحسن ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال : مر إبراهيم على دابة ميت قد أبلت وتقسمت الرياح والسباع ، فقام ينظر ، فقال : سبحان الله ، كيف يحيى الله هذا ؟ وقد علم أن الله قادر على ذلك ، فذلك قوله ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : بلغني أن إبراهيم بينا هو يسير على الطريق ، إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطيور قد تمزعت لحمها وبقي عظامها ، فلما ذهبت السباع ، وطارت الطيور على الجبال والآكام ، فوقف وتعجب ثم قال : رب قد غامت لتجمعها من بطون

هذه السباع والطير ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمَعَانِيَةِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : مر إبراهيم بحوت نصفه في البر ، ونصفه في البحر ، فما كان منه في البحر فدواب البحر تأكله ، وما كان منه في البر فالسباع ودواب البر تأكله ، فقال له الخبيث : يا إبراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فقال : يا رب أرنى كيف تخي الموتى ؟ قال : أَوْلَمْ تُؤْمِنِ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

وقال آخرون : بل كان سبب مسألته ربه ذلك ، المناظرة والمحااجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : لما جرى بين إبراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة الأنبياء ، قال نمرود فيما يذكر لإبراهيم : أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ قال له إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، قال نمرود : أنا أحيي وأميت ، فقال له إبراهيم : كيف يحيي ويميت ؟ ثم ذكر ما قص الله من حاجته إياه ، قال : فقال إبراهيم عند ذلك ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمَعَانِيَةِ﴾ من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ، ولكنه أحب أن يعلم ذلك وتاق إليه قلبه ، فقال : ليطمئن قلبي ، أي ما تاق إليه إذا هو علمه .

وهذان القولان أعنى الأول ، وهذا الآخر متقاربا المعنى في أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي

الموتى كانت ليري عيانا ما كان عنده من علم ذلك خبرا .

وقال آخرون : بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذ خليلا ، فسأل ربه

أن يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلا ، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له أن يبشر إبراهيم بذلك ، فأذن له ، فأتى إبراهيم وليس في البيت فدخل داره ، وكان إبراهيم أغير الناس ، إن خرج أغلق الباب ؛ فلما جاء وجد في داره رجلا ، فثار إليه ليأخذه ، قال : من أذن لك أن تدخل داري ؟ قال ملك الموت : أذن لي رب هذه الدار ، قال إبراهيم : صدقت ، وعرف أنه ملك الموت ، قال : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا ، فحمد الله وقال : يا ملك الموت أرنى الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار ، قال : يا إبراهيم لا تطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض ، فأعرض إبراهيم ثم نظر إليه ، فإذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامحه

لهب النار ، فغشي على إبراهيم ، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى ، فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه ، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين ، قال : فأعرض ، فأعرض إبراهيم ثم التفت ، فاذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا ، في ثياب بيض ، فقال : يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرّة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه ، فانطلق ملك الموت ، وقام إبراهيم يدعو ربه يقول : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ حتى أعلم أني خليلك ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ ﴾ بأنني خليلك ، يقول تصديق ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴾ بخلولتك :

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد ابن جبير ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴾ قال : بالخلعة :

وقال آخرون : قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب في قوله ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴾ قال : قال ابن عباس : ما في القرآن آية أرجى عندي منها .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل ، عن سعيد بن المسيب ، قال : اتعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا ، قال : ونحن يومئذ شببة ، فقال أحدهما لصاحبه : أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة ، فقال عبد الله بن عمرو ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ حتى ختم الآية ، فقال ابن عباس : أما إن كنت تقول إنها ...^١ وإن أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ، قال أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قال بلى ولكن لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴿ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء بن أبي رباح ، عن قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ، قال أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قال بلى ولكن لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴿ قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس ، فقال : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ ، قال أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قال بلى ... قال : فخذ أربعة من الطير ليريه ﴿

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا سعيد بن تليد ، قال : ثنا عبد الرحمن بن القاسم ، قال : ثنى بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحرث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ »^٢ ، قال : رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قال أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قال بلى ولكن لِيَبْطُمِينَ قُلُوبِي ﴿ .

(١) الذي في الدر المنثور : فقال ابن عباس : لكن أنا أقول قول الله لإبراهيم : أَوْلَمْ تُؤْمِنِ الخ .

(٢) قال ابن عطية : أي لو كان شاكاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر نحوه .
 وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، وهو قوله : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ » ، قالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى ، قالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ » وأن تكون مسأله ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان اعرض في قلبه ، كالذى ذكرنا عن ابن زيد أنفا من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذى بعضه فى البرّ وبعضه فى البحر قد تعاوره دوابّ البرّ ودوابّ البحر وطير الهواء ، ألقى الشيطان فى نفسه فقال : متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ليعاين ذلك عيانا ، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلتقى فى قلبه مثل الذى ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك ، فقال له ربه ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ﴾ يقول : أو لم تصدق يا إبراهيم بأننى على ذلك قادر ، قال : بلى يا رب ، لكن سألتك أن ترينى ذلك ليطمئن قلبي ، فلا يقدر الشيطان أن يلتقى فى قلبي مثل الذى فعل عند رؤيتي هذا الحوت .

حدثني بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، ومعنى قوله ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ليسكن ويهدأ باليقين الذى يستيقنه ، وهذا التأويل الذى قلناه فى ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ إلى أنه ليزداد إيمانا ، أو إلى أنه ليوفق .
 ذكر من قال ذلك : ليوفق ، أو ليزداد يقينا أو إيمانا .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : ليوفق .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان . وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : ليزداد يقينى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ يقول : ليزداد يقينا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : وأراد نبي الله إبراهيم ليزداد يقينا إلى يقينه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر وقال قتادة : ليزداد يقينا .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : أراد إبراهيم أن يزداد يقينا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن كثير البصرى ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو الهيثم ، عن سعيد ابن جبير ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال : ليزداد يقينى .

(١) فى القرطبي نقلا عن ابن عطية الأندلسى كلام نفيس فى الرد على العلبرى فى هذا الموضع . قراجه فيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبیر ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال : ليزداد يقينا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، قال : ثنا ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد وإبراهيم في قوله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال : لأزداد إيمانا مع إيماني .

حدثنا صالح ، قال : ثنا زيد ، قال : أخبرنا زياد ، عن عبد الله العامري ، قال : ثنا ليث ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبیر في قول الله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال : لأزداد إيمانا مع إيماني :

وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال : معنى قوله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بأنني خليلك :

وقال آخرون : معنى قوله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لأعلم أنك تجيئني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال : أعلم أنك تجيئني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك .

وأما تأويل قوله ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ؟ فَإِنَّهُ : أَوْ لَمْ تَصَدَّقْ؟

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر قوله ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ﴾ قال : أَوْ لَمْ تَوْقِنَ بَأَنِّي خَلِيلُكَ ؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ﴾ قال : أَوْ لَمْ تَوْقِنَ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾

يعني تعالى ذكره بذلك : قال الله له : فخذ أربعة من الطير ، فذكر أن الأربعة من الطير : الديك ، والطاوس ، والغراب ، والحمام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن أهل الكتاب الأول يذكرون أنه أخذ طاوسا ، وديكا ، وغرابا وحماما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأربعة من الطير : الديك ، والطاوس ، والغراب ، والحمام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قال ابن جريج : زعموا أنه ديك ، وغراب ، وطاوس ، وحمامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾

قال : فأخذ طاوسا ، وحماما ، وغرابا ، وديكا مخالفة أجناسها وألوانها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَقَصْرُ مِّنَ إِلَيْكَ﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضم الصاد من قول القائل : صرت هذا الأمر : إذا ملت إليه أصور صوراً ، ويقال : إني إليكم لأصور أي مشتاق مائل ، ومنه قول الشاعر :

الله يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُورًا

وهو جمع أصور وصوراء وصور ، مثل أسود وسوداء وسود ، ومنه قول الطرماح :

عَقَائِفُ إِلَّا ذَاكَ أَوْ أَنْ يَصُورَهَا هَوَىٰ وَالْهَوَىٰ لِلْعَاشِقِينَ صُرُوعٌ^٢

يعنى بقوله : أو أن يصورها هوى : يميلها .

فعنى قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اضممهن إليك ووجههن نحوك ، كما يقال : صر وجهك إلى ، أى أقبل به إلى ، ومن وجه قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ إلى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ، ويكون معناه حينئذ عنده ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم قطعهن ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك إذا قرئ كذلك بضم الصاد قطعهن ، كما قال توبة بن الحمير :

فَلَمَّا جَدَّ بَتُّ الْجَبَلِ أَطَّتْ نُسُوعُهُ بِأَطْرَافِ عِيدَانِ شَدِيدِ أُسُورُهَا

فَادْنَتْ إِلَى الْأَسْبَابِ حَتَّى بَلَّغَتْهَا بِنَهْضِي وَقَدْ كَانَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا^٣

يعنى يقطعها . وإذا كان ذلك تأويل قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ كان في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون معناه : فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن ، ويكون إليك من صلة فخذ .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ﴿فَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بالكسر ، بمعنى قطعهن .

وقد زعم جماعة من نحوي الكوفة أنهم لا يعرفون فصرهن ولا فصرهن ، بمعنى قطعهن في كلام العرب ، وأنهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها في ذلك إلا بمعنى واحد ، وأنهما جميعاً لغتان بمعنى الإمالة ، وأن كسر الصاد منها لغة في هذيل وسليم ، وأنشدوا لبعض بني سليم :

(١) البيت من شواهد النحويين ، وهو غير منسوب . وصور : جمع أصور . وهو المائل العنق من الشوق ، من صور يصور صوراً : إذا مال نحوه بمنقه . يريد أنهم كانوا يوم الفراق دائمى التلفت نحو أحبابهم (عن هامش سر صناعة الإعراب لابن جني ٢٩ : ١ طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٩٥٤) .

(٢) البيت للطرماح كما نسبته المؤلف . ويصورها : يميل أعناقها نحو من تحب شوقاً . والصرع بفتح الصاد المشددة وكسرها ، وبالضاد : الضرب والقتل من الشيء . والجمع : أصرع وصرع (اللسان) . يصفهن بأنهن عفيفات ، ليس بهن إلا ميل أعناقهن أحياناً من الشوق إلى الحبيب ، والهوى فنون ، منه القوى الذى يذهب بالعقل أو يقتل ، ومنه الضعيف الذى لا يقتل ، ولا يذهب باللب .

(٣) البيتان لتوبة بن الحمير صاحب ليل الأخيلىة . وأطت المحامل والرجال تشط أطا وأطيطا : كان لها صوت إذا ثقل عليها الركبان . والنسوع : جمع نسع ، وهو سير يضفر على هيئة أجنة النعال ، تشد به الرجال . ويجمع على نسوع وأنساع ونسع بوزن حمر . وأسورها جمع أسر ، وهو شدة الخلق ، يريد أن عيدان الرجل قوية متينة ، والأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل ، ويصورها : يقطعها ، كما فسر المؤلف .

وَفَرَعَ يَصِيرُ الْجِيدَ وَحَفَّ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْتِ قِنَوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَّاحُ^١

يعنى بقوله يصير : يميل ، وأن أهل هذه اللغة يقولون : صارهُ وهو يصيره صيرا ، وصر وجهك إلى : أى أمله ، كما تقول : صُرهُ .

وزعم بعض نحوي الكوفة أنه لا يعرف لقوله ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ ولا لقراءة من قرأ ﴿فَصِرْهُنَّ﴾ بضم الصاد وكسرها وجهها في التقطيع ، إلا أن يكون ﴿فَصِرْهُنَّ﴾ إلَيْكَ في قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب ، وذلك أن تكون لام فعله جعلت مكان عينه ، وعينه مكان لامه ، فيكون من صرى يصرى صريا ، فإن العرب تقول : بات يصرى في حوضه : إذا استقى ، ثم قطع واستقى ، ومن ذلك قول الشاعر :

صَرَتْ نَظْرَةٌ لَوُصَادَ فَتْ جَوَزَ دَارِعٍ غَدَاً وَالْعَوَاصِي مِنْ دَمِ الْجَوْفِ تَنْعَعِرُ^٢

صرت : قطعت نظرة ، ومنه قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَتَنْ لِي إِذَا لَمْ آتِهِ بِخُلُودٍ

تَعَرَّبَ آبَائِي فَهَلَا صَرَاهُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَنْ لَمْ يَذْهَبُوا وَجُدُودِي^٣

يعنى قطعهن ، ثم نقلت ياؤها التي هي لام الفعل فجعلت عينا للفعل ، وحولت عينها فجعلت لامها ، فقل صار يصير ، كما قيل : عثى يعثى عثا ، ثم حولت لامها ، فجعلت عينها ، فقل عاث يعيث .

فأما نحويو البصرة فإنهم قالوا ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ إلَيْكَ سواء معناه إذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر في أنه معنى به في هذا الموضع التقطيع ، قالوا : وهما لغتان : إحداها صار يصور ، والأخرى صار يصير ، واستشهدوا على ذلك بيت توبة بن الحمير الذي ذكرنا قبل ، وبيت المعلبي بن حماد العبدي :

(١) البيت لبعض بني سليم . وفي (اللسان : صير) : وصرت الشيء (بكسر الصاد) : قطعته . وفي قراءة ابن مسعود وأبي جعفر المدني «فصرهن إليك» بالكسر : أى قطعهن وشققهن . وقيل : وجههن . وقال الفراء ضمت العامة الصاد ، وكان أصحاب عبد الله يكسرونها ، وهما لغتان . فأما الضم فكثير . وأما الكسر ففي هذيل وسليم . قال : وأنشد الكسائي . . . (البيت) . ثم قال بعده : يصير : يميل . ويروى : يزين الجيد . وكلهم فسروا فصرهن : أملهن . وأما فصرهن بالكسر ، فإنه فسر بمعنى : قطعهن . قال : ولم نجد قطعهن معروفة . قال الأزهري : وأراها إن كانت كذلك من صريت أصرى ، أى قطعت ، فقدمت ياؤها . والوحف : من النبات والشجر : ما غزر ، وأثت أصوله واسود ، والليت : صفحة من العنق ، وهما ليتان . والقنوان : جمع قنو ، وهو العنق بما فيه والكروم : جمع كرم ، وهو شجرة العنب . والدوايح : جمع دالح أو دالحة ، وهى المثقلة بما تحمل من العنب .

(٢) البيت : أنشده الجوهري في (عصى) وصاحب اللسان في (نعر ، عصي) . ومنه ولم ينسبها لشاعر معين . وصرى الشيء : قطعه ومنه . والجوز من كل شيء : وسطه . والدارع : لابس الدرع . والمواصي : جمع العاصي ، وهو العرق الذي لا يرقأ ولا ينقطع دمه . وتنعر : بفتح العين وبكسرهما : يغور الدم منها . يصفها بأن نظراتها قاتلة ، ولو نظرت إلى بطل ذى درع لمزقت عروقه في جوفه ، فغار الدم منها وانصب .

(٣) لم ينسب المؤلف هذين البيتين . تعرب آبائي : أى سكنوا أرض العرب ، ولم يخرجوا منها لسكنى الشام وهى من بلاد الروم . وصراهم : منهم وقطعهم . والمصدر من أن وما بعدها فاعل صرى .

وذكرهما البكري في معجم ما استعجم ، طبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر ص ٧٧٣ في رسم «الشام» وهما :

يقولون إن الشام يقتل أهله فن لى إن لم آتته بخُلُودٍ

تفرق آبائي فهلا صراهم عن الموت أن لم يشموا وجدودي

ولفظه تفرق : محرفة عن تعرب كما في معاني القرآن للفراء أو عن تعرق ، بمعنى سكنى العراق وهى من بلادهم .

وَجَاءَتْ خِلْعَةً دُهْسٌ صَفَايَا يَصُورُ عَنْوَقَهَا أَحْوَى زَنِيمٌ^١

بمعنى يفرق عنوقها ويقطعها ، وببيت خنساء :

لظلت الشمُّ منها وهي تنصار^٢

يعنى بالشم : الجبال أنها تتصدع وتتفرق ، وببيت أبي ذؤيب :

فانصرن من فزع وسد فروجه غبر ضوار وافيان وأجدع^٣

قالوا : فلقول القائل : صرت الشيء معنيان : أملت ، وقطعته ، وحكوا سماعا صرنا به الحكم : فصلنا به الحكم وهذا القول الذي ذكرناه عن البصريين من أن معنى الضم في الصاد من قوله ﴿فَصْرَهْنِ إِلَيْكَ﴾ والكسر سواء بمعنى واحد ، وأنهما لغتان معناهما في هذا الموضع فقطعهن ، وأن معنى إليك تقديمها قبل فصرهن من أجل أنها صلة قوله : فخذ ، أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحوي الكوفيين الذي أنكروا أن يكون للتقطيع في ذلك وجه مفهوم إلا على معنى القلب الذي ذكرت ، لإجماع أهل التأويل على أن معنى قوله ﴿فَصْرَهْنِ﴾ غير خارج من أحد معنيين : إما قطعهن ، وإما اضممهن إليك بالكسر

(١) البيت نسبة صاحب اللسان في (دهس) وابن الأنباري في الأضداد (ص ٣٠) والأصمعي في الأضداد (ص ٣٣) وابن السكيت (ص ١٨٧) للمعل بن جمال العبدي ، بالجيم المعجمة . وقال الصاغاني وابن بري وصاحب اللسان في (زيم) للمعل ابن حال ، بالخاء المهملة . والخلة ، بكسر الخاء وضمها ، خيار المال . والدهس : جمع دهساء ، وهي السوداء المشربة حمرة خفيفة . والصفايا : جمع صفية وهي خيار المال ، أو ما يختاره رئيس الجيش لنفسه من المغنم قبل القسمة . ويصور ، بضم الصاد عند أكثر اللغويين : بمعنى يميل ويعطف . وعنوقها : أعناقها ، أى يميل أعناقها إليه تيس أحوى ، من الحوة ، وهي السواد . والزيم : الذي له زئمان تنوسان تحت حلقه .

ونقل صاحب اللسان في (صور) عن الجوهري ، أن صرت الشيء بالضم يكون أحيانا بمعنى قطعته وفصلته ، واستشهد له بقول رؤبة : « صرنا به الحكم وأعي الحكما » . وقال في حديث مجاهد : « كره أن يصور شجرة مثمرة » : إنه يحتمل أن يكون أراد : يميلها ، لأن إمالتها تدعو إلى الجفوف والذبول ؛ ويجوز أن يكون أراد به قطعها .

(٢) هذا عجز بيت للخنساء ، لم أجده في ديوانها المسمى : أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء . ووجدته في اللسان والتاج . في صور ، يقال : أصار الشيء فانصار : أى أماله قال . قالت الخنساء . . البيت ، أى لظلت الجبال الشم تصدع وتقلق .

(٣) البيت من عينية أبي ذؤيب المشهورة ، وهو مذكور في المفضليات طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م . وفي الرواية : « فاهتاج » في موضع « فانصرن » . ورواه اللسان في (جدع) وقال : أجدع أى مقطوع الأذن . ووافيان : لم يقطع من آذانها شيء . وفي ديوان المهذلين (القسم الأول ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥ ص ١٢) وروايته :

فاهتاج من فزع وسد فروجه غبر ضوار : وافيان وأجدع

وقال في الشرح : ويروى : فانصاع من فزع (وسد فروجه) بالعدو . والفروج : ما بين القوائم . والغبر : الكلاب تضرب إلى الغبرة . ضوار قد ضربت وتعدت . وافيان : لم تقطع آذانها . وأجدع : قد قطعت أذنه ، وهي علامة تعلم بها الكلاب .

وفي الهامش : وفي رواية : فارتاع . وفروج الثور : ما بين قوائمه . يقول : إنه حين رأى الكلاب قادمة نحوه ، ملا ما بين قوائمه بالعدو الشديد الذي لم يدع انفراجا بينها لسرعة حركتها ، فأسد الفعل إلى الغبر ، وهي الكلاب التي تضرب إلى الغبرة ، لأنها هي التي أفزعته وحلته على العدو . ويجوز أن يفسر قوله (وسد فروجه غبر) بأن الكلاب دخلت بين قوائمه ، وأنته من جميع وجوهه ، فلم تدع له وجها ينفذ منه . وفي رواية (غيس) مكان قوله : غبر . وهي رواية في الأصل أيضا . وهي الكلاب تضرب غبرتها إلى السواد . وروى (غضف) وهي من الكلاب التي طالت آذانها واسترخت وتكسرت خلقة . الواحد : أغضف . فانصاع : أى ذهب في ناحية .

وفي شرح ابن الأنباري للمفضليات ص ٨٧٣ جاء البيت كرواية الديوان والشرح في الديوان مأخوذ منه . وانصاع : أخذ في شق فذهب .

قرئ ذلك أو بالضم ؛ ففي إجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ، ولا تفريق منهم بين معني القراءتين أعني الكسر والضم ، أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحوي أهل البصرة في ذلك ما حكينا عنهم من القول ، وخطأ قول نحوي الكوفيين ، لأنهم لو كانوا إنما تأولوا قوله ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ بمعنى فقطعهن ، على أن أصل الكلام فأصرهن ، ثم قلبت فصيل فصرهن بكسر الصاد لتحوّل ياء فأصرهن مكان رائه ، وانتقال رائه مكان يائه ، لكان لاشك مع معرفتهم بلغتهم ، وعلمهم بمنطقهم ، قد فصلوا بين معنى ذلك إذا قرئ بكسر صاده ، وبينه إذا قرئ بضمها ، إذ كان غير جائز لمن قلب فأصرهن إلى فصيلهن أن يقرأه فصرهن بضم الصاد ، وهم مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تأولوه تأويلا واحدا على أحد الوجهين اللذين ذكرنا ، ففي ذلك أوضح الدليل على خطأ قول من قال : إن ذلك إذا قرئ بكسر الصاد بتأويل التقطيع مقلوب من صرّى يتصرّى إلى صار يصير ، وجهل من زعم أن قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف في كلام العرب بمعنى قطع .

ذكر من حضرنا قوله في تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ أنه بمعنى فقطعهن .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ قال : هي نبطية فشققهن .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : إنما هو مثل قال : قطعهن ثم اجعلن في أرباع الدنيا ، ربعا ههنا ، وربعا ههنا ، ثم ادهنن بأتينك سعيا .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ قال : قطعهن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول : قطعهن .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ﴿فَصْرُهُنَّ﴾ قال : قال جناح ذه عند رأس ذه ، ورأس ذه عند جناح ذه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم أبو عمرو ، عن عكرمة في قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : قال عكرمة بالنبطية : قطعهن .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن يحيى ، عن مجاهد ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : قطعهن .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ، ثم اخلط لحومهن بريشهن .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أمر نبي الله عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير فيذبهن ، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : فزقهن ، قال : أمر أن يخلط الدماء بالدماء ، والريش بالريش ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول : فشققهن وهو بالنبطية صرى ، وهو التشقيق .
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول قطعهن .
حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول قطعهن إليك ، ومزقهن تمزيقا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطعهن ، وهو الصور في كلام العرب .

ففيما ذكرنا من أقوال من روينا قوله في تأويل قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أنه بمعنى فقطعهن إليك ، دلالة واضحة على صحة ما قلنا في ذلك ، وفساد قول من خالفنا فيه ، وإذا كان ذلك كذلك ، فسواء قرأ القارئ ذلك بضم الصاد فصْرهن إليك أو كسرهما فصِرهن أن كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن أحبهما إلى أن أقرأ به فصْرهن إليك بضم الصاد ، لأنها أعلى اللغتين وأشهرهما وأكثرهما في أحياء العرب ، وعند نفر قليل من أهل التأويل أنها بمعنى أوثق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ صرهن : أوثقهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء قوله ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : اضممهن إليك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال : اجمعهن .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿يَوْمَ اجْمَعُنَّ عَلَى كُتُبٍ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءٌ﴾ ، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنُكَ سَعِيَا ﴿

(١) الذي في الدر المنثور برواية البيهقي عن مجاهد : انتف ريشهن ولحومهن ، ومزقهن تمزيقا . وهو المعنى المقصود هنا .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ فقال بعضهم :
يعنى بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزءا منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ قال : اجعلهن في أرباع الدنيا : ربعا ههنا ، وربعا ههنا ، وربعا ههنا ، وربعا ههنا ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ قال : لما أوثقهن ذبحهن ، ثم جعل على كل جبل
منهن جزءا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبهن ، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودماهن ، ثم يجزئن على أربعة أجبل ، فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن ، وأمسك برءوسهن بيده ، فجعل العظم يذهب إلى العظم ، والريشة إلى الريشة ، والبضعة إلى البضعة ، وذلك بعين خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ثم دعاهن فأتينه سعيًا على أرجلهن ، ويلقى كل طير برأسه ، وهذا مثل آتاه الله إبراهيم . يقول : كما بعث هذه الأطيوار من هذه الأجبل الأربعة ، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ذبحهن ، ثم قطعهن ، ثم خلط بين لحومهن وريشهن ، ثم قسمهن على أربعة أجزاء ، فجعل على كل جبل منهن جزءا ، فجعل العظم يذهب إلى العظم ، والريشة إلى الريشة ، والبضعة إلى البضعة ، وذلك بعين خليل الله إبراهيم ، ثم دعاهن فأتينه سعيًا ، يقول : شدا على أرجلهن ، وهذا مثل أراه الله إبراهيم يقول : كما بعث هذه الأطيوار من هذه الأجبل الأربعة ، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن أهل الكتاب يذكرون أنه أخذ الأطيوار الأربعة ، ثم قطع كل طير بأربعة أجزاء ، ثم عمد إلى أربعة أجبال ، فجعل على كل جبل ربعا من كل طائر ، فكان على كل جبل ربع من الطاوس ، وربع من الديك ، وربع من الغراب وربع من الحمام ، ثم دعاهن فقال : تعالين باذن الله كما كنتم ، فوثب كل ربع منها إلى صاحبه حتى اجتمعن ، فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه ، ثم أقبلن إليه سعيًا ، كما قال الله ، وقيل يا إبراهيم هكذا يجمع الله العباد ، ويحيي الموتى للبعث من مشارق الأرض ومغاربها ، وشامها ويمنها ، فأراه الله إحياء الموتى بقدرته ، حتى عرف ذلك بغير ما قال نمرود من الكذب والباطل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا﴾ قال : فأخذ طاوسا ، وحمامة ، وغرابا ، وديكا ، ثم قال : فرقهن ، اجعل رأس كل

(١) ربط أجنحتهن بشكال : أي جبل .

واحد وجؤشوش الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه ، فقطعنهم وفرقهن أرباعا على الجبال ، ثم دعاهن فجثته جميعا ، فقال الله ، كما ناديتهن فجثتك ، فكما أحيت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا ، فكذلك أجمع هؤلاء أيضا ، يعنى الموتى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم اجعل على كل جبل من الأجبال التى كانت الأطيوار والسباع التى كانت تأكل من لحم الدابة التى رآها إبراهيم ميتة ، فسأل إبراهيم عند رؤيته إياها أن يريه كيف يحييها وسائر الأموات غيرها ، وقالوا : كانت سبعة أجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما قال إبراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التى تفرقت الطير والسباع عنها حين دنا منها ، وسأل ربه ما سأل ، قال : فخذ أربعة من الطير ، قال ابن جريج : فذبها ثم خلط بين دماهن وريشهن ولحومهن ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا حيث رأيت الطير ذهبت والسباع ، قال : فجعلهن سبعة أجزاء ، وأمسك رعوسهن عنده ، ثم دعاهن بإذن الله ، فنظر إلى كل قطرة من دم تطير إلى القطرة الأخرى ، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى ، وكل بضعة وكل عظم يطير بعضه إلى بعض من رعوس الجبال ، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا فى السماء ، ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على سبعة أجبال ، فاجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، فأخذ إبراهيم أربعة من الطير ، فقطعنهم أعضاء ، لم يجعل عضوا من طير مع صاحبه ، ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا ، وصدر هذا مع جناح هذا ، وقسمهن على سبعة أجبال ، ثم دعاهن فطار كل عضو إلى صاحبه ، ثم أقبلن إليه جميعا .

وقال آخرون : بل أمره الله أن يجعل ذلك على كل جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، قال : ثم بدد دهن على كل جبل يأتينك سعيا ، وكذلك يحيى الله الموتى . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، كذلك يحيى الله الموتى ، هو مثل ضربه الله لإبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم بدد دهن أجزاء على كل جبل ، ثم ادعهن : تعالين بإذن الله ، فكذلك يحيى الله الموتى ، مثل ضربه الله لإبراهيم صلى الله عليه وسلم .

(۱) الجؤشوش : الصدر . ومضى من الليل جؤشوش : أى صدر ، وقيل : قطعة منه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : أمره أن يخالف بين قوائمهم ورءوسهم وأجنحتهم ، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا ﴾ فخالف إبراهيم بين قوائمهم وأجنحتهم . وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد ، وهو أن الله تعالى ذكره أمر إبراهيم بتفريق أعضاء الأطيوار الأربعة بعد تقطيعه إياهم على جميع الأجزاء التي كان يصل إبراهيم في وقت تكليف الله إياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء ، لأن الله تعالى ذكره قال له ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا ﴾ والكل حرف يدل على الإحاطة بما أضيف إليه لفظه واحد ومعناه الجمع . فإذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التي أمر الله إبراهيم بتفريق أجزاء الأطيوار الأربعة عليها خارجة من أحد معنيين : إما أن تكون بعضها أو جمعا ، فإن كانت بعضها فغير جائز أن يكون ذلك البعض إلا ما كان لإبراهيم السبيل إلى تفريق أعضاء الأطيوار الأربعة عليه ، أو يكون جمعا ، فيكون أيضا كذلك ، وقد أخبر الله تعالى ذكره أنه أمره بأن يجعل ذلك على كل جبل ، وذلك إما كل جبل وقد عرفهن إبراهيم بأعيانهم ، وإما ما في الأرض من الجبال .

فأما قول من قال : إن ذلك أربعة أجبل ، وقول من قال : هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شيء من ذلك ، فنستجيز القول به ، وإنما أمر الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الأطيوار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليري إبراهيم قدرته على جمع أجزاءهن وهن متفرقات متبدلات في أماكن مختلفة شتى ، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض ، فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن ، وقبل تفريقهن أجزاءهن على الجبال أطيوارا أحياء يطرن ، فيطمئن قلب إبراهيم ، ويعلم أن كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة ، وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ، ورد كل عضو من أعضائهم إلى موضعه كالذي كان قبل الرد ، والجزء من كل شيء هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم ، فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم ، لأن السهم من الشيء : هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة ، ولذلك كثر استعمال الناس في كلامهم عند ذكرهم أنصباؤهم من الموارث السهام دون الأجزاء .

وأما قوله ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ فإن معناه ما ذكرت آنفا عن مجاهد أنه قال : هو أنه أمر أن يقول لأجزاء الأطيوار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين بإذن الله .

فإن قال قائل : أمر إبراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤوس الجبال أمواتا ، أم بعد ما أحيين ، فإن كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لأرواح فيهن ، فما وجه أمر من لاهية فيه بالإقبال ، وإن كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين ، فما كانت حاجة إبراهيم إلى دعائهن ، وقد أبصرهن ينشرن على رؤوس الجبال ؟ قيل : إن أمر الله تعالى ذكره إبراهيم صلى الله عليه وسلم بدعائهن ، وهن أجزاء متفرقات

إنما هو أمر تكوين ، كقول الله للذين مسحهم قرصة بعد ما كانوا أنسا ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ لا أمر عبادة فيكون محالا إلا بعد وجود المأمور المتعبد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : واعلم يا إبراهيم أن الذى أحيا هذه الأطيوار بعد تمزيقك إياهن ، وتفريقك أجزاءهن على الجبال ، فجمعهن ورد إليهن الروح ، حتى أعادهن كهيئتهن قبل تفريقهن ، عزيز فى بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره ، وعصوا رسله ، وعبدوا غيره ، وفى نقمته حتى ينتقم منهم ، حكيم فى أمره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال : عزيز فى بطشه ، حكيم فى أمره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى نقمته ﴿حَكِيمٌ﴾ فى أمره .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾

وهذه الآية مردودة إلى قوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ، والله يُقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ والآيات التى بعدها إلى قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قصص بنى إسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت ، وما بعد ذلك من نبأ الذى حاج إبراهيم مع إبراهيم ، وأمر الذى مر على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم ومسالته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجا منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة ، وحضا منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد فى سبيله الذى أمرهم به فى قوله ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعرفهم فيه أنه ناصرهم وإن قل عددهم وكثر عدد عدوهم ، ويعدهم النصر عليهم ، ويعلمهم سنته فيمن كان على مناهجهم من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم ، وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بأنه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم ، وقطعا منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهرائى مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما أطلع نبيه عليه من خفى أمورهم ، ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التى لم يعلمها سواهم ، ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله ، وأنه ليس بتخرص ولا اختلاق ، وإعذارا منه به إلى أهل النفاق منهم ، ليحذروا بشكهم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته ، مثل الذى أحلهما بأسلافهم الذين كانوا فى القرية التى أهلكتها ، فتركها

خاوية على عروشها ، ثم عاد تعالى ذكره إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضا حسنا ، وما عنده له من الثواب على قرضه ، فقال ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني بذلك : مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم ، كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير ، أو غير ذلك من نبات الأرض التي تسنبل سنبله بذرها زارع فأنبئت ، يعني فأخرجت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة ، يقول : فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله ، له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته .

كما حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فهذا لمن أنفق في سبيل الله ، فله سبعمائة . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿ قال : هذا الذي ينفق على نفسه في سبيل الله ويخرج .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ . . . الآية فكان من بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ، ورابط مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولم يلق وجهها إلا بإذنه ، كانت الحسنه له بسبعمائة ضعف ، ومن بايع على الإسلام كانت الحسنه له عشر أمثالها . **❦** فإن قال قائل : وهل رأيت سنبله فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها المثل المنفق في سبيل الله ماله ؟ قيل : إن يكن ذلك موجودا فهو ذاك ، وإلا فجائز أن يكون معناه : كمثل سنبله أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة ، إن جعل الله ذلك فيها : ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبله مائة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مائة حبة ، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضافا إليها لأنه كان عنها ، وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ قال : كل سنبله أنبتت مائة حبة ، فهذا لمن أنفق في سبيل الله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فقال بعضهم : والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسنة بعد الذي أعطى المنفق في سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة . فأما المنفق في غير سبيله ، فلا نفقه ما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هذا يضاعف لمن أنفق في سبيل الله ، يعني السبعمائة ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني لغير المنفق في سبيله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألف ضعف . وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد إسناده فتركت ذكره .
والذى هو أولى بتأويل قوله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف لمن يشاء من المنفقين في سبيله ، لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله ، فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره في هذه الآية من التضعيف إلى أنه عدة منه على العمل على غير النفقة في سبيل الله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التى وعده أن يزيده ، عليم من يستحق منهم الزيادة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال : واسع أن يزيد من سعتة ، عليم عالم بمن يزيده .
وقال آخرون : معنى ذلك : والله واسع لتلك الأضعاف ، عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩٧﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : المعطى ماله المجاهدين في سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله . يقول تعالى ذكره : الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم وفي حولاتهم ، وغير ذلك من مؤنهم ، ثم لم يتبع نفقته التى أنفقها عليهم ، منا عليهم بإنفاق ذلك عليهم ، ولا أذى لهم ؛ فامتثانه به عليهم بأن يظهر لهم أنه قد اصطنع إليهم بفعله ، وعطائه الذى أعطاهموه ، تقوية لهم على جهاد عدوهم معروفا ، ويبدى ذلك إما بلسان أو فعل . وأما الأذى فهو شكايته إياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة في سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم في الجهاد ، وما أشبه ذلك من القول الذى يؤذى به من أنفق عليه ، وإنما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله ، وأوجب الأجر لمن كان غير مان ولا مؤذٍ من أنفق عليه في سبيل الله ، لأن النفقة التى هي في سبيل الله مما ابتغى به وجه الله ، وطلب به ما عنده ، فإذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا ، فلا وجه لمن المنفق على من أنفق عليه ، لأنه لا يد له قبله ، ولا صنعة يستحق بها عليه

إن لم يكافئه عليها المن والأذى، إذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتساباً، وابتغاء ثواب الله، وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه.

وينحو المعنى الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَدَّى﴾، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ علم الله أن أناساً يمتنون بعطيته، فكره ذلك وقدّم فيه فقال ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾، والله غنيّ حلیم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال للآخرين، يعني قال: الله للآخرين، وهم الذين لا يخرجون في جهاد عدوهم، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، قال: فشرط عليهم، قال: والخارج لم يشرط عليه قليلاً ولا كثيراً، يعني بالخارج الخارج في الجهاد الذي ذكر الله في قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ . . . الآية﴾، قال ابن زيد: وكان أبي يقول: إن أذن لك أن تعطى من هذا شيئاً، أو تقوى فقويت في سبيل الله، فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكفّ سلامك عنه، قال ابن زيد: فهو خير من السلام، قال: وقالت امرأة لأبي يابا أسامة، تدلني على رجل يخرج في سبيل الله حقاً، فإنهم لا يخرجون إلا ليأكلوا الفواكه عندي جبة وأسهم فيها، فقال لها: لا بارك الله لك في جعبتك، ولا في أسهمك، فقد آذيتهم قبل أن تعطيه، قال: وكان رجل يقول لهم: اخرجوا وكلوا الفواكه.

حدثني المشي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاک قوله ﴿لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَدَّى﴾ قال: أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه، ثم يتبعه منا وأذى. وأما قوله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فإنه يعني للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله على ما بين، والهاء والميم في لهم عائدة على الذين.

ومعنى قوله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التي أنفقوها في سبيل الله، ثم لا يتبعونها منا ولا أذى.

وقوله ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقول: وهم مع ما لهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التي أنفقوها على ما شرطنا، لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله، وفراقهم الدنيا، ولا في أهوال القيامة، وأن ينالهم من مكارهها، أو يصيبهم فيها من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ

(١) المشهور من اللغات: آذيتهم. والذي في الرواية: لفة قليلة.

﴿يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قَوْلٌ جَمِيلٌ ، وَدَعَاءُ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾﴾
يعنى : وَسِرٌّ مِنْهُ عَلَيْهِ لَمَّا عَلِمَ مِنْ خَلَّتِهِ وَسُوءِ حَالَتِهِ ، خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَصَدَّقُهَا عَلَيْهِ ، يَتَّبِعُهَا أَذَى ،
يعنى يَشْتَكِيهِ عَلَيْهَا ، وَيُؤْذِيهِ بِسَبَبِهَا .

كَمَا حَدَّثَنِى الْمُثْنَى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو زَهْرٍ ، عَنْ جُوَيْرٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾ يَقُولُ : أَنْ يَمْسُكَ مَالُهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْفَقَ مَالُهُ
ثُمَّ يَتَّبِعَهُ مِنْهُ وَأَذَى .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿غَنَىٰ حَلِيمٌ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَاللَّهُ غَنَىٰ عَمَّا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ ، حَلِيمٌ حِينَ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى
مَنْ يَمْنُ بِصَدَقَتِهِ مِنْكُمْ ، وَيُؤْذِي فِيهَا مَنْ يَتَصَدَّقُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْمُثْنَى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا مُعَاوِيَةُ ،
عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الْغَنَى : الَّذِى كَمَلَ فِي غَنَاهُ ، وَالْحَلِيمُ : الَّذِى قَدَّ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ رُءُوبٌ فَأَصَابَهُ رِءُوبٌ فَفَرَّكَهُ صَلْدًا لَا
يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

﴿يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِذَلِكَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ ، يَقُولُ :
لَا تَبْطُلُوا أَجُورَ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، كَمَا أَبْطَلَ كُفْرَ الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ، وَهُوَ مُرَاءَاةُ إِيَّاهُمْ
بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَيَحْمَدُونَهُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُرِيدُ
بِهِ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا طَالِبُ مِنْهُ الثَّوَابِ ، وَإِنَّمَا يُنْفِقُهُ كَذَلِكَ ظَاهِرًا لِيَحْمَدَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيَقُولُوا : هُوَ سَخِيٌّ كَرِيمٌ ،
وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَيَحْسِنُوا عَلَيْهِ بِهَذَا الثَّنَاءِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ مُسْتَبْطِنٌ مِنَ النِّيَّةِ فِي إِنْفَاقِهِ مَا أَنْفَقَ ، فَلَا
يَدْرُونَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فَإِنْ مَعْنَاهُ : وَلَا يَصْدَقُ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ ، وَلَا
بأنه مَبْعُوثٌ بَعْدَ مَمَاتِهِ ، فَجَازَى عَلَى عَمَلِهِ ، فَيَجْعَلُ عَمَلَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَطَلَبَ ثَوَابِهِ وَمَا عِنْدَهُ فِي مَعَادِهِ ، وَهَذِهِ
صِفَةُ الْمُنَافِقِ . وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ مُنَافِقٌ ، لِأَنَّ الْمَظْهَرَ كُفْرُهُ وَالْمَعْلَنُ شُرْكَهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ
مُرَائِيًا ، لِأَنَّ الْمُرَائِيَّ هُوَ الَّذِي يَرَأَى النَّاسَ بِالْعَمَلِ الَّذِي هُوَ فِي الظَّاهِرِ اللَّهُ ، وَفِي الْبَاطِنِ عَامِلُهُ مُرَادُهُ بِهِ حُدُّ
النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَالْكَافِرُ لَا يُخِيلُ عَلَى أَحَدٍ أَمْرُهُ أَنْ أَفْعَالَهُ كُلُّهَا إِنَّمَا هِيَ لِلشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ مُعْلَنًا كُفْرَهُ لِلَّهِ ،
وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَغَيْرُ كَائِنٍ مُرَائِيًا بِأَعْمَالِهِ .

وَبَنَحُو مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أبو هاني الخولاني ، عن عمرو بن حريث ، قال : إن الرجل يغزو ، ولا يسرق ، ولا يزني ، ولا يغفل لا يرجع بالكفاف ، فقليل له : لم ذاك ؟ قال : فإن الرجل ليخرج فإذا أصابه من بلاء الله الذي قد حكم عليه سب ولعن إمامه ، ولعن ساعة غزا ، وقال : لأعود لغزوة معه أبدا ، فهذا عليه ، وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها من وأذى ، فقد ضرب الله مثلها في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ حتى ختم الآية .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿

يعني تعالى ذكره بذلك : فمثل هذا الذي ينفق ماله رثاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، والهواء في قوله ﴿ فَشَلُّهُ ﴾ عائدة على الذي ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ ﴾ والصفوان واحد وجمع ، فمن جعله جمعا فالواحدة صفوانة بمنزلة تمر ونخل ونخلة ونخل ، ومن جعله واحدا جمعه صفوان وصنفي وصنفي ، كما قال الشاعر :

مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفَى ١

والصفوان هو الصفا ، وهي الحجارة الملس ، وقوله ﴿ عَلَيْهِ تَرَابٌ ﴾ يعني على الصفوان تراب ، فأصابه ، يعني أصاب الصفوان ، وابل : وهو المطر الشديد العظيم ، كما قال امرؤ القيس :

سَاعَةً ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَاهٍ مِنْهُمْ مِرْ ٢

يقال منه : وبلت السماء فهي ببل وبلا ، وقد وبلت الأرض فهي توبل .

وقوله ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ يقول : فترك الوابل الصفوان صلدا ؛ والصلد من الحجارة : الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره ، وهو من الأرضين ما لا ينبت فيه شيء ، وكذلك من الرءوس ، كما قال رؤبة :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، نسه صاحب اللسان للأخيل . وقوله :

كَأَنَّ مَتْنِيَّ مِنَ النَّفَى

من طول إشرافي على الطوى

والصنفي : جمع صفا ، وهو جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئا . والنقى : ما نفاه الرشاء ، من الماء والطين . والطوى : البئر المبنية بالحجارة . يقول : إن رشاش الرشاء ، من ماء وطين على متنيه يشبه ذرق الطير على الصفا الأملس . وقال الأزهري : هذا ساق كان أسود الجلدة ، واستق من بئر ملح ، وكان يبيض نقي الماء على ظهره إذا ترشش ، لأنه كان ملحا عن هامش سر صناعة الإعراب لابن جني ، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١ : ٢٥٢) .

(٢) هذا بيت لامرئ القيس في وصف المطر (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ١٥١) وانتحاهما : اعتمدها . والوابل : أشد المطر ، وعنه يكون السيل . وساقط الأكناف : ثابت النواحي ، وكنف كل شيء : ناحيته . وقيل ساقط الأكناف : مسترخ ضعيف ، كأنه يسقط ولا يجبه شيء . وواه : منخرق متشق بالماء ، يعني السحاب . والمنهر : الشديد السكب ، السريع السيل . يقول : سحت هذه الديمة ساعة ، ثم انتحى هذه الشجراء وابل منهمر ، وهت أعجازه ، وانخرقت أكنافه .

لما رَأَيْتَنِي خَلَقَ الْمُمَوَّهَ بِرَأَقِ أَصْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجْلَهٗ ١

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي : قدر صلود ، وقد صلدت تصلده صلودا ، ومنه قول تأبط شرا :

وَلَسْتُ بِجِلْبِ جِلْبٍ لَيْلٍ وَفِرَّةٍ وَلَا بِصَفَا صَلْدٍ عَنِ الْخَيْرِ مَعْزِلٍ ١

ثم رجع تعالى ذكره إلى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لأعمالهم ، فقال : فكذلك أعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب ، فأصابه الوابل من المطر ، فذهب بما عليه من التراب ، فتركه نقيا لا تراب عليه ولا شيء يراهم المسلمون في الظاهر أن لهم أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان بما يراءونهم به ، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله اضمحل ذلك كله ، لأنه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب ، فتركه أملس لا شيء عليه ، فذلك قوله : لا يقدرُونَ ، يعنى به الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، يقول : لا يقدرُونَ يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا ، لأنهم لم يعملوا لمعادهم ولا لطلب ما عند الله في الآخرة ، ولكنهم عملوه رثاء الناس ، وطلب حمدهم ، وإنما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها ، ثم أخبر تعالى ذكره أنه لا يهدى القوم الكافرين يقول : لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها ، وهم للباطل عليها مؤثرون ، ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون ، فقال تعالى ذكره للمؤمنين : لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم ، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنكم على من تصدقتم بها عليه ، وأذاكم لهم ، كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رثاء الناس ، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ فهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة يقول : لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا يومئذ ، كما ترك هذا المطر الصفاة الحجر ليس عليه شيء أنقى ما كان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ لَا تَبْطُلُوا

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز في ديوان رؤبة بن العجاج (طبعة ليبسك ص ١٦٥) وهما الثالث والرابع في الأرجوزة يصف بها نفسه . وفي (موه) في اللسان : قال ابن بري : يقال : وجه موه ، أى مزين بماء الشباب ، قال رؤبة : (وأنشد البيت الأول) . وفيه في (جله) : والجله : أشد من الجلب ، وهو ذهاب الشعر من مقدم الجبين ، وقد جله يجله جلها ، وهو أجله ، قال رؤبة ، وأنشد البيت مع بيتين آخرين ، ثم قال : والأصلاد : جمع صلد ، وهو الصلب ، عن يعقوب . وإنما مثل جبينة بالحجر الصلد ، لأنه ليس فيه شعر ، كما أنه ليس في الصفا الصلد نبات ولا شجر .

(٢) البيت أورده اللسان في (جلب) ونسبه إلى تأبط شرا . قال : الجلب والجلب (بكسر الجيم وضمها) : السحاب الذى لاماء فيه . وقيل : سحاب رقيق لاماء فيه . وقيل : هو السحاب المعترض تراه كأنه جبل . قال تأبط شرا . . . (البيت) . يقول : لست برجل لانفع فيه ، ومع ذلك فيه أذى ، كالسحاب الذى فيه ريح وقر ولا مطر فيه . والجلب : أجلاب . والصفا : العريض من الحجارة الأملس . والصلد : الأملس اليابس . ومعزل : من صفة الجلب . يريد : لست بمنأى عن الخير .

صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ إِلَى قَوْلِهِ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين يوم القيامة ، يقول : لا يقدرُونَ على شَيْءٍ مما كَسَبُوا يومئذٍ ، كما ترك هذا المطر الصفا نقيا لا شَيْءَ عليه .
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ۖ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ إِلَى قَوْلِهِ ۖ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبْتُمْ ۖ أما الصفوان الذي عليه تراب فأصابه المطر ، فذهب ترابه فتركه صليداً ، فكذا هذا الذي ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفخته ، كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا ، فتركه نقيا ، فكذلك تركه الرياء لا يقدر على شَيْءٍ مما قدم ، فقال للمؤمنين ۖ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ فتبطل كما بطلت صدقة الرياء .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : أن لا ينفق الرجل ماله ، خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى ، فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فضرب الله مثلهما جميعاً ۖ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ فكذلك من أنفق ماله ، ثم أتبعه منا وأذى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ إِلَى ۖ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ ليس عليه شَيْءٌ ، وكذلك المنافق يوم القيامة ، لا يقدر على شَيْءٍ مما كسب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله ۖ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ قال : بمن بصدقته ويؤذيه فيها حتى يبطلها .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ۖ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَى ۖ فَقَرَأْ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ حتى بلغ ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبْتُمْ ۖ ثم قال : أترى الوايل يدع من التراب على الصفوان شيئاً ؟ فكذلك منك وأذاك لم يدع مما أنفقت شيئاً ، وقرأ قوله ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۖ وَقَرَأْ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفُسِكُمْ ۖ فقرأ حتى بلغ ۖ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۖ .
● القول في تأويل قوله تعالى : ۖ صَفْوَانَ ۖ قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية ، غير أنا أردنا ذكر من قال مثل قولنا في ذلك من أهل التأويل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ۖ كَمَثَلِ صَفْوَانَ ۖ كمن الصفاة .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ۖ كَمَثَلِ صَفْوَانَ ۖ والصفوان : الصفا .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما صفوان ، فهو الحجر الذي يسمى الصفاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿ صفوان ﴾ يعني الحجر .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ ﴾

قدمضي البيان عنه ، وهذا ذكر من قال قولنا فيه :

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما وابل : فمطر شديد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ ﴾ والوايل : المطر الشديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾

ذكر من قال نحو ما قلنا في ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ يقول نقيا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ قال : تركها نقية ليس عليها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس قوله ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ قال : ليس عليه شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ صَلْدًا ﴾ فتركه جردا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ ليس عليه شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ ليس عليه شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتُبَيِّتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه : ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصددّ قون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوّون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله ، وفي غير ذلك من طاعات الله طلب مرضاته وتثبيتا ، يعني بذلك : وتثبيتا من أنفسهم ، يعني لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله ، وتحقيقا من قول القائل : ثبت فلانا في هذا الأمر : إذ صححت عزمه وحققته وقوّيت فيه رأيه أثبته تثبيتا ، كما قال ابن رواحة :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا^(١)

وإنما عنى الله جلّ وعزّ بذلك ، أن أنفسهم كانت موقنة مصدّقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير منّ ولا أذى ، فثبتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وصحح عزمهم ، وأراهم يقينا منها بذلك ، وتصديقا بوعد الله إياها ما وعدها . ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله ﴿وتثبيتا﴾ وتصديقا ، ومن قال منهم وبقينا ، لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم ، إنما كان عن يقين منها ، وتصديق بوعد الله .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الشعبي ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال : تصديقا وبقينا .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الشعبي ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال : وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال : يقينا من أنفسهم ، قال : التثبيت اليقين .

حدثني يونس ، قال : ثنا عليّ بن معبد ، عن أبي معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ يقول : يقينا من عند أنفسهم .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال : يتثبتون أين يضعون أموالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ فقلت له : ما ذلك التثبيت ؟ قال : يتثبتون أين يضعون أموالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ﴿وتثبيتا من أنفسهم﴾ قال : كانوا يتثبتون أين يضعونها .

(١) البيت أحد ثلاثة لعبد الله بن رواحة ، أنشدها ابن هشام في السيرة عن بعض أهل العلم (٤ : ١٦ طبعة الحلبي بالقاهرة) . ورواية البيت فيها : « في المرسلين » في مكان « تثبيت موسى » . يدعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة رجل مؤمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن علي بن علي بن رفاعه ، عن الحسن في قوله ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال : كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم ، يعني زكاتهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن علي بن علي ، قال : سمعت الحسن قرأ ﴿ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال : كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت ، فإن كان لله مضي ، وإن خالطه شك أمسك .

وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى ، مما يدل عليه ظاهر التلاوة ، وذلك أنهم تأولوا قوله ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بمعنى : وثبتنا ، فزعموا أن ذلك إنما قيل كذلك ، لأن القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم . ولو كان التأويل كذلك ، لكان : وثبتنا من أنفسهم ، لأن المصدر من الكلام إن كان على تفعلت التفعّل ، فيقال : تكرمت تكرما ، وتكلمت تكلمي ، وكما أن قال جل ثناؤه : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ من قول القائل : تخوف فلان هذا الأمر تخوفا ، فكذلك قوله ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام ، وثبتنا من أنفسهم ، لا : وثبتنا ، ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وثبتت من أنفس القوم إياهم بصحة العزم ، واليقين بوعد الله تعالى ذكره .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ولم يقل : تبتلا ؟ قيل : إن هذا مخالف لذلك ، وذلك أن هذا إنما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل إليه ، فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل : تبتيلا ، وذلك أن المتروك هو تبتل ، فيبتلك الله إليه تبتيلا ، وقد تفعّل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التي تقدمها إذا كانت الأفعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه ، كما قال جل وعز ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ وقال : ﴿وَأَنْبَتْنَاهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ والنبات : مصدر نبت ، وإنما جاز ذلك لحجيء أنبت قبله ، فدل على المتروك الذي منه قيل نباتا . والمعنى : والله أنبتكم ، فنبتهم من الأرض نباتا ، وليس قوله ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن بنائه . ومعنى الكلام : ويتثبتون في وضع الصدقات مواضعها ، فيصرف إلى المعاني التي صرف إليها قوله ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ احتسابا من أنفسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَتَشْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول : احتسابا من أنفسهم ، وهذا القول أيضا بعيد المعنى من معنى التثبيت ، لأن التثبيت لا يعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب ، إلا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة في تثبيتها أصحابها ، فإن كان ذلك كان عنده معنى الكلام ، فليس الاحتساب بمعنى حينئذ للتثبيت ، فيترجم عنه به .

• القول في تأويل قوله تعالى ﴿كَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾

يعنى بذلك جل وعزّ : ومثل الذين ينفقون أموالهم ، فيتصدقون بها ، ويسبّلونها في طاعة الله بغير من على من تصدّقوا بها عليه ، ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله ، وتصديقا من أنفسهم بوعده ، كمثل جنة ، والجنة : البستان . وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة : البستان بما فيه الكفاية من إعادته ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ والربوة من الأرض : ما نشز منها فارتفع عن السيل ، وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه ، لأن ما ارتفع عن المسایل والأودية أغلظ ، وجنان ماغلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرا وغرسا وزرعا مما رقى منها ، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة في وصف روضة :

مارَوْضَةٌ من رياضِ الحزنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ^١

فوصفها بأنها من رياض الحزن ، لأن الحزون : غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلاع وزروعها . وفي الربوة لغات ثلاث ، وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء ، وهي ربوة بضم الراء ، وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق ، وربوة بفتح الراء ، وبها قرأ بعض أهل الشام ، وبعض أهل الكوفة ، ويقال : إنها لغة تميم ، وربوة بكسر الراء ، وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس . وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك إلا باحدى اللغتين : إما بفتح الراء ، وإما بضمها ، لأن قراءة الناس في أمصارهم بإحداهما ، وأنا لقراءتها بضمها أشدّ إثارا مني بفتحها ، لأنها أشهر اللغتين في العرب ، فأما الكسر فإن في رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة ، وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت ، من قول القائل : ربا هذا الشيء يربو : إذا انتفخ فعظم .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿كَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ قال : الربوة : المكان الظاهر المستوى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال مجاهد : هي الأرض المستوية المرتفعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿كَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ يقول : بنشر من الأرض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿كَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ والربوة : المكان المرتفع الذي لا تجرى فيه الأنهار ، والذي فيه الجنان .

(١) البيت لأبي بصير الأعشى (ديوانه ص ٥٧ طبعة القاهرة) . والحزن : الأرض الغليظة ، ونباتها يكون أعظم من نبات القيعان التي يقر الماء فيها . والمراد به في كلام الأعشى : موضع معروف كانت ترعى فيه إبل الملوك ، وهو من أرض بني أسد . ومسبل : ساكب للماء . وهطل : هطل غزير الماء . وخبر ما النافية (تميمية أو حجازية) يأتي في قوله بعد : «يوما بأطيب منها نشر رائحة» . يقول : ليست ريح الروضة التي نعتها فأحسن نعتها ، بأطيب من هذه المرأة نشرها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿ بَرَبُّوۥ ﴾ بربوبية من الأرض . حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرَبُّوۥ ﴾ والربوبية النشر من الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرَبُّوۥ ﴾ قال : المكان المرتفع الذي لا تجرى فيه الأنهار . وكان آخرون يقولون : هي المستوية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرَبُّوۥ ﴾ قال : هي الأرض المستوية التي تعلو فوق المياه .

وأما قوله ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ فإنه يعني جل ثناؤه أصاب الجنة التي بالربوبية من الأرض وابل من المطر ، وهو الشديد العظيم القطر منه ، وقوله ﴿ فَآتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ فإنه يعني الجنة أنها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر ، والأكل : هو الشيء المأكول ، وهو مثل الرعب والهدء وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي على فعل ، وأما الأكل بفتح الألف وتسكين الكاف ، فهو فعل الأكل ، يقال منه : أكلت أكلا ، وأكلت أكلة واحدة ، كما قال الشاعر :

وما أكلةٌ أَكَلْتُهَا بِغَنِيْمَةٍ وَلَا جَوْعَةً إِن جُعْتُهَا بِغَرَامٍ ٢

ففتح الألف لأنها بمعنى الفعل ، ويدلك على أن ذلك كذلك قوله : ولا جوعة ، وإن ضمت الألف من الأكلة كان معناه : الطعام الذي أكلته ، فيكون معنى ذلك حينئذ : ما طعام أكلته بغنيمة .

وأما قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾ فإن الطل : هو الندى واللين من المطر .

كما حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : ﴿ فَطَلَّ ﴾ ندى ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما الطل : فالندى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾ أي طش .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ فَطَلَّ ﴾ قال :

الطل : الرذاذ من المطر ، يعني اللين منه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ فَطَلَّ ﴾ أي طش .

ولأنما يعني تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التي وصفت صفتها حين جاد الوابل فإن أخطأ هذا الوابل فالطل كذلك يضعف الله صدقة المتصدق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه من

(١) الأكل : بضم الهزلة وسكون الكاف وبضمها .

(٢) الأكلة والجوعة : المرة من الأكل والجوع . والغرام : العذاب اللازم ، والشر الدائم . يقول : ليست أكلة آكلها مغنا أغنته ، وليست جوعة أجوعها شرا لا يخلص منه . يريد أنه قليل الحفل بالثاف من الأمور ، ولم نقف على قائله . ويروى : إن نلتها ، في موضع : أكلتها ، وهي أحسن ، ليكون نظير قوله : إن جمعتها .

غير من ولا أذى ، قلت نفقته أو كثرت لانتخب ولا تخلف نفقته ، كما تضعف الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثرت لا يخلف خيرها بحال من الأحوال .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿ فَأَتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾ يقول : كما أضعفت ثمرة تلك الجنة ، فكذلك تضعف ثمرة هذا المنفق ضعفين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ فَأَتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن ، يقول : ليس بخير خلف ، كما ليس بخير هذه الجنة خلف على أي حال ، إما وابل ، وإما طل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ . الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن .
﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾ وكيف قيل ؟ وهذا خبر عن أمر قد مضى ؟ قيل : يراد فيه : كان ، ومعنى الكلام : فأنت أكلها ضعفين ، فإن لم يكن الوابل أصابها ، أصابها طل ، وذلك في الكلام نحو قول القائل : حبست فرسين ، فإن لم أحبس اثنين فواحدا بقيمته ، بمعنى : إلا أكن ، لا بد من إضمار كان ، لأنه خبر ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَشِيْمَةٍ وَلَمْ تَجِدِي مِنِّي أَنْ تُقِرِّي بِهَا بُدَاً ١

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يعنى بذلك : والله بما تعملون أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير ، لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شيء يعلم من المنفق منكم بالمن والأذى والمنفق ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتا من نفسه ، فيحصى عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله ، إن خيرا فخييرا ، وإن شرا فشرا .

ولأنما يعنى بهذا القول جل ذكره ، التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده ، وغير ذلك من الأعمال أن يأتي أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهي عنه ، أو يفرط فيما قد أمر به ، لأن ذلك بمراى من الله ومسمع ، يعلمه ويحصيه عليهم ، وهو بخلقه بالمرصاد .

(١) البيت من شواهد الفراء في تفسيره (معاني القرآن) ص ٦١ طبعة دار الكتب المصرية . قال محققه في هامشه : قاله زائد بن معصمة الفقمي يعرض بزوجه ، وكانت أمها سرية . وقوله :

رَمَسْتَنِي عَنْ قَتُوسِ الْعَدُوِّ وَبَاعَدْتَنِي عَنْ بَيْدَةِ زَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَنَا بَعْدًا

وقوله : بها : أي هذه الخصلة . ويروى « به » أي بما ذكرت لك .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠١﴾

يعنى تعالى ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا - أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ . . . الآية .

ومعنى قوله ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾ : أيحب أحدكم أن تكون له جنة ، يعنى بستانا من نخيل وأعنان تجرى من تحتها الأنهار ، يعنى من تحت الجنة ، وله فيها من كل الثمرات والهاء فى قوله ﴿لَهُ﴾ : عائدة على أحد ، والهاء والألف فى ﴿فِيهَا﴾ : على الجنة ، وأصابه : يعنى وأصاب أحدكم الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، وإنما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والأعنان ، الذى قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين : أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِثْلًا لِنَفْقَةِ الْمُنَافِقِ الَّتِي يَنْفِقُهَا رِيَاءَ النَّاسِ ، لَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، فَالنَّاسُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ صِدْقَتِهِ ، وَإِعْطَائِهِ لِمَا يَعْطَى وَعَمَلِهِ الظَّاهِرِ ، يَشْتَوْنَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي حَسَنِهِ كَحَسَنِ الْبِسْتَانِ وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعَمَلِهِ مِثْلًا مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، لِأَنَّ عَمَلَهُ ذَلِكَ الَّذِي يَعْمَلُهُ فِي الظَّاهِرِ فِي الدُّنْيَا ، لَهُ فِيهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا ، يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَدَمِهِ وَمَالِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، وَيَكْتَسِبُ بِهِ الْحَمْدَ وَحَسَنَ الثَّنَاءِ عِنْدَ النَّاسِ ، وَيَأْخُذُ بِهِ سَهْمَهُ مِنَ الْمَغْنَمِ مَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ يَكْثُرُ إِحْصَاؤُهَا ، فَلَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا ، كَمَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْجَنَّةَ الَّتِي وَصَفَ مِثْلًا بِعَمَلِهِ ، بِأَنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ يعنى أن صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال ، فأصابها ، يعنى فأصاب الجنة إعصار فيه نار ، فاحترقت ، يعنى بذلك أن جنته تلك أحرقتها الرياح التي فيها النار في حال حاجته إليها ، وضرورته إلى ثمرتها بكبره وضعفه عن عمارتها ، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها ، فبقي لاشئ له أحوج ما كان إلى جنته وثمراتها بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار . يقول : فكذلك المنافق ماله رياء الناس ، أطفأ الله نوره ، وأذهب بهاء عمله ، وأحبط أجره حتى لقيه ، وعاد إليه أحوج ما كان إلى عمله ، حين لامستعتب له ولا إقالة من ذنوبه ولا توبة ، واضمححل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جَلَّ ثَنَاؤُهُ صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان إليها فبطلت منافعها عنه .

وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أمواهم رياء الناس في هذه الآية نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله ﴿ قَتَلَهُ كَثَلٌ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهَ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾

وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، إلا أن معاني قولهم في ذلك وإن اختلفت تصاريفهم فيها عائدة إلى المعنى الذي قلنا في ذلك ، وأحسنهم إبانة لمعناها وأقربهم إلى الصواب قولاً فيها السدي .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ، فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ هذا مثل آخر لنفقة الرياء ، أنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه ، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقتها الرياء ، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سموم فأحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئاً ، فكذلك المنفق رياء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ كمثل المفرط في طاعة الله حتى يموت ، قال يقول : أيودُّ أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله ، كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، فثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير ، لا يغني عنها شيئاً ، وولده صغار لا يغنون عنها شيئاً ، وكذلك المفرط بعد الموت كل شيء عليه حسرة .

حدثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحداً يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئاً ، قال : فتلفت إليه ، فقال : تحول ههنا ، لم تحقر نفسك ؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال : أيودُّ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره ، واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن محمد بن سليم ، عن ابن أبي مليكة ، أن عمر تلا هذه الآية ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ قال : هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً ، حتى إذا كان عنده آخر عمره أحوج ما يكون إليه عمل عمل السوء .

حدثني المشي ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، قال : سمعت أبا بكر ابن أبي مليكة يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه يقول : سأل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : فيم ترون أنزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ فقالوا :

الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم أو لانعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، قال عمر : أى عمل؟ قال : لعمل ، فقال عمر : رجل عيسى بعمل الحسنات ، ثم بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها ، قال : وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس سمعه منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر أنه سمع عبيد بن عمير ، قال ابن جريج : وسمعت عبد الله بن أبي مليكة ، قال : سمعت ابن عباس ، قال جميعاً : إن عمر بن الخطاب سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال عمر : للرجل يعمل بالحسنات ، ثم يبعث له الشيطان فيعمل بالمعاصي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سألت عطاء عنها ، ثم قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : ضربت مثلاً للأعمال .

قال ابن جريج : وقال ابن عباس : ضربت مثلاً للعمل يبدأ فيعمل عملاً صالحاً ، فيكون مثلاً للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، ثم يسيء في آخر عمره ، فيمادى على الإساءة حتى يموت على ذلك ، فيكون الإعصار الذي فيه النار التي أحرقت الجنة ، مثلاً لإساءته التي مات وهو عليها ، قال ابن عباس : الجنة عيشه وعيش ولده فاحترقت ، فلم يستطع أن يدفع عن جنته من أجل كبره ، ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى احترقت ، يقول : هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان إلى ، فلا يجد له عندى شيئاً ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئاً ، ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده أن يعملوا جنة ، كذلك لا توبة إذا انقطع العمل حين مات .

قال ابن جريج : عن مجاهد : سمعت ابن عباس قال : هو مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت .

قال ابن جريج وقال مجاهد : أيود أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله ، كمثل هذا الذي له جنة ، فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته ، وهو كبير لا يغني عنها شيئاً وأولاده صغار ، ولا يغنون عنه شيئاً ، وكذلك المفرط بعد الموت كل شيء عليه حسرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . الآية ، يقول : أصابها ريح فيها سموم شديدة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ، فهذا مثل . فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله ، فإنه قال ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ، ثم احترقت جنته على بقية ذلك كأحوج ما يكون إليه ، يقول : أئحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ إلى قوله ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ يقول : فذهبت جنته كأحوج ما كان إليها

حين كبرت سنه وضعف عن الكسب ، وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه ؛ قال : وكان الحسن يقول : فاحترقت فذهبت أحوج ما كان إليها ، فذلك قوله : أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان إليه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ضرب الله مثلا حسنا ، وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى ، وقال : قال أيوب ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ ﴾ إلى قوله ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ يقول : صنعه في شببته فأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره ، فجاءه إعصار فيه نار ، فأحرق بستانه ، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه ، وكذلك الكافر يوم القيامة إذا رد إلى الله تعالى ليس له خير ، فيستعذب كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ، ولا يجد خيرا قدم لنفسه يعود عليه ، كما لم يغن عن هذا ولده ، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه كما حرم هذا جنته عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته . وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا في الدنيا ، كيف نجى المؤمن في الآخرة ، وذخر له من الكرامة والنعيم ، وخزن عنه المال في الدنيا ، وبسط للكافر في الدنيا من المال ما هو منقطع ، وخزن له من الشر ما ليس بمفارقة أبدا ، ويخلد فيها مهانا من أجل أنه فخر على صاحبه ، ووثق بما عنده ولم يستيقن أنه ملاق ربه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ . . . الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ . . . فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ والرجل قد كبر سنه وضعف وله أولاد صغار ، وابتلاه الله في جنتهم ، فبعث الله عليها إعصارا فيه نار فاحترقت ، فلم يستطع الرجل أن يدفع عن جنته من الكبر ، ولا ولده لصغرهم ، فذهبت جنته أحوج ما كان إليها . يقول : أوجب أحدكم أن يعيش في الضلالة والمعاصي حتى يأتيه الموت ، فيجىء يوم القيامة قد ضل عنه عمله أحوج ما كان إليه ، فيقول ابن آدم : أتيتني أحوج ما كنت قط إلى خير ، فأين ما قدمت لنفسك ؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ ثم ضرب ذلك مثلا ، فقال ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ قال : جرت أنهارها وثمارها ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، أيود أحدكم هذا ؟ فما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى إذا كان له عندى جنة وجرت أنهارها وثمارها ، وكانت لولده وولد ولده أصابها ريح إعصار فحرقها .

حدثني المنفي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ تجري من تحتها الأنهار رجل غرس بستانا فيه من كل الثمرات ، فأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، فلا يستطيع

أن يدفع عن بستانه من كبره ، ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن بستانه ، فذهبت معيشته ومعيشة ذريته ، فهذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : يلقاني يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى خير يصيبه ، فلا يجد له عندى خيرا ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئا .

ولإنما دللنا أن الذى هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه ، لأن الله جل ثناؤه تقدم إلى عباده المؤمنين بالبهى عن المن والأذى فى صدقاتهم . ثم ضرب مثلا لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة ، فمثله بالمراثى من المنافقين ، المنافقين أموالهم رياء الناس ، وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها ، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل ما لم يجزله ذكر قبلها ولا معها .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : وأصابه الكبر ، وهو فعل ماضٍ فعطف به على قوله ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ﴾ قيل : إن ذلك كذلك ، لأن قوله ﴿أَيُّودٌ﴾ يصح أن يوضع فيه «لو» مكان «أن» فلما صلحت بلو وأن ومعناها جميعا الاستقبال ، استجازت العرب أن يردوا فعل بتأويل «لو» على يفعل مع أن ، فلذلك قال : فأصابها ، وهو فى مذهبه بمنزلة «لو» إذا ضارعت «أن» فى معنى الجزاء ، فوضعت فى مواضعها ، وأجيب «أن» بجواب «لو» و «لو» بجواب «أن» ، فكأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعنان ، تجرى من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر .

فإن قال : وكيف قيل ههنا : وله ذرية ضعفاء ؟ وقال فى النساء ﴿وَلَيْسَخُشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا؟﴾ قيل : لأن فعلا يجمع على فعلاء وفعال ، فيقال : رجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف . وأما الإعصار : فانه الريح العاصف ، تهب من الأرض إلى السماء كأنها غمود ، تجمع أعاصير ؛ ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

أناسٌ أجارونا فكانَ جِوَارُهُمْ أَعَاصِيرٌ مِنْ سُوءِ الْعِرَاقِ الْمُنْذَرِ
واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك :
ريح فيها سموم شديدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يوسف بن خالد السمى ، قال : ثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ريح فيها سموم شديدة .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس فى ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال : السموم الحارة التى خلق منها الجان التى تحرق .
حدثنا حميد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ قال : هى السموم الحارة .

(١) الأعاصير : جمع إعصار ، وهو أن تهب الريح التراب . وقال أبو زيد : الإعصار : الريح التى تسطع فى السماء وجمعها أعاصير . والمنذر : بصيغة اسم المفعول ، بمعنى المخوف . وهو من نذر : إذا بالغ فى تخويفه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ التي تقتل .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن ذكره ، عن ابن عباس ، قال : إن السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءا من النار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هي ريح فيها سموم شديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال : سموم شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ يقول : أصابها ريح فيها سموم شديدة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، نحوه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ أما الإعصار فالريح ، وأما النار فالسموم .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ يقول : ريح فيها سموم شديد .

وقال آخرون : هي ريح فيها برد شديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : كان الحسن يقول في قوله ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فيها صر وبرد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ يعني بالإعصار ريح فيها برد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة في سبيله ، وكيف وجهها ، ومالككم وما ليس لكم فعله فيها ، كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك ، فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها ، ويوضح لكم حججها ، إنعاما منه بذلك عليكم لعلكم تتفكرون ، يقول : لتفكروا بعقولكم فتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها ، وتعملوا بما فيها من أحكامها ، فتطيعوا الله به ، وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، قال : قال مجاهد : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ قال : تطيعون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني في زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَآخِيَرٍ إِلَّا أَنْ تَحْضُوا قِيَهُ وَءَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٧﴾

❦ يعني جل ثناؤه بقوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صدقوا بالله ورسوله وآى كتابه ، ويعنى بقوله ﴿أَنْفِقُوا﴾ زكوا وتصدقوا .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿أَنْفِقُوا﴾ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ يقول : تصدقوا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : زكوا من طيب ما كسبتم بتصرفكم إما بتجارة ، وإما بصناعة من الذهب والفضة ، ويعنى بالطيبات : الجياد ، يقول : زكوا أموالكم التى اكتسبتموها حلالا ، وأعظوا فى زكاتكم الذهب والفضة ، الجياد منها دون الردىء .

كما حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال : من التجارة .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : وأخبرني شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني حاتم بن بكر الضبي ، قال : ثنا وهب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى قوله ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال : التجارة الحلال .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله ابن معقل ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال : ليس فى مال المؤمن من خبيث ، ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون .

حدثني عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن محمد بن سيرين ،

عن عبيدة . قال : سألت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عن قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ قال : من الذهب والفضة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ قال : التجارة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ يقول : من أطيب أموالكم وأنفسه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ قال : من الذهب والفضة .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : وأنفقوا أيضا مما أخرجنا لكم من الأرض ، فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير ، وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض .

كما حدثني عصام بن رواد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، قال : سألت عليا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال : يعني من الحب والتمر وكل شيء عليه زكاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال : النخل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج . ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال : من ثمر النخل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ قال : من التجارة ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من الثمار .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال : هذا في التمر والحب .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَبِيثَ ﴾

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَبِيثَ ﴾ ولا تعمدوا ولا تقصدوا ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : ولا تأموا ، من أمت ، وهذه من تيممت ، والمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ ، يقال : تأممت فلانا وتيممته وأمته ، بمعنى : قصدته وتعمدته ، كما قال ميمون بن قيس الأعشى :

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَةٍ ذِي شَرْعٍ
وكما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَلَا تَهَمَّمُوا الْخَبِيثَ ﴾
ولا تعمدوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾
لا تعمدوا .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾

يعنى جل ثناؤه بالخبيث : الرديء غير الجيد ، يقول : لا تعمدوا الرديء من أموالكم في صدقاتكم ،
فتصدقوا منه ، ولكن تصدقوا من الطيب الجيد ، وذلك أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الأنصار
عاقب قنوا من حشف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن
ثابت ، عن البراء بن عازب في قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ قال : نزلت في الأنصار ،
كانت الأنصار إذا كان أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها أقناء البسر ، فعلقوه على جبل بين
الأسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل فقراء المهاجرين منه ، فيعمد الرجل منهم إلى
الحشف فيدخله مع أقناء البسر ، يظن أن ذلك جائز ، فأنزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا
الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : لا تيمموا الحشف منه تنفقون .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، زعم السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء
ابن عازب بنحوه ، إلا أنه قال : فكان يعمد بعضهم ، فيدخل قنوا الحشف ، ويظن أنه جائز عنه في كثرة
ما يوضع من الأقناء ، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ القنوا الذي قد
حشف^٢ ، ولو أهدي إليكم ما قبلتموه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن البراء بن
عازب ، قال : كانوا يجيئون في الصدقة بأردأ تمرهم وأردأ طعامهم ، فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ . . . الآية .

(١) البيت لأبي بصير الأعشى في ديوانه طبعة القاهرة (١٩) من نونته التي يمدح بها قيس بن معديكرب الكندي من المتقارب :
وتيممته : توخيته وقصدته . قال في اللسان : وأما التيمم الذي هو التوخي فالياء فيه بدل من الهزرة . والأم : القصد . قال ابن السكيت :
يقال أمته أما وتيممته تيمما : أي توخيته وقصدته . والتيمم بالصعيد مأخوذ من هذا ، وصار التيمم عند عوام الناس : التمسح بالتراب
والأصل فيه القصد والتوخي . قال الأعشى : . . . وأنشد البيت . والمهمه : المفازة البعيدة . والشرن : الغلظ : أي أن أرض
المهمه غير مستوية ، وإنما هي وعرة .

(٢) حشف التمر : صار حشفا ، أي رديئا ، (عن الأفعال لابن القوطية ، وليس في اللسان) .

حدثني عصام بن رواد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، قال : سألت عليا عن قول الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : فقال علي : نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة ، كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه ، فيعزل الجيد ناحية ، فإذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الرديء ، فقال عز وجل ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الجليل بن حميد اليحصبي ، أن ابن شهاب حدثه ، قال : ثنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : هو الجعرور ، ولون حبيق ، فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ في الصدقة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : كانوا يتصدقون ، يعني من النخل بحشفه وشراره ، ففهموا عن ذلك ، وأمروا أن يتصدقوا بطيبه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الخائطان على عهد نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فيعمد إلى أردثهما تمرًا فيتصدق به ، ويخلط فيه من الحشف ، فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : تعمد إلى رذالة مالك فتصدق به ، ولست بأخذه إلا أن تغمض فيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن قال : كان الرجل يتصدق برذالة ماله ، فنزلت ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : في الأقناء التي تعلق فرأى فيها حشفا ، فقال ما هذا ؟ قال ابن جريج : سمعت عطاء يقول : علق إنسان حشفا في الإقناء التي تعلق بالمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا هَذَا ، بِئْسَمَا عَاتَقَ هَذَا » فنزلت ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تيمموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون ، وتدعوا أن تنفقوا الحلال الطيب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عز وجل

(١) يقال : علق حبيق كزبير : تمر دقل أغبر صغير ، مع طول فيه ، رديء ، منسوب إلى ابن حبيق .

﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال : الحبيث : الحرام ، لا تتيمة : تنفق منه ، فإن الله عز وجل لا يقبله .

وتأويل الآية : هو التأويل الذي حكيناه عن حكينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق أهل التأويل في ذلك دون الذي قاله ابن زيد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولستم بأخذي الحبيث في حقوقكم والهاء في قوله ﴿بِأَخِيذِيهِ﴾ من ذكر الحبيث ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يعنى إلا أن تتجافوا في أخذكم إياه عن بعض الواجب لكم من حقوقكم ، فترخصوا فيه لأنفسكم ، يقال منه : أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض ، ومن ذلك قول الطرماح بن حكيم :
لَمْ يَفْتِنَا بِالْوِثْرِ قَوْمٌ وَلِلضَّيْمِ رِجَالٌ يَرْضَوْنَ بِالْإِغْمَاضِ

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولستم بأخذي الرديء من غرمائكم في واجب حقوقكم قبلهم إلا عن إغماض منكم لهم في الواجب لكم عليهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا عصام بن رواد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : سألت عليا عنه ، فقال ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يقول : ولا يأخذ أحدكم هذا الرديء حتى يهضم له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن البراء بن عازب ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يقول : لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يقول : لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقوقكم ، لم تأخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه ، فذلك قوله ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ فكيف ترضون أن ما لا ترضون لأنفسكم ، وحق عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها ، وهو قوله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ قال : لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم إلا بزيادة على الطيب في الكيل .

(١) الوثر : الذحل . والضيم : الظلم والنقص . والإغماض : أصله تغميض العين عن الشيء ، ثم صار كناية عن المسامحة والمساهلة ، والتغافل . يقول : لم يفتنا قوم عند الترة ، بل ندرتهم وننتقم منهم ، عل أن رجلا يرضون بالإغماض عن بعض حقهم ، لضعفهم وعجزهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ وذلك أن رجلا كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر ، فكانوا يعطون الحشف في الزكاة ، فقال : لو كان بعضهم يطلب بعضا ثم قضاه لم يأخذه ، إلا أن يرى أنه قد أغمض عنه حقه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ يقول : لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان لك عليه هل كنت تأخذ ذلك منه إلا وأنت له كاره ؟

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ إلى قوله (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) قال : كانوا حين أسرا الله أن يؤدوا الزكاة يحيى الرجل من المنافقين بأردأ طعام له من تمر وغيره ، فكره الله ذلك ، وقال ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ، وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ يقول : لستم بآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ، يقول . لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه ، إلا وهو يعلم أنه قد نقصه ، فلا ترضوا إلى ما لا ترضون لأنفسكم ، فيأخذ شيئا وهو مغمض عليه أنقص من حقه .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بآخِذِي هذا الرديء الخبيث إذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد إلا بإغماض منهم لكم في ثمنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن الحسن ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ قال : لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ يقول : لستم بآخِذِي هذا الرديء بسعر هذا الطيب إلا أن يغمض لكم فيه .

وقال آخرون : معناه : ولستم بآخِذِي هذا الرديء الخبيث لو أهدى لكم إلا أن تغمضوا فيه ، فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ قال : لو أهدى لكم ما قبلتموه إلا على استحياء من صاحبه أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء نحوه ، إلا أنه قال : إلا على استحياء من صاحبه وغيظا أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بأخذى هذا الردىء من حقكم إلا أن تغمضوا من حقكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن معقل ﴿ وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ ﴾ يقول : ولستم بأخذيه من حق هو لكم ، إلا أن تغمضوا فيه ، يقول : أغمض لك من حقل .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بأخذى الحرام إلا أن تغمضوا على ما فيه من الإثم عليكم في أخذه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قوله ﴿ وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ قال : يقول : لست آخذاً ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الإثم . قال : وفي كلام العرب : أما والله لقد أخذه ، ولقد أغمض على ما فيه ، وهو يعلم أنه حرام باطل .

والذى هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال : إن الله عز وجل حث عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها ، فصار ما فرض من ذلك فى أموالهم حقاً لأهل سهمان الصدقة ، ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيب ، وهو الجيد من أموالهم الطيب ، وذلك أن أهل السهمان شركاء أرباب الأموال فى أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها ، فلا شك أن كل شريكين فى مال فلكل واحد منهما بقدر ملكه ، وليس لأحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذى هو فيه شريكه باعطائه بمقدار حقه منه من غيره ، مما هو أردأ منه أو أحسن ، فكذلك المزكى ماله حرم الله عليه أن يعطى أهل السهمان مما وجب لهم فى ماله من الطيب الجيد من الحق ، فصاروا فيه شركاء من الحديث الردىء غيره ، ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم فى الطيب من ماله الجيد ، كما لو كان مال رب المال رديئاً كله غير جيد ، فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذى منه حقهم ، فقال تبارك وتعالى لأرباب الأموال : زكوا من جيد أموالكم الجيد ، ولا تيمموا الحديث الردىء ، تعطونه أهل سهمان الصدقة ، وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب فى أموالكم ، ولستم بأخذى الردىء لأنفسكم مكان الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم عليه ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم إلا عن إغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لأخذه . يقول : ولاتأتوا من الفعل إلى من وجب له فى أموالكم حق ما لاترضون من غيركم أن يأتى إليكم فى حقوقكم الواجبة لكم فى أموالكم ؛ فأما إذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة فإنى وإن كرهت له أن يعطى فيها إلا أجود ماله وأطيبه ، لأن الله عز وجل أحق من تقرب إليه بأكرم الأموال وأطيبها ، والصدقة قربان المؤمن ، فلست أحرم عليه أن يعطى فيها غير الجيد ، لأن ما دون الجيد ربما كان أعم نفعاً لكثيرته ، أو لعظم خطره ، وأحسن موقعا من المسكين ، ومن أعطيه قربة إلى الله عز وجل من الجيد ، لقلته أو لصغر خطره ، وقلة جدوى نفعه على من أعطيه .

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ، وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ قال : ذلك في الزكاة ، الدرهم الزائف أحب إلى من التمرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن ذلك ، فقال : إنما ذلك في الزكاة ، والدرهم الزائف أحب إلى من التمرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ، وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ، وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ﴾ فقال عبيدة : إنما هذا في الواجب ، ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمر ، والدرهم الزائف خير من التمرة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين في قوله ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ قال : إنما هذا في الزكاة المفروضة ، فأما التطوع فلا بأس أن يتصدق الرجل بالدرهم الزائف ، والدرهم الزائف خير من التمرة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل غني عن صدقاتكم وعن غيرها ، وإنما أمركم بها ، وفرضها في أموالكم ، رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم ، ويقوى بها ضعيفكم ، ويجزل لكم عليها في الآخرة مشوبتكم ، لا من حاجة به فيها إليكم ، ويعنى بقوله ﴿ حَمِيدٌ ﴾ أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه ، وبسط لهم من فضله .

كما حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب في قوله ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ عن صدقاتكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره : الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة ، وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ، ويأمركم بالفحشاء ، يعنى : ويأمركم بمعاصي الله عز وجل ، وترك طاعته ، والله يعدكم مغفرة منه ، يعنى أن الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون ، أن يسر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن

عقوبتكم عليها ، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون ، وفضلا : يعنى : ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم ، فيفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم .

كما حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اثنان من الله ، واثنان من الشيطان ، الشيطان يعدكم الفقر يقول : لا تنفق مالك ، وأمسكه عليك ، فانك تحتاج إليه ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي ، وفضلا في الرزق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴿﴾ يقول : مغفرة لفحشائكم ، وفضلا لفقركم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّ لِلشَّيْطَانِ لَمَلَّةٌ مِّنْ ابْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلِكِ لَمَلَّةٌ ، فَأَمَّا لَمَلَّةُ الشَّيْطَانِ : فإِيعَادُ بِالشَّرِّ ، وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَلَّةُ الْمَلِكِ : فإِيعَادُ بِالْخَيْرِ ، وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَتَعَلَّمْ أَنَّهُ مِّنَ اللَّهِ وَلْيُحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿لشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، قال : ثنا عمرو ، عن عطاء بن السائب ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : إن للإنسان من الملك لمة ، ومن الشيطان لمة ، فاللمة من الملك : إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، واللمة من الشيطان : إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وتلا عبد الله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴿﴾ قال عمرو : وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال : إذا أحس أحدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله ، وليسأله من فضله ، وإذا أحس من لمة الشيطان شيئا ، فليستغفر الله ، وليتعوذ من الشيطان .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي الأحوص ، أو عن مرة ، قال : قال عبد الله : ألا إن للملك لمة ، وللشيطان لمة ، فلمة الملك : إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، ولمة الشيطان : إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وذلكم بأن الله يقول ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مِّنْهُ وَفَضْلًا ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ فإذا وجدتم من هذه شيئا فاحمدوا الله عليه ، وإذا وجدتم من هذه شيئا فتعوذوا بالله من الشيطان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ قال : إن للملك لمة ، وللشيطان لمة ، فلمة الملك : إيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجدها فليحمد الله ، ولمة الشيطان : إيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، فمن وجدها فليستعذ بالله .

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، ولمة الشيطان: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن أحسن من لمة الملك شيئا فليحمد الله عليه، ومن أحسن من لمة الشيطان شيئا، فليتعوذ بالله منه، ثم تلا هذه الآية ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن فطرا، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر. وأما لمة الملك: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه، ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان، ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

يعنى تعالى ذكره: والله واسع الفضل الذى يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه. عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التى تنفقون وتصدقون بها، بحصيتها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه فى آخرتكم. القول في تأويل قوله تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه: يؤتى الله الإصابة فى القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤتى الإصابة فى ذلك منهم، فقد أوتى خيرا كثيرا. واختلف أهل التأويل فى ذلك، فقال بعضهم: الحكمة التى ذكرها الله فى هذا الموضع هى القرآن والفقه به ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس فى قوله ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ يعنى المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال: الحكمة: القرآن، والفقه فى القرآن.

(١) ذكر صاحب التاج ثلاثة محدثين كلهم يسمى فطرا: فطر بن حماد بن واقد البصرى. وفطر بن خليفة، وذكره الخزر جى فى الخلاصة. وفطر بن محمد العطار الأحمدى. ولا ندرى من المراد منهم، ولعله الثانى.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والحكمة : الفقه في القرآن .
حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا مهدي بن ميمون ، قال : ثنا شعيب بن الحبحاب ، عن أبي العالية ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال : الكتاب والفهم فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ . . . الآية ، قال : ليست بالنبوة ، ولكنه القرآن والعلم والفقه .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الفقه في القرآن .

وقال آخرون : معنى الحكمة : الإصابة في القول والفعل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، قال : سمعت مجاهدا قال ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قال : الإصابة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال : يؤتى إصابته من يشاء .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال : الكتاب ، يؤتى إصابته .
وقال آخرون : هو العلم بالدين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ العقل في الدين ، وقرأ ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الحكمة : العقل .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قلت لمالك : وما الحكمة ؟ قال : المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له .

وقال آخرون : الحكمة : الفهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، قال : الحكمة : هي الفهم .
وقال آخرون : هي الحشية .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ . . . الآية ، قال : الحكمة : الخشية ، لأن رأس كل شيء خشية الله ، وقرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ . وقال آخرون : هي النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ . . . الآية ، قال : الحكمة : هي النبوة ، وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة ، وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء ، وأنها الإصابة بما دل على صحته ، فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع . فإذا كان ذلك كذلك معناه ، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك ، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله ، فقيها عالما ، وكانت النبوة من أقسامه ، لأن الأنبياء مسددون مفهمون ، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور ، والنبوة بعض معاني الحكمة . فتأويل الكلام : يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها ، وفي غيرها من آي كتابه ، فيذكر وعده ووعيده فيها ، فينجز عما زجره عنه ربه ، ويطيعه فيما أمره به ، إلا أولو الأبواب ، يعنى : إلا أولو العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيهِ فأخبر جل ثناؤه ، أن المواعظ غير نافعة ، إلا أولى الحجج والحلوم ، وأن الذكرى غير ناهية إلا أهل النهى والعقول .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ رُومًا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

﴿٢٧﴾

﴿يعنى بذلك جل ثناؤه : وأى نفقة أنفقتم ، يعنى أى صدقة تصدقتم ، أو أى نذر نذرتم ؛ يعنى بالنذر : ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله ، وتقربا به إليه ، من صدقة أو عمل خير ، فإن الله يعلمه ؛ أى أن جميع ذلك يعلم الله ، لا يعزب عنه شيء ، ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ، ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يحجازيكم جميعكم على جميع ذلك ، فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه ، جازاه بالذى وعده من التضعيف ؛ ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ، ونذوره للشيطان جازاه بالذى أوعده من العقاب ، وأليم العذاب .

كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ويخصيه . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ، ونذوره طاعة للشيطان ، فقال ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني : وما لمن أنفق ماله رياء الناس وفي معصية الله ، وكانت نذوره للشيطان وفي طاعته ، من أنصار ، وهم جمع نصير ، كما الأشراف جمع شريف ، ويعني بقوله ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من ينصرهم من الله يوم القيامة ، فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ولا بقدية . وقد دللنا على أن الظالم : هو الواضع للشيء في غير موضعه ، وإنما سمي الله المنافق رياء الناس ، والناذر في غير طاعته ظالماً ، لوضعه إنفاق ماله في غير موضعه ونذره في غير ماله وضعه فيه ، فكان ذلك ظلمه .

فإن قال لنا قائل : فكيف قال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ولم يقل : يعلمهما ، وقد ذكر النذر والنفقة ؟ قيل : إنما قال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ لأنه أراد : فإن الله يعلم ما أنفقتم ، أو نذرتم ، فلذلك وحد الكناية . القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ إن تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ يقول : فنعيم الشيء هي ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ يقول : وإن تستروها فلن تعلنوها وتؤتوها الفقراء يعني : وتعطوها الفقراء في السر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يقول : فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها ، وذلك في صدقة التطوع .

كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كل مقبول إذا كانت النية صادقة ، وصدقة السر أفضل ، وذكر لنا أن الصدقة تطهى الخطيئة كما يطهى الماء النار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كل مقبول إذا كانت النية صادقة ، والصدقة في السر أفضل ، وكان يقول : إن الصدقة تطهى الخطيئة كما يطهى الماء النار . حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانياتها بسبعين ضعفا ، وجعل صدقة الفريضة علانياتها أفضل من سرها ، يقال بخمسة وعشرين ضعفا ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها .

حدثني عبد الله بن محمد الحنفى ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : سمعت سفيان يقول في قوله ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ، وَإِنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوها فَقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ قال : يقول : هو سوى الزكاة .

وقال آخرون : إنما عني الله عز وجل بقوله ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ إن تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعمما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو خير لكم . قالوا : وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوع فاخفأوه أفضل من علانيته .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عبد الرحمن بن شريح ، أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يقول : إنما نزلت هذه الآية ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ في الصدقة على اليهود والنصارى .

حدثني عبد الله بن محمد الحنفى ، قال : أخبرنا عبد الله بن عثمان ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا ابن لهيعة ، قال : كان يزيد بن أبي حبيب يأمر بقسم الزكاة في السر ، قال عبد الله : أحب أن تعطى في العلانية ، يعنى الزكاة ، ولم يخص الله من قوله ﴿ إِن تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ فذلك على العموم إلا ما كان من زكاة واجبة ، فإن الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على أن الفضل في إعلانه وإظهاره سوى الزكاة التي ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع إجماع جميعهم على أنها واجبة ، فحكمها في أن النضل في أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك . فروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤه ﴿ وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ ﴾ بالتاء ، ومن قرأه كذلك ، فإنه يعنى به : وتكفر الصدقات عنكم من سيئاتكم . وقرأ آخرون ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ ﴾ بالياء بمعنى : ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيئاتكم . وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ﴿ وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ ﴾ بالنون وجزم الحرف ، يعنى : وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء ، تكفر عنكم من سيئاتكم ، بمعنى : مجازاة الله عز وجل بخفى الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها . وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ ﴿ وَتُكْفِّرُ عَنْكُمْ ﴾ بالنون وجزم الحرف على معنى الخبر من الله عن نفسه . أنه يجازى الخفى صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيئاته ، وإذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله ﴿ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن الفاء هنالك حلت محل جواب الجزاء .

فإن قال لنا قائل : وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء ، وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء ، وقد علمت أن الأفصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء الرفع ، وإنما الجزم تجويز ؟ قيل : اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه أن التكفير ، أعنى تكفير الله من سيئات المصدق لا محالة داخل فيما وعد الله

المصدق أن يجازيه به على صدقته ، لأن ذلك إذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة ، ولورفع كان قد يحتمل أن يكون داخلا فيما وعده الله أن يجازيه به ، وأن يكون خبرا مستأنفا أنه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم ، لأن ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف ، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في أنه غير داخل في الجزاء ، ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفًا به على موضع الفاء من قوله ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ وقراءته بالنون .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا وَجْهَ دُخُولِ مَنْ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ﴾ قيل : وجه دخولنا في ذلك بمعنى : ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها ، ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلموا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدق ، فيجتروا على حدوده ومعاصيه . وقال بعض نحوي البصرة : معنى «من» الإسقاط من هذا الموضع ، ويتأول معنى ذلك : ونكفر عنكم سيئاتكم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : والله بما تعملون في صدقاتكم من إخفائها وإعلان وإسرار بها وإجهار ، وفي غير ذلك من أعمالكم خبير ، يعنى بذلك ذو خبرة وعلم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، فهو بجميعه محيط ، ولكله محص على أهله حتى يوفيه ثواب جميعه ، وجزاء قليله وكثيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُفْقُونَ خَيْرٌ فَلَإِنَّفُسِكُمْ وَمَا تُفْقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُفْقُونَ خَيْرٌ بَوْفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظَاهَرُونَ ﴾

﴿ يعنى تعالى ذكره بذلك : ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام ، فتمنعهم صدقة التطوع ، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها ، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له ، فلا تمنعهم الصدقة .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين ، فنزلت ﴿ وَمَا تُفْقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ فتصدق عليهم . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو داود ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانوا لا يرضخون الأقرباء من المشركين ، فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانوا يتقون أن يرضخوا الأقرباء من المشركين حتى نزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ ولكن الله يهدي من يشاء .

(١) رضى له من ماله رضىا ورضيخة : أعطاه شيئا منه .

حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن إسحاق ، قالا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : كانوا لا يرضخون لأنسابهم من المشركين ، فزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فرخص لهم .

حدثنا المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : كان أناس من الأنصار لهم أنساب وقراة من قريظة والنضير ، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ، فزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وذكر لنا أن رجلا من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أنت صدق على من ليس من أهل ديننا ، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ قال : كان الرجل من المسلمين إذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدق عليه يقول : ليس من أهل ديني ، فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ . . . الآية .

حدثني محمد ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وما تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ ﴿أما ليس عليك هداهم﴾ فيعني المشركين ، وأما النفقة فين أهلها .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا يعقوب القُصي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبیر قال : كانوا يتصدقون .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ قال : هو مردود عليك ، فمالك ولهذا تؤذيه وتمنّ عليه ، إنما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله ، والله يجزيك .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ الْعِلْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٢﴾

(١) قوله « كانوا يتصدقون » كذا في النسخ ، ولعله سقط بقية المتن وشيء من التفسير .

أما قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في بيان من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها . ومعنى الكلام : وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ، واللام التي في الفقراء مردودة على موضع اللام في فلا أنفسكم ، كآته قال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني به : وما تتصدقوا به من مال ، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ، فلما اعترض في الكلام بقوله فلا أنفسكم ، فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت إعادتها في قوله : للفقراء ، إذ كان الكلام مفهوما معناه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ ، أما ليس عليك هداهم ، فيعني المشركين ، وأما النفقة فيبين أهلها ، فقال : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله . وقيل : إن هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية ، هم فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) مهاجري قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة عليهم .

حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . . . الآية . قال : هم فقراء المهاجرين بالمدينة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال : فقراء المهاجرين .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

يعني تعالى ذكره بذلك : الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرون أنفسهم فيحبسونها عن التصرف ، فلا يستطيعون تصرفا . وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الإحصار : تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوّه ، وغير ذلك من علله : إلى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف في أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : في ذلك بنحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال : حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال : كانت الأرض كلها كفرا لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغي من فضل الله إذا خرج

خرج في كفر . وقيل : كانت الأرض كلها حربا على أهل هذا البلد ، وكانوا لا يتوجهون جهة إلا لهم فيها عدو ، فقال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . . . الآية كانوا ههنا في سبيل الله . وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين أحصرهم المشركون فمنعوا عنهم التصرف .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حصرهم المشركون في المدينة .

ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدي ، لكان الكلام : للفقراء الذين حصرهم في سبيل الله ، ولكنه أحصروا ، فدل ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صير هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم ، لأن العدو هم كانوا الحابسينهم ، وإنما يقال لمن حبسه العدو : حصره العدو ، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل : أحصره خوف العدو .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يستطيعون تقلبا في الأرض ، وسفرا في البلاد ، ابتغاء المعاش وطلب المكاسب ، فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدو ، وخوفا على أنفسهم منهم .

كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدو ، فلا يستطيعون تجارة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى التجارة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد قوله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فضل الله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾

يعنى بذلك : يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسئلة ، وتركهم التعرض لما في أيدي الناس صبرا منهم على البأساء والضراء .

كما حدثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ يقول : يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف ، ويعنى بقوله ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من ترك مسئلة الناس ، وهو التفضل من العفة عن الشيء ، والعفة عن الشيء : تركه ، كما قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْغَسَقِ^١

يعنى برئ وتجنب .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : تعرفهم يا محمد بسياههم ، يعنى بعلامتهم وآثارهم من قول الله عز وجل

(١) يروى الغسق بالعين المعجمة وبها المعنى المهملة . وقد سبق الكلام على البيت في الجزء الثاني .

﴿سَيِّئَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ هذه لغة قريش ، ومن العرب من يقول بسياهم فيمدها ، وأما ثقیف وبعض أسد ، فإنهم يقولون : بسيمياهم ؛ ومن ذلك قول الشاعر :
 غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعَا لَهُ سَيِّمَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
 وقد اختلف أهل التأويل في السيا التي أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم ، وأنهم يعرفون بها ، فقال بعضهم : هو التخشع والتواضع .
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ﴾ قال : التخشع .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، قال : كان مجاهد يقول هو التخشع .
 وقال آخرون يعني بذلك : تعرفهم بسيا الفقر وجهد الحاجة في وجوههم .
 ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ﴾ بسيا الفقر عليهم .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ﴾ يقول : تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة .
 وقال آخرون : معنى ذلك : تعرفهم برثاثة ثيابهم ، وقالوا : الجوع خفي .
 ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ﴾ قال : السيا : رثاثة ثيابهم ، والجوع خفي على الناس ، ولم تستطع الثياب التي يخرجون فيها تخفي على الناس .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان ، فيعرفهم وأصحابه بها ، كما يدرك المريض فيعلم أنه مريض بالمعاينة .
 وقد يجوز أن تكون تلك السيا كانت تخشعا منهم ، وأن تكون كانت أثر الحاجة والضرر ، وأن تكون كانت رثاثة الثياب ، وأن تكون كانت جميع ذلك ، وإنما تدرك علامات الحاجة وآثار الضرر في الإنسان ، ويعلم

(١) هذا البيت لأسيد بن عتقاء الفزاري يمدح عميلة الفزاري حين قاسمه ماله . وبعد البيت بيت آخر ، وهو :

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ وَفِي وَجْهِهِ الشَّعْرَى وَفِي جِيدِهِ الْقَمَرُ

أنشد البيهقي المبرد في كامله (١ : ١٠٩) رغبة الأمل شرح الكامل للشيخ سيد المرصفي . والسيما والسيما والسيما بالقصر والمدة : العلامة يعرف بها الخير والشر . قال تعالى : « تعرفهم بسيماهم » . واشتقاق السيما من الوسم . والمراد أنه : يفرج به من ينظر إليه . ويروي البيت : « غلام رماه الله بالخير يافعا » عن أبي رياش . عن أبي زيد . قال : لأن الحسن مولود . (انظر اللسان : صوم) .

أنها من الحاجة والضرر بالمعاينة دون الوصف ، وذلك أن المريض قد يصير به في بعض أحوال مرضه من المرض نظير آثار المجهود من الفاقة والحاجة ، وقد يلبس الغنى ذو المال الكثير الثياب الرثة ، فيتزيا بزى أهل الحاجة ، فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختل ذو فاقة ، وإنما يدرى ذلك عند المعاينة بسياه ، كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَافًا﴾

يقال : قد ألحف السائل في مسئلته إذا ألح فهو يلحف فيها إلحافا .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَفَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَسْأَلُونَ النَّاسَ غَيْرَ إِلْحَافٍ ؟ قِيلَ : غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الصَّدَقَةِ ، إِلْحَافًا وَغَيْرَ إِلْحَافٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ تَعَفُّفٍ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ بَسِيَاهُمْ ، فَلَوْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ شَأْنِهِمْ لَمْ تَكُنْ صِفَتُهُمُ التَّعَفُّفُ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِلْمِ مَعْرِفَتِهِمُ بِالْأَدَلَّةِ وَالْعَلَامَةِ حَاجَةٌ ، وَكَانَتْ الْمَسْئَلَةُ الظَّاهِرَةُ تَنْبِيْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَمْرِهِمْ .

وفي الخبر الذي حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن هلال بن حصن ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أعوزنا مرة فقبل لي : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ، فانطلقت إليه معتقا ، فكان أول ما واجهني به : من استعف أعفه الله ، ومن استغنى أغناه الله ، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئا نجده ، قال : فرجعت إلى نفسي ، فقلت : ألا أستعف فيعفي الله ، فرجعت فما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا ففرقتنا إلا من عصم الله ، الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينبي معنى المسئلة من الشخص الواحد ، وأن من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسئلة إلحافا وغير إلحاف .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْتَ ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَافًا﴾ وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَافًا وَغَيْرَ إِلْحَافٍ ؟ قِيلَ لَهُ : وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمَّا وَصَفَهُمُ بِالْتَّعَفُّفِ وَعَرَفَ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ مَسْئَلَةٍ بِحَالٍ بِقَوْلِهِ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ بِالسِّيَا ، زَادَ عِبَادَهُ إِبَانَةً لِأَمْرِهِمْ ، وَحَسَنَ ثَنَاءٍ عَلَيْهِمْ بِنَبِيِّ الشَّرِّ وَالضَّرَاعَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَلَحِينِ مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُمْ ، وَقَالَ : كَانَ بَعْضُ الْقَائِلِينَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ : قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَ فُلَانٍ وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ أَحَدًا وَلَا نَظِيرًا .

وبنحو الذي قلنا في معنى الإلحاف قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا خَافًا﴾ قال : لا يلحفون في المسئلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾
قال : هو الذي يلح في المسئلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ذكر لنا
أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَكِيمَ الْغَنِيَّ الْمُتَعَفِّفَ ، وَيُبْغِضُ
الْغَنِيَّ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ » قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا ، قِيلَ وَقَالَ : وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ » فإذا شئت
رأيت في قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته ، حتى يلقي جيفة على فراشه ، لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته
نصيبا ، وإذا شئت رأيت ذا مال في شهوته ولذاته وملاعبه ، ويعدله عن حق الله ، فذلك إضاعة المال ،
وإذا شئت رأيت باسطا ذراعيه ، يسأل الناس في كفيه ، فإذا أعطى أفرط في مدحهم ، وإن منع أفرط في ذمهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٤﴾

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر ، عن أيمن بن نابل ، قال : حدثني شيخ من غافق أن
أبا الدرداء كان ينظر إلى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن ، فيقول : أهل هذه ، يعني الخيل من الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
وقال آخرون : عني بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله في غير إسراف ولا تقير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هؤلاء أهل الجنة ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :
« الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ » . قالوا : يا نبي الله إلا من ؟ قال : الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ ،
قالوا : يا نبي الله إلا من ؟ قال : الْمُكْثِرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ ، قالوا : يا نبي الله إلا من ؟ حتى خشوا
أن تكون قد مضت فليس لها رد حتى قال : إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ
شِمَالِهِ ، وَهَكَذَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَكَذَا خَلْفَهُ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّتِي افْتَرَضَ وَارْتَضَى فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا إِمْلَاقٍ وَلَا تَبَذُّيرٍ وَلَا فُسَادٍ »

وقد قيل : إن هذه الآيات من قوله ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كان مما يعمل به قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات ، فلما
نزلت براءة قصرها عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة ، فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات إليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : الذين يربون ، والإرباء : الزيادة على الشيء ، يقال منه : أربى فلان على فلان إذا زاد عليه يربى إرباء ، والزيادة هي الربا ، وربا الشيء : إذا زاد على ما كان عليه فعظم ، فهو يربو ربوا . وإنما قيل للرابية الزيادة في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها من قولهم ربا يربو ، ومن ذلك قيل : فلان في ربا قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم ، فأصل الربا الإنافة والزيادة ، ثم يقال : أربا فلان : أي أناف صيره زائدا . وإنما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا ، أو لزيادته عليه فيه ، لسبب الأجل الذي يؤخره إليه ، فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه ، ولذلك قال جل ثناؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ . وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال في الربا الذي نهى الله عنه كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين ، فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عني ، فيؤخر عنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أن ربا الجاهلية يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى ، فإذا حلَّ الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخرعته ، فقال جل ثناؤه للذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا ، لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ؛ يعني بذلك : يتخبطه الشيطان في الدنيا ، وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس ، يعني من الجنون . وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

(١) لعل أصل العبارة : وإنما قيل للرابية رابية . . . الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثني أبي ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : ذلك حين يبعث من قبره .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقال يوم القيامة لا أكل الربا : خذ سلاحك للحرب ، وقرأ ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : ذلك حين يبعث من قبره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . . . الآية ، قال : يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ الآية ، وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة ، بعثوا وبهم خبل من الشيطان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : هو التخيل الذي يتخيله الشيطان من الجنون .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان ، وهي في بعض القراءة لا يقومون يوم القيامة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطا كالذي يتخبطه الشيطان من المس .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ يعني من الجنون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال : هذا مثلهم يوم القيامة

لا يقومون يوم القيامة مع الناس ، إلا كما يقوم الذي يخنق مع الناس يوم القيامة ١ كأنه خنق كأنه مجنون ، ومعنى قوله ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ يتخبله من مسه إياه ، يقال منه : قد مسَّ الرجل وأُلِقَ فهو ممسوس ومألوق ، كل ذلك إذا ألمَّ به اللمس فجَنَّ ، ومنه قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ ومنه قول الأعشى :

وَتُصْبِحُ عَنْ غِيبِ السَّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقُ ٢

فإن قال لنا قائل : أفرايت من عمل ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم يأكله ، أيستحق هذا الوعيد من الله ؟ قيل : نعم ، وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكل ، إلا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم ومأكلهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ، ومقبحا إليهم الحال التي هم عليها في مطاعهم ، وفي قوله جل ثناؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، فإن لم تفعَلُوا فاذنُوا بحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . . الآية ما ينبي عن صحة ما قلنا في ذلك ، وأن التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الربا ، وأن سوء العمل به وأكله وأخذه وإعطاؤه ، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ ، وَكَاتِبَهُ ، وَشَاهِدَيْهِ إِذَا عَلِمُوا بِهِ » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس من الجنون ، فقال تعالى ذكره هذا الذي ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حلَّ بهم من أجل أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون إنما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا ، وذلك أن الذين كانوا يأكلون من الربا من أهل الجاهلية ، كان إذا حلَّ مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدني في الأجل وأزيدك في مالك ، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك : هذا ربا لا يحل ، فإذا قيل لهما ذلك ، قالا : سواء علينا زدنا في أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله في قيلهم ، فقال : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ، فمن جاءه مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

يعنى جل ثناؤه : وأحلَّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع ، وحرم الربا يعنى الزيادة التي يزداد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل ، وتأخير دينه عليه . يقول عز وجل : وليست الزيادة تان اللتان

(١) قوله « مع الناس يوم القيامة » الخ ، هكذا في الأصل ، ولعل هنا تكرارا أو تحريفا من النسخ .

(٢) البيت لأبي بصير الأعشى ، من قصيدته المشهورة في مدح الخلق عبد العزيز بن خنم بن شداد بن ربيعة (ديوانه ص ٢٢١) . وغيب الشيء : عاقبه وما يليه . والسرى : سير الليل . وألم بها : خالطها ، والطائف : ما يمس الإنسان ويطوف به . والأولق : الجنون . يقال : ألِقَ الرجل ألقا : جن ، فهو مألوق وبه أولق . يقول : تسير بالليل سيرا طويلا مجهدا ، فاذا أصبحت فكأن بها من الجن ، من نشاطها وقوتها على استئناف السير .

إحداهما من وجه البيع ، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل سواء ، وذلك أتى حرمت إحدى الزيادتين ، وهى التى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل ؛ وأحللت الأخرى منهما ، وهى التى من وجه الزيادة على رأس المال الذى ابتاع به البائع سلعته التى يبيعها فيستفضل فضلها ، فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا ، لأنى أحللت البيع ، وحرمت الربا ، والأمر أمرى والخلق خلقى ، أقضى فيهم ما أشاء ، وأستعبدهم بما أريد ، ليس لأحد منهم أن يعترض فى حكمى ، ولا أن يخالف فى أمرى ، وإنما عليهم طاعى والتسليم لحكمى ، ثم قال جل ثناؤه ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ يعنى بالموعظة : التذكير والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آى القرآن ، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب ، يقول جل ثناؤه : فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا ، وارتدع عن العمل به ، وانزجر عنه ﴿فله ما سلف﴾ يعنى ما أكل ، وأخذ فضى قبل مجئ الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك ﴿وأمره إلى الله﴾ يعنى وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء آكله عن أكله إلى الله فى عصمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله وثبته فى انتهائه عنه ، وإن شاء خذله عن ذلك ﴿وممن عاد﴾ يقول : ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجئ الموعظة من الله بالتحريم من قوله ﴿لَنَمَّا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ ﴿فأولئك أصحاب النار هم﴾ يعنى ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار ، يعنى نار جهنم فيها خالدون .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أما الموعظة فالقرآن ، وأما ما سلف فله ما أكل من الربا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٣﴾

يعنى عز وجل بقوله ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ : ينقص الله الربا فيذهب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ قال : ينقص ، وهذا نظير الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فإِلَى قُلٍّ» . وأما قوله ﴿وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ فإنه جل ثناؤه يعنى : أنه يضعف أجرها لربها ، وينميتها له . وقد بينا معنى الربا قبل والإرباء وما أصله ، بما فيه الكفاية من إعادته .

فإن قال لنا قائل : وكيف إرباء الله الصدقات ؟ قيل : إضعافه الأجر لربها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ

سُنْبِلَةٌ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴿١﴾ وكما قال ﴿٢﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٣﴾ .

وكما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن القاسم أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيَهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةُ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ ﴿٥﴾ وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴿٧﴾ وَيَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴿٨﴾ .

حدثني سنيان بن عمر بن خالد الأقطع ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة ، ولا أراه إلا قد رفعه ، قال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ .

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ المقدمي ، قال : ثنا ربحان بن سعيد ، قال : ثنا عباد ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا الطَّيِّبَ ، وَيُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ ، حَتَّى إِنْ اللَّقْمَةُ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ » وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿٩﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴿١٠﴾ .

حدثني محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ تَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ وَيُرَبِّيَهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَصَدَّقُ بِاللَّقْمَةِ فَتَرَبُّو فِي يَدِ اللَّهِ ، أَوْ قَالَ : فِي كَفِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ فَتَصَدَّقُوا » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت يونس ، عن صاحب له ، عن القاسم بن محمد ، قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا ، وَاللَّهُ يُرَبِّي لِأَحَدِكُمْ لُقْمَتَهُ ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ وَفَصِيلَهُ ، حَتَّى يُوَافِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ » .

وأما قوله ﴿١١﴾ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ فإنه يعني به : والله لا يحب كل مصرّ على كفر بربه ، مقيم عليه ، مستحلّ أكل الربا وإطعامه ، أثيم متماد في الإثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه ، لا ينزجر عن ذلك ، ولا يرعوى عنه ، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيهه وآي كتابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾

❦ وهذا خبر من الله عز وجل بأن الذين آمنوا ، يعني الذين صدقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه ، وعملوا الصالحات التي أمرهم الله عز وجل بها ، والتي ندبهم إليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها ، وأدّوها بسننها ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم ، بعد الذي سلف منهم من أكل الربا ، قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم ، لهم أجرهم ، يعني ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقهم عند ربهم يوم حاجتهم إليه في معادهم ، ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة من ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من إنابتهم ، وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم ، وتصديقهم بوعد الله ووعيده ، ولا هم يحزنون على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى ، وهم على تركهم ما تركوا من ذلك في الدنيا ابتغاء رضوانه في الآخرة ، فوصلوا إلى ما وعدوا على تركه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

❦ يعني جل ثناؤه بذلك : يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله وبرسوله ، اتقوا الله ، يقول : خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به ، والانتفاء عما نهاكم عنه ، وذرّوا ، يعني ودعوا ما بقي من الربا ، يقول : اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رعوس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها إن كنتم مؤمنين ، يقول : إن كنتم محققين لإيمانكم قولاً ، وتصديقكم بأفعالكم . وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا ، ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم ، فكانوا قد قبضوا بعضه منهم ، وبقي بعض ، فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية ، وحرّم عليهم اقتضاء ما بقي منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِلَى وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ قال : نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية ، سلفا في الربا إلى أناس من ثقيف من

بنو عمرو ، وهم بنو عمرو بن عمير ، فجاء الإسلام ولهم أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله ﴿ذَرُّوا مَا بَقِيَ﴾ من فضل كان في الجاهلية ﴿مِنَ الرِّبَا﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال : كانت ثقيف قد صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن ما لهم من ربا على الناس ، وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع ، فلما كان الفتح ، استعمل عتاب بن أسيد على مكة ، وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من بني المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية ، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير ، فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم ، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الإسلام ، ورفعوا ذلك إلى عتاب بن أسيد ، فكتب عتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله إلى ﴿وَلَا تَظْلِمُونَ﴾ . فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتاب وقال : «إِنْ رَضُوا وَإِلَّا فَادْنِهِمْ بِحَرْبٍ» قال ابن جريج ، عن عكرمة قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ قال : كانوا يأخذون الربا على بني المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبداليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير ، فهم الذين كان لهم الربا على بني المغيرة ، فأسلم عبداليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال : كان ربا يتبايعون به في الجاهلية ، فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رعوس أموالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿يعني جل ثناؤه بقوله﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا ﴿فإن لم تذرُوا ما بقي من الربا .

واختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فقرأته عامة قراء أهل المدينة ، ﴿فَأْذَنُوا﴾ بقصر الألف من فاذنوا وفتح ذالها ، بمعنى كونوا على علم وإذن . وقرأه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين ﴿فَأْذَنُوا﴾ بمد الألف من قوله : فاذنوا وكسر ذالها ، بمعنى : فاذنوا غيركم ، أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم .

﴿وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ، قراءة من قرأ ﴿فَأْذَنُوا﴾ بقصر ألفها وفتح ذالها ، بمعنى : أعلموا ذلك واستيقنوه ، وكونوا على إذن من الله عز وجل لكم بذلك . وإنما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبذ إلى من أقام على شركه الذي لا يقر على المقام عليه ، وأن يقتل المرتد عن

الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام ، أذنه المشركون بأنهم على حربيه أو لم يأذنوه ، فإذا كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون كان مشركا مقبلا على شركه الذي لا يقرب عليه ، أو يكون كان مسلما فارتد وأذن بحرب ، فأى الأمرين كان ، فإنما نبذ إليه بحرب ، لأنه أمر بالإيدان بها إن عزم على ذلك ، لأن الأمر إن كان إليه فأقام على أكل الربا مستحلا له ، ولم يؤذن المسلمون بالحرب ، لم يلزمهم حربيه ، وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين ، فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الأذن بها ، وعلى هذا التأويل تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ إلى قوله ﴿ فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فمن كان مقبلا على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع ، وإلا ضرب عنقه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنى أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقال يوم القيامة لا كل الربا : خذ سلاحك للحرب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : ثنى أبي ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴿ أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون ، فجعلهم بهرجاء أبنا ثقفوا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أوعدهم الله بالقتل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس قوله ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله .

وهذه الأخبار كلها تنبئ عن أن قوله ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ إيدان من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل ، لا أمر لهم بإيدان غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَبَسَّمْتُمْ فَلََكُمْ رُعُوسٌ أَمْوَالِكُمْ ﴾

يعنى جل ثناؤه بذلك : إن تبسم فتركتم أكل الربا ، وأنبتم إلى الله عز وجل ، فلكم رُعُوسٌ أموالكم من الديون التي لكم على الناس دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك ربا منكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَإِنْ تَبَسَّمْتُمْ فَلَكُمْ رُعُوسٌ

(١) بهرجاء : أى مباحة دماؤهم .

أَمْوَالِكُمْ ﴿١﴾ المال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رءُوسَ أموالهم حين نزلت هذه الآية . فأما الربح والفضل فليس لهم ، ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيئا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : وضع الله الربا ، وجعل لهم رءوس أموالهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله ﴿ وَإِنْ تُبْتِئُمْ فَلََكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ قال : ما كان لهم من دين ، فجعل لهم أن يأخذوا رءوس أموالهم ، ولا يزدادوا عليه شيئا .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَإِنْ تُبْتِئُمْ فَلَكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ الذي أسلفتم وسقط الربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الفتح : « أَلَا إِنَّ رَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَأَوَّلُ رَبِّ ابْتَدَى بِهِ رَبِّ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته : « إِنَّ كُلَّ رَبِّ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رَبِّ ابْتَدَى بِهِ رَبِّ الْعَبَّاسِ » .
القول في تأويل قوله ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

يعنى بقوله ﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بأخذكم رءوس أموالكم التي كانت لكم قبل الإرباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التي زدتموها ربا على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم ، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه ، أو لم يكن لكم قبل ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ يقول : ولا الغريم الذي يعطيكم ذلك دون الربا الذي كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة في الأجل ببخسكم حقا لكم عليه فيمنعكموه ، لأن ما زاد على رءوس أموالكم ، لم يكن حقا لكم عليه ، فيكون بمنعه إياكم ذلك ظلما لكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿ وَإِنْ تُبْتِئُمْ فَلَكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ فربون ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فتتقصون .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ فَلَكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ قال : لاتتقصون من أموالكم ، ولا تأخذون باطلا لا يحل لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ كَانَتْ دُورُ قَرْفَظَةٍ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يعنى جل ثناؤه بذلك : وإن كان ممن تقبضون منه من غرمائكم برءوس أموالكم ذو عشرة ، يعنى معسرا برءوس أموالكم التى كانت لكم عليهم قبل الإرباء ، فأنظروهم إلى ميسرتهم ، وقوله ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ مرفوع بكان ، فالخبر متروك ، وهو ما ذكرنا ، وإنما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب أخبارها ، ولو وجهت كان فى هذا الموضع إلى أنها بمعنى الفعل المكتفى بنفسه التام ، لكان وجهها صحيحا ، ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر ، فيكون تأويل الكلام عند ذلك : وإن وجد ذو عشرة من غرمائكم برءوس أموالكم ، فنظرة إلى ميسرة .

وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب ﴿وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ﴾ بمعنى : وإن كان الغريم ذا عُسْرَةٍ فنظرة إلى ميسرة ، وذلك وإن كان في العربية جائزا فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين .

وأما قوله ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ فإنه يعنى : فعليكم أن تنظروه إلى ميسرة ، كما قال ﴿فَنَظَرْنَا مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل ، فأغنى عن تكريره ، والميسرة : المفعلة من اليسر ، مثل المرحمة والمشامة .
ومعنى الكلام : وإن كان من غرمائكم ذو عسرة ، فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما ليس لكم ، فيصير من أهل اليسر به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : نزلت في الربا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا هشام ، عن ابن سيرين ، أن رجلا خاصم رجلا إلى شريح قال : فقضى عليه ، وأمر بحبسه ، قال : فقال رجل عند شريح : إنه معسر ، والله يقول في كتابه ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : فقال شريح : إنما ذلك في الربا ، وإن الله قال في كتابه ﴿وَإِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعتد بنا عليه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : ذلك في الربا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن الحسن ، أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق ، فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول : أي فلان إن كنت موسرا فأد ، وإن كنت معسرا فإلى ميسرة .

(١) كذا في الأصل ، ولعل « ايض » زائدة من الناسخ .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : جاء رجل إلى شريح ، فكلمه ، فجعل يقول : إنه معسر ، إنه معسر ، قال : فظننت أنه يكلمه في محبوس ، فقال شريح : إن الربا كان في هذا الحى من الأنصار ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذّبنا عليه ، أدّوا الأمانات إلى أهلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : فنظرة إلى ميسرة برأس ماله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إنما أمر في الربا أن ينظر المعسر ، وليست النظرة في الأمانة ، ولكن يؤدّى الأمانة إلى أهلها .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ برأس المال ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يقول : إلى غنى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ هذا في شأن الربا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ هذا في شأن الربا ، وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون ، فلما أسلم من أسلم منهم ، أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يعني المطلوب .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : الموت .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن محمد بن علي ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : هذا في الربا .

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم في الرجل يتزوج إلى الميسرة ، قال : إلى الموت أو إلى فرقة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ قال : ذلك في الربا .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد ﴿ فَتَنْظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ قال : يؤخره ولا يزد عليه ، وكان إذا حلّ دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره .
وحدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ قال : يؤخره ولا يزد عليه .
وقال آخرون : هذه الآية عامة في كل من كان له قبل رجل معسر حق من أى جهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : من كان ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ؛ قال : وكذلك كل دين على مسلم ، فلا يحل لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة أن يسجنه ولا يطلبه حتى يسره الله عليه ، وإنما جعل النظرة في الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك .

حدثني علي بن حرب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ قال : نزلت في الدين .

والصواب من القول في قوله ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ أنه معنى به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها في الجاهلية ، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم ، فأمر الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا ، وبقبض رءوس أموالهم ، ممن كان منهم من غرمائهم موسرا ، وإنظار من كان منهم معسرا برءوس أموالهم إلى ميسرتهم ، فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريم له ، فإن الإسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قبيل الربا ، ويلزمه أداء رأس ماله الذي كان أخذه منه ، أولزمه من قبل الإرباء إليه إن كان موسرا ، وإن كان معسرا كان منظرا برأس مال صاحبه إلى ميسرته ، وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه ، غير أن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا وإياهم عنى بها ، فإن الحكم الذي حكم الله به من إنظاره المعسر برأس مال المرابي بعد بطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حلّ عليه ، وهو بقضائه معسر في أنه منظر إلى ميسرته ، لأن دين كل ذي دين في مال غريمه وعلى غريمه قضاؤه منه لافى رقبته ، فاذا عدم ماله ، فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع ، وذلك أن مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة : إما أن يكون في رقبة غريمه ، أو في ذمته يقضيه من ماله ، أو في مال له بعينه ؛ فإن يكن في مال له بعينه ، فبطل ذلك المال وعدم ، فقد بطل دين رب المال ، وذلك ما لا يقوله أحد ويكون في رقبته ، فإن يكن كذلك فبطلت نفسه ، فقد بطل دين رب الدين ، وإن خلف الغريم وفاء بحقه وأضعاف ذلك ، وذلك أيضا لا يقوله أحد ، فقد تبين إذ كان ذلك كذلك أن دين رب المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله ، فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته ، لأنه قد عدم ما كان عليه أن يؤدي منه حق

Marfat.com

تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ ۖ يَعْنِي عَلَى الْمَعْسَرِ ، فَأَمَّا الْمَوْسِرُ فَلَا ، وَلَكِنْ يُوْخِذُ مِنْهُ رَأْسُ الْمَالِ ، وَالْمَعْسَرُ الْأَخْذُ مِنْهُ حَلَالٌ ، وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك : وَأَنْ تَصَدَّقُوا بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ نَظَرَةٍ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، فَاخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الصَّدَقَةَ عَلَى النَّظَرَةِ .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ قَالَ : مِنَ النَّظَرَةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .
حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَالنَّظَرَةُ وَاجِبَةٌ ، وَخَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الصَّدَقَةَ عَلَى النَّظَرَةِ ، وَالصَّدَقَةُ لِكُلِّ مَعْسَرٍ ، فَأَمَّا الْمَوْسِرُ فَلَا .

﴿وَأُولَى التَّأْوِيلِ﴾ بِالصَّوَابِ ، تَأْوِيلٌ مِنْ قَالَ مَعْنَاهُ : وَأَنْ تَصَدَّقُوا عَلَى الْمَعْسَرِ بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِأَنَّهُ يَلِي ذِكْرَ حِكْمِهِ فِي الْمَعْنِينَ ، وَالْحَاقَّةُ بِالَّذِي يَلِيهِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ لِحَاقَهُ بِالَّذِي بَعْدَ مِنْهُ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي أَحْكَامِ الرِّبَا هُنَّ آخِرُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب قال : كَانَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةُ الرِّبَا ، وَإِنْ نَبَى اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبُضَ قَبْلَ أَنْ يَفْسِرَهَا ، فَدَعَا الرِّبَا وَالرِّبِيَّةَ .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عمر رضي الله عنه قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا أَدْرَى ، لَعَلَّنَا نَأْمُرُكُمْ بِأَمْرٍ لَا يَصْلِحُ لَكُمْ ، وَمَا أَدْرَى لَعَلَّنَا نَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرٍ يَصْلِحُ لَكُمْ ، وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ آخِرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلَ آيَاتِ الرِّبَا ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَبَيِّنَهُ لَنَا ، فَدَعَا مَا يَرِيكُمْ إِلَى مَا لَا يَرِيكُمْ .

حدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن الأحول ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، قال : آخِرُ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةُ الرِّبَا ، وَإِنَّا لَنَأْمُرُ بِالشَّيْءِ لَا نَدْرِي لَعَلَّ بِهِ بَأْسٌ ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّيْءِ لَعَلَّهُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

وقيل : هذه الآية أيضا آخر آية نزلت من القرآن .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ،

عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ . . . الآية ، فهي آخر آية من الكتاب أنزلت .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا إسماعيل بن سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك بن مغول ، عن عطية ،
قال : آخر آية نزلت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن السدي ، قال : آخر آية نزلت
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سلمان ، عن الضحاك ، عن
ابن عباس وحجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : آخر آية نزلت من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا
تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . قال ابن جريج :
يقولون ، إن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال ، وبدأ يوم السبت ، ومات يوم الاثنين .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : ثني سعيد
ابن المسيب ، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين ،

يعني بذلك جل ثناؤه : واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه أن تردوا عليه بسيئات
هلككم ، أو بمخزيات تخزيكم ، أو بفضيحات تفضحكم ، فتهتك أستاركم ، أو بموكلات توبقكم ، فتوجب لكم
من عقاب الله ما لا قبل لكم به ، وإنه يوم مجازاة الأعمال لا يوم استعتاب ، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة ،
ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة ، توفي فيه كل نفس أجراها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح ،
لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضرت ، فتوفي جزاءها بالعدل من ربها ، وهم لا يظلمون ،
كيف يظلم من جوزى بالإساءة مثلها وبالحسنه عشر أمثالها ، كلا بل عدل عليك أيها المسمى ، وتكرم عليك
فأفضل وأسبغ أيها المحسن ، فاتق امرؤ ربه ، فأخذ منه حذره وراقبه أن يهجم عليه يومه ، وهو من
الأوزار ظهره ثقيل ، ومن صالحات الأعمال خفيف ، فانه عز وجل حذر فأعذر ، ووعظ فأبلغ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَادَيْنَا بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكُنُوبُهُ وَلِيَكُنَّ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ
بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلِيُمِلَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ
اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ
هُوَ فَلْيُمِلَّ رَبُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ

(١) يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه ، ثم خرج لهم يوم السبت .

وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ يَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه﴾ : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذا تداينتم ، يعني إذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به ، أو تعاطيتم ، أو أخذتم به إلى أجل مسمى ، يقول : إلى وقت معلوم وقتموه بينكم ، وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل مجاز . السلم شري أجل بيعه^١ يصير ديناً على بائع ما أسلم إليه فيه ، ويحتمل بيع الحاضر الجائز بيعه من الأملاك بالأثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة إلى أجل مسمى إذا كانت آجالها معلومة بحد موقوف عليه ، وكان ابن عباس يقول : نزلت هذه الآية في السلم خاصة .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى الرملي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال ابن عباس في ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى﴾ قال : السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم .

حدثني محمد بن عبد الله المحرمي ، قال : ثنا يحيى بن الصامح ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عباس في ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ قال : نزلت في السلم في كيل معلوم إلى أجل معلوم .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية ﴿إذا تداينتم بدين﴾ إلى أجل مسمى فاكْتُبُوهُ ﴿في السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حيان التيمي ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ إلى أجل مسمى ﴿في السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي حيان ، عن ابن

(١) في الأصل : شري أجل بيعه . . . الخ

عباس ، قال : أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله عز وجل قد أحله ، وأذن فيه ، ، ويتلو هذه الآية ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

فإن قال قائل : وما وجه قوله ﴿ بِدَيْنٍ ﴾ وقد دلّ بقوله ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ عليه ، وهل تكون مذانية بغير دين ، فاحتج إلى أن يقال بدین ؟ قيل : إن العرب لما كان مقولا عندها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الأخذ والإعطاء بدین ، أبان الله بقوله بدین ، المعنى الذى قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه ، وأعلمهم أنه حكم الدين دون حكم المجازاة .

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاصْتَبُوهُ ﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ فَاصْتَبُوهُ ﴾ فاصتوبوا الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض .

واختلف أهل العلم في اكتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ، هل هو واجب أو هو نذوب ؟ فقال بعضهم : هو حق واجب ، وفرض لازم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوهُ ﴾ قال : من باع إلى أجل مسمى أمر أن يكتب صغيرا كان أو كبيرا إلى أجل مسمى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوهُ ﴾ قال : فن ادان دينا فليكتب ، ومن باع فليشهد حدثني المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوهُ ﴾ فكان هذا واجبا .

وحدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله ، وزاد فيه : قال : ثم قامت الرخصة والسعة ، قال ﴿ فَإِنْ آمِنَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَسْتَقْرِ اللَّهُ رَبَّهُ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن أباسليمان المرعشي كان رجلا صعب كعها فقال ذات يوم لأصحابه : هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له ، قالوا : وكيف يكون ذلك ؟ قال : رجل باع شيئا فلم يكتب ولم يشهد ، فلما حلّ ماله جحدته صاحبه ، فدعا ربه ، فلم يستجب له ، لأنه قد عصى ربه .

وقال آخرون : كان اكتاب الكتاب بالدين فرضا ، ففسخه قوله ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي ، قال : لا بأس إذا أمنت أن لا تكتب ، ولا تشهد لقوله ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ قال ابن عينة : قال ابن شبرمة عن الشعبي : إلى هذا انتهى .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلغ هذا المكان ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ فليؤدّ الذي أوْتُمِنَ أمانته . قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يآتمن صاحبه فليآتمنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن الشعبي ، قال : إن آتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : فكانوا يرون أن هذه الآية ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال غير عطاء : نسخت الكتاب والشهادة ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نسخ ذلك قوله ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ فليؤدّ الذي أوْتُمِنَ أمانته . قال : فلولوا هذا الحرف لم يبيح لأحد أن يدان بدين إلا بكتاب وشهداء ، أو برهن ، فلما جاءت هذه نسخت هذا كله ، صار إلى الأمانة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، قال : سألت الحسن قلت : كل من باع يبيعا ينبغي له أن يشهد؟ قال : ألم تر أن الله عز وجل يقول ﴿ فليؤدّ الذي أوْتُمِنَ أمانته ﴾ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر في هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلغ هذا المكان ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ فليؤدّ الذي أوْتُمِنَ أمانته . قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يآتمن صاحبه فليآتمنه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي في قوله ﴿ فَإِنْ آمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ قال : إن أشهدت فحزم ، وإن لم تشهد ففي حلّ وسعة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : قلت للشعبي : أرايت الرجل

يستدين من الرجل الشيء ، أحتم عليه أن يشهد ؟ قال : فقرأ إلى قوله ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ﴾ قد نسخ ما كان قبله .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا محمد بن مروان العقيلي ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، أنه قرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال : فقرأ إلى ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ﴾ قال : هذه نسخت ما قبلها .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وليكتب كتاب الدين إلى أجل مسمى بين الدائن والمدين كاتب بالعدل ، يعنى بالحق والإنصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما ، بما لا يحيف ذا الحق حقه ، ولا يبخسه ، ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ، ولا يلزمه ما ليس عليه .

كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ قال : اتقى الله كاتب في كتابه ، فلا يدعن منه حقا ، ولا يزيدن فيه باطلا .

وأما قوله ﴿ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ فإنه يعنى : ولا يأتين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين ، كما علمه الله كتابته ، فخصه بعلم ذلك ، وحرمة كثيرا من خلقه . وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب ذلك نظير اختلافهم في وجوب الكتاب على الذي له الحق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ ﴾ قال : واجب على الكاتب أن يكتب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء قوله ﴿ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ أوجب أن لا يأتي أن يكتب ؟ قال : نعم ، قال ابن جريج وقال مجاهد : واجب على الكاتب أن يكتب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قوله ﴿ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ قال : إذا لم يجدوا كاتباً فدعيت فلا تأب أن تكتب لهم .

ذكر من قال : هي منسوخة

قد ذكرنا جماعة ممن قال : كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها ، وأذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعاني .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ﴾ قال : كانت عزيمة فانسختها ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿فَكَانَ هَذَا وَاجِبًا عَلَى الْكِتَابِ﴾ .

وقال آخرون : هو على الوجوب ، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿يَقُولُ : لَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ إِنْ كَانَ فَارِغًا﴾ .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله عز وجل أمر المتدائنين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل ، وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد ونذب ، ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأتي كتابة ذلك ندب وإرشاد ، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ، ومن ضيعه منهم كان حرجا بتضييعه . ولا وجه لاعتلال من اعتل بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به ، حيث لا سبيل إلى الكتاب ، أو إلى الكاتب فأما الكتاب والكاتب موجودان ، فالفرض إذا كان الدين إلى أجل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْفَرْضُ إِذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ﴾ فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ ناسخا قوله ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ فَاكْتُبُوهُ﴾ ، وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴿لَوْ جَبَّ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴿نَاسِخًا الْوَضُوءَ بِالْمَاءِ فِي الْخَضَرِ عِنْدَ وَجُودِ الْمَاءِ فِيهِ﴾ ، وَفِي السَّفَرِ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ وَأَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ فِي كَفَّارَةِ الظَّهَارِ ﴿فَمَنْ كَمَّ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ نَاسِخًا قَوْلِهِ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَى﴾ فَيَسْتَلِ الْقَائِلُ إِنْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ نَاسِخًا قَوْلَهُ ﴿إِذَا

تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُتِبُوهُ ۖ مَا لَفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَائِلِ فِي التِّيمَمِ مَا ذَكَرْنَا قَوْلَهُ؟
 فزعم أن كل ما أبيح في حال الضرورة لعل الضرورة ، ناسخ حكمه في حال الضرورة حكمه في كل أحواله
 نظير قوله في أن الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخ بقوله ۖ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا
 كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۚ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ ۚ
 ۖ فَإِنْ قَالَ : الفرق بيني وبينه أن قوله ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ كلام منقطع عن قوله ۖ وَإِنْ
 كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۚ وقد انتهى الحكم في السفر إذا عدم فيه الكاتب
 بقوله ۖ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۚ وإنما عني بقوله ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ إذا تداينتم بدين إلى أجل
 مسمى ، فأمن بعضكم بعضا ، فليؤد الذي أوتى أمانته ، قيل له : وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس
 وقد انقضى الحكم في الدين الذي فيه إلى الكاتب والكتاب سبيل بقوله ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۚ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ۚ . وأما الذين زعموا أن قوله ۖ فَاكْتُتِبُوهُ ۚ وقوله ۖ وَلَا يَأْتِي كَاتِبٌ ۚ على وجه الندب
 والإرشاد ، فإنهم يسئلون البرهان على دعواهم في ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذي أمر
 في كتابه ، ويسئلون الفرق بين ما ادّعوا في ذلك وأنكروه في غيره ، فلم يقولوا في شيء من ذلك قولا إلا
 ألزموا بالآخر مثله .

ذكر من قال العدل في قوله ۖ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ الحق ١ .
 القول في تأويل قوله تعالى : ۖ وَلْيَكْتُمِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ
 يعني بذلك : فليكتب الكاتب ، وليمل الذي عليه الحق ، وهو الغريم المدين ، يقول : ليتول المدين
 إملال كتاب ما عليه من دين رب المال على الكاتب ، وليتق الله ربه الممل الذي عليه الحق ، فليحذر
 عقابه في بخس الذي له الحق من حقه شيئا ، أن ينقصه منه ظلما ، أو يذهب به منه تعديا فيؤخذ به ، حيث
 لا يقدر على قضائه إلا من حسناته ، أو أن يتحمل من سيئاته .

كما حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ۖ فَلْيَكْتُمِلِ وَلْيَكْتُبْ
 الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ۚ فكان هذا واجبا ۖ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ يقول :
 لا يظلم منه شيئا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ۖ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ
 قال : لا ينقص من حق هذا الرجل شيئا إذا أمل .

القول في تأويل قوله تعالى : ۖ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ
 هُوَ فَلْيُكْمِلِ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ ۚ يعني بقوله جل ثناؤه ۖ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً ۚ
 فإن كان المدين الذي عليه المال سفيها ، يعني جاهلا بالصواب في الذي عليه أن يمله على الكاتب :

(١) كذا في النسخ ، ولم يذكر أحدا من قال بهذا .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً﴾** أما السفيه : فالجاهل بالإملاء والأمور . **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً﴾** وقال آخرون : بل السفيه في هذا الموضع : الذي عناه الله : الطفل الصغير . ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً﴾** أما السفيه : فهو الصغير .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً أَوْ ضَعِيفًا﴾** قال : هو الصبي الصغير ، فليمل وليه بالعدل . **﴿وَأُولَى التَّأْوِيلِينَ بِالآيَةِ﴾** تأويل من قال : السفيه في هذا الموضع : الجاهل بالإملاء . وموضع صواب ذلك من خطئه لما قد بينا قبل من أن معنى السفه في كلام العرب : الجهل .

وقد يدخل في قوله **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً﴾** كل جاهل بصواب ما يمل من خطئه من صغير وكبير ، وذكر وأنثى . غير أن الذي هو أولى بظاهر الآية أن يكون مراداً بها كل جاهل بموضع خطأ ما يمل وصوابه من بالغى الرجال ، الذين لا يولى عليهم ، والنساء ، لأنه أجل ذكره ابتداء الآية بقوله **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَيَّنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** والصبي ومن يولى عليه لا يجوز مداينته ، وأن الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرهم بالإملاء كتاب الدين مع السفيه الضعيف ، ومن لا يستطيع إملاؤه ، ففي فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه ، ومن لا يستطيع إملاء الكتاب في الصفة التي وصف بها كل واحد منهم ما أنبا عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين بين الله صفاتهم غير الضعيفين الآخرين . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعيف هو ذو القوة على الإملاء . غير أنه وضع عنه فرض الإملاء بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه . وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاؤه ، وإن كان شديداً رشيداً إما لعي لسانه أو خرس به . وأن الموصوف بأنه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من إملاؤه . إما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه ، وإما لغيبته عن موضع الإملاء فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملاء الكتاب . فوضع الله عنهم فرض إملاء ذلك للعلل التي وصفنا إذا كانت بهم ، وعذرهم بترك الإملاء من أجلها . وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ، ولي الحق بإملاؤه فقال **﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَاً أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَفْهِعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُكْتَلِّمْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ﴾** يعني ولي الحق .

ولا وجه لقول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الصغير ، وأن الضعيف هو الكبير الأحمق . لأن ذلك إن كان كما قال يوجب أن يكون قوله **﴿أَوْ لَا يَسْتَفْهِعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ﴾** هو العاجز من الرجال العقلاء الجائزى الأمر في أموالهم وأنفسهم عن الإملاء ، إما لعله بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان ذلك كذلك معناه ، بطل معنى قوله **﴿فَلْيُكْتَلِّمْ وَلِيَهُ﴾**

بالعدل ﴿لأن العاقل الرشيد لا يولى عليه في ماله وإن كان أخرس أو غائبا ، ولا يجوز حكم أحد في ماله إلا بأمره . وفي صحة معنى ذلك ما يقضى على فساد قول من زعم أن السفیه في هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الأحمق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يميل هو ، فليُملل وليه بالعدل﴾ يقول : ولي الحق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يميل هو ، فليُملل وليه بالعدل﴾ قال : يقول : إن كان عجز عن ذلك أمل صاحب الدين بالعدل .

ذكر الرواية عن قال : عن بالضعيف في هذا الموضع : الأحمق ، وبقوله ﴿فليُملل وليه بالعدل﴾ ولي السفیه والضعيف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يميل هو﴾ قال : أمر ولي السفیه أو الضعيف أن يمل بالعدل .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما الضعيف ، فهو الأحمق . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أما الضعيف فالأحمق .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا﴾ لا يعرف فيثبت لهذا حقه ويجهل ذلك ، فوليه بمنزلة حتى يضع لهذا حقه ، وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب في ذلك .

وأما قوله ﴿فليُملل وليه بالعدل﴾ فإنه يعني بالحق .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : واستشهدوا على حقوقكم شاهدين ، يقال : فلان شهيدى على هذا المال وشاهدى عليه . وأما قوله ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فإنه يعني من أحراركم المسلمين دون عبيدكم ، ودون أحراركم الكفار .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال : الأحرار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا على بن سعيد ، عن هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ .
يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن لم يكونا رجلين ، فليكن رجل وامرأتان على الشهادة ، ورفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون ، وإن شئت قلت : فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك ، وإن شئت فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه ، وإن قلت : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كان صوابا كل ذلك جائز ، ولو كان فرجل وامرأتان نصبا كان جائزا على تأويل : فإن لم يكونا رجلين ، فاستشهدوا رجلا وامرأتين ، وقوله ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ يعنى من العدول المرتضى دينهم وصلاحيهم .

كما حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يقول في الدين ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ وذلك في الدين ممن ترضون من الشهداء . يقول : عدول .

حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق . قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير . عن الضحاك ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أمر الله عز وجل أن يشهدوا ذوى عدل من رجالهم ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ .

اختلفت القراء في قراءة ذلك . فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ بفتح الألف من أن ونصب تضل وتذكر . بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كى تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت . وهو عندهم من المقدم الذى معناه التأخير . لأن التذكير عندهم هو الذى يجب أن يكون مكان تضل . لأن المعنى ما وصفنا في قولهم وقالوا : إنما نصبنا تذكر . لأن الجزاء لما تقدم اتصل بما قبله . فصار جوابه مردودا عليه كما تقول في الكلام إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى . بمعنى أنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل . أو إذا سأل ، فالذى يعجبك هو الإعطاء دون المسئلة . ولكن قوله أن يسأل لما تقدم اتصل بما قبله . وهو قوله : ليعجبني فتح أن ونصب بها . ثم أتبع ذلك قوله : يعطى . فنصبه بنصب قوله : ليعجبني أن يسأل ، نسقا عليه ، وإن كان في معنى الجزاء .

وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرءونه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها ، وقارنوا ذلك بذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم إياه كذلك . وكان بعضهم يوجهه إلى أن معناه فتصير إحداهما الأخرى ذكرا باجتماعهما . بمعنى أن شهادتهما إذا اجتمعت ، وشهادة صاحبتهما جازت . كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين . لأن شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون إلا باجتماع اثنين على شهادة واحد . فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور ، فكأن كل واحدة منهما في قول متأولى ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتهما معها ذكرا ، وذهب إلى قول العرب لقد

أذكرت بفلان أمه ، أي ولدته ذكراً ، فهي تذكر به ، وهي امرأة مذكورة إذا كانت تلد الذكور من الأولاد ، وهذا قول يروي عن سفيان بن عيينة أنه كان يقوله .

حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال : حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس تأويل قوله ﴿ فَتُذَكِّرْ أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ من الذكر بعد النسيان إنما هو من الذكر ، بمعنى أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر .

وقال آخرون منهم : يوجهونه إلى أنه بمعنى الذكر بعد النسيان .

وقرأ ذلك آخرون ﴿ إِنْ تَضِلُّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ بكسر إن من قوله : ﴿ إِنْ تَضِلُّ ﴾ ورفع ﴿ تُذَكِّرْ ﴾ وتشديده ، كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان ، إن نسيت إحداها شهادتها تذكرها الأخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك ، وانقطاع ذلك عما قبله .

ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، فإن إحداها إن ضلت ذكرتها الأخرى على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداها شهادتها من تذكير الأخرى منهما صاحبها الناسية ، وهذه قراءة كان الأعمش يقرؤها ومن أخذها عنه ، وإنما نصب الأعمش تضل لأنها في محل جزم بحرف الجزاء ، وهو أن تأويل الكلام على قراءته : إِنْ تَضِلُّ ، فلما اندغمت إحدى اللامين في الأخرى حركها إلى أخف الحركات ورفع تذكر بالفاء ، لأنه جواب الجزاء .

والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح أن من قوله ﴿ إِنْ تَضِلُّ إِحْدَاهُمَا ﴾ وبتشديد الكاف من قوله ﴿ فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ونصب الراء منه ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كي إن ضلت إحداها ذكرتها الأخرى ، وأما نصب فتذكر فبالعطف على تضل ، وفتحت أن بجلولها محل كي ، وهي في موضع جزاء ، والجواب بعده اكتفاء بفتحها ، أعني بفتح أن من كي ونسق الثاني ، أعني فتذكر على تضل ، ليعلم أن الذي قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر قد دل عليه وأدّى عن معناه وعمله ، أي عن كي ، وإنما اخترنا ذلك في القراءة لإجماع الحجة من قدماء القراء والمتأخرين على ذلك ، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ، ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم إلى غيرها ، وأما اختيارنا فتذكر بتشديد الكاف ، فإنه بمعنى تأدية الذكر من إحداها على الأخرى ، وتعريفها بإنهاء ذلك لتذكر ، فالتشديد به أولى من التخفيف .

وأما ما حكى عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه ، فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى : أحدها : أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل . والثاني : أنه معلوم بأن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها إنما هو خطوها عنها بنسيانها إياها كضلال الرجل في دينه إذا تحير فيه ، فعدل عن الحق ، وإذا صارت إحداها بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها ، فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لاشك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الإذكار ، إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبها عن ذكر شهادتها مستعجراً على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته ، فقوتها بالذكر حتى

صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك ، كما يقال للشئ القوي في عمله ذكر ، وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ، ورجل ذكر ، يراد به ماض في عمله ، قوي البطش ، صحيح العزم . فإن كان ابن عيينة هذا أراد ، فهو مذهب من مذاهب تأويل ذلك : إلا أنه إذا تأول ذلك كذلك ، صار تأويله إلى نحو تأويلنا الذي تأولناه فيه ، وإن خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بأن تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله : فتذكر ، ولا نعلم أحدا تأول ذلك كذلك ، ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى .

فالصواب في قوله إذا كان الأمر عاما على ما وصفنا : ما اخترنا . ذكر من تأول قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ نحو تأويلنا الذي قلنا فيه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ علم الله أن ستكون حقوق ، فأخذ لبعضهم من بعض الثقة ، فخذوا بثقة الله ، فإنه أطوع لربكم ، وأدرك لأموالكم ، ولعمري لئن كان تقيا لا يزيد الكتاب إلا خيرا ، وإن كان فاجرا فبالخبر أن يؤدي إذا علم أن عليه شهودا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ يقول : أن تنسى إحداها فتذكرها الأخرى . حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ يقول : تنسى إحداها الشهادة فتذكرها الأخرى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ يقول : إن تنس إحداها ، تذكرها الأخرى . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ قال : كلاهما لغة وهما سواء ، ونحن نقرأ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذًا مَا دُعُوا﴾ .

اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن إتياء الإجابة إذا دعوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : معناه : لا يأت الشهاداء أن يجيبوا إذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذًا مَا دُعُوا﴾ كان الرجل يطوف في الحوائط العظم في القوم ، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم ، قال : وكان قتادة يتأول هذه الآية : ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذًا مَا دُعُوا﴾ ليشهدوا للرجل على رجل .

(١) الحوائط بوزن كتاب : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا ، فلا يتبعه أحد منهم ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : لا تأب أن تشهد إذا ما دعيت إلى شهادة .

وقال آخرون : بمثل معنى هؤلاء ، إلا أنهم قالوا : يجب فرض ذلك على من دعى للإشهاد على الحقوق إذا لم يوجد غيره ، فأما إذا وجد غيره ، فهو في الإجابة إلى ذلك مخير إن شاء أجاب وإن شاء لم يجب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : ﴿ لَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : إن شاء شهد ، وإن شاء لم يشهد ، فإذا لم يوجد غيره شهد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا يأتب الشهداء إذا ما دعوا للشهادة على من أراد الداعي إشهاده عليه ، والقيام بما عنده من الشهادة من الإجابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عامر ، عن الحسن ، ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : قال الحسن : الإقامة والشهادة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر في قوله ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : كان الحسن يقول : جمعت أمرين لا تأب إذا كانت عندك : شهادة أن تشهد ، ولا تأب إذا دعيت إلى شهادة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا يعني من احتيج إليه من المسلمين شهد على شهادة إن كانت عنده ، ولا يحل له أن يأتي إذا ما دعى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : لإقامتها ، ولا يبدأ بها إذا دعاه ليشهده ، وإذا دعاه ليقيمها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يأتب الشهداء إذا ما دعوا للقيام بالشهادة التي عندهم للداعي من إجابته إلى القيام بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ﴿ وَلَا يَأْتِبَ الشَّهَدَاءُ ﴾ إذا ما دُعُوا قال : إذا شهد .

(١) أي لا ينبغي إذا دعى للشهادة أن يلفظ بالبداء وهو فحش القول الدال على كراهيته الشهادة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** يقول : إذا كانوا قد أشهدوا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : إذا كانت عندك شهادة فدعيت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد في قوله **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : إذا كانت شهادة فأقمها ، فإذا دعيت لتشهد ، فإن شئت فاذهب ، وإن شئت فلا تذهب .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا عبد الملك بن الصباح ، عن عمران بن حدير ، قال : قلت لأبي مجلز : ناس يدعونني لأشهد بينهم ، وأنا أكره أن أشهد بينهم ، قال : دع ما تكره ، فإذا شهدت فأجب إذا دعيت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، قال : الشاهد بالخيار ما لم يشهد حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن عكرمة في قوله **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : لإقامة الشهادة .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي عامر ، عن عطاء قال في إقامة الشهادة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو عامر المزني ، قال : سمعت عطاء يقول ذلك في إقامة الشهادة ، يعني قوله **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو مرة ، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال : أدعى إلى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها ، قال : فلا تجب إن شئت .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، قال : سألت إبراهيم قلت : أدعى إلى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى ، قال : فلا تشهد إن شئت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عامر ، عن عطاء ، قال : للإقامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : إذا كانوا قد شهدوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** قال : هو الذي عنده الشهادة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** يقول : لا يأت الشاهد أن يتقدم فيشهد إذا كان فارغا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء **﴿ولا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذْأَمَّا دُعُوا﴾** .

يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ قَالَ : هم الذين قد شهدوا ، قَالَ : وَلَا يَضُرُّ إِنْسَانًا أَنْ يَأْبَى أَنْ يَشْهَدَ إِنْ شَاءَ ، قُلْتُ لِعَطَاءَ : مَا شَأْنُهُ إِذَا دُعِيَ أَنْ يَكْتُبَ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَأْبَى ، وَإِذَا دُعِيَ أَنْ يَشْهَدَ لَمْ يَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ إِنْ شَاءَ ؟ قَالَ : كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ إِنْ شَاءَ الشَّهْدَاءُ كَثِيرٌ .

حدثني يونس ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ قَالَ : إِذَا شَهِدَ فَلَا يَأْبَ إِذَا دُعِيَ أَنْ يَأْتِيَ يُوْدَى شَهَادَةً وَيَقِيمُهَا .

حدثنا بشر ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ ۖ قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ يَتَأَوَّلُهَا إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فَدُعِيَ لِيَقِيمُهَا .

حدثني يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جَوْبِرٌ ، عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ قَالَ : إِذَا كَتَبَ الرَّجُلُ شَهَادَتَهُ ، أَوْ أَشْهَدَ لِرَجُلٍ فَشَهِدَ ، وَالْكَاتِبُ الَّذِي يَكْتُبُ الْكِتَابَ دَعَا إِلَى مَقْطَعِ الْحَقِّ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَجِيبُوا ، وَأَنْ يَشْهَدُوا بِمَا أَشْهَدُوا عَلَيْهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ بِالْإِجَابَةِ إِذَا دُعِيَ لِيَشْهَدَ عَلَى مَا لَمْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ابْتِدَاءً لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ نَدَبٌ لَا فَرْصَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني أَبُو الْعَالِيَةِ الْعَبْدِيُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ قَالَ : أَمَرْتُ أَنْ تَشْهَدَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَاشْهَدَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَشْهَدَ .

حدثني أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو قَتَيْبَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ الْعَصْرِيِّ ، عَنْ عَطَاءَ ، بِمِثْلِهِ .
وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذَا دُعُوا لِإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ أَوْ حَاكِمٍ يَأْخُذُ مِنَ الَّذِي عَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ لِلَّذِي هُوَ لَهُ .

وَلَمَّا قُلْنَا هَذَا الْقَوْلَ بِالصَّوَابِ أَوَّلَى فِي ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْأَقْوَالِ غَيْرِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ فَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِالْإِجَابَةِ لِلدَّعَاءِ لِلشَّهَادَةِ وَقَدْ أَلْزَمَهُمْ اسْمُ الشَّهْدَاءِ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَلْزَمَهُمْ اسْمُ الشَّهْدَاءِ إِلَّا وَقَدْ اسْتَشْهَدُوا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَشَهِدُوا عَلَى مَا أَلْزَمَهُمْ شَهَادَتُهُمْ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّهْدَاءِ ، فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يَسْتَشْهَدُوا عَلَى شَيْءٍ فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ شَهِدَاءُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْاسْمَ لَوْ كَانَ يَلْزَمُهُمْ وَلَمَّا يَسْتَشْهَدُوا عَلَى شَيْءٍ يَسْتَوْجِبُونَ بِشَهَادَتِهِمْ عَلَيْهِ هَذَا الْاسْمَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ لَهُ عَقْلٌ صَحِيحٌ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ أَنْ يُقَالَ لَهُ شَاهِدٌ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ سَيَشْهَدُ ، أَوْ أَنَّهُ يَصْلَحُ لِأَنْ يَشْهَدَ وَإِنْ كَانَ خَطَأً أَنْ يُسَمَّى بِذَلِكَ الْاسْمِ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ شَهَادَةٌ لغيره ، أَوْ مِنْ قَدْ قَامَ بِشَهَادَتِهِ ، فَلَزِمَهُ لِذَلِكَ هَذَا الْاسْمَ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ ۖ وَلَا يَأْبَ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۖ مِنْ وَصَفْنَا صِفَتَهُ مِمَّنْ قَدْ اسْتَرَعَى شَهَادَةً أَوْ شَهِدَ ، فَدُعِيَ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا ، لِأَنَّ الَّذِي لَمْ يَسْتَشْهَدْ وَلَمْ يَسْتَرَعْ شَهَادَةً قَبْلَ الْإِشْهَادِ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ اسْمَ شَهِيدٍ ، وَلَا شَاهِدٍ لَمَّا قَدْ

وصفنا قبل ، مع أن في دخول الألف واللام في الشهاداء دلالة واضحة على أن المسمى بالنهي عن ترك الإجابة للشهادة أشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة : وأنهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باستشهادهم بقوله ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ . فَإِنْ كُنَّا يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ ﴿١﴾ . وإذا كان ذلك كذلك : كان معلوما أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد ما استشهدوا فشهدوا . ولو كان ذلك أمرا لمن أعرض من الناس فدعى إلى الشهادة يشهد عليها لقليل : ولا ياب شاهد إذا ما دعى ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذي نقول به في الذي يدعى لشهادة ليشهد عليها إذا كان بموضع ليس به سواء ممن يصلح للشهادة : فإن القرض عليه إجابة داعيه إليها كما فرض على الكاتب إذا استكتب بموضع لا كاتب به سواء : ففرض عليه أن يكتب ، كما فرض على من كان بموضع لأحد به سواء يعرف الإيمان وشرائع الإسلام : فحضره جاهل بالإيمان وبفرائض الله فسأله تعليمه ، وبيان ذلك له أن يعلمه ويبينه له ، ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الإجابة للشهادة إذا دعى ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية . ولكن بأدلة سواها : وهي ما ذكرنا ، وقد فرضنا على الرجل إحياء ما قدر على إحيائه من حق أخيه المسلم ، والشهداء : جمع شهيد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تسأموا أيها الذين تدابنون الناس إلى أجل أن تكتبوا صغير الحق ، يعنى قليله أو كبيره : يعنى أو كثيره ، إلى أجله ، إلى أجل الحق ، فإن الكتاب أحصى للأجل والمال :

حدثني الشئ : قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ قال : هو الدين ، ومعنى قوله ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ لا تملوا : يقال منه : سئمت فأنا أسأم سامة وسامة ، ومنه قول لبيد :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف ليبد

ومنه قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا لأبنا لك يسأم

يعنى ملئت :

وقال بعض نحوي البصريين : تأويل قوله ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ إلى أجل الشاهد : ومعناه : إلى الأجل الذي تجوز شهادته فيه : وقد بينا القول فيه .

(١) قال في اللسان : سئمت منه يسأم سامة وسامة (بالتسكين) وسامة وسامة : على ما والناس : قال سيويه : الأصل في الناس : الأناس مخففا ، فجعلوا الألف واللام عوضا من الهمزة ، وقد قالوا : الأناس : قال الشاعر :

إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا

والناس : اسم جمع ليس له واحد من لفظه ، ولذلك قال في الإشارة إليه هذا ، ويجوز أن تقول في الكلام : هذا الناس ومؤلاه الناس . (٢) هذا البيت من معلقة زهير (مختار الشعر الجاهل ص ٢٣٣) . والتكاليف : المشقات والشدائد .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله : ذلکم اکتساب کتاب الدین إلى أجله ، ويعنى بقوله أقسط : أعدل عند الله ، يقال منه : أقسط الحاكم فهو يقسط إقساطا وهو مقسط ، إذا عدل في حكمه ، وأصاب الحق فيه ، فإذا جار ، قيل قسط فهو يقسط قسوطا ، ومنه قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ يعنى الجاثرون .

وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول : أعدل عند الله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأصوب للشهادة ، وأصله من قول القائل : أقمته من عوجه ، إذا سويته فاستوى ، وإنما كان الكتاب أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه ، لأنه يحوى الألفاظ التي أقربها البائع والمشتري ورب الدين والمستدين على نفسه ، فلا يقع بين الشهود اختلاف في ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب ، وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك ، كان فصل الحكم بينهم أيسر لمن احتكم إليه من الحكام ، مع غير ذلك من الأسباب ، وهو أعدل عند الله ، لأنه قد أمر به ، واتباع أمر الله لاشك أنه عند الله أقسط وأعدل من تركه ، والانحراف عنه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأَدْنَى أَنْ لَا تَرْتَابُوا﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿وَأَدْنَى﴾ وأقرب ، من الدنو : وهو القرب ، ويعنى بقوله ﴿أَنْ لَا تَرْتَابُوا﴾ من أن لا تشكوا في الشهادة .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَا تَرْتَابُوا﴾ يقول : أن لا تشكوا في الشهادة ، وهو تفتعل من الريبة .

ومعنى الكلام : ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذي لكم قبيل من دأبتموه من الناس إلى أجل صغيرا كان ذلك الحق ، قليلا أو كثيرا ، فإن كتابكم ذلك أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة شهودكم عليه ، وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والأجل إذا كان مكتوبا .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ، فلييسر عليكم جناح أن لا تكتسبوها

ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اکتساب كتب حقوقهم على غرماهم بالحقوق التي لهم عليهم ، ما وجب لهم قبيلهم من حق عن مبايعة بالنقود الحاضرة يدا بيد ، فرخص لهم في ترك اکتساب الكتب بذلك لأن كل واحد منهم ، أعنى من الباعة والمشتريين يقبض إذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعونه

بعد ما وجب له قبل مبايعه قبل المفارقة ، فلا حاجة لهم في ذلك إلى اکتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر ، کتابا بما وجب لهم قبلهم ، وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم ، فلذلك قال تعالى ذكره ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ لا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا﴾ يقول : فلا حرج عليكم أن لا تكتبوها ، یعنی التجارة الحاضرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقول : معكم بالبلد ترونها فتؤخذ وتعطى ، فليس على هؤلاء جناح أن لا يكتبوها .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا﴾ قال : أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ، وأمر ما كان يدا بيد أن يشهد عليه صغيرا كان أو كبيرا ورخص لهم أن لا يكتبوه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ، وعامة القراء ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ بالرفع ، وانفرد بعض قراء الكوفيين فقرأه بالنصب ، وذلك وإن كان جائزا في العربية ، إذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان ، وتضمير معها في كان مجهولا ، فنقول : إن كان طعاما طيبا فأتنا به ، وترفعها فنقول : إن كان طعام طيب فأتنا به ، فتتبع النكرة خبرها بمثل إعرابها ، فإن الذي أختار من القراءة ، ثم لأستجيز القراءة بغيره ، الرفع في التجارة الحاضرة ، لإجماع القراء على ذلك ، وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ، ولا يعترض بالشاذ على الحجة ، ومما جاء نصبا قول الشاعر :

أَعْيَتْنِي هَلْ تَبْكِيَانِ عِفَاقًا إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَعِفَاقًا

وقول الآخر :

وَلِلَّهِ قَوْمٌ أَى قَوْمٍ لِحُسْرَةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعَا

(۱) في اللسان : (عفا) عفاق : اسم رجل أكلته باهلة في قحط أصابهم . وهو عفاق بن مليك ، ويقال ابن أبي مليك ، وهو عبد الله بن الحارث بن عاصم . وكان بسطام بن قيس أغار على بني يربوع فقتل عفاقا وقتل بجيرا أخاه بعد قتله عفاقا في العام الأول ، وأسر أباهما أبا مليك ثم أعتقه .

قال ابن بري : ويقوى قول من قال إن باهلة أكلته قول الراجز :

إِنْ عِفَاقًا أَكَلْتَهُ بَاهِلَهُ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهِلَهُ

والعناق : معانقة الرجل قرنه في الحرب ، وهو بعد الطعن بالرمح ، والضرب بالسيف ، ثم العناق ، فأيهما صدع صاحبه ذبحه بسيفه أو بخنجره . والبيت من شواهد القراء في تفسيره معاني القرآن .

(۲) الأشنع : القبيح . واسم كان ضمير يعود على مفهوم من المقام وهو اليوم ، أى إذا كان اليوم يوما . يعجب من شدة قومهم وحسن بلائهم في الحروب . وقد جاء في الكتاب لسيبويه (۱ : ۲۲) بيت يتفق مع هذا البيت في عجزه ، فأما صدره فهو : « بنى أسد هل تعلمون بلادنا » . وهذا البيت لعمر بن شاس . واستشهد الزمخشري في الكشاف ببيت ابن شاس ، لمثل ما استشهد به المؤلف . وفي سيبويه (۱ : ۲۱) آخر لمقاس المائذى ، وهو : فدى لبني ذهل بن شيبان نأقى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب .

ولأنما تفعل العرب ذلك فى النكرات لما وصفنا من إلتباع أنخبار النكرات أسماءها ، وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب ، فإذا رفعوها جميعهما تذكروا إلتباع النكرة خبرها ، وإذا نصبوها تذكروا صحة كان منصوب ومرفوع ، ووجدوا النكرة يتبعها خبرها ، وأضمرها فى كان مجهولا لاحتمالها الضمير ، وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ إنما قرأه على معنى : إلا أن يكون تجارة حاضرة ، فزعم أنه كان يلزم قارى ذلك أن يقرأ «يكون» بالياء ، وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الإعراب ، وألزمه غير ما يلزمه ، وذلك أن العرب إذا جعلوا مع كان نكرة مؤنثا بنعتها أو خبرها ، أنثوا كان مرة وذكروها أخرى ، فقالوا : إن كانت جارية صغيرة فاشتروها ، وإن كان جارية صغيرة فاشتروها ، تذكر كان وإن نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا وتؤنث أحيانا .

وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لأن يكون بمعنى التمام ، ولا حاجة بها إلى الخبر بمعنى : إلا أن توجد أو تقع أو تحدث ، فألزم نفسه ما لم يكن لها لازما ، لأنه إنما ألزم نفسه ذلك إذا لم يكن يجد لكان منصوبا ، ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة ، وأغفل جواز قوله ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أن يكون خبرا لكان ، فيستغنى بذلك عن إلزام نفسه ما ألزم ، والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ فى العربية ، غير أن الذى قلنا بكلام العرب أشبه ، وفى المعنى أصح ، وهو أن يكون فى قوله ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ وجهان : أحدهما أنه فى موضع نصب على أنه حل محل خبر كان ، والتجارة الحاضرة اسمها . والآخر : أنه فى موضع رفع على إلتباع التجارة الحاضرة ، لأن خبر النكرة يتبعها ، فيكون تأويله : إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم . القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تباعتم وكبيره من حقوقكم ، عاجل ذلك وآجله ، ونقده ونسائه ، فإن إرخاصى لكم فى ترك إكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجرى بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيدى ، ونقدا ليس بارخاص منى لكم فى ترك الإشهاد منكم على من بعتموه شيئا ، أو ابتعتم منه ، لأن فى ترككم الإشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين . أما على المشتري فأن يجحد البائع المبيع ، وله بينة على ملكه ما قد باع ، ولا بينة للمشتري منه على الشراء منه فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه ويقضى له به ، فيذهب مال المشتري باطلا . وأما على البائع فأن يجحد المشتري الشراء ، وقد زال ملك البائع عما باع ، ووجب له قبل المبتاع ثمن ما باع ، فيحلف على ذلك فيبطل حق البائع قبل المشتري من ثمن ما باعه ، فأمر الله عز وجل الفريقين بالإشهاد ، لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر .

ثم اختلفوا فى معنى قوله ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أهو أمر من الله واجب بالإشهاد عند المبايعة ، أم هو ندب ؟ فقال بعضهم : هو ندب إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الزبيع ، عن الحسن وشقيق ، عن رجل ، عن الشعبي في قوله ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ قال : إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد ، ألم تسمع إلى قوله ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ .
حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا الربيع بن صبيح ، قال : قلت للحسن : رأيت قول الله عز وجل ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ قال : إن أشهدت عليه فهو ثقة للذي لك ، وإن لم تشهد عليه فلا بأس .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن صبيح ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد قول الله عز وجل ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقد في شهرين ولا ثلاثة ، أترى بأسا ألا أشهد عليه ؟ قال : إن أشهدت فهو ثقة للذي لك ، وإن لم تشهد فلا بأس .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن الشعبي ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ قال : إن شاءوا أشهدوا ، وإن شاءوا لم يشهدوا .
وقال آخرون : الإشهاد على ذلك واجب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتُهَا بَيْنَكُمْ ﴾ ، فليكنس عليكم جناح أن لا تكتبوها ، ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم أمر الله ما كان يدايد ، أن يشهدوا عليه ، صغيرا كان أو كبيرا .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : ما كان من بيع حاضر ، فإن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد ، وما كان من بيع إلى أجل ، فأمر الله أن يكتب ويشهد عليه ، وذلك في المقام .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن الإشهاد على كل مبيع ومشتري حق واجب ، وفرض لازم ، لما قد بينا من أن كل أمر لله ففرض ، إلا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب وإرشاد .
وقد دللنا على قول من قال ذلك منسوخ ، بقوله ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ فيما مضى فأغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : ذلك نهى من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله ، فيكتب هذا ما لم يملأه الممل ، ويشهد هذا بما لم يستشهد به الشهيد .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن

أبيه في قوله ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه ، ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، عن يونس ، قال : كان الحسن يقول : لا يضار كاتب فريد شيئا أو يحرف ، ولا شهيد ، قال : لا يكتم الشهادة ، ولا يشهد إلا بحق .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن قتادة ، قال : اتق الله شاهد في شهادته لا ينقص منها حقا ، ولا يزيد فيها باطلا . اتق الله كاتب في كتابه ، فلا يدعن منه حقا ، ولا يزيدن فيه باطلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال : لا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل ، ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد .
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ . قال : لا يضار كاتب فيكتب غير الذي أملى عليه ، قال : والكتاب يومئذ قليل ، ولا يدرون أى شيء يكتب ، فيضار ، فيكتب غير الذي أملى عليه ، فيبطل حقهم . قال : والشهيد : يضار فيحول شهادته ، فيبطل حقهم . فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء : ولا يضار كاتب ولا شهيد ، ثم أدغمت الراء في الراء لأنهما من جنس وحركت إلى الفتح وموضعها جزم ، لأن الفتح أخف الحركات .
وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة : هذا التأويل معنى ذلك : ولا يضار كاتب ولا شهيد بالامتناع عن دعاهما إلى أداء ما عندهما من العلم أو الشهادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء في قوله ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يقول : أن يؤدب ما قبلهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال : لا يضار أن يؤدب ما عندهما من العلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال : أن يدعوها فيقولان : إن لنا حاجة .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قالوا : واجب على الكاتب أن يكتب ، ولا شهيد ، قالوا : إذا كان قد شهدا قبيله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يضار المستكتب والمستشهد الكاتب والشهيد . وتأويل الكلمة على مذهبيهم : ولا يضار على وجه ما لم يسم فاعله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : كان عمر يقرأ : ولا يضارر كاتب ولا شهيد .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، قال : كان ابن مسعود يقرأ : ولا يضارر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد ، أنه كان يقرأ : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، وأنه كان يقول في تأويلها : ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده إلى أن يشهد ، ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤتمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته ، وقال مجاهد : لا يقيم عن شغله وحاجته ، فيجد في نفسه أو يخرج .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، والضرار : أن يقول الرجل للرجل ، وهو عنه غني : إن الله قد أمرك أن لا تأتي إذا دعيت فيضاره بذلك ، وهو مكتف بغيره ، فهاه الله عز وجل عن ذلك ، وقال : وإن تفعّلوا فإنه فسوق بكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، يقول : إنه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بد ، فيقول : خلوا سبيله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن عكرمة في قوله : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، قال : يكون به العلة ، أو يكون مشغولا ، يقول : فلا يضارره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه كان يقول : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، يقول : لا يأت الرجل فيقول : انطلق فاكتب لي واشهد لي ، فيقول : إن لي حاجة فالتمس غيري ، فيقول : اتق الله فإنك قد أمرت أن تكتب لي ، فهذه المضارة ؛ ويقول : دعه والتمس غيره ، والشاهد بتلك المنزلة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، يقول : يدعو الرجل الكاتب أو الشهيد ، فيقول الكاتب أو الشاهد : إن لنا حاجة ، فيقول : الذي يدعوها إن الله عز وجل أمر كما أن تجيبا في الكتابة والشهادة ، يقول الله عز وجل : لا يضارهما .

حدثت عن الحسن ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك في قوله : ولا يضارر كاتب ولا شهيد ، هو الرجل يدعو الكاتب أو الشاهد وهما على حاجة مهمة ، فيقولان : إنا على حاجة مهمة ، فاطلب غيرنا ، فيقول : الله أمر كما أن تجيبا ، فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما ، يعني لا يشغلها عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يقول : ليس ينبغي أن تعرض رجلا له حاجة فتضارّه ، فتقول له : اكتب لي ، فلا يتركه حتى يكتب له وتفوته حاجته ، ولا شاهدا من شهودك وهو مشغول ، فتقول : اذهب فاشهد لي تحبسه عن حاجته ، وأنت تجد غيره .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُوبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول : اكتب لي ، فيقول : إني مشغول أو لي حاجة ، فانطلق إلى غيري ، فيلزمه ويقول : إنك قد أمرت أن تكتب لي فلا يدعه ويضارّه بذلك وهو يجد غيره ، ويأتي الرجل فيقول : انطلق معي ، فيقول : اذهب إلى غيري فإني مشغول أو لي حاجة ، فيلزمه ويقول : قد أمرت أن تتبعني فيضارّه بذلك ، وهو يجد غيره ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يقول : إن لي حاجة فدعني ، فيقول : اكتب لي ، ولا شهيد كذلك .
﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلٌ مِنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ، بِمَعْنَى : وَلَا يُضَارُّهُمَا مِنْ اسْتَكْتَبَ هَذَا ، أَوْ اسْتَشْهَدَ هَذَا بِأَنْ يَأْتِيَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ يَكْتُبَ لَهُ ، وَهُوَ مَشْغُولٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ ، وَيَأْتِي عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ يَجِيبَ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ فَارِغٍ عَلَى مَا قَالَهُ قَائِلُو ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا قَبْلَ .

ولإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره ، لأن الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدئها إلى انقضاءها على وجه افعلوا أو لاتفعلوا ، إنما هو خطاب لأهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب ، والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون . فأما ما كان من أمر أونهى فيها لغيرهم ، فإنما هو على وجه الأمر والنهي للغائب غير المخاطب كقوله ﴿وَلَيْسَ كُتُوبُ بَيْنِكُمْ كَاتِبٌ﴾ وكقوله ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ وما أشبه ذلك ، فالواجب إذا كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أشبه منه بأن يكون مردودا على الكاتب والشهيد ، ومع ذلك إن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهين عن الضرر لقليل : وإن يفعلوا فإنه فسوق بهما ، لأنهما اثنان ، وإنهما غير مخاطبين بقوله ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ بل النهي بقوله ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ نهى للغائب غير المخاطب . فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيرا لما في سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان منعلا عنه .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾

(١) قوله « فالواجب إذا كان الخ » كذا في النسخ ، والمراد أن الواجب إذا كان المأمورون فيها مخاطبين . . . الخ أن يكون النهي عن المضارة مردودا على أهل الحقوق ، وذلك أشبه منه بأن يكون الخ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تضاروا الكاتب أو الشاهد وما نهيتهم عنه من ذلك ، فإنه فسوق بكم ، يعنى إثم بكم ومعصية .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ يقول : إن تفعلوا غير الذى أمركم به ، فإنه فسوق بكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ الفسوق : المعصية .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ الفسوق : العصيان .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يضار كاتب فيكتب غير الذى أملى المملى ، ويضار شهيد فيحول شهادته ويغيرها ، فإنه فسوق بكم ، يعنى فإنه كذب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ الفسوق : الكذب ، قال : هذا فسوق لأنه كذب الكاتب فحول كتابه فكذب ، وكذب الشاهد فحول شهادته ، فأخبرهم الله أنه كذب . وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ إنما معناه : لا يضارهما المستكتب والمستشهد ، بما فيه الكفاية . فقوله ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا ﴾ إنما هو إخبار من يضارهما بحكمه فيهما ، وأن من يضارهما فقد عصى ربه وأثم به ، وركب ما لا يحل له ، وخرج عن طاعة ربه فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ وخافوا الله أيها المتدانيون فى الكتاب والشهود أن تضاروهم ، وفى غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه ، ويعنى بقوله ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ ويبين لكم الواجب لكم وعليكم ، فاعملوا به ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يعنى من أعمالكم وغيرها ، يحصيها عليكم ليجازيكم بها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قوله ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ قال : هذا تعليم علمكموه فخذوا به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَ لَنْ مَّقْبُوضَةٍ فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضٌ قَالُوا الَّذِي

أَوْثِنَ أَمَلَهُمْ وَلَيْسَ لِلَّهِ رَبُّهُ وَلَا تَكْمُوا الشَّهَدَةَ وَمَنْ يَكْمُهَا فَإِنَّهُ عَاشِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٤٢﴾

﴿٢٤٢﴾ اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ، فقرأته القراءة فى الأمصار جميعا كاتبا ، بمعنى : ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى فرهان مقبوضة ، وقرأ جماعة من المتقدمين : ولم تجدوا كتابا ، بمعنى : ولم يكن لكم إلى اكتاب كتاب الدين سبيل ، إما بتعذر الدواة والصحيفة ، وإما بتعذر الكاتب وإن وجدتم الدواة والصحيفة .

والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا هى قراءة الأمصار ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ بمعنى : من يكتب ، لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين ، وإن كنتم أيها المتدائنون فى سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ، ولم يكن لكم إلى اكتاب كتاب الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذى أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيل ، فارتهنوا بديونكم التى تداينتموها إلى الأجل المسمى رهونا تقبضونها من تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم بأموالكم .

ذكر من قال ما قلنا فى ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك قوله ﴿وَلَا تَكْمُوا﴾ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرَهْنٌ مَقْبُوضَةٌ ﴿فَمَنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ بَاعَ بَيْعًا إِلَى أَجَلٍ فَلَمْ يَجِدْ كَاتِبًا فَرَخَصَ لَهُ فِي الرِّهَانِ الْمَقْبُوضَةِ﴾ ، وليس له إن وجد كاتبا أن يرتن .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿وَلَا تَكْمُوا﴾ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَقُولُ : كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ ، فرهان مقبوضة .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : ما كان من بيع إلى أجل ، فأمر الله عز وجل أن يكتب ويشهد عليه وذلك فى المقام ، فإن كان قوم على سفر تبايعوا إلى أجل فلم يجدوا ، فرهان مقبوضة .

ذكر قول من تأول ذلك على القراءة التى حكيناها

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس : فإن لم تجدوا كتابا ، يعنى بالكتاب : الكاتب والصحيفة والدواة والقلم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني أبي ، عن ابن عباس أنه قرأ : فإن لم تجدوا كتابا ، قال : ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتبا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، كان يقرأها : فإن لم تجدوا كتابا ، ويقول : ربما وجد الكاتب ولم توجد الصحيفة أو المداد ، ونحو هذا من القول .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَلَا تَكْمُوا﴾ كُنْتُمْ

عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا يَقُولُ : مَدَادًا ، يقرؤها كذلك ، يقول : فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَدَادًا ، فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة ، فرهان مقبوضة ، قال : لا يكون الرهن إلا في السفر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب ، قال : إن أبا العالية كان يقرؤها : فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كِتَابًا ، قال أبو العالية : توجد الدواة ولا توجد الصحيفة .

واختلف القراء في قراءة قوله ﴿ فَرَّهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ﴿ فَرَّهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ بمعنى جماع رهن ، كما الكباش جماع كبش ، والبغال جماع بغل ، والنعال جماع نعل . وقرأ ذلك جماعة آخرون : فرهن مقبوضة على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع ، وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف . وقرأه آخرون : فرهن ، مخففة الهاء ، على معنى جماع رهن ، كما تجمع السقف سقفاً ، قالوا : ولا نعلم اسماً على فعل يجمع على فَعْلٍ وفَعْلٍ إلا الرُّهْنُ والرُّهْنُ والسَّقْفُ والسَّقْفُ .

والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه ﴿ فَرَّهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ لأن ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فَعْلٍ ، كما يقال حَبْلٌ وَحِبَالٌ وَكَعْبٌ وَكَعَابٌ ، ونحو ذلك من الأسماء . فأما جمع الفَعْلِ على الفَعْلِ أو الفُعْلِ فشاذٌ قليل إنما جاء في أحرف يسيرة ، وقيل سَقْفٌ وَسَقْفٌ وَسَقْفٌ ، وَقَلْبٌ وَقَلْبٌ وَقَلْبٌ من قلب النخل ، وَجَدٌ وَجَدٌ ، للجد الذي هو بمعنى الحظ . وأما ما جاء من جمع فَعْلٍ على فَعْلٍ فَتَطَّ وَتَطَّ ، وَوَرَدٌ وَوَرَدٌ ، وَخَوْدٌ وَخَوْدٌ . وإنما دعا الذي قرأ ذلك ﴿ فَرَّهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ إلى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فَعْلٍ ، أنه وجد الرِّهَانُ مستعملة في رِهَانِ الخيل ، فأحبَّ صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل ، الذي هو بغير معنى الرِّهَانِ ، الذي هو جمع رَهْنٍ ، ووجد الرُّهْنُ مقولاً في جمع رَهْنٍ ، كما قال قعنب :

بَانَتْ سُعَادٌ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدَنٌ وَغَلِقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرَّهْنُ^(١)

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن كان المدين أميناً عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهناً بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته ، فليتيق الله المدين ربه ، يقول : فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده ، أو يلط دونه ، أو يحاول الذهاب به ، فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به ، وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه إليه . وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عز وجل ناسخ الأحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عز وجل بالشهود والكتاب ، وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

(١) البيت لقعنب بن ضمرة ، وأمه أم صاحب . وهو مطلع قصيدة له في الهجاء ، ذكر منها في الحاشية ثلاثة أبيات (٤ : ١٢) وذكر البيت صاحب اللسان في (رهن) ونسبه إلى قعنب . واستشهد به المؤلف على أن الرهن بوزن كتب : جمع رهن بوزن سقف . وهو نادر .

وقد حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلَيْسَ لَكَ بِذَلِكَ فِي السَّفَرِ ، فَأَمَّا الْحَضَرُ فَلَا وَهُوَ وَاجِدٌ كَاتِبٌ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَرْتَهِنَ ، وَلَا يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهَذَا الَّذِي قَالَ الضُّحَاكُ ، مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ لِرَبِّ الدِّينِ اثْتِمَانُ الْمَدِينِ وَهُوَ وَاجِدٌ إِلَى الْكَاتِبِ وَالْكِتَابِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ سَبِيلًا ، وَإِنْ كَانَ فِي سَفَرٍ فَكَمَا قَالَ لَمَّا قَدْ دَلَّلْنَا عَلَى صِحَّتِهِ فِيمَا مَضَى قَبْلَ .

وأما ما قاله : من الأمر في الرهن أيضا كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلا في حضر أو سفر ، فانه قول لامعنى له لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اشترى طعاما نساء ، ورهن به درعا له ، فجائز للرجل أن يرهن بما عليه ، ويرتهن بماله من حق في السفر والحضر ، لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن معلوما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتباً ، ولا شهيداً ، لأنه لم يكن متعذراً عليه بمدينة في وقت من الأوقات الكاتب والشاهد ، غير أنهما إذا تبايعا برهن ، فالواجب عليهما إذا وجدا سبيلا إلى كاتب وشهيد ، وكان البيع أو الدين إلى أجل مسمى أن يكتبوا ذلك ويشهدا على المال والرهن ، وإنما يجوز ترك الكتاب والإشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما إلى ذلك سبيل .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ ﴾ .

وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال بإشهادهم ، فقال لهم : ولا ياب الشهاداء إذا ما دعوا ، ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتكم عند الحكام ، كما شهدتكم على ما شهدتكم عليه ، ولكن أجيبوا من شهدتكم له إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ، ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المستشهد إلى قيامه بها عند حاكم ، أو ذي سلطان ، فقال : ومن يكتمها ، يعنى ومن يكتم شهادته ، فإنه آثم قلبه ، يقول : فاجر قلبه ، مكتسب بكتمانه إياها معصية الله .

كما حدثني المثني ، قال : أخبرنا إسحاق قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۝ ﴾ فلا يحل لأحد أن يكتم شهادة هي عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن يكتمها فقد ركب إثماً عظيماً .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۝ ﴾ يقول : فاجر قلبه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، لأن الله يقول : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۝ ﴾ وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، لأن الله عز وجل يقول ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۝ ﴾

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد ويخبر بها حيث استخبر .
حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن مسلم ، قال : أخبرنا عمرو
ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : إذا كانت عندك شهادة ، فسألك عنها ، فأخبره بها ، ولا تقبل : أخبر بها
عند الأمير أخبره بها لعله يراجع أو يرعوى .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فإنه يعنى بما تعملون فى شهادتكم من إقامتها والقيام بها أو
كتمانكم إياها عند حاجة من استشهدكم إليها ، وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلائقتها ، عليم بحصيه عليكم
ليجزىكم بذلك كله جزاءكم ، إما خيرا ، وإما شرا على قدر استحقاقكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ
فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

﴿يَعْنَى﴾ جل ثناؤه بقوله ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لله ملك كل ما فى السموات وما فى
الأرض من صغير وكبير ، وإليه تدبير جميعه ، ويده صرفة وتقليبه ، لا يخفى عليه منه شيء ، لأنه مدبره
ومالكة ومصرفه ، وإنما عني بذلك جل ثناؤه : كتمان الشهود الشهادة ، يقول : لا تكتموا الشهادة أيها
الشهود ، ومن يكتمها يفجر قلبه ، ولن يخفى على كتمانها ، وذلك لأنى بكل شيء عليم ، ويبدى صرف كل
شيء فى السموات والأرض وملكه ، أعلمه خفى ذلك وجليه ، فاتقوا عقابى إياكم على كتمانكم الشهادة
وعيدا من الله بذلك من كتمانها وتخويفا منه له به ، ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم ، وبمن كان من
نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فأضمرها ، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه من المحاسبة عليها ، فقال
﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ يقول : وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب
المال الجحود والإنكار ، أو تخفوا ذلك فتضمروه فى أنفسكم ، وغير ذلك من سرائر أعمالكم ﴿يَحْسِبْكُمْ بِهِ﴾
به الله يعنى بذلك : يحتسب به عليه من أعماله ، فيجازى من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله ، وغافر
منكم لمن شاء من المسيئين .

ثم اختلف أهل التأويل فيما عني بقوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ﴾
الله فقال بعضهم بما قلنا من أنه عني به الشهود فى كتمانهم الشهادة ، وأنه لاحق بهم كل من كان من
نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا أبو نفيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن
مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ﴾ الله يقول :
يعنى فى الشهادة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ قال : في الشهادة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يحاسبكم به الله فحدثنا عن عكرمة ، قال : هي الشهادة إذا كنتم بها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن عمرو وأبي سعيد ، أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ قال : في الشهادة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن الشعبي في قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ قال : في الشهادة .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، أنه قال في هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يحاسبكم به الله قال : نزلت في كتاب الشهادة وإقامتها .

حدثني يحيى بن أبي طالب قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن عكرمة في قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يحاسبكم به الله يعني كتاب الشهادة وإقامتها على وجهها . وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية إعلاما من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثهم به أنفسهم مما لم يعملوه . ثم اختلف متأولو ذلك كذلك ، فقال بعضهم : ثم نسخ الله ذلك بقوله ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لِمَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن مصعب بن ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يحاسبكم به الله اشتد ذلك على القوم ، فقالوا : يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا ؟ هلكننا ، فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية ، إلى قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال أبي ، قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ إلى آخر الآية ، قال أبي ، قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل نعم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد ، قال : سمعت سعيد بن جبيرة يحدث عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يحاسبكم به الله فسيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال : فالتى الله عز وجل الإيمان في قلوبهم ، قال : فأنزل الله عز وجل ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴿١٠٠﴾ قَالَ أَبُو كَرِيبٍ : فَقَرَأَ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ : فَقَالَ : قَدْ
فَعَلْتَ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ ﴿رَبَّنَا
وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ : قَدْ فَعَلْتَ .

حدثني أبو الرداد المصري عبد الله بن عبد السلام ، قال : ثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، عن حيوة
ابن شريح ، قال : سمعت يزيد بن أبي حبيب ، يقول : قال ابن شهاب حدثني سعيد بن مرجانة ، قال :
جئت عبد الله بن عمر ، فتلا هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ
فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، ثم قال ابن عمر : لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن ، ثم بكى
ابن عمر حتى سألت دموعه ، قال : ثم جئت عبد الله بن العباس ، فقلت : يا أبا عباس ، إني جئت ابن عمر ،
فتلا هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ ... الآية ، ثم قال : لئن وآخذنا بهذه
الآية لنهلكن ، ثم بكى حتى سألت دموعه ، فقال ابن عباس : يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرق أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فرق ابن عمر منها ، فأنزل الله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
كُلَّمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فنسخ الله الوسوسة ، وأثبت القول والفعل :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن
سعيد بن مرجانة يحدث ، أنه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ ... الآية ، فقال : والله لئن آخذنا الله بهذا
لنهلكن ، ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه ، فقال ابن مرجانة : فقممت حتى أتيت ابن عباس ، فذكرت
له ما تلا ابن عمر ، وما فعل حين تلاها ، فقال عبد الله بن عباس : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، لعمرى لقد
وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر ، فأنزل الله بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخر السورة ، قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها ، وصار
الأمر إلى أن قضى الله عز وجل : أن للنفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت في القول والفعل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : سمعت الزهري يقول
في قوله ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ قال : قرأها ابن عمر ، فبكى وقال : إنا لمؤاخذون
بما نحدث به أنفسنا ، فبكى حتى سمع نشيجه ، فقام رجل من عنده ، فأتى ابن عباس ، فذكر ذلك له ،
فقال : رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون نحوه مما وجد ، حتى نزلت ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ، كُلَّمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج ،
عن مجاهد قال : كنت عند ابن عمر فقال ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ ... الآية ، فبكى
فدخلت على ابن عباس ، فذكرت له ذلك ، فضحك ابن عباس فقال : يرحم الله ابن عمر ، أو ما يدرى

فيم أنزلت ؟ إن هذه الآية حين أنزلت نعمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمًا شديدًا ، وقالوا : يا رسول الله هلكتنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، فنسخها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت ﴾ فتجوز لهم من حديث النفس ، وأخذوا بالأعمال .

حدثني المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن سالم أن أباه قرأ ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ فدمعت عينه ، فبلغ صنيعة ابن عباس ، فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت ، فنسخها الآية التي بعدها ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : نسخت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ قالوا : أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا ، قال : فنزلت هذه الآية ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال : ويقول : قد فعلت ، قال : فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة البقرة ، لم تعطها الأمم قبلها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن عامر ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : فنسخها الآية بعدها قوله ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قال : نسخها الآية التي بعدها ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقوله ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا ﴾ قال : يحاسب بما أبدى من سرٍّ أو أخفى من سرٍّ ، فنسخها التي بعدها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن الشعبي ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التي بعدها ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ قال : فنسخت ما كان قبلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن ابن عون ، قال : ذكروا عند الشعبي ﴿ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ ﴾ حتى بلغ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ قال : فقال الشعبي : إلى هذا صار رجعت إلى آخر الآية .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ قال : قال ابن مسعود : كانت المحاسبة قبل أن تنزل ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فلما نزلت نسخت الآية التي كانت قبلها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يذكر عن ابن مسعود ، نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي ، قال : نسخت ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب وسفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، وعن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، قالوا : نسخت هذه الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ : ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ ... الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر ، بمثله .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد بن حميد ، عن الحسن في قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ إلى آخر الآية ، قال : محتواها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه قال : نسخت هذه الآية ، يعني قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . . . الآية التي كانت قبلها ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ قال : نسختها قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن زيد ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوه﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ... إلى آخر الآية ، اشتدت على المسلمين ، وشقت مشقة شديدة ، فقالوا : يا رسول الله لو وقع في أنفسنا شيء لم نعمل به ، واخذنا الله به ؟ قال : فَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ كما قال بنو إسرائيل سمعنا وعصينا ، قالوا : بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله ، قال : فنزل القرآن يفرجها عنهم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ إلى قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ قال : فصيره إلى الأعمال ، وترك ما يقع في القلوب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عن أبي الحكم ، عن الشعبي ، عن

أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال : نسخت هذه الآية التي بعدها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال : يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤخذون بما وسوست به أنفسهم ، وما عملوا ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن عمل أحدنا وإن لم يعمل أحدنا به ، والله ما نملك الوسوسة ، فنسخها الله بهذه الآية التي بعدها بقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فكان حديث النفس مما لم تطبقوا الآية .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : نسختها قوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

وقال آخرون : ممن قال معنى ذلك : الإعلام من الله عز وجل عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم ، وبما حدثهم به أنفسهم مما لم يعملوه ، هذه الآية محكمة غير منسوخة ، والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوا من عمل ، وعلى ما لم يعملوه مما أصرّوه في أنفسهم ونووه وأرادوه ، فيغفره للمؤمنين ، ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي عن ابن عباس قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فإنها لم تنسخ ، ولكن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي ، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم ، وهو قوله ﴿يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول : يخبركم . وأما أهل الشك والريب ، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب ، وهو قوله ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وهو قوله ﴿وَلَكِن يُّؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُم﴾ من الشك والنفاق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عبي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فذلك سرّ عملكم وعلايتهم ، يحاسبكم به الله ، فليس من عبد مؤمن يسر في نفسه خيرا ليعمل به ، فإن عمل به كتبت له به عشر حسنات ، وإن هو لم يقدر له أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل أنه مؤمن ، والله يرضى سرّ المؤمنين وعلايتهم ، وإن كان سوءا حدث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر ، وإن هو لم يعمل به لم يؤاخذ الله به حتى يعمل به ، فإن هو عمل به تجاوز الله عنه ، كما قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿إِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾... الآية ، قال : قال ابن عباس : إن الله يقول يوم

القيامة : إن كتابي لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها ، فأما ما أسررتكم في أنفسكم فأنا أحاسبكم به اليوم ، فأغفر لمن شئت ، وأعذب من شئت .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا بيان ، عن بشر ، عن قيس ابن أبي حازم ، قال : إذا كان يوم القيامة ، قال الله عز وجل يَسْمِعُ الْخَلَائِقَ : إنما كان كتابي يكتبون عليكم ما ظهر منكم ، فأما ما أسررتكم فلم يكونوا يكتبونه ، ولا يعلمونه ، أنا الله أعلم بذلك كله منكم ، فأغفر لمن شئت ، وأعذب من شئت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ كان ابن عباس يقول : إذا دعى الناس للحساب ، أخبرهم الله بما كانوا يسرون في أنفسهم مما لم يعملوه ، فيقول : إنه كان لا يعزب عني شيء ، وإني مخبركم بما كنتم تسمرون من السوء ، ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه ، فهذه المحاسبة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال : هي محكمة لم ينسخها شيء ، يقول : يحاسبكم به الله ، يقول : يعرفه الله يوم القيامة أنك أخفيت في صدرك كذا وكذا لا يؤاخذ .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : هي محكمة لم تنسخ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال : من الشك واليقين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول : في اليقين والشك .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من شيء من الأعمال ، فتظهره بأبدانكم وجوارحكم ، أو تخفوه فتسروه في أنفسكم ، فلم يطلع عليه أحد من خلقي ، أحاسبكم به ، فأغفر كل ذلك لأهل الإيمان ، وأعذب أهل الشرك والنفاق في ديني .

وأما على الرواية التي رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه ، وعلى ما قاله الربيع بن أنس ، فإن تأويلها : إن تظهروا ما في أنفسكم فتعملوه من المعاصي ، أو تضمروا إرادته في أنفسكم ، فتخفوه ، يعلمكم به الله يوم القيامة ، فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء .

وأما قول مجاهد فشيبه معناه بمعنى قول ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة .

وقال آخرون ممن قال : هذه الآية محكمة ، وهي غير منسوخة ، ووافقوا الذين قالوا : معنى ذلك أن الله عز وجل أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم ، معناها : أن الله محاسب جميع خلقه بجميع ما أبدوا من سيئ أعمالهم ، وجميع ما أسروه ، ومعاقبهم عليه ، غير أن عقوبته إياهم على ما أخفوه ، مما لم يعملوه ، ما يحدث لهم في الدنيا من المصائب ، والأمور التي يحزنون عليها ، ويألمون منها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ... الآية ، قال : كانت عائشة رضي الله عنها تقول من هم بسيئة فلم يعملها أرسل الله عليه من الهم والحزن مثل الذي هم به من السيئة فلم يعملها ، فكانت كفارته . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قال : كانت عائشة تقول : كل عبد منهم بمعصية ، أو يحدث بها نفسه ، حاسبه الله بها في الدنيا ، يخاف ويحزن ويهتم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك ، قال : قالت عائشة في ذلك : كل عبد هم بسوء ومعصية ، وحدث نفسه به ، حاسبه الله في الدنيا ، يخاف ويحزن ويشتد همه ، لا يناله من ذلك شيء ، كما هم بالسوء ولم يعمل منه شيئا .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أمه أنها سألت عائشة عن هذه الآية ﴿ وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يُجْزَ بِهِ ﴾ فقالت : ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عائشة ، هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة ، حتى البضاعة يضعها في كفه فيفقدوها فيفزع لها ، فيجدها في ضبته حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه ، كما يخرج التبر الأحمر من الكير .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بآخر له ناف من كل وجوهه ، وليس في قوله جل وعز ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، كَمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ، ولا مؤاخدة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه ، وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة ، يقولون : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صفات أعمالهم وكبائرها ، فلم تكن الكتب وإن أحصت صفات الذنوب وكبائرها بموجب إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين ، لأن الله عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر ، فقال في تنزيله ﴿ وَإِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلَ أَكْرِمٍ ﴾ فدل أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو

(١) الضمن : الإبط وما يليه ، أو ما بين الإبط والكشح ، أو أهل الجنب . (اللسان) .

محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم غير موجهة لهم منه عقوبة ، بل محاسبته إياهم إن شاء الله عليها ليعرفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي حدثني به أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُدْنِي اللَّهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ۖ فَيَقْرَرُهُ بِسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ قَيِّقُولُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : سَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا الْيَوْمَ ۚ ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ ، فَيَقُولُ : هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ۚ أَوْ كَمَا قَالَ ۚ وَأَمَّا الْكَافِرُ ، فَإِنَّهُ يُنَادَى بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ۚ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي وسعيد وهشام ، وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا هشام ، قالا : جميعا في حديثهما ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، قال : بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف ، إذ عرض له رجل ، فقال : يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ۖ فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ مَرَّتَيْنِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ۚ » قال : فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۚ . إن الله يفعل بعبد المؤمن من تعريفه إياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضله عليه بعفوه له عنها ، فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه ، وبما أخفاه من ذلك ، ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرمه عليه ، فيستره عليه ، وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين ، فقال : يغفر لمن يشاء .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ قَوْلُهُ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۖ يَنْبِئُ عَنْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ غَيْرُ مُؤَاخَذِينَ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ ذَنْبٍ ، وَلَا مَثَابِينَ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ ، قِيلَ : إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَغَيْرُ مُؤَاخَذِ الْعَبْدِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِفَعْلٍ مَا نَهَى عَنْ فَعْلِهِ ، أَوْ تَرَكَ مَا أَمَرَ بِفَعْلِهِ .

فَإِنْ قَالَ : فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَمَا مَعْنَى وَعِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّانَا عَلَى مَا أَخْفَتْهُ أَنْفُسُنَا بِقَوْلِهِ ۖ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۖ إِنْ كَانَ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۖ وَمَا أَضْمَرَتْهُ قُلُوبُنَا وَأَخْفَتْهُ أَنْفُسُنَا ، مِنْ هُمْ بِذَنْبٍ ، أَوْ إِرَادَةِ لِعَصِيَّةٍ ، لَمْ تَكْتَسِبْهُ جَوَارِحُنَا ؟ قِيلَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ قَدْ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ عَمَّا هُمْ أَكْثَرُ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ الْعَفْوُ عَنْ صَغَائِرِ ذُنُوبِهِمْ إِذَا هُمْ اجْتَنَبُوا كِبَائِرَهَا ، وَإِنَّمَا الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ ۖ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۖ عَلَى مَا أَخْفَتْهُ نَفُوسُ الَّذِينَ كَانَتْ أَنْفُسُهُمْ تَخْفَى الشُّكَّ فِي اللَّهِ ، وَالْمَرِيَّةَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ ، أَوْ فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، أَوْ فِي الْمَعَادِ وَالْبَعْثِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ ،

(١) أصل الكنف بالتحريك : الجانب والناحية : (اللسان) .

ومن قال بمثل قولهما إن تأويل قوله ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿عَلَى الشَّكِّ وَالْيَقِينِ﴾ ، غير أنا نقول إن المتوعد بقوله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هو من كان إخفاء نفسه ما تخفيه الشكّ والمرية في الله ، وفيما يكون الشكّ فيه بالله كفرا ، والموعود الغفران بقوله ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هو الذي أخفى ، وما يخفيه الهمة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الأمور التي كان جائزا ابتداء تحليله وإباحته ، فحرّمه على خلقه جلّ ثناؤه ، أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله ، مما كان جائزا ابتداء لإباحة تركه ، فأوجب فعله على خلقه . فإن الذي بهمّ بذلك من المؤمنين إذا هو لم يصحح همه بما بهمّ به ، ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن مأخوذا ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ » ، فهذا الذي وصفنا ، هو الذي يحاسب الله به مؤمنى عباده ، ثم لا يعاقبهم عليه .

فأما من كان ما أخفته نفسه شكا في الله وارتيابا في نبوة أنبيائه ، فذلك هو الهالك المخلد في النار ، الذي أوعده جلّ ثناؤه العذاب الأليم بقوله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

فتأويل الآية إذا : ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أيها الناس ، فتظهروه ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ فتنتوى عليه نفوسكم ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فيعرف مؤمنكم تفضله بعفوه عنه ، ومغفرته له ، فيغفره له ، ويعذب منافقكم على الشكّ الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : والله عزّ وجلّ على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة ، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه من الشكّ في توحيد الله عزّ وجلّ ، ونبوة أنبيائه ، ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه ، وعلى غير ذلك من الأمور قادر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : صدّق الرسول ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقرّ بما أنزل إليه ، يعنى بما أوحى إليه من ربه من الكتاب ، وما فيه من حلال وحرام ، ووعد ووعيد ، وأمر ونهى ، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال : « يَحَقُّ لَهُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال : « وَيَحَقُّ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ » وقد قيل : إنها نزلت بعد قوله ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ،

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾ لَّأَنَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، شَقَّ عَلَيْهِمْ مَا تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَّحَاسِبَتِهِمْ عَلَى مَا أَخَفَّتَهُ نَفْسُهُمْ ، فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ » يَقُولُ : وَصَدَّقَ الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مَعَ نَبِيِّهِمْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ الْآيَتِينَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَائِلِي ذَلِكَ قَبْلَ .

واختلف القراء في قراءة قوله وكتبه ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق وكتبه ، على وجه جمع الكتاب على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وكتابه بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ، وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك وكتابه ، ويقول : الكتاب أكثر من الكتب . وكان ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴾ بمعنى : جنس الناس وكنس الكتاب ، كما يقال : ما أكثر درهم فلان وديناره ، ويراد به جنس الدراهم والدنانير ، وذلك وإن كان مذهبا من المذاهب معروفا ، فإن الذي هو أعجب إلى من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع ، لأن الذي قبله جمع ، والذي بعده كذلك ، أعني بذلك : وملائكته وكتبه ورسله ، فإلحاق الكتب في الجمع لفظا به أعجب إلى من توحيدته وإخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ، ليكون لاحقا في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده ، وبمعناه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَفْرَقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾

وأما قوله ﴿ لَا تَفْرَقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ فإنه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك في الكلام في قراءة من قرأ ﴿ لَا تَفْرَقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ بالنون متروك ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه ، وذلك المتروك هو يقولون .

وتأويل الكلام : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يقولون : لا تفرق بين أحد من رسله ، وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه ، كما ترك ذكره في قوله ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ بمعنى : يقولون سلام ، وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين ﴿ لَا يَفْرَقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ بالياء ، بمعنى : والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله ، فيؤمن ببعض ، ويكفر ببعض ، ولكنهم يصدقون بجميعهم ، ويقرّون أن ما جاءوا به كان من عند الله ، وأنهم دعوا إلى الله وإلى طاعته ، ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى ، والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجحدوا نبوته ، ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعض رسل الله ، وأقروا ببعضه

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿لَانْفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ كما صنع القوم ، يعني بني إسرائيل ، قالوا : فلان نبي ، وفلان ليس نبيا ، وفلان تؤمن به ، وفلان لا تؤمن به ، والقراءة التي لانستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون ﴿لَانْفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ لأنها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه التشاغر ، والتواطؤ والسهو والغلط ، يعني ما وصفنا من يقولون : لانفرق بين أحد من رسله ، ولا يعترض بشاذ من القراءة ، على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
يعني بذلك جل ثناؤه : وقال الكل من المؤمنين : سمعنا قول ربنا ، وأمره إيانا بما أمرنا به ، ونهيه عما نهانا عنه ، وأطعنا : يعني أطعنا ربنا فيما ألزمتنا من فرائضه ، واستعبدنا به من طاعته ، وسلمنا له . وقوله ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ يعني : وقالوا غفرانك ربنا ، بمعنى : اغفر لنا ، ربنا غفرانك ، كما يقال سبحانه ، بمعنى نسبحك سبحانه . وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة : السر من الله على ذنوب من غفر له ، وصفحته له عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة ، وعفوه عن العقوبة عليه . وأما قوله ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فإنه يعني جل ثناؤه أنهم قالوا : وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا .
﴿فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ﴾ فما الذي نصب قوله ﴿غُفْرَانَكَ﴾ قيل له وقوعه ، وهو مصدر موقع الأمر ، وكذلك تفعل العرب بالمصادر والأسماء إذا حلت محل الأمر ، وأدّت عن معنى الأمر نصبها ، فيقولون : شكرا لله يا فلان ، وحمدا له ، بمعنى : اشكر الله واحمده ، والصلاة الصلاة : بمعنى صلوا ، ويقولون في الأسماء : الله الله يا قوم ، ولو رفع بمعنى هو الله ، أو هذا الله ، ووجه إلى الخبر وفيه تأويل الأمر كان جائزا ، كما قال الشاعر :

إِنْ قَوْمًا مِنْهُمْ عُصَيْرٌ وَأَشْبَا هُ عُمَيْرٌ وَمِنْهُمْ السَّفَاحُ

لِحَدِيرُونَ بِالْوَفَاءِ إِذَا قَالُوا أَخُو النَّجْدَةِ السَّلَاحُ

ولو كان قوله ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ جاء رفعا في القراءة لم يكن خطأ ، بل كان صوابا على ما وصفنا . وقد ذكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء من الله عليه وعلى أمته ، قال له جبريل صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء ، فسل ربك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبرير ، عن بيان ، عن حكيم بن جابر ، قال : لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَانْفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ

(١) البيتان غير منسولين ، وهما من شواهد الفراء ، كما قال العيني في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (على هامش خزنة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٠٧) والشاهد في قوله السلاح السلاح بالرفع ، مع أنه محذر منه ، فحقه النصب . لكن يجوز الرفع فيه على تقدير مبتدأ ، أى هو السلاح أو هذا السلاح فاحذروا . قال الفراء : العرب قد ترفع ما فيه معنى التحذير ، وأنشد البيهقي .

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ قال جبريل : إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك ، وعلى أمتك ، فسل تعطه ، فسأل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ... إلى آخر السورة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا
إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا
وَلَا تُجِزِّنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿٢٨٦﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فيتعبدها إلا بما يسعها ، فلا يضيق عليها ، ولا يجهددها ، وقد بينا فيما مضى قبل أن الوسع اسم من قول القائل : وسعني هذا الأمر مثل الجهد والوجد من جهدي هذا الأمر ، ووجدت منه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال : هم المؤمنون ، وسع الله عليهم أمر دينهم ، فقال الله جل ثناؤه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقال ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهري ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لما نزلت ضجّ المؤمنون منها ضجة وقالوا : يا رسول الله هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان ، كيف نتوب من الوسوسة ، كيف نمتنع منها ، فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وسعها : طاقتها ، وكان حديث النفس مما لا يطيقون .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

يعني بقوله جل ثناؤه لها : للنفس التي أخبر أنه لا يكلفها إلا وسعها ، يقول : لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير ؛ وعليها : يعني وعلى كل نفس ما اكتسبت : ما عملت من شر .

كما حدثنا بشر بن يزيد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، لها ما كسبت ﴿أَيُّ مِنْ خَيْرٍ﴾ وعليها ما اكتسبت ﴿أَيُّ مِنْ شَرٍّ﴾ ، أو قال : من سوء .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يقول : ما عملت من خير ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يقول : وعليها ما عملت من شر .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهري ، عن عبد الله ابن عباس ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ عمل اليد والرجل واللسان .

فتأويل الآية إذا : لا يكلف الله نفسا إلا ما يسعها ، فلا يجهدا ، ولا يضيق عليها في أمر دينها ، فيؤاخذها بهمة إن همت ، ولا بوسوسة إن عرضت لها ، ولا بخطر إن خطرت بقلبها .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

وهذا تعليم من الله عز وجل عباد المؤمنين دعاءه كيف يدعونه ، وما يقولون في دعائهم إياه ، ومعناه قولوا : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شيئا فرضت علينا عمله فلم نعمله ، أو أخطأنا في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه ، على غير قصد منا إلى معصيتك ، ولكن على جهالة منا به وخطأ .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إن نسينا شيئا مما افترضته علينا ، أو أخطأنا شيئا مما حرّمته علينا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ نِسْيَانِهَا وَمَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا» .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال له جبريل صلى الله عليه وسلم فقل ذلك يا محمد .

﴿إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُؤَاخِذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ بِمَا نَسُوا أَوْ أَخْطَئُوا فَيَسْأَلُوهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُمْ بِذَلِكَ ؟ قِيلَ : إِنْ النِّسْيَانُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : عَلَى وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّفْرِيطِ ؛ وَالْآخَرُ : عَلَى وَجْهِ عَجْزِ النَّاسِ عَنْ حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظَ ، وَوَكَلَّ بِهِ وَضَعْفَ عَقْلِهِ عَنْ احْتِمَالِهِ ، فَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ عَلَى وَجْهِ التَّضْيِيعِ مِنْهُ وَالتَّفْرِيطِ ، فَهُوَ تَرْكُ مَا أَمَرَ بِفَعْلِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرْغِبُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَرْكِهِ مُؤَاخَذَتِهِ بِهِ ، وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي عَاقَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلُغَ فِتْنَتِيَّ وَلَمْ يَنْجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وَهُوَ النِّسْيَانُ الَّذِي قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فَرِغَةَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فِيمَا كَانَ مِنْ نِسْيَانٍ مِنْهُ لِمَا أَمَرَ بِفَعْلِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي وَصَفْنَا مَا لَمْ يَكُنْ تَرْكُهُ مَا تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ تَفْرِيطًا مِنْهُ فِيهِ وَتَضْيِيعًا ، كَفَرَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَفَرًا بِاللَّهِ فَإِنَّ الرِّغْبَةَ إِلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهِ غَيْرُ جَائِزَةٍ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لَهُمُ الشُّرْكَ بِهِ ، فَسُئِلَتْهُ فَعَلِمَ مَا قَدْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ خَطَأً ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُسْئِلَتُهُ الْمَغْفِرَةَ فِيمَا كَانَ مِنْ مِثْلِ نِسْيَانِهِ الْقُرْآنَ بَعْدَ حِفْظِهِ بِتَشَاغُلِهِ عَنْهُ ، وَعَنْ قِرَاءَتِهِ ، وَمِثْلَ نِسْيَانِهِ صَلَاةً أَوْ صِيَامًا ، بِاشْتِغَالِهِ عَنْهُمَا بِغَيْرِهِمَا حَتَّى ضَيَعَهُمَا . وَأَمَّا الَّذِي الْعَبْدُ بِهِ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ لِعَجْزِ بَنِيهِ عَنْ حِفْظِهِ ، وَقِلَّةِ احْتِمَالِ عَقْلِهِ مَا وَكَلَّ بِمِرَاعَاتِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ

العبد غير معصية ، وهو به غير آثم ، فذلك الذي لا وجه لمسئلة العبد ربه أن يغفر له ، لأنه مسئلة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب ، وذلك مثل الأمر يغلب عليه ، وهو حريص على تذكره وحفظه ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بحمد منه ، فيقرؤه ، ثم ينسأ بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيتة عن حفظه وقلة احتمال عقله ، ذكر ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان ، فإن ذلك مما لا يجوز مسئلة الرب مغفرته ، لأنه لا ذنب للعبد فيه ، فيغفر له باكتسابه . وكذلك للخطأ وجهان : أحدهما : من وجه ما نهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأخوذ ، يقال منه : خطي فلان وأخطأ فيما أتى من الفعل ، وأثم إذا أتى ما يتأثم فيه وركبه ، ومنه قول الشاعر :

النَّاسُ يَلْحَوْنَ الْأَمِيرَ إِذَا هُمْ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلَا يُلَامُ الْمُرْشِدُ ١

يعنى : أخطئوا الصواب ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه ، إلا ما كان من ذلك كفرا . والآخر منهما : ما كان عنه على وجه الجهل به والظن منه ، بأن له فعله ، كالذى يأكل في شهر رمضان ليلا ، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع ، أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيرها إياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل ، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد الذى وضع الله عز وجل عن عباده الإثم فيه ، فلا وجه لمسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذ به ، وقد زعم قوم أن مسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذ به بما نسي أو أخطأ ، إنما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى ، أو لما نذبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسئلة ، فأما على وجه مسئلته الصفح ، فما لا وجه له عندهم وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأى فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ .
يعنى بذلك جل ثناؤه : قولوا : ربنا لا تحمل علينا إصرا : يعنى بالإصر : العهد ، كما قال جل ثناؤه ، ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ وإنما عنى بقوله ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ : ولا تحمل علينا عهدا ، فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ يعنى على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا ، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها ، فلم يقوموا بها ، فعوجلوا بالعقوبة ، فعلم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبة إليه بمسئلته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال إن ضيعوها أو أخطئوا فيها أو نسوها ، مثل الذى حمل من قبلهم ، فيحمل بهم بخطئهم فيه ، وتضييعهم إياه ، مثل الذى أحل بمن قبلهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله :

(١) البيت غير منسوب . ولحق الرجل : لته ألماه لحيا ، وهو يأتى ليس غير . واللحن : السب واللعن أيضا . وخطئوا الصواب : جاوزوه بقصد منهم . يقول : الناس يلومون الأمير إذا هم أخطئوا الصواب وفعلوا ما نهوا عنه ، فردهم إلى الصواب والرشد ، ولا أن ينهى أن يلام المرشد المأدى إلى الصواب .

﴿لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾ قال : لا تحمل علينا عهدا وميثاقا ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يقول : كما غلظ على من قبلنا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن موسى بن قيس الحضرمي ، عن مجاهد في قوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾ قال : عهدا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿إِصْرًا﴾ قال : عهدا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله ﴿إِصْرًا﴾ يقول : عهدا .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ والإصر : العهد الذي كان على من قبلنا من اليهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾ قال : عهدا لانطيقه ، ولا نستطيع القيام به ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى ، فلم يقوموا به فأهلكهم .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ﴿إِصْرًا﴾ قال : الموائيق .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : الإصر : العهد ﴿وَأُخِذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِي﴾ قال : عهدي .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَأُخِذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِي﴾ قال : عهدي .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تحمل علينا ذنوبا وإثما ، كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم ، فتمسخنا قردة وخنازير كما مسخهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال : لا تمسخنا قردة وخنازير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ لا تحمل علينا ذنبا ليس فيه توبة ولا كفارة .
وقال آخرون : معنى الإصر بكسر الألف : الثقل .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يقول : التشديد الذي شدته على من قبلنا من أهل الكتاب . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سأله ، يعني مالكا عن قوله ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ قال : الإصر : الأمر الغليظ . فأما الأصر بفتح الألف : فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة ، يقال : أصرتني رحم بيني وبين فلان عليه ، بمعنى : عطفني عليه ، وما يصرني عليه : أي ما يعطفني عليه ، وبينني وبينه أصر رحم يصرني عليه أصرا : يعني به : عاطفة رحم تعطفني عليه . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾
يعنى بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضا : ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لانطق القيام به لثقل حمله علينا ، وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ تشديد يشدد به كما شدّد على من كان قبلكم . حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك قوله ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ قال : لا تحمّلنا من الأعمال ما لانطق . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ لا تفرض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به ، فنعجز عنه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ مسخ القردة والخنازير . حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : ثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي ، قال : ثنا محمد بن شعيب بن سابور ، عن سالم بن شابور في قوله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ قال : الغلظة . حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ من التغليظ والأغلال التي كانت عليهم من التحريم . وإنما قلنا : إن تأويل ذلك : ولا تكلفنا من الأعمال ما لانطق القيام به على نحو الذي قلنا في ذلك ، لأنه عقيب مسألة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطئوا ، وأن لا يحمل عليهم إصرا كما حمله على الذين من قبلهم ، فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسئلتهم التيسير في الدين أولى مما خالف ذلك المعنى . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا﴾
وفي هذا أيضا من قول الله عز وجل أخبرنا عن المؤمنين من مسئلتهم إياه ذلك الدلالة الواضحة أنهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ﴾ لأنهم عقبوا ذلك بقولهم ﴿وَأَعْفُ

عَنَّا ﴿مَسْئَلَةٌ مِنْهُمْ رَبِّهِمْ أَنْ يَغْفُو لَهُمْ عَنْ تَقْصِيرِ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ ، فَيَصْفَحَ لَهُمْ عَنْهُ ، وَلَا يَعاْقِبَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ خَفَّ مَا كَلَفَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ عَلَى أَبْدَانِهِمْ . وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ قال : اعف عنا إن قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به ، وكذلك قوله ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ يعني : واستر علينا زلة إن أتيناها فيما بيننا وبينك ، فلا تكشفها ولا تفضحنا باظهارها . وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ إن انتهكنا شيئاً مما نهيتنا عنه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : تغمدنا منك برحمة تنجيننا بها من عقابك ، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلا برحمتك إياه دون عمله ، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا ، فوفقنا لما يرضيك عنا .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ قال : يقول : لاننا العمل بما أمرتنا به ، ولا نترك ما نهيتنا عنه إلا برحمتك ، قال : ولم ينج أحد إلا برحمتك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك ، لأننا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا ، فأنت ولي من أطاعك ، وعدو من كفر بك فعصاك ، فانصرنا لأننا حزبك ، على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك ، وعبدوا الآلهة والأنداد دونك ، وأطاعوا في معصيتك الشيطان . والمولى في هذا الموضع المفعول من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية ، وهو وليه ومولاه ، وإنما صارت الياء من ولي ألفاً لانفتاح اللام قبلها التي هي عين الاسم .

وقد ذكروا أن الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استجاب الله له في ذلك كله .

ذكر الأخبار التي جاءت بذلك

حدثني المشي بن إبراهيم ومحمد بن خلف قالا : ثنا آدم ، قال : ثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال : قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى قوله ﴿غُفِرَ لَكَ رَبَّنَا﴾ قال الله عز وجل : قد غفرت لكم ، فلما قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله عز وجل : لا أحلکم فلما قرأ ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ قال الله تبارك وتعالى : قد غفرت لكم ، فلما قرأ ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ قال الله عز وجل : قد رحمتكم ، فلما قرأ ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال الله عز وجل : قد نصرتكم عليهم .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد قل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقالها ، فقال جبريل : قد فعل ، وقال له جبريل : قل ﴿رَبَّنَا لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ فقالها ، فقال جبريل : قد فعل ، فقال : قل ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ، فقالها ، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم : قد فعل ، فقال : قل ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا﴾ ، أنت مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين ﴿﴾ . فقالها ، فقال جبريل : قد فعل .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، قال : زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال له جبريل : فعل ذلك يا محمد ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فانصُرنا على القوم الكافرين ﴿﴾ فقال له جبريل في كل ذلك : فعل ذلك يا محمد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن آدم بن سليمان مولى خالد ، قال : سمعت سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله عز وجل ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ، فقرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : فقال : قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ فقال : قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : قد فعلت ﴿وَاعْفُ عَنَّا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فانصُرنا على القوم الكافرين﴾ قال : قد فعلت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن مصعب بن ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : أنزل الله عز وجل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال أبي ، قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَعَمْ » . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو حميد ، عن سفيان ، عن آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبیر ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : ويقول قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال : ويقول قد فعلت ، فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة البقرة ، ولم تعطها الأمم قبلها .

حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى قوله ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قال : قد غفرت لكم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى قوله ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : لا تؤاخذكم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِنَا ﴿١﴾ قَالَ : لِأَحْمَلْ عَلَيْكُمْ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَأَعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ ، وَغَفَرْتُ لَكُمْ ، وَرَحِمْتُكُمْ ، وَنَصَرْتُكُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . وَرَوَى عَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةٌ .

حُدِّثَتْ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ كَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لَهُ سَلَهَا ، فَسَأَلَهَا نَبِيَّ اللَّهِ رَبَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ مَعَاذًا كَانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ : آمِينَ .

(٣) سُورَةُ الْعَمَلَاتِ مَكْنِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَنَاتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنُ يَزِيدٍ الطَّبْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

الْمَلِكُ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾

﴿١﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : قَدْ أَتَيْنَا عَلَى الْبَيَانِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿الْمَلِكُ﴾ فَمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَكَذَلِكَ الْبَيَانُ عَنْ قَوْلِهِ ﴿اللَّهُ﴾ ، وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فَانْهَ خَبَرَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ إِلَّا لَهُ لِأَنفَرَادِهِ بِالرَّبُوبِيَّةِ ، وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَلَيْكِهِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَخَلْقُهُ ، لِأَشْرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ ، احْتِجَاجًا مِنْهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ ، وَلَا إِشْرَاقٍ أَحَدٍ مَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَلَيْكِهِ ، وَكُلُّ مَعْظَمٍ غَيْرِهِ فَخَلْقُهُ ، وَعَلَى الْمَمْلُوكِ إِفْرَادِ الطَّاعَةِ لِلْمَالِكِ ، وَصَرَفِ خِدْمَتِهِ إِلَى مَوْلَاهُ وَرَازِقِهِ ، وَمَعْرِفِ مَنْ كَانَ مِنْ خَلْقِهِ ، يَوْمَ أَنْزَلَ ذَلِكَ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِتَنْزِيلِهِ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَإِرْسَالِهِ بِهِ إِلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِهِ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ مَقِيمًا عَلَى عِبَادَةِ وَثْنٍ أَوْ صَنْمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ ، أَوْ إِنْسِيٍّ أَوْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَتْ بَنُو آدَمَ مَقِيمَةً عَلَى عِبَادَتِهِ وَإِلَاهَتِهِ ، وَتَخَذَتْهُ دُونَ مَالِكِهِ وَخَالِقِهِ إِلَهاً وَرَباً ، أَنَّهُ مَقِيمٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَمَنْعَزَلٌ عَنِ الْمَحْجَةِ ، وَرَاكِبٌ غَيْرَ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ بِصَرْفِهِ الْعِبَادَةَ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا أَحَدٍ لَهُ الْأُلُوهِيَّةُ غَيْرُهُ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ ابْتَدَأَ اللَّهُ بِتَنْزِيلِهِ فَاتَّحَتْهَا بِالَّذِي ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ نَفْيِ الْأُلُوهِيَّةِ أَنْ يَكُونَ لغيرِهِ وَوَصَفُهُ نَفْسَهُ بِالَّذِي وَصَفَهَا بِهِ فِي ابْتِدَائِهَا احْتِجَاجًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّصَارَى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَجْرَانَ ، فَحَاجُّوهُ فِي عَيْسَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحَدُوا فِي اللَّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ

وجل في أمرهم ، وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها ، احتجاجا عليهم ، وعلى من كان على مثل مقالهم لنبههم محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبوا إلا المقام على ضلالتهم وكفرهم ، فدعاهم إلى المباهلة ، فأبوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم ، فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم ، غير أن الأمر وإن كان كذلك وإياهم قصد بالحجاج ، فإن من كان معناه من سائر الخلق ، معناه في الكفر بالله ، واتخاذ ماسوى الله ربا وإلهام معبودا ، معممون بالحجة التي حجج الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ، ومحججون في الفرقان الذي فرق به لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم .

ذكر الرواية عن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران^(١) ، ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم ، في الأربعة عشر ثلاثة نفر ، إليهم يؤول أمرهم : العاقب أمير القوم ، وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم . وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه . قال ابن إسحاق : قال محمد بن جعفر بن الزبير : قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الخبثات جيب ، وأردية في بلحريث بن كعب ، قال : يقول بعض من رأيهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوهُمْ فَصَلُّوا إِلَى الْمَشْرِقِ » قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يؤول إليهم أمرهم : العاقب وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة ابن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأوس ، والحريث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبية ، وخويلد بن عمرو ، ونخالد ، وعبد الله ، ويحيى بن ستين راكبا ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة ابن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد ، وهو من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية . فهم يحتجون في قولهم : هو الله ، بأنه كان يحيى الموتى ، ويرى الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا ، وذلك كله باذن الله ، ليحمله آية للناس ، ويحتجون في قولهم : إنه ولد الله ، أنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون في قولهم : إنه ثالث ثلاثة ، بقول الله عز وجل : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحدا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقيت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففي كل ذلك من

(١) نجران ، بوزن عيشان : اسم لعدة مواضع ببلاد العرب ، أشهرها نجران مدينة بالحجاز من شق اليمن . (انظر مجمع ما استجمع للبحري طبعه القاهرة ص ١٢٩٨) .

قولهم قد نزل القرآن ، وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم ، فلما كلمه الخبران ، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ، قالوا : قد أسلمنا ، قال : إنكُمَا لم تُسَلِمَا ، فأسلما ، قالوا : بلى قد أسلمنا قبلك ، قال : كَذَبْتُمَا ، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَلَدًّا ، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ ، وَأَكْلُكُمَا الْخِزْيِرَ ، قالوا : فن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما ، فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لاشريك له فيه ، وردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا عليهم بقولهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم ، فقال ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي ليس معه شريك في أمره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال : إن النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخاصموه في عيسى ابن مريم ، وقالوا له : من أبوه ، وقالوا على الله الكذب والبهتان ، لا إله إلا هو ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ ؟ قالوا : بلى ، قال : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟ قالوا : بلى ، قال : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلُؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟ قالوا : لا ، قال : أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عِزٌّ وَجَلٌّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَهُ ؟ قالوا : لا ، قال : فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟ قالوا : بلى ، قال : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَلَا يُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟ قالوا : بلى ، قال : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ امْرَأَةٌ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غَدَى كَمَا يُغَدَى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟ قالوا : بلى ، قال : فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ ؟ قال : فعرفوا ثم أبوا إلا جحودا ، فأنزل الله عز وجل ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

اختلفت القراء في ذلك ، فقرأته قراء الأمصار ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما ﴿الْحَيُّ الْقَيَّامُ﴾ ، وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ ﴿الْحَيُّ الْقَيِّمُ﴾ . حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علي ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : سمعت علقمة يقرأ ﴿الْحَيُّ الْقَيِّمُ﴾ قلت : أنت سمعته ؟ قال : لا أدري .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة ، مثله .

وقد روى عن علقمة خلاف ذلك ، وهو ما حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا شيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن علقمة أنه قرأ ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ، والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا في ذلك ، ما جاءت به قراءة المسلمين نقلاً مستفيضاً عن غير تشاغر ، ولا تواطؤ وراثة ، وما كان مثبتاً في مصاحفهم ، وذلك قراءة من قرأ ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ الْحَيُّ ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿ الْحَيُّ ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره : أنه وصف نفسه بالبقاء ، ونفى الموت الذي يجوز على من سواه من خلقه عنها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد . قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ابن الزبير ﴿ الْحَيُّ ﴾ الذي لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب في قولهم ، يعني في قول الأخبار الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿ الْحَيُّ ﴾ قال : يقول : حي لا يموت .

وقال آخرون : معنى ﴿ الْحَيُّ ﴾ الذي عناه الله عز وجل في هذه الآية ، ووصف به نفسه ، أنه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، وأنه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والأنداد .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن له الحياة الدائمة التي لم تزل له صفة ، ولا تزال كذلك ، وقالوا : إنما وصف نفسه بالحياة ، لأن له حياة كما وصفها بالعلم ، لأن لها علماً ، وبالقدرة لأن لها قدرة .

ومعنى ذلك عندي : أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه ، من الفناء ، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله ، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة ، والحي الذي لا يموت ، ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ، ويبيد كل من ادعى من دونه إلها ، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى ، فلا يكون إلها يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت ، وأن الإله : هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى ، وذلك الله الذي لا إله إلا هو .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ قد ذكرنا اختلاف القراءة في ذلك والذي نختار منه ، وما العلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك .

فأما تأويل جميع الوجوه التي ذكرنا أن القراء قرأت بها فتقارب ، ومعنى ذلك كله : القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل ، وزيادة ونقص .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى بن ميمون ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ قال : القائم على كل شيء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه .

وقال آخرون : معنى ذلك القيام على مكانه ، ووجهوه إلى القيام الدائم الذي لازوال معه ولا انتقال ، وأن الله عز وجل إنما نفي عن نفسه بوصفها بذلك التغير والتنقل من مكان إلى مكان ، وحدث التبدل الذي يحدث في الآدميين وسائر خلقه غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمر بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ القيام على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم ، يعني في قول الأخبار الذين حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم من أهل نجران في عيسى ، عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره .
وأولى التأويلين بالصواب ، ما قاله مجاهد والربيع ، وأن ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه ، بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه ، وكلائه وتديره وصرفه في قدرته ، من قول العرب : فلان قائم بأمر هذه البلدة ، يعني بذلك : المتولى تدبير أمرها ؛ فالقيوم إذ كان ذلك معناه « الفاعل » من قول القائل : الله يقوم بأمر خلقه ، وأصله القيوم ، غير أن الواو الأولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهي متحركة قلبت ياء ، فجعلت هي والياء التي قبلها ياء مشددة ، لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة . وأما القيام ، فإن أصله القيوم ، وهو الفاعل ، من قام يقوم ، سبقت الواو المتحركة من قيوم ياء ساكنة ، فجعلتا جميعا ياء مشددة ، ولو أن القيوم فعول ، كان القووم ، ولكنه الفاعل ، وكذلك القيام لو كان الفاعل لكان القوام ، كما قيل : الصوم والقوام ، وكما قال جل ثناؤه ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ ولكنه الفاعل فقال : القيام . وأما القيم فهو الفاعل من قام يقوم ، سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة ، كما قيل : فلان سيد قومه ، من ساد يسود ، وهذا طعام جيد من جاد يجود ، وما أشبه ذلك . وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ لأنه قصد به قصد المبالغة في المدح ، فكان القيوم والقيام والقسم أبلغ في المدح من القائم ، وإنما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته إن شاء الله القيام ، لأن ذلك الغالب على منطلق أهل الحجاز في ذوات الثلاثة من الياء والواو ، فيقولون للرجل الصواغ : الصيَّاغ ، ويقولون للرجل الكثير الدوران الديار ، وقد قيل إن قول الله جل ثناؤه ﴿ لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إنما هو دوارا فعلا من دار يدور ، ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز ، وأقرت كذلك في المصحف :

القول في تأويل قوله تعالى :

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٢﴾

يقول جل ثناؤه : يا محمد إن ربك ورب عيسى ورب كل شيء ، هو الرب الذي أنزل عليك الكتاب ، يعني بالكتاب : القرآن ، بالحق ، يعني بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل ، وفيما خالفك فيه مجاولك من نصارى أهل نجران ، وسائر أهل الشرك غيرهم ، مصدقا لما بين يديه ، يعني بذلك القرآن ، أنه مصدق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده ، لأن منزل جميع ذلك واحد ، فلا يكون فيه اختلاف ، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال : لما قبله من كتاب أو رسول .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من كتاب أو رسول .

حدثني محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق فيما اختلفوا فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول : القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب التي قد خلت قبله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول : مصدقا لما قبله من كتاب ورسول .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : وأنزل التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ﴿مِن قَبْلُ﴾ يقول : من قبل الكتاب الذي نزل عليه . ويعني بقوله ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ بيانا للناس من الله ، فيما اختلفوا فيه من توحيد الله ، وتصديق رسله ، ومفيدا يا محمد أنك نبي ورسولي ، وفي غير ذلك من شرائع دين الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ هما كتابان أنزلهما الله ، فهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ﴾ التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبلهما .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾

يعنى جل ثناؤه بذلك : وأنزل الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلفت فيه الأحزاب وأهل الملل
في أمر عيسى وغيره . وقد بينا فيما مضى أن الفرقان إنما هو الإعلان من قولهم : فرق الله بين الحق والباطل
يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل ؛ إما بالحجة البالغة ، وإما بالقهر والغلبة بالأيدى والقوة .
وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن بعضهم وجه تأويله إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أمر
عيسى ، وبعضهم إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أحكام الشرائع .

ذكر من قال : معناه : الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى والأحزاب
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾
أى الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلفت فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره .

ذكر من قال : معنى ذلك الفصل بين الحق والباطل في الأحكام وشرائع الإسلام
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وأنزل الفرقان : هو القرآن أنزله على محمد
وفرق به بين الحق والباطل ، فأحل فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحدد فيه حدوده
وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾
قال : الفرقان : القرآن فرق بين الحق والباطل .

والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك : أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه
عن قتادة والربيع ، وأن يكون معنى الفرقان فى هذا الموضع : فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
والذين حاجوه فى أمر عيسى ، وفى غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عذرهم ، وعذر نظرائهم من
أهل الكفر بالله .

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب ، لأن إخبار الله عن تنزيله القرآن قبل إخباره عن تنزيله التوراة
والإنجيل فى هذه الآية قد مضى بقوله ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولا
شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره ، فلا وجه لتكريره مرة أخرى ، إذ لا فائدة فى تكريره ، ليست
فى ذكره إياه وخبره عنه ابتداء .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ
يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيدهم وألوهته ، وأن عيسى عبده
واتخذوا المسيح إلها وربا ، أو ادّعوه لله ولدا ، لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة ، والذين كفروا هم
الذين جحدوا آيات الله ، وآيات الله : أعلام الله وأدلته وحججه .

وهذا القول من الله عز وجل ، ينبي عن معنى قوله ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أنه معنى به الفصل عن الذي هو حجة لأهل الحق على أهل الباطل لأنه عقب ذلك بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني : إن الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذي أنزله فرقا بين الحق والمبطل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وعيد من الله لمن عاند الحق بعد وضوحه له ، وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه ، ثم أخبرهم أنه عزيز في سلطانه لا يمنع مانع ممن أراد عذابه منهم ، ولا يحول بينه وبينه حائل ، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد ، وأنه ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلتها ، بعد ثبوتها عليه ، وبعد وضوحها له ومعرفته بها .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿أَيُّ أَنْ اللَّهُ مُنْتَقِمٌ مِنْ كَفَرِ بآيَاتِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِهَا ، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا جَاءَ مِنْهُ فِيهَا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

﴿يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض ، ولا شيء وهو في السماء ، يقول : فكيف يخفى على يا محمد ، وأنا علام جميع الأشياء ، ما يضاهاى به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله ، من نصارى نجران في عيسى ابن مريم ، في مقالهم التي يقولونها فيه ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي قد علم ما يريدون وما يكيّدون وما يضاهاون بقولهم في عيسى إذ جعلوه ربا وإلهما ، وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذي يصوركم ، فيجعلكم صورا أشباها في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكرا ، وهذا أنثى ، وهذا أسود ، وهذا أحر ، يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء من صوره وخلقه كيف شاء ، وأن عيسى ابن مريم من صوره في رحم أمه ، وخلقه فيها كيف شاء وأحب ، وأنه لو كان إلهالم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه ، لأن خلقي ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة ، وإنما تشتمل على المخلوقين .

(١) في اللسان : قال صاحب العين : ضاهات الرجل وضاهيته : أي شابهته ، يهمز ولا يهمز .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ قد كان عيسى ممن صُوِّرَ في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ، ولا ينكرونها ، كما صور غيره من بني آدم ، فكيف يكون إلها ، وقد كان بذلك المنزل .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي أنه صور عيسى في الرحم كيف شاء .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الحمداي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ قال : إذا وقعت النطفة في الأرحام ، طارت في الجسد أربعين يوما ، ثم تكون علقة أربعين يوما ، ثم تكون مضغة أربعين يوما ، فإذا بلغ أن يخلق ، بعث الله ملكا يصورها ، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه ، فيخلطه في المضغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصورها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنثى ، أشقى أو سعيد ، وما رزقه ، وما عمره ، وما أثره ، وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك ، فإذا مات ذلك الجسد ، دفن حيث أخذ ذلك التراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ قادر والله ربنا أن يصور عباده في الأرحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تام خلقه وغير تام .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته ند أو مثل ، أو أن تجوز الألوهة لغيره ، وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ، وجميع من ادعى مع الله معبودا ، أو أقر بربوبية غيره ، ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعبادته لمن عبد غيره ، أو أشرك في عبادته أحدا سواه ، فقال : هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ، ولا ينجيه منه وال ولا لجأ ، وذلك لعزته التي يذل لها كل مخلوق ، ويخضع لها كل موجود ، ثم أعلمهم أنه الحكيم في تدبيره ، وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حججه عليهم ، ليهلك من هلك منهم عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : ثم قال : يعنى الرب عز وجل إنزاهها لنفسه ، وتوحيدها لها مما جعلوا معه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال : العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء ، والحكيم في عذره وحجته إلى عباده .

(١) كذا في الأصول والدر المنثور للسيوطي (٢ : ٤) .

(٢) اللجأ بوزن سبب : الملجأ والمقل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول : عزيز في نعمته ، حكيم في أمره .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾

﴿يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاهُ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴿يَعْنِي بِالْكِتَابِ : الْقُرْآنَ . وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى الْبَيَانِ فِي مَضَى عَنْ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمِّيَ الْقُرْآنُ كِتَابًا بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي مِنَ الْكِتَابِ آيَاتٍ ، يَعْنِي بِالْآيَاتِ آيَاتِ الْقُرْآنِ . وَأَمَّا الْمُحْكَمَاتُ : فَانْهَنَّا اللَّوَاتِي قَدْ أَحْكَمْنَ بِالْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ ، وَأَثْبَتَتْ حُجُجَهُنَّ وَأَدْلَاهُنَّ عَلَى مَا جَعَلْنَ أُدْلَةً عَلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ ، وَأَمْرٍ وَزَجْرٍ ، وَخَبَرٍ وَمَثَلٍ ، وَعِظَةٍ وَعِبَرَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ ثَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ بِأَنَّهُنَّ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عِمَادُ الدِّينِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، وَسَائِرُ مَا بِالْخَلْقِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَمَا كَلَفُوا مِنَ الْفَرَائِضِ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، وَإِنَّمَا سَاهَنَ أُمُّ الْكِتَابِ ، لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ ، وَمَوْضِعُ مَفْزَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ ، تَسْمِي الْجَامِعِ مُعْظَمُ الشَّيْءِ أُمًّا لَهُ ، فَيَسْمِي رَايَةَ الْقَوْمِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ فِي الْعَسَاكِرِ أُمَّهُمْ ، وَالْمُدِيرِ مُعْظَمَ أَمْرِ الْقَرْيَةِ وَالْبَلَدَةِ أُمَّهَا . وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ . وَوَحْدَ أُمِّ الْكِتَابِ ، وَلَمْ يَجْمَعْ فَيَقُولُ : هُنَّ أُمّهَاتُ الْكِتَابِ ، وَقَدْ قَالَ هُنَّ لِأَنَّهُ أَرَادَ جَمِيعَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ أُمِّ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، لَكَانَ لَاشْكًا قَدْ قِيلَ : هُنَّ أُمّهَاتُ الْكِتَابِ ، وَنَظِيرُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَوْحِيدِ الْأُمِّ ، وَهِيَ خَبَرٌ لَّهُنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وَلَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : وَجَعَلْنَا جَمِيعَهُمَا آيَةً ، إِذْ كَانَ الْمَعْنَى : وَإِحْدَاهُمَا جَعَلْنَا فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، وَلَوْ كَانَ مُرَادُهُ الْخَبَرُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ ، بِأَنَّهُ جَعَلَ لِلْخَلْقِ عِبْرَةً ، لَقِيلَ : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَتَيْنِ ، لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهْمُ عِبْرَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَرْيَمَ وَلَدَتْ مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ ، وَنَطَقَ ابْنُهَا فَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلنَّاسِ آيَةٌ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ نَحْوِي الْبَصْرَةِ : إِنَّمَا قِيلَ : هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَلَمْ يَقُلْ : هُنَّ أُمّهَاتُ الْكِتَابِ عَلَى وَجْهِ

الحكاية ، كما يقول الرجل : مالى أنصار ، فتقول : أنا أنصارك ، أو مالى نظير ، فتقول : نحن نظيرك ، قال : وهو شبيه دعنى من تمرتان ، وأنشد لرجل من فقفس :

تَعَرَّضْتُ لِي بِمَكَانٍ حِلٍّ تَعَرَّضَ الْمُهْرَةُ فِي الطَّوْلِ
تَعَرَّضًا لَمْ تَأَلْ عَنْ قَتْلِي ۱

كل أى يحكى^٢ به على الحكاية ، لأنه كان منصوبا قبل ذلك ، كما يقول : نودى : الصلاة الصلاة ، يحكى قول القائل : الصلاة الصلاة . وقال : قال بعضهم : إنما هى أن قتلا لى ، ولكنه جعله « عن » لأن أن فى لغته تجعل موضعها « عن » والنصب على الأمر ، كأنك قلت : ضربا لزيد ، وهذا قول لامعنى له ، لأن كل هذه الشواهد التى استشهد بها ، لاشك أنهن حكايات حالتهن بما حكى عن قول غيره وألفاظه التى نطق بهن ، وأن معلوما أن الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله : أم الكتاب ، فيجوز أن يقال : أخرج ذلك منخرج الحكاية عن قال ذلك كذلك .

وأما قوله ﴿ وَأُخِرَ ﴾ فإنها جمع أخرى^٣ .

ثم اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يصرف أخر ، فقال بعضهم : لم يصرف أخر من أجل أنها نعت واحدها أخرى ، كما لم تصرف جمع وكنع ، لأنهن نعوت .

وقال آخرون : إنما لم تصرف الأخر لزيادة الياء التى فى واحدها ، وأن جمعها مبنى على واحدها فى ترك الصرف ، قالوا : وإنما ترك صرف أخرى ، كما ترك صرف حمراء وبيضاء فى النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو^٤ ، ثم افرق جمع حمراء وأخرى ، فبنى جمع أخرى على واحده ، فقيل : فُعِّلَ أخر ، فترك صرفها كما ترك صرف أخرى ، وبنى جمع حمراء وبيضاء على خلاف واحده ، فصرف ، فقيل حُمِرَ وبييض ، فلاختلاف حالتيهما فى الجمع اختلف إعرابهما عندهم فى الصرف ، ولاتفاق حالتيهما فى الواحدة اتفقت حالتهما فيها .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى ، ويقال منظور بن حبة ، وهى أمه ، من أرجوزة بلغت أبياتها المنفرقة فى الكتب ودواوين اللغة ١٨ بيتا . وانظرها كاملة فى هامش الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة (شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ١٧٨ ، ٢٣٥) . والطول : بتشديد اللام فى الوقف ، فى الشعر خاصة . وهو بوزن عنب : حبل طويل تربط فيه الدابة من طرف ويمسك طرفه الآخر بوتر أو نحوه ، لتدور فيه وترعى . وقال ابن جنى فى سر الصناعة (١ : ٢٣٦) فى قوله « عن قتلا لى » : هكذا أنشدني أبو على . وحله تأويلين : أنه قال : يجوز أن يكون أراد به الحكاية ، كأنه حكى النصب الذى كان معتادا من قولها فى بابه ، أى كانت تقول : قتلا . قتلا . ثم حكى ما كانت تلفظ به ، كما تقول : بدأت بالحمد لله (بضم الدال) ، وقرأت على خاتمه : الله ربنا ، وكقول الآخر :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمُعَارُ

أى وجدنا هذا مكتوبا عندهم . والمعار ههنا : السمين . هكذا قال أبو حاتم . ثم قال (ص ٢٣٧ سطر ٣) (والوجه الآخر : أنه قال : يجوز أن يكون أراد : « أن (قتلا لى) أى أن قتلتى قتلا ، فأبدل الهمزة عينا » . اهـ .

(٢) هذه العبارة كما فى الأصول : وهى مضطربة ولعل أصلها كما هو المفهوم من السياق : لم يقل ، عن قتل وأنى به على الحكاية . وهذا التقدير يستقيم الكلام .

(٣) فى الأصول : آخر تحريف : (٤) هذا قول نقله صاحب اللسان عن الزجاج .

(٥) قوله : والهمزة بالواو : غير واضح . ولعل أصله ، والهمزة بالواحد ، يريد الهمزة الأولى فى آخر (أصله الآخر) .

وأما قوله ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فإن معناه : متشابهات في التلاوة ، مختلفات في المعنى ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهَاتٍ﴾ يعنى في المنظر ، مختلفا في المطعم ، وكما قال مخبرا عن أخبر عنه من بنى إسرائيل أنه قال ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ يعنون بذلك : تشابه علينا في الصفة ، وإن اختلفت أنواعه . فتأويل الكلام إذا : إن الذى لا يخفى عليه شىء في الأرض ولا في السماء ، هو الذى أنزل عليك يا محمد القرآن ، منه آيات محكمات بالبيان ، هن أصل الكتاب الذى عليه عمادك وعماد أمتك في الدين ، وإليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام ، وآيات أخر هن متشابهات في التلاوة ، مختلفات في المعانى .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وما المحكم من آى الكتاب ، وما المتشابه منه ؟ فقال بعضهم : المحكمات من آى القرآن : المعمول بهن ، وهن النسخات ، أو المثبتات الأحكام ؛ والمتشابهات من آيه : المتروك العمل بهن ، المنسوخات . ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن حدثه ، عن ابن عباس في قوله ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ قال : هي الثلاث الآيات التي ههنا ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ثلاث آيات ، والتي في بنى إسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى آخر الآيات . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ المحكمات : ناسخه ، وحلاله ، وحرامه ، وحدوده ، وفرائضه ، وما يؤمن به ، ويعمل به ، قال ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ والمتشابهات : منسوخه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وأمثاله ، وأقسامه ، وما يؤمن به ، ولا يعمل به .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فالمحكمات التي هي أم الكتاب : الناسخ الذى يدان به ويعمل به ؛ والمتشابهات : هن المنسوخات التي لا يدان بهن .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أما الآيات المحكمات : فهن النسخات التي يعمل بهن ؛ وأما المتشابهات : فهن المنسوخات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ والمحكمات : الناسخ الذى يعمل به ما أحل الله فيه لحلاله ، وحرم فيه حرامه ؛ وأما المتشابهات : فالمنسوخ الذى لا يعمل به ويؤمن به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ﴾ قال : المحكم : ما يعمل به .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وأخر متشابهات ﴿قال : المحكمات : النسخ الذي يعمل به ، والمتشابهات : المنسوخ الذي لا يعمل به ، ويؤمن به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال : النسخات ﴿وأخر متشابهات﴾ قال : ما نسخ وترك يتلى .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبط ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : المحكم ما لم ينسخ ، وما تشابه منه : ما نسخ .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال : النسخ ﴿وأخر متشابهات﴾ قال : المنسوخ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وأخر متشابهات ﴿قال : المحكمات : الذي يعمل به .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يحدث ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿مِنْهُ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ﴾ يعني : النسخ الذي يعمل به ﴿وأخر متشابهات﴾ يعني المنسوخ ، يؤمن به ولا يعمل به .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، عن الضحاك ﴿مِنْهُ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ﴾ قال : ما لم ينسخ ﴿وأخر متشابهات﴾ قال : ما قد نسخ . وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب : ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه ؛ والمتشابه منها : ما أشبه بعضه بعضا في المعاني ، وإن اختلفت ألفاظه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿مِنْهُ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ﴾ ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك ، فهو متشابه يصدق بعضه بعضا ، وهو مثل قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ . ومثل قوله ﴿كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّجُوسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . ومثل قوله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَامُ تَقْوَاهُمْ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : المحكمات من آي الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد ؛ والمتشابه منه :

ما احتمل من التأويل أوجها :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الحصوم والباطل ، ليس لها تصريح ولا تحريف عما وضعت عليه ، وأخر متشابهة في الصدق ، لهن تصريح وتحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق .

وقال آخرون : معنى المحكم : ما أحكم الله فيه من آي القرآن ، وقصص الأمم ورسلمهم الذين أرسلوا إليهم ، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته . والمتشابه : هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني ، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد وقرأ المر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من للدن حكيم خبير قال : وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين آية منها ، وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها ، ثم قال : تلك من أنباء الغيب ثم ذكر إلى عاد فقرأ حتى بلغ وآستغفروا ربكم ثم مضى ثم ذكر صالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا ، وفرغ من ذلك ، وهذا يقين ، ذلك يقين أحكم آياته ثم فصلت ، قال : والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة ، وهو متشابه ، وهو كله معنى واحد ومتشابه : اسلك فيها ، احمِل فيها ، اسلك يذك ، أدخل يذك ، حية تسعى ، ثعبان مبين ؛ قال : ثم ذكر هودا في عشر آيات منها ، وصالحا في ثمان آيات منها وإبراهيم في ثمان آيات أخرى ، ولوطا في ثمان آيات منها ، وشعيبا في ثلاث عشرة آية ، وموسى في أربع آيات ، كل هذا يقضى بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة ، فانهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود ، ثم قال ذلك من أنباء القرى نقصه عليك ، منها قائم وحصيد وقال في المتشابه من القرآن : من يرد الله به البلاء والضلالة ، يقول : ما شأن هذا لا يكون هكذا ، وما شأن هذا لا يكون هكذا ؟

وقال آخرون : بل المحكم من آي القرآن : ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره ؛ والمتشابه : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يعلمه أحد ، وقالوا : إنما سمي الله من آي الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن من نحو الم والمص ، والمر ، والر ، وما أشبه ذلك ، لأنهن متشابهات في الألفاظ ، وموافقات حروف حساب الجمل ، وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ظمعو أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الإسلام وأهله ، ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته ، فأكذب الله أحداثهم بذلك ، وأعلمهم أن ما ابتسغوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها ، وأن ذلك لا يعلمه إلا

الله ، وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب ، أن هذه الآية نزلت فيه ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ، ممن قال نحو مقالته في تأويل ذلك في تفسير قوله ﴿الْمَ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنما أنزله عليه بيانا له ولأمته ، وهدى للعالمين ، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل . فإذا كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه لخلقه إليه الحاجة ، وإن كان فى بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى ، وإن اضطرت الحاجة إليه فى معان كثيرة ، وذلك كقول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، ذلك هى طلوع الشمس من مغربها ، فالذى كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعد بالسنين والشهور والأيام ، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسرا ، والذى لا حاجة لهم إلى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التى بين وقت نزول هذه الآية ، ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه فى دين ولا دنيا ، وذلك هو العلم الذى استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم ، وذلك وما أشبهه هو المعنى الذى طلبت اليهود معرفته فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله : ﴿الْمَ ، والمص ، والر ، والمر ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات ، التى أخبر الله جل ثناؤه أنهم لا يدركون تأويل ذلك من قبيله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذا كان التشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمحكم ، لأنه لن يخلو من أن يكون محكما بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استغنى بسماعه عن بيان مبينه ، أو يكون محكما ، وإن كان ذا وجوه وتأويلات وتصرف فى معان كثيرة ، فالدلالة على المعنى المراد منه ، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته ، ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بينا . القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

قد أثبتنا على البيان عن تأويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ، ونحن ذاكروا اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى قوله ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ هنّ اللاتى فيهنّ الفرائض والحدود والأحكام ، نحو قيلنا الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمر بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، أنه قال فى هذه الآية ﴿مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال يحيى : هنّ اللاتى فيهنّ الفرائض والحدود وعماد الدين ، وضرب لذلك مثلا فقال : أم القرى مكة ، وأم خراسان مرو ، وأم المسافرين الذين يجعلون إليه أمرهم ، ويعنى بهم فى سفرهم ، قال : فذاك أمهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ قال : هنّ جماع الكتاب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك فواتح السور التي منها يستخرج القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ قال : أم الكتاب : فواتح السور ، منها يستخرج القرآن ﴿ أَلَمْ ذَلِكِ الْكِتَابُ ﴾ منها استخرجت البقرة ، و ﴿ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ منها استخرجت آل عمران .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق ، وانحراف عنه ، يقال منه : زاغ فلان عن الحق ، فهو يزيع عنه زيغا وزيعانا وزيعوغة وزيوغا ، وأزاغه الله : إذا أماله فهو يزيعه ، ومنه قوله جل ثناؤه ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ لاتملها عن الحق ﴿ بعد إذ هدّيتنا ﴾ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى ميل عن الهدى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : شك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : من أهل الشك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أنى مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أما الزيع : فالشك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : زيع : شك . قال ابن جريج ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ المنافقون .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيع عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريق معانيه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ فيحملون المحكم على المتشابه ، والمتشابه على المحكم ، ويلبسون ، فلبس الله عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي ما تحرف منه وتصرف ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قال : الباب الذي ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله .

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتبعون المنسوخ والناسخ ، فيقولون : ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مجاز هذه الآية ، فركت الأولى وعمل بهذه الأخرى ، هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت وما باله يعد العذاب من عمل عملا يعد به النار وفي مكان آخر من عمله فانه لم يوجب النار . واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني به الوفد من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحاجوه بما حاجوه به . ونحاصموه بأن قالوا : ألسنت تزعم أن عيسى روح الله وكلمته ، وتأولوا في ذلك ما يقولون فيه من الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : عمدوا ، يعني الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران : فخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ألسنت تزعم أنه كلمة الله وروح منه ، قال : بلى ، قالوا : فحسبنا ، فأنزل الله عز وجل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ ثم إن الله جل ثناؤه أنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ . . . الآية .

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب ، وأخيه حيي بن أخطب ، والنضر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدر مدة أجله وأجل أمته ، وأرادوا علم ذلك من قبل قوله : ألم ، والمصر ، والمر ، والر ، فقال الله جل ثناؤه فيهم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يعني معاني هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف في الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة . وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل في أول السورة التي تذكر فيها البقرة .

وقال آخرون : بل عني الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتأويل يتأوله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات ، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك ، إما في كتابه ، وإما على لسان رسوله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم ، ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار ، خبر لمن استخبر ، وعبرة لمن استعبر ، لمن كان يعقل ، أو يبصر ، إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق وأزواجه يومئذ أحياء ، والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ، ولا رضوا الذي هم عليه ولا مالتوهم فيه ، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ونعته الذي نعمهم به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بالسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم ، ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ، ولكنه كان ضللا فتفرق ، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا ، فقد أوصوا هذا الأمر منذ زمان طويل ، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا ، يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم ، لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره ، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه ، فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجته ، وأكذب أحدثهم ، وأهرق دماءهم ، وإن كنتموا كان قرحا في قلوبهم ، وغما عليهم ، وإن أظهروه ، أهراق الله دماءهم ، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه ، والله إن اليهود لبدة ، وإن النصرانية لبدة ، وإن الحرورية لبدة ، وإن السبئية لبدة ، ما نزل بهن كتاب ، ولا سنن نبي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ طلب القوم التأويل فأخطوا التأويل ، وأصابوا الفتنة ، فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك ، لعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان ، وذكر نحو حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ فقال « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَأَحْذَرُوهُمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة أنها قالت : قرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ »

(١) أوصوا الأمر : أداروه وألصقته على الشيء مثل راودته عليه وداورته .

يُجَادِلُونَ فِيهِ» أَوْ قَالَ «يَتَجَادَلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُمْ» قَالَ مَطَرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ : فَلَا تُجَالِسُوهُمْ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ : ثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِنَحْوِ مَعْنَاهُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِنَحْوِهِ .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَرِثُ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ... الْآيَةَ كُلَّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ : فَلَا تُجَالِسُوهُمْ» .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ . قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ثُمَّ قَرَأَ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، فَقَالَ «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «قَدْ حَذَرَكُمْ اللَّهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَعْرِفُوهُمْ» .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، قَالَ : ثَنَا الْوَلِيدُ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ عُمَرَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» ، ثُمَّ نَزَعَ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ وَلَا يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمِي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ رُوْحِ ابْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَثَلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فَقَالَ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ فَاحْذَرُوهُمْ» .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثَنَا خَالِدُ بْنُ نَزَّارٍ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ... الْآيَةَ . يَتَّبِعُهَا يَتْلُوهَا ، ثُمَّ يَقُولُ «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَاحْذَرُوهُمْ فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ» .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إلى آخر الآية ، قال : « هُمُ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » .

﴿ قال أبو جعفر : والذي يدل عليه ظاهر هذه الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل إليه من كتاب الله إما في أمر عيسى ، وإما في مدة أجله وأجل أمته ، وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه ، لأن قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ دال على أن ذلك إخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله فأما أمر عيسى وأسبابه ، فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم ، فعلوم أنه لم يكن إلا ما كان خفيا عن الآحاد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ قال : إرادة الشرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ يعني الشرك .

وقال آخرون : معنى ذلك ابتغاء الشبهات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ قال : الشبهات بها أهلكوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ الشبهات ، قال : هلكوا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ قال : الشبهات . قال : والشبهات ما أهلكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي اللبس .

﴿ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إرادة الشبهات واللبس .

فمعنى الكلام إذا : فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه ، فيتبعون من آى الكتاب ما تشابهت

ألفاظه ، واحتمل صرفه في وجوه التأويلات ، باحتماله المعاني المختلفة لإرادة اللبس على نفسه وعلى غيره ، احتجاجا به على باطله الذي مال إليه قلبه دون الحق الذي أبانه الله ، فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه .
وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنى بها كل مبتدع في دين الله بدعة ، فال قلبه إليها تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن ، ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح ، من أدلة آي المحكمات لإرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان ، وأي أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية ، أو كان سبئيا ، أو حروريا ، أو قدريا ، أو جهميا كالذي قال صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيتم الذين يجادلون به فتهم الذين عني الله فاحذروهم » .

وكما حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، وذكر عنده الخوارج ، وما يلقون عند الفرار . فقال : يؤمنون بحكمه ، ويهلكون عند متشابهه . رقرأ ابن عباس ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ . . . الآية .

وإنما قلنا : القول الذي ذكرنا أنه أولى التأويلين بقوله ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ لأن الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك ، وإنما أرادوا بطلب تأويل ما طلبوا تأويله اللبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدّوهم عما هم عليه من الحق ، فلا معنى لأن يقال : فعلوا ذلك لإرادة الشرك ، وهم قد كانوا مشركين .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى التأويل الذي عني الله جل ثناؤه بقوله ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ فقال بعضهم معنى ذلك : الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته من قبيل الحروف المقطعة من حساب الحمل كالم ، والمصر ، والر ، والمر وما أشبه ذلك من الآجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، أما قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ يعني تأويله يوم القيامة إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن ، وقالوا : إنما أرادوا أن يعلموا متى يجيء ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن ، وهو عواقبه ، قال الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وتأويله : عواقبه ، متى يأتي الناسخ منه فينسخ المنسوخ .

وقال آخرون : معنى ذلك : وابتغاء تأويل ما تشابه من آي القرآن يتأولونه ، إذ كان ذا وجوه وتصاريح في التأويلات ، على ما في قلوبهم من الزيف ، وما ركبوه من الضلالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير **﴿وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾** وذلك على ما ركبوا من الضلالة في قوله : **﴿خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا﴾** . والقول الذي قاله ابن عباس من أن ابتغاء التأويل الذي طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة ، ووقت قيام الساعة ، والذي ذكرنا عن السدي من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هوجاء قبل مجيئه أولى بالصواب ، وإن كان السدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه إلى حصره على أن معناه : إن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك .

ولما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن ، أولى بتأويل قوله **﴿وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾** لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله ، ولا شك أن معنى قوله : **﴿وَقَضَيْنَا وَفَعَلْنَا﴾** قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك ، فضلا عن أهل الإيمان ، وأهل الرسوخ في العلم منهم . القول في تأويل قوله تعالى : **﴿رَمَا يَتَعَلَّمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾**

يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقت قيام الساعة ، وانقضاء مدة أجل محمد وأمته ، وما هو كائن ، إلا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أملوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة . وأما الراسخون في العلم ، فيقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، لا يعلمون ذلك ، ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم ، العلم بأن الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، وهل الراسخون معطوف على اسم الله . بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أو هم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون آمنا بالمتشابه ، وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟ فقال بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردا بعلمه . وأما الراسخون في العلم فإنهم ابتدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون : آمنا بالمتشابه والمحكم ، وأن جميع ذلك من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قوله **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾** قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : كان ابن عباس يقول **﴿وَمَا يَتَعَلَّمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾** يقول : الراسخون : آمنا به . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، قال : قال هشام بن عروة :

كان أبى يقول فى هذه الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أن الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويله ، ولكنهم يقولون : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبى نهيك الأسدى قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيقول : إنكم تصلون هذه الآية وأنها مقطوعة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ، يقولون آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فانتهى علمهم إلى قولهم الذى قالوا .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، عن مالك فى قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال : ثم ابتداء فقال ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وليس يعلمون تأويله . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ، ويقولون آمنا به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ويقولون آمنا به .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ويقولون آمنا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الذى أراد ما أراد إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به .

ثم ردوا تأويل المتشابهة على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضا ، فنفذت به الحجة . وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر . فمن قال القول الأول فى ذلك ، وقال : إن الراسخين لا يعلمون تأويل ذلك ، وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم

(١) قوله « الذى أراد ما أراد الخ » كذا فى الأصل ، وعبارة « الذى أراد » هى بمعنى عبارة « ما أراد » فلملها تكرار من النسخ .

وتصدقهم بأنه من عند الله ، فانه يرفع الراسخين في العلم بالابتداء في قول البصريين ، ويجعل خبره يقولون آمنوا به . وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في يقولون ، وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم ، وهي يقولون . ومن قال القول الثاني ، وزعم أن الراسخين يعلمون تأويله عطف بالراسخين على اسم الله ، فرفعهم بالعطف عليه .

والصواب عندنا في ذلك ، أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون ، لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية ، وهو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أبي يعقوب الراسخون في العلم . كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرؤه ؛ وفي قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون .

وأما معنى التأويل في كلام العرب : فإنه التفسير والمرجع والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى على أنها كانت تأول حبها . تَوَالَى رَبْعَى السَّقَابِ فَأُصْحَبَا

وأصله من آل الشيء إلى كذا ، إذا صار إليه ورجع يقول أولاً وأولته أنا : صيرته إليه ؛ وقد قيل : إن قوله ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أي جزاء ، وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه ، ويعني بقوله : تأول حبها : تفسير حبها ومرجعها ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً في قلبه ، فآل من الصغير إلى العظيم ، فلم يزل ينبت حتى أصبح ، فصار قديماً كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصبح ، فصار كبيراً مثل أمه ، وقد ينشد هذا البيت :

على أنها كانت تَوَابِيعُ حُبِّهَا تَوَالَى رَبْعَى السَّقَابِ فَأُصْحَبَا

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾
يعني بالراسخين في العلم : العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ، ووعوه فحفظوه حفظاً لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس ، وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء ، وهو ثبوته وولوجه فيه ، يقال منه : رسخ الإيمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخاً ورسوخاً .

وقد روى في نعمتهم خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله ، قال : ثنا فياض بن محمد الرقي ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم ، عن أبي الدرداء

(١) الرواية للبيت كما جاء في لسان العرب في (ول) :

وَلَكِنَّهَا كَانَتْ نَوَى أَجْسَبِيَّةٍ تَوَالَى رَبْعَى السَّقَابِ فَأُصْحَبَا

وقال : قال الأزهري : والمؤالاة معنى ثالث ، سميت العرب تقول : والوا حواشي نعمكم عن جلها : أي اعزلوا صغارها عن كبارها ؛ وقد واليناها فتوالى ، إذا تميزت . ومنه قول الأعشى : البيت ، ثم قال : وربى السقاب : الذي نتج في أول الربيع . وتواليه : أن يفصل عن أمه ، فيشتد ولده إليها إذا فقدتها ، ثم يستمر على المؤالاة ، ويصحب أي ينقاد ويصبر ، بعد ما كان اشتد عليه من مفارقتها إياها . شبه هجرها إياه بالسفر البعيد حال بينها وبينه ، كما يحال بين السقب وأمّه فيشألم ، ثم لا يلبث بعد حين أن ينقاد ويسلوها .

عل أن في الديوان واللسان (أول) رواية أخرى : « على أنها كانت تأويل حبها . تأول . . . الخ » ، وتفسيرها ككلام المؤلف .

وأبي أمانة ، قالاً : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ في العلم ؟ قال : « مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ بَطْنُهُ ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ » .

حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذی ، قالاً : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا فياض الرقي ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد الأودي ، قال : وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : حدثنا أنس ابن مالك وأبو أمانة وأبو الدرداء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم ؟ فقال : « مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَجَهُ فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ » .

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنما سمي الله عز وجل هؤلاء القوم : الراسخين في العلم بقولهم ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ قال : الراسخون الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا . حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ هم المؤمنون ، فإنهم ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ بنسخه ومنسوخه ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّكَ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : قال عبد الله بن سلام ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وعلمهم قولهم قال ابن جريج ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وهم الذين يقولون ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . . . الآية .

وأما تأويل قوله ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ فإنه يعني : أن الراسخين في العلم يقولون صدقنا بما تشابه من آي الكتاب ، وأنه حق ، وإن لم نعلم تأويله .

وقد حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ قال : المحكم والمتشابه . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا ، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ قال : يعني ما نسخ منه ، وما لم ينسخ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قالوا : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ كُلُّ مِّنْ عِندِ رَبَّنَا ﴾ يقولون : المحكم والمتشابه من عند ربنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبَّنَا ﴾ يؤمن بالمحكم ، ويدين به ، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به ، وهو من عند الله كله .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ يعملون به ، يقولون : نعمل بالمحكم ونؤمن به ، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به ، وكل من عند ربنا .

واختلف أهل العربية في حكم « كل » إذا أضمر فيها ، فقال بعض نحوي البصريين : إذا جاز حذف المراد الذي كان معها الذي الكل إليه مضاف في هذا الموضع لأنها اسم ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ بمعنى : إنا كلنا فيها ، قال : ولا يكون كل مضمرا فيها وهي صفة ، لا يقال : مررت بالقوم كل ، وإنما يكون فيها مضمرا إذا جعلتها اسما لو كان إنا كلا فيها على الصفة ، لم يحز ، لأن الإضمار فيها ضعيف لا يتمكن في كل مكان . وكان بعض نحوي الكوفيين يرى الإضمار فيها وهي صفة أو اسم سواء ، لأنه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده إلا وهي كافية بنفسها عما كانت تضاف إليه من المضممر ، وغير جائز أن تكون كافية منه في حال ، ولا تكون كافية في أخرى ، وقال : سبيل الكل والبعض في الدلالة على ما بعدهما بأنفسهما وكفائتهما منه ، بمعنى واحد في كل حال ، صفة كانت أو اسما ، وهذا القول الثاني أولى بالقياس ، لأنها إذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها في حال لدالاتها عليه ^٢ ، فالحكم فيها أنها كلما وجدت دالة على ما بعدها ، فهي كافية منه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يتذكر ويتعظ وينزجر عن أن يقول في متشابه أي كتاب الله ما لأعلم له به إلا أولوا العقول والنهي .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ يقول : وما يذكر في مثل هذا ، يعنى في رد تأويل المتشابه إلى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد ، إلا أولو الأبواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : أن الراسخين في العلم يقولون : آمنا بما تشابه من أي كتاب الله ، وأنه والمحكم من

(٢) في الأصل : عليها .

(١) لعل « إذا » زائدة من قلم الناسخ . أو لعلها « إذن » حرف الجواب

آيه من تنزيل ربنا ووحيه ، ويقولون أيضا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يعنى أنهم يقولون رغبة منهم إلى ربهم ، فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاعغ قلوبهم من اتباع متشابه آى القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذى لا يعلمه غير الله ، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاعغ قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك ﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ لاتملها فتصرفها عن هداك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ له : فوفقنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه ﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ يا ربنا ﴿ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ يعنى من عندك رحمة . يعنى بذلك : هب لنا من عندك توفيقا وثباتا للذى نحن عليه ، من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ يعنى : إنك أنت المعطى عبادك التوفيق والسداد ، للثبات على دينك ، وتصديق كتابك ورسلك . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ أى لاتمل قلوبنا وإن ملنا بأجسادنا ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم إليه فى أن لا يزيع قلوبهم ، وأن يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون . ما أبان عن خطأ قول الجهلة من القدرية ، إن إزاغة الله قلب من أزاع قلبه من عباده عن طاعته . وإمالاته له عنها جور ، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ بالذم أولى منهم بالمدح ، لأن القول لو كان كما قالوا ، لكان القوم إنما سألوا ربهم مسألتهم إياه ، أن لا يزيع قلوبهم . أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم ، وذلك من السائل جهل ، لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ، ولا يجور عليهم ، وقد أعلم عباده ذلك ، ونفاه عن نفسه بقوله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التى قد أخبرهم أنه بها ، وفى فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح ، على أن عدلا من الله عز وجل إزاغة من أزاع قلبه من عباده عن طاعته ، فلذلك استحق المدح من رغب إليه فى أن لا يزيعه لتوجيهه الرغبة إلى أهلها ووضع مسألته موضعها ، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته إلى ربه فى ذلك مع محله منه ، وكرامته عليه .

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام . عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامُ قَلْبِ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » ثم قرأ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى ، قال : ثنا شهر ابن حوشب ، قال : سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول « اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » قال : قلت يا رسول الله . وإن القلب ليقرب ؟ قال : نعم . ما خلق الله من بشر من بنى آدم إلا وقُلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ .

فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ ، فَلَنَسْأَلُ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزَيِّغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُهَيِّبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ ، قَالَتْ : قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَعْلَمُنِي دَعْوَةَ أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي ؟ قَالَ : بَلَى ، قُولِي : اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَأَذْهَبْ غِيْظَ قَلْبِي ، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ » .

حدثني محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : « يَا مُقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » ، فقال له بعض أهله : يخاف علينا وقد آمننا بك وبما جئت به ؟ قال : إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ بِهِ هَكَذَا ، وَحَرَّكَ أَبُو أَحْمَدُ أَصْبُعَهُ . قال أبو جعفر : وَإِنَّ الطُّوسِيَّ (١) وَسَقَى بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش عن أبي سفيان ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : « يَا مُقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » ، قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ آمَنَّا بِكَ ، وَصَدَقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ ، فَيَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقْلَبُهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا بشر بن بكر ، وحدثني علي بن سهل ، قال : ثنا أيوب بن بشر جميعا ، عن ابن جابر ، قال : سمعت بشر بن عبيد الله ، قال : سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النّوّاس بن سميان الكلّابي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ » ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا مُقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ » ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

حدثني عمر بن عبد الملك الطائي ، قال : ثنا محمد بن عبيدة ، قال : ثنا الجراح بن مليح البهراني ، عن الزبيدي ، عن جوير ، عن سمرة بن قاتك الأسدي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْمَوَازِينُ بِيَدِ اللَّهِ يَرْفَعُ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ أَقْوَامًا ، وَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، إِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : أخبرني أبو هاني الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبِ وَاحِدٍ يُصَرَّفُ كَيْفَ يَشَاءُ » ، ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ .

(١) من معنى الوسط : التفریق ، ولعله المراد في كلام أبي جعفر .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، قال : ثنا شهر ابن حوشب ، قال : سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ، قالت : قلت يا رسول الله ، وإن القلوب لتقلب ؟ قال : نَعَمْ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ بَشَرًا إِلَّا أَنْ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

يعنى بذلك جل ثناؤه : أنهم يقولون أيضا مع قولهم آمنا بما تشابه من آى كتاب ربنا كل المحكم والمتشابه الذى فيه من عند ربنا يا ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، وهذا من الكلام الذى استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره . وذلك أن معنى الكلام : ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ ، واعف عنا ، فإنك لا تخلف وعده ، أن من آمن بك ، واتبع رسولك ، وعمل بالذى أمرته به في كتابك أنك غافره يومئذ ، وإنما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ما هم عليه من حسن نصرتهم بالإيمان بالله ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم ، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة ، لأنه قد وعد من فعل ذلك به من عباده أنه يدخله الجنة ، فالآية وإن كانت قد خرجت مخرج الخبر ، فإن تأويلها من القوم مسألة ودعاء ورغبة إلى ربهم .

وأما معنى قوله ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه لا شك فيه ، وقد بينا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل . ومعنى قوله ﴿لِيَوْمٍ﴾ في يوم ، وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم في موقف العرض والحساب ، والميعاد : المفعال من الوعد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إن الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ، ومنافقي العرب وكفارهم الذين في قلوبهم زيغ ، فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعنى بذلك : أن أموالهم وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله إن أحلها بهم عاجلا في الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تثبيتهم ، واتباعهم المتشابه طلب اللبس فتدفعها عنهم ، ولا يغنى ذلك عنهم منها شيئا ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَقُودُ النَّارِ﴾ يعنى بذلك حطبها .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا عند حلول عقوبتنا بهم ، كسنة آل فرعون وعادتهم ، والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا ، فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا ، فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا حين جاءهم بأسنا كالذين عرجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ فقال بعضهم : معناه : كسنتهم . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى . قال : ثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ يقول : كسنتهم . وقال بعضهم : معناه : كعملهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا مؤمل . قال : ثنا سفيان ، وحدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان جميعا ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كعمل آل فرعون . حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا جوير . عن الضحاك في قوله : كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ قال : كعمل آل فرعون . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كفعلهم كتكذيبهم حين كذبوا الرسل ، وقرأ قول الله مثل دأب قوم نوح أن يصيبكم مثل الذي أصابهم عليه من عذاب الله قال : الدأب : العمل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد في قوله ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كفعل آل فرعون كشأن آل فرعون . حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كصنع آل فرعون . وقال آخرون : معنى ذلك : كتكذيب آل فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ، فأخذهم الله بذنوبهم ﴿ ذَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب ، وأصل الدأب من دأبت في الأمر : دأبا : إذا أدمنت العمل والتعب فيه ، ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة ، كما قال امرؤ القيس بن حجر :

وَإِنْ شِفَائِي عَسْبَرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارِيَتَهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَا سَلَّ

يعنى بقوله كدأبك : كشأنك وأمرك وفعلك ، يقال منه : هذا دأبي ودأبك أبدا ، يعنى به : فعلى وفعلك وأمرى وأمرى ، وشأنى وشأنك ، يقال منه : دأبت دؤوبا ودأبا . وحكى عن العرب سماعا : دأبت دأبا مثقلة بحركة الميمزة ، كما قيل هذا شعر وبهر ، فتحرك ثانيه لأنه حرف من الحروف الستة ، فألحق الدأب إذ كان ثانيه من الحروف الستة ، كما قال الشاعر :

لَهُ نَعَلٌ لَا يَطْبِي الْكَتَابَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ بَيْنَ الْمَجَالِسِ شُمَّتْ

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فإنه يعنى به : والله شديد عقابه لمن كفر به وكذب رسله بعد قيام الحجة عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ۝١٧

اختلفت القراء في ذلك ، فقرأه بعضهم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون ، واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله ﴿وَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ قالوا : ففي ذلك دليل على أن قوله ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ كذلك خطاب لهم ، وذلك هو قراءة عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ، وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن الموعودين بأن يغلبوا هم الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول ذلك لهم أن يقرأه بالياء والتاء ، لأن الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم ، فيكون نظير قول القائل في الكلام : قلت للقوم إنكم مغلوبون ، وقلت لهم إنهم مغلوبون . وقد ذكر أن في قراءة عبد الله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ إن تنسبوا يغفر لكم وهي في قراءة تناه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾ وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة : سيغلبون ويحشرون على معنى : قل لليهود سيغلب مشركو العرب ، ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز في قراءته غير الياء .

(١) البيتان لامرؤ القيس في معلقته : (مختار الشعر الجاهل ص ٢٤) مهراق : معسوبة . والموئل : إما من الموئل والبكاء ، يريد : فهل يبكي عند رسم دارس . والاستفهام بمعنى النفي ، أى لا ينبغي أن يبكي عند رسم دارس . وإما من الموئل والاعتماد على الشيء . أى أن البكاء على الرسوم لا يجدى شيئا ، فلا ينبغي أن يعول عليه . دأبك : عادتك . ومائل بفتح السين : جبل .

(٢) البيت لكثير " عزة كما في لسان العرب في (نعل) . قال : فأما قول كثير : . . البيت ، فإنه حرك حرف الحلق ، لانفتاح ما قبله ، كما قال بعضهم : يندو وهو محموم (بتخريك الفين) ، فى : يندو (بتسكينها) وهذا لا يعد لغة ، إنما هو جمع ما قبله .

والذى نختار من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه بالتاء ، بمعنى : قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آى الكتاب الذى أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، يستغلبون وتحشرون إلى جهنم ، وبئس المهاد .

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ على أنهم بقوله يستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله : قد كان لكم ، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

وأخرى أن أبا كريب حدثنا ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر فقدم المدينة ، جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا ، فقالوا : يا محمد لا تغرنك نفسك ، إنك قتلت نفرا من قريش كانوا أعمارا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تأت مثنا ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ ﴾ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ إِلَى قوله ﴿ لَا أُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما أصاب الله قريشا يوم بدر . جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة ، ثم ذكر نحو حديث أبى كريب ، عن يونس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم ، وعهد الله إليكم ، فقالوا : يا محمد إنك ترى أنا كقومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت فيهم فرصة ، إنا والله لن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ ﴾ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ إِلَى قوله ﴿ لَا أُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة فى قوله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ ﴾ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قال فنحاص اليهودى فى يوم بدر : لا يغرن هذا أن غلب قريشا وقتلهم ، إن قريشا لا تحسن القتال ، فنزلت هذه الآية ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ ﴾ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ .

قال أبو جعفر : فكل هذه الأخبار تنبئ عن أن المخاطبين بقوله ﴿ سِتُغْلَبُونَ ﴾ وَتَحْشَرُونَ إِلَى

جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٦﴾ هُمُ الْيَهُودُ الْمَقُولُ لَهُمْ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ . . . الآية ، وتدل على أن قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء . ومعنى قوله ﴿وَتَحْشَرُونَ﴾ وتجمعون فتجلبون إلى جهنم . وأما قوله ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وبئس الفراش جهنم التي تحشرون إليها .

وكان مجاهد يقول كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ قال : بئس ما مهّدوا لأنفسهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ
بَرَّوْنَهُمْ قَتْلَهُمْ مَرَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿١٧﴾

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ جَلْ ثَنَاؤُهُ﴾ : قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهرائي بلدك : قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون وعبرة ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة وتفكر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله ، إلا أنه قال : ومتفكر في فئتين ، يعني في فرقتين وحزبين ، والفئة : الجماعة من الناس التقتا للحرب ، وإحدى الفئتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر ، والأخرى مشركو قريش ، فئة تقاتل في سبيل الله ، جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأخرى كافرة وهم مشركو قريش .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّاقَتَا﴾ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَدْرٍ﴾ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿فِئَةُ قُرَيْشٍ الْكَافِرِ﴾ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّاقَتَا﴾ ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ﴾ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴿قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ﴾ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ : قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ،

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال ذلك يوم بدر ، التي المسلمون والكفار ، ورفعت ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وقد قيل قبل ذلك في فئتين ، بمعنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله على الابتداء ، كما قال الشاعر :

فكنتُ كذِي رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ
وكما قال ابن مفرغ :

فكنتُ كذِي رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُثْمَانَ ٢

وكذلك تفعل العرب في كل مكرر على نظير له قد تقدمه إذا كان مع المكرر خبر ترده على إعراب الأول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع ، وتنصبه في التام من الفعل والناقص ، وقد جرَّ ذلك كله ، فخفض على الرد على أول الكلام ، كأنه يعني إذا خفض ذلك فكنت كذِي رجلين كذِي رجل صحيح ورجل سقيمة ، وكذلك الحفظ في قوله : فئة ، جائز على الرد على قوله : في فئتين التقتا ، في فئة تقاتل في سبيل الله ، وهذا وإن كان جائزا في العربية ، فلا أستجيز القراءة به لإجماع الحجة من القراء على خلافه ، ولو كان قوله : فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله : قد كان لكم آية في فئتين التقتا مختلفتين .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء أهل المدينة : ترونهم بالناء ، بمعنى : قد كان لكم أيها اليهود آية في فئتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، والأخرى كافرة ، ترون المشركين مثلى المسلمين رأى العين ، يريد بذلك عظمتهم ، يقول : إن لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين ، وكثرة عدد المشركين ، وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكين : يرونهم مثليهم ، بالياء ، بمعنى : يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلى المسلمين في القدر . فتأويل الآية على قراءتهم : قد كان لكم يا معشر اليهود عبرة ومتفكر في فئتين

(١) هذا البيت لكثير عزة (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٧٦ وما بعدها) . وهو شاهد نحوى على أن (رجل) يجوز فيها الجر على البدل من رجلين ، ويجوز فيها الرفع ، على أنه بدل مقطوع عما قبله . أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هما رجل صحيح ورجل أخرى . أو تقديره : إحداهما رجل صحيح والأخرى رجل . . . الخ . أو مبتدأ محذوف الخبر تقديره : منهما رجل صحيح . . . الخ . قال العيني : ويجوز النصب ، على إضمار أعني . وثلث : مبنى للمعلوم من باب فرح ، والشلل : يابس يصيب اليد أو الرجل فتتوت أعصابها وتسترخي .

تمنى كثير أن تضع قلوصله فيبقى في سبي عزة ، فيكون ببقائه في حيا كذِي رجل صحيح ، ويكون من عدمه لقولصه كذِي رجل عليلة . (٢) نسب المؤلف البيهقي ليزيد بن مفرغ الحميري . وفي الخزانة (٢ : ٣٧٨) أن كثيرا أخذ بيته من قول النجاشي : وذكر البيهقي . قال : وقد أورده ابن رشيقي في « العمدة » في السرقات الشعرية ، وسماه الاهتمام . قال : فأخذ كثير القسم الأول ، واهتمم بآق البيت .

التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين في كثرة عددهم .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا وَجْهٌ تَأْوِيلُ قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالْبَاءِ ، وَأَيُّ الْفَتْنَيْنِ رَأَتْ صَاحِبَتَهَا مِثْلَهَا ، الْفِتْنَةُ الْمُسْلِمَةُ هِيَ الَّتِي رَأَتْ الْمَشْرُكَةَ مِثْلَهَا ، أَمْ الْمَشْرُكَةُ هِيَ الَّتِي رَأَتْ الْمُسْلِمَةَ كَذَلِكَ ، أَمْ غَيْرُهُمَا رَأَتْ إِحْدَاهُمَا كَذَلِكَ ؟ قِيلَ : اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْفِتْنَةُ الَّتِي رَأَتْ الْآخَرَى مِثْلَ أَنْفُسِهَا الْفِتْنَةُ الْمُسْلِمَةُ ، رَأَتْ عِدَدَ الْفِتْنَةِ الْمَشْرُكَةِ مِثْلَ عِدَدِ الْفِتْنَةِ الْمُسْلِمَةِ ، قَلَّلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَعْيُنِهَا حَتَّى رَأَتْهَا مِثْلَ عِدَدِ أَنْفُسِهَا ، ثُمَّ قَلَّلَهَا فِي حَالٍ أُخْرَى ، فَرَأَتْهَا مِثْلَ عِدَدِ أَنْفُسِهَا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن مرة الحمداني ، عن ابن مسعود ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَيْتَنَيْنِ التَّتَقَاتَا ، فِئْتَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ قال : هذا يوم بدر ، قال عبد الله بن مسعود ، قد نظرنا إلى المشركين ، فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فإرأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ، وذلك قول الله عز وجل ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقَّيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ . فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا : إحداهما مسلمة ، والأخرى كافرة ، كثير عدد الكافرة ، قليل عدد المسلمة ، ترى الفئة القليل عددها ، الكثير عددها أمثالا لما أنها تكثرها من العدد بمثل واحد ، فهم يرونهم مثلهم ، فيكون أحد المثلين عند ذلك ، العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم ، والمثل الآخر : الضعف الزائد على عددهم ، فهذا أحد معني التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم في أعينهم ، والمعنى الآخر منه : التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود ، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم ، فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقَّيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثل أنفسهم هم المسلمون ، غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم ، لم يقللوا في أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره ، قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرة ، يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم ، مثل الذي حل بأهل بدر على أيديهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَيْتَنَيْنِ التَّتَقَاتَا ، فِئْتَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ . أنزلت في التخفيف يوم بدر ، كأن المؤمنين كانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان المشركون مثلهم ،

فأنزل الله عز وجل ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة ، فأيد الله المؤمنين ، فكان هذا الذي في التخفيف على المؤمنين ، وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر ، وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين ، فقال بعضهم : كان عددهم ألفا ، وقال بعضهم : ما بين التسعمائة إلى الألف .

ذكر من قال : كان عددهم ألفا

حدثني هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من قريش ، ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فأنفلت ، وأما مولى عقبة ، فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك صدقوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير شديد بأسهم ، فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخبره كم هم ؟ فأبى ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كَمْ تَنْحَرُونَ مِنَ الْخُزُرِ ؟ قال : عشرة كل يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْقَوْمُ أَلْفٌ .

حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة عن عبد الله ، قال : أسرنا رجلا منهم ، يعني من المشركين يوم بدر ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا .

ذكر من قال : كان عددهم ما بين التسعمائة إلى الألف

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : ثنا يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه ، فأصابوا راوية من قريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص ، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كَمْ الْقَوْمُ ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري ، قال : كَمْ تَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قالا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ إِلَى الْأَلْفِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ ذلكم يوم بدر ألف المشركون ، أو قاربوا ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ﴾ إلى قوله ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ قال : يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين يوم بدر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ قال : كان ذلك يوم بدر ، وكان المشركون تسعمائة وخمسين ، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر ، والمشركون ما بين التسعمائة إلى الألف ، فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القول الذى روينا عن ابن عباس فى عدد المشركين يوم بدر . فاذا كان ما قاله من حكيانه ممن ذكر أن عددهم كان زائدا على التسعمائة ، فالتأويل الأول الذى قلناه على الرواية التى روينا عن ابن مسعود أولى بتأويل الآية .

وقال آخرون : كان عدد المشركين زائدا على التسعمائة ، فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد ، وقالوا : أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلا آية للمسلمين ، قالوا : وإنما عنى الله عز وجل بقوله ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴾ المخاطبين بقوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ قالوا : وهم اليهود غير أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ، لأنه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك لهم ، فحسن أن يخاطب مرة ، ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى ، كما قال ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّكَ وَجَرَبَئِنْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ .

وقالوا : فإن قال لنا قائل : فكيف قيل ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ وقد علمتم أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين ؟ قلنا لهم : كما يقول القائل : وعند عبد احتاج إلى مثله أنا محتاج إليه ، وإلى مثله ، ثم يقول : أحتاج إلى مثليه ، فيكون ذلك خبرا عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلى ذلك المثل ، وكما يقول الرجل : معى ألف وأحتاج إلى مثليه ، وهو محتاج إلى ثلاثة ؛ فلما نوى أن يكون الألف داخلا فى معنى المثل ، صار المثل أشرف^(١) والاثنتان ثلاثة ، قال : ومثله فى الكلام : أراكم مثلكم ، كما يقال : إن لكم ضعفكم ، وأراكم مثليكم ، يعنى أراكم ضعفيكم ، قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثلى عددهم ، وهذا أيضا خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل ، لأن الله جل ثناؤه قال فى كتابه ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الشَّيْقَتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ فأخبر أن كلا من الطائفتين قُليل عددها فى رأى الأخرى .

وقرأ آخرون ذلك : ﴿ تَرَوْنَهُمْ ﴾ بضم التاء ، بمعنى : يريكموهم الله مثليهم .

وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ بالياء ، بمعنى : وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم ، يعنى : مثلى عدد المسلمين ، لتقليل الله إياهم فى أعينهم فى حال ، فكان حزرهم إياهم

(١) (قوله صار المثل أشرف) . . . الخ كذا فى النسخ ، ولعله : صار المثل اثنين . . . الخ .

كذلك ، ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الأول ، فحزروهم مثلى عدد المسلمين ، ثم تقللا ثالثا ، فحزروهم أقل من عدد المسلمين .

كما حدثني أبو سعيد البغدادي ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، قال : فأسرنا رجلا منهم ، فقلنا كم كنتم ؟ قال : ألفا .

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت تُروونهم ، لكانت مثليكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن ابن المعرك ، عن معمر ، عن قتادة بذلك في الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذ عدد المشركين في الأوقات المختلفة ، فأخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين اليهود^٢ على ما كان به عندهم ، مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين إعلاما منه لهم أنه مؤيد المؤمنين بنصره ، لئلا يغتروا بعددهم وبأسهم ، وليحذروا منه أن يحل بهم من العقوبة على أيدي المؤمنين ، مثل الذي أحل بأهل الشرك به من قريش على أيديهم بيدهم .

وأما قوله ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾ فانه مصدر رأيته ، يقال : رأيت رأيا ورؤية ، ورأيت في المنام رؤيا حسنة غير مجرأة ، يقال : هو من رأى العين ، ورأى العين بالنصب والرفع ، يراد حيث يقع عليه بصرى ، وهو من الرأى مثله ، والقوم رأوا^٣ إذا جلسوا ، حيث يرى بعضهم بعضا ، فعنى ذلك : يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم ، وتراهم عيونهم مثليهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : والله يؤيد : يقوى بنصره من يشاء من قول القائل : قد أيدت فلانا بكذا : إذا قوته وأعنته ، فأنا أؤيده تأييدا ، وفعلت منه إدته ، فأنا أئيده أيدا ، ومنه قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ كَرَّرَ عِيسَى دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ يعنى ذا القوة .

وتأويل الكلام : قد كان لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا : إحداهما تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم ، على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر ، والله يقوى بنصره من يشاء ؛ وقال جل ثناؤه : إن في ذلك : يعنى إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها لعبرة ، يعنى لتفكروا ومتعظوا لمن عقل وادكر ، فأبصر الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يقول : لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر ، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم .

(١) لم أجده في التاج ، ولا في معاجم الرجال .

(٢) اليهود : مفعول أخبر . يريد أن الله أخبر اليهود بمصير المشركين على أيدي المسلمين ليتهربوا به .

(٣) كذا في الأصول . ولعل الصواب : تراووا ، أى رأى بعضهم بعضا بالعين .

(٤) يريد أن الفعل الثلاثى منه هو . . . الخ . ولم نجد الفعل الثلاثى من هذه المادة متعديا في المعاجم .

حدثني المنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَحْرَثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٧﴾

❦ يعني تعالى ذكره : زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين ، وسائر ما عدّ ، وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحُبّ الرياسة فيها ، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه . وكان الحسن يقول : من زينها ما أحد أشدّ لها ذما من خالقها .

حدثني بذلك أحمد بن حازم : قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو الأشعث ، عنه ، حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد ، قال : قال عمر : لما نزل ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ قلت : الآن يا ربّ حين زينتها لنا ، فنزلت ﴿ قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِمُخَسِّرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . . . الآية .
وأما القناطر : فإنها جمع القنطار .

واختلف أهل التأويل في مبلغ القنطار ، فقال بعضهم : هو ألف ومائتا أوقية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ بن جبل ، قال : القنطار : ألف ومائتا أوقية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ، يعني حفص بن ميسرة ، عن أبي مروان ، عن أبي طيبة ، عن ابن عمر ، قال : القنطار : ألف ومائتا أوقية .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا قاسم بن مالك المزني ، قال : أخبرني العلاء بن المسيب ، عن عاصم بن أبي النجود ، قال : القنطار : ألف ومائتا أوقية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، مثله .

حدثني زكريا بن يحيى الصديق ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا مخلد بن عبد الواحد ، عن عليّ بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زرّ بن حبیش ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقَنْطَارُ أَلْفُ أَوْقِيَّةٍ وَمِائَتَا أَوْقِيَّةٍ » .

وقال آخرون : القنطار : ألف دينار ومائتا دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا يونس عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينَارٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : القنطار : ألف ومائتا دينار .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عيسى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : القنطار ألف ومائتا دينار ، ومن الفضة ألف ومائتا مثقال .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاک ابن مزاحم يقول : القناطير المقنطرة ، يعنى : المال الكثير من الذهب والفضة ، والقنطار : ألف ومائتا دينار ، ومن الفضة : ألف ومائتا مثقال .

وقال آخرون : القنطار : اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : القنطار : اثني عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاک ، قال : القنطار : ألف دينار ، ومن الورق^١ : اثنا عشر ألف درهم .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أن القنطار : اثنا عشر ألفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن : القنطار : اثنا عشر ألفا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن : اثنا عشر ألفا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن بمثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : القنطار : ألف دينار ، دية أحدكم .

وقال آخرون : هو ثمانون ألفا من الدراهم ، أو مائة رطل من الذهب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سليمان التيمي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : القنطار : ثمانون ألفا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : القنطار : ثمانون ألفا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدث أن القنطار مائة رطل من ذهب ، أو ثمانون ألفا من الورق .

(١) الورق بوزن كفف : الفضة ، مضروبة أو غير مضروبة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : القنطار :
مائة رطل من ذهب ، أو ثمانون ألف درهم من ورق .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قال :
القنطار : مائة رطل .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : القنطار يكون مائة رطل ، وهو
ثمانية آلاف مثقال .

وقال آخرون : القنطار سبعون ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول
الله ﴿القَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ﴾ قال : القنطار : سبعون ألف دينار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمر بن حوشب ، قال : سمعت
عطاء الخراساني ، قال : سئل ابن عمر عن القنطار ، فقال : سبعون ألفا .

وقال آخرون : هي مل مسك^١ ثور ذهبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سالم بن نوح ، قال : ثنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة^٢ ، قال : مل^٣
مسك ثور ذهبا .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو الأشعث ، عن أبي نضرة : مل^٤ مسك
ثور ذهبا .

وقال آخرون : هو المال الكثير .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ،
قال : القناطر المقنطرة : المال الكثير بعضه على بعض .

وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن العرب لا تحدد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ، ولكنها
تقول : هو قدر ووزن ، وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك ، لأن ذلك لو كان محدودا قدره عندها لم يكن
بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف .

فالصواب في ذلك أن يقال : هو المال الكثير ، كما قال الربيع بن أنس ، ولا يحدد قدر وزنه بحد^٥ على

(١) المسك : جلد الثور . بفتح الميم وسكون السين .

(٢) الجريري : بالجريم والراءين . ونضرة : بالنون والفاء المعجمة . اهـ من الخلاصة .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال : الخيل الراعية .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول : الخيل الراعية .

وقال آخرون : المسومة : الحسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، قال : قال مجاهد : المسومة : المطهمة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد في قوله ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال : المطهمة الحسان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال : المطهمة حسنا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد : المطهمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، قال : ثنا سعيد بن أبي أيوب ، عن بشر بن أبي عمرو الخولاني ، قال : سألت عكرمة عن الخيل المسومة ، قال : تسويمها : حسنها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن بشر بن أبي عمرو الخولاني ، قال : سمعت عكرمة يقول ﴿الخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال : تسويمها : الحسن .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ والأنعام الرائعة .

وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد غير موسى ، قال : الراعية .

وقال آخرون : ﴿الخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ يعني : المعلمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ وسياها شيتها .

حدثنا الحسين بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿والخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال : شبة الخيل في وجوهها .

وقال غيرهم : المسومة : المعدة للجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال: المعدة للجهاد. قال أبو جعفر: أولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾. المعلمة بالشيء الحسان الرائعة حسنا من رآها، لأن التسويم في كلام العرب: هو الإعلام، فالخيل الحسان معلمة بإعلام إياها بالحسن من ألوانها وشتاتها وهيئاتها، وهي المظهمة أيضا، ومن ذلك قول نابغة بنى ذبيان في صفة الخيل: بِسُمُرٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعَشَرٌ أَشْبَاهُ جِنٍّ^١ يعني بالمسومات: المعلمات، وقول لبید:

وَعَسَدَاةَ قَاعِ الْقُرْنَتَيْنِ أَتَيْتَنَّهُمْ زُجَلًا يَلُوحُ خِيَالَهَا التَّسْوِيمُ^٢

فمعنى تأويل من تأول ذلك: المظهمة، والمعلمة، والرائعة واحد. وأما قول من تأوله بمعنى الرائعة فإنه ذهب إلى قول القائل: أَسَمْتُ الماشية فأنا أسيمها إسامة: إذا رعيها الكلاً والعشب، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ بمعنى ترعون، ومنه قول الأخطل:

مِثْلُ ابْنِ بَزْعَةَ أَوْ كَأَخَرٍ مِثْلِهِ أُولَى لَكَ ابْنُ مُسِيمَةِ الْأَجْمَالِ^٣

يعنى بذلك راعية الأجمال، فإذا أريد أن الماشية هي التي رعت، قيل: سامت الماشية تسوم سوما، ولذلك قيل: إبل سائمة، بمعنى راعية، غير أنه مستفيض في كلامهم سومت الماشية، بمعنى أروعيتها، وإنما يقال إذا أريد ذلك: أسمتها، فإذا كان ذلك كذلك، فتوجيه تأويل المسومة إلى أنها المعلمة بما وصفنا من المعاني التي تقدم ذكرها أصح. وأما الذي قاله ابن زيد، من أنها المعدة في سبيل الله، فتأويل من معنى المسومة بمعزل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْخِرَاثِ﴾

(١) البيت للناطقة الذبياني، (مختار الشعر الجاهلي طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ص ٢٠١). والرواية فيه: (وضمر). وهي الصواب، في موضع (بسر). وضمر: معطوف على ما قبله: (بكل مجرب). الخ يريد بالضمير: الخيل الفسامرة حتى صارت من ضميرها شبه قداح الميسر في خفة أجسامها. ومسومات: معلمات بعلامة تميزها في الحرب، يقال: سوم فلان فرسه: إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يعرف به. وشبه الفرسان بالجن لشدة صوتهم وخفتهم في الحرب على الخيل.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة العامري، ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن (سنة ١٨٩١) والقاع: أرض مستوية يستقر فيها الماء. وقاع القرنين: موضع بعينه. كانت به وقعة بين كنانة وغطفان والنون في أتينهم: ضمير الخيل، وقد ذكرها قبل البيت. وزجلا: جمع زجلة كغرفة، وهي الجماعة من الخيل وغيرها. والتسويم: الإعلام بعلامة تعرف بها الخيل في الحرب كقطعة من الحرير ونحوه.

(٣) وقال في اللسان: (ول): وقوله عز وجل: «أولى لك فأولى» معناه التوعد والتهديد: أى الشر أقرب إليك. وقال ثعلب: دنوت من الملكة. وكذلك قوله تعالى: «فأولى لهم»: أى وليهم المكروه، وقال الأصمعي: «أولى لك»: قاربك ما تكره. وأنشد:

فَعَادَى بَيْنَ هَادَتَيْنِ مِنْهَا وَأُولَى أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ

أى قارب أن يزيد. قال ثعلب: ولم يقل أحد في أولى أحسن مما قال الأصمعي.

والبيت في ديوان الأخطل طبع بيروت سنة ١٨٩١ ص ١٥٩، وقال شارحه: ابن برعة يعنى شداد بن المنذر أخا حصين بن الحارث بن ولة الأهلي، صاحب راية ربيعة بصفين، من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، وأمههم رقاش، وإليها ينسبون، والآخر الذي مثله: هو حوشب بن رؤم. يعبره بأن أمه ترمى الإبل كالإماء. ورواية الأغانى (٨: ٣١٩ طبع دار الكتب): كابن البريمة.

فالأنعام جمع نعم : وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها في كتابه ، من الضأن والمعر والبقر والإبل . وأما الحرث : فهو الزرع . وتأويل الكلام : زين للناس حب الشهوات من النساء ومن البنين ، ومن كذا ومن كذا ، ومن الأنعام والحرث .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه : ذلك جميع ما ذكر في هذه الآية من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والحلil المسومة ، والأنعام والحرث ، فكفى بقوله ذلك عن جميعهن ، وهذا يدل على أن «ذلك» يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعاني ، ويكفى به عن جميع ذلك . وأما قوله ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يستمتع به في الدنيا أهلها أحياء ، فيتبلغون به فيها ، ويجعلونه وصلة في معاشهم ، وسببا لقضاء شهواتهم ، التي زين لهم حبها ، في عاجل دنياهم ، دون أن يكون عدة لمعادهم ، وقربة لهم إلى ربهم ، إلا ما أسلك في سبيله ، وأنفق منه فيما أمر به .

وأما قوله ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعند الله حسن المتآب ، يعنى حسن المرجع .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ يقول : حسن المنقلب ، وهي الجنة ، وهو مصدر على مثال مضعّل ، من قول القائل : آب الرجل إلينا : إذا رجع ، فهو يثوب إيابا وأوبة وأيبة ومآبا ، غير أن موضع الفاء منها مهموز ، والعين مبدلة من الواو إلى الألف بحركتها إلى الفتح ، فلما كان حظها الحركة إلى الفتح ، وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذي قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفا ، كما قيل : قال : فصارت عين الفعل ألفا ، لأن حظها الفتح والمتآب ، مثل المقال والمعاد والمحال ، كل ذلك مضعّل ، منقولة حركة عينه إلى فائه ، فتصير ، وواه أو يآؤه ألفا لفتحة ما قبلها .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا عِنْدَهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَشَدِيدِ الْعِقَابِ ؟ قِيلَ : إِنْ ذَلِكَ مَعْنَى بِهِ خَاصٌّ مِنَ النَّاسِ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ : وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ، وَقَدْ أَنْبَأَنَا عَنْ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا . فَإِنْ قَالَ : وَمَا حُسْنُ الْمَتَابِ ؟ قِيلَ : هُوَ مَا وَصَفَهُ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ إِلَى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مُخْلَدًا فِيهَا ، وَإِلَى أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أُوْنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿ يعنى جلّ ثناؤه : قل يا محمد للناس الذين زين لهم حبّ الشهوات ، من النساء والبنين ، وسائر ما ذكر

جل ثناؤه : أونبئكم : أخبركم وأعلمكم بخير من ذلكم : يعني بخير وأفضل لكم . من ذلكم يعني مما زين لكم في الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وأنواع الأموال ، التي هي متاع الدنيا . ثم اختلف أهل العربية في الموضع الذي تنهى إليه الاستفهام من هذا الكلام ، فقال بعضهم : تنهى ذلك عند قوله ﴿ مِنْ ذَلِكُمْ ﴾ ثم ابتداء الخبر عما ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فقيل : للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، فلذلك رفع الجنات . ومن قال هذا القول ، لم يُجيز في قوله (جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) إلا الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير ، فيكون الخفض فيه جائزا ، وهو وإن كان خبرا مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى الخير الذي أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أونبئكم به . والجنات على هذا القول مرفوعة باللام التي في قوله ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التي في قوله للذين من صلة الإنشاء جاز في الجنات الخفض والرفع : الخفض على الرد على الخير ، والرفع على أن يكون قوله ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ خبر مبتدأ على ما قد بيناه قبل .

وقال آخرون : بل منتهى الاستفهام قوله ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم ابتداء ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وقالوا : تأويل الكلام : قل أونبئكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم ، ثم كأنه قيل : ماذا لهم ، أو ما ذاك ، أو على أنه يقال : ماذا لهم أو ماذا ؟ فقال : هو جنات تجري من تحتها الأنهار ... الآية . وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهيا عند قوله ﴿ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ ﴾ والخبر بعده مبتدأ عن له الجنات بقوله ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر ، وهو إبانة عن معنى الخير الذي قال : أنبئكم به ، فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير . قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : وأما قوله ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ فنصوب على القطع ؛ ومعنى قوله ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ للذين خافوا الله فأتوا به ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني بذلك : لهم جنات تجري من تحتها الأنهار عند ربهم ، والجنات : البساتين ، وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى ، وأن قوله ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ يعني به : من تحت الأشجار ، وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها ، وأن الأزواج المطهرة : هن نساء الجنة اللواتي طهرن من كل أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمني والبول والنفاس ، وما أشبه ذلك من الأذى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وقوله ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ يعني : ورضا الله ، وهو مصدر من قول القائل : رضى الله عن فلان ، فهو يرضى عنه رضا منقوص ، ورضوانا ورضوانا ومرضاة . ١ فأما الرضوان بضم الراء فهو لغة قيس ، وبه كان عاصم يقرأ . وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير : رضوانه ، لأن رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة .

(١) في اللسان : رضى يرضى رضا ورضوانا ورضوانا (بضم الراء وكسرها في المصدرين) .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنى أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله تبارك وتعالى : أعطيكم أفضل من هذا ، فيقولون : أي ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ قال : رضواني .

وقوله ﴿وَاللَّهُ بِتَصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ يعني بذلك ، والله ذو بصر بالذي يتقيه من عباده ، فيخافه فيطيعه ، ويؤثر ما عنده مما ذكر أنه أعده للذين اتقوه على حب ما زين له في عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدد منها تعالى ذكره ، وبالذي لا يتقيه فيخافه ، ولكنه يعصيه ، ويطيع الشيطان ، ويؤثر ما زين له في الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والأموال ، على ما عنده من النعيم المقيم ، عالم تعالى ذكره بكل فريق منهم ، حتى يجازي كلهم عند معادهم إليه جزاءهم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾

﴿ومعنى ذلك : قل هل أنبئكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا يقولون ربنا آمنا إننا ، فاغفر لنا ذنوبنا ، وقنا عذاب النار ، وقد يحتمل الذين يقولون وجهين من الإعراب ، الخفض على الرد على الذين الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها الذين الأولى ، فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ ثم قال في مبتدأ الآية التي بعدها ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ ، ولو كان جاء ذلك مخفوضا كان جائزا .

ومعنى قوله ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا ، فاغفر لنا ذُنُوبَنَا﴾ الذين يقولون : إننا صدقنا بك وبنيك ، وما جاء به من عندك ﴿فاغفر لنا ذُنُوبَنَا﴾ يقول : فاستر علينا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها . وإنما معنى ذلك : لا تعذبنا يا ربنا بالنار ، وإنما خصوا المسئلة بأن يقيمهم عذاب النار ، لأن من زحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب النار ، وحسن ما به . وأصل قوله قنا : من قول القائل : وقى الله فلانا كذا ، يراد به : دفع عنه فهو يقيه ، فإذا سأل بذلك سائل قال : قنى كذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ ﴿١٢﴾

﴿يعنى بقوله ﴿الصَّابِرِينَ﴾ الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس ، ويعنى بالصادقين : الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به وبرسوله ، وما جاء به من عنده بالعمل بما أمره به والانتفاء عما نهاه عنه ، ويعنى بالقانتين : المطيعين له : وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالإخبار عن قال فيها قولاً فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الصادقين : قوم صدقت أفواههم ، واستقامت قلوبهم وألسنتهم ، وصدقوا في السر والعلانية ، والصابرين : قوم صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محارمه ، والقانتون : هم المطيعون لله ، وأما المنفقون : فهم المؤتون زكوات أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها ، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل ثناؤه بانفاقها فيها ، وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض ، ردّا على قوله ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ والخفض في هذه الحروف يدلّ على أن قوله ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ خفض ردّا على قوله ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفّهم ، فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ هم أهل الصلاة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قال : يصلون بالأسحار .
وقال آخرون : هم المستغفرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبي ، عن حريث بن أبي مطر ، عن إبراهيم بن حاطب ، عن أبيه ، قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول : رب أمرتني فأطعتك ، وهذا سحر فاغفر لي ، فنظرت فإذا ابن مسعود .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن قول الله عز وجل ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قال : حدثني سليمان بن موسى ، قال : ثنا نافع أن ابن عمر كان يحكي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا ؟ فيقول : لا ، فيعاود الصلاة ، فإذا قلت : نعم ، فقد يستغفر ويدعو حتى يصبح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن بعض البصريين ، عن أنس بن مالك قال : أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا أبو يعقوب الضبي ، قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين بالأسحار .

وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصبح في جماعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا إسماعيل بن مسلمة أخو القعنبی^١ قال : ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، قال : قلت لزید بن أسلم من المستغفرین^٢ بالأسحار ؟ قال : هم الذين يشهدون الصبح . وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالأسحار ، وهي جمع سحر : وأظهر معاني ذلك أن تكون مسئلتهم إياه بالدعاء . وقد يحتمل أن يكون معناه : تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة . غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة ، وأولو العلم : فالملائكة معطوف بهم على اسم الله ، وأنه مفتوحة بشهد .

وكان بعض البصريين يتأول قوله شهد الله : قضى الله ، ويرفع الملائكة : بمعنى : والملائكة شهود وأولو العلم ، وهكذا قرأت قراء أهل الإسلام بفتح الألف من أنه على ما ذكرت من أعمال شهد في أنه الأولى وكسر الألف من إن الثانية وابتدائها ، سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأن الدين عند الله الإسلام ، فعطف بأن الدين على أنه الأولى : ثم حذف واو العطف وهي مرادة في الكلام ، واحتج في ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ . الآية ، ثم قال ﴿أَنَّ الدِّينَ﴾ بكسر إن الأولى : وفتح أن الثانية بإعمال شهد فيها ، وجعل إن الأولى اعتراضا في الكلام غير عامل فيها شهد : وأن ابن مسعود قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بفتح أن ، وكسر إن من ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ على معنى إعمال الشهادة في أن الأولى وأن الثانية مبتدأة ، فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود : فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الإسلام المتقدمين منهم والمتأخرين . بدعوى تأويل على ابن عباس وابن مسعود ، زعم أنهما قالاه وقرأ به ، وغير معلوم ما ادعى عليهما برواية صحيحة ، ولا سقيمة . وكفى شاهدا على خطأ قراءته خروجهما من قراءة أهل الإسلام . فالصواب إذ كان الأمر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتح الألف من أنه الأولى ، وكسر الألف من إن الثانية ، أعني من قول ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ابتداء .

وقد روى عن السدي في تأويل ذلك قول كالدال على تصحيح ما قرأ به في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية في فتح أن من قوله ﴿أَنَّ الدِّينَ﴾ وهو ما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إلى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فإن الله

(١) قوله « أخو القعنبی » هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبی ، كما في الخلاصة اهـ .

(٢) أورده كذا منصوبا على الحكاية .

يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس أن الدين عند الله الإسلام ، فهذا التأويل يدل على أن الشهادة إنما هي عاملة في أن الثانية التي في قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فعلى هذا التأويل جاز في أن الأولى وجهان من التأويل : أحدهما أن تكون الأولى منصوبة على وجه الشرط ، بمعنى : شهد الله بأنه واحد ، فتكون مفتوحة بمعنى الخفض في مذهب بعض أهل العربية ، وبمعنى النصب في مذهب بعضهم ، والشهادة عاملة في أن الثانية ، كأنك قلت : شهد الله أن الدين عند الله الإسلام ، لأنه واحد ، ثم تقدم لأنه واحد فتفتحها على ذلك التأويل .

والوجه الثاني : أن تكون أن الأولى مكسورة بمعنى الابتداء لأنها معترض بها ، والشهادة واقعة على أن الثانية ، فيكون معنى الكلام : شهد الله فإنه لا إله إلا هو والملائكة ، أن الدين عند الله الإسلام ، كقول القائل : أشهد فيني محق أنك مما تعاب به برىء ، فإن الأولى مكسورة لأنها معترضة ، والشهادة واقعة على إن الثانية .

وأما قوله ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ فإنه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه ، والقسط : هو العدل من قولهم هو مقسط ، وقد أقسط : إذا عدل ، ونصب قائما على القطع .

وكان بعض نحوي أهل البصرة يزعم أنه حال من هو التي في لا إله إلا هو . وكان بعض نحوي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله الذي مع قوله ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ فكان معناه : شهد الله القائم بالقسط أنه لا إله إلا هو ، وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك : وأولو العلم القائم بالقسط ، ثم حذف الألف واللام من القائم فصار نكرة ، وهو نعت لمعرفة فنصب .

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعا على أنه من نعت الله جل ثناؤه ، لأن الملائكة وأولى العلم معطوفون عليه ، فكذلك الصحيح أن يكون قوله قائما حالا منه .

وأما تأويل قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فإنه نفي أن يكون شيء يستحق العبادة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه ، ويعني بالعزیز : الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه ، الحكيم في تدبيره ، فلا يدخله خلل .

وإنما عني جل ثناؤه بهذه الآية نفي ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من النبوة ، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا ، واتخاذهم دونه أربابا ، فأخبرهم الله عن نفسه : أنه الخالق كل ما سواه ، وأنه رب كل ما اتخذ كل كافر وكل مشرك ربا دونه ، وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه ، فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيما لنفسه ، وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها ، كما سن لعبادته أن يبدعوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره ، مؤدبا خلقه بذلك .

والمراد من الكلام : الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه ، فقدموه من ملائكته وعلماء عباده ، فأعلمهم أن ملائكته التي يعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ، ويعبدها الكثير منهم ، وأهل العلم منهم

منكروا ما هم عليه مقيمون من كفرهم ، وقولهم في عيسى وقول من اتخذ ربا غيره من سائر الخلق ، فقال شهدت الملائكة وأولوا العلم ، أنه لا إله إلا هو ، وأن كل من اتخذ ربا دون الله فهو كاذب احتجاجا منه لنبيه عليه الصلاة والسلام على الذين حاجوه من وفد نجران في عيسى ، واعترضوا بذكر الله وصفته على ما نبينه ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْسِرُهُ﴾ افتتاحا باسمه الكلام ، فكذلك افتتح باسمه ، والثناء على نفسه الشهادة بما وصفنا من نبي الألوهة عن غيره ، وتكذيب أهل الشرك به . فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عني بقوله شهد : قضى ، فما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم ، لأن الشهادة معنى ، والقضاء غيرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك روى عن بعض المتقدمين القول في ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا ، يعني : بخلاف ما قال وفد نجران من النصراني ﴿فَأَنَّمَا بِالْقِسْطِ﴾ أى بالعدل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١١

ومعنى الدين في هذا الموضع : الطاعة والذلة من قول الشاعر :
ويومَ الحزنِ إذ حَشَدَتْ مَعَدَّةٌ وكانَ النَّاسُ إِلَّا نَحْنُ دِينًا
يعنى بذلك : مطيعين على وجه الذل ؛ ومنه قول القطامي :

كَانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الْأَدْيَانَا ٢

يعنى بذلك ؛ وقول الأعشى ميمون بن قيس :

هُوَ دَانَ الرَّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الدِّينَ دِرَاكَا بَغَزْوَةٍ وَصِيَال ٣

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت في المراجع التي تحت يدي . وفي اللسان : (دين) وقوم دين أى دائنون . وقال : وكان الناس إلا نحن دينا ولم ينسبه . يريد : كان الناس خاصمين غيرنا في يوم الحزم .

(٢) هذا عجز بيت من الكامل للقطامي عمير بن شبيب (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ ، ص ١٥) ورواية البيت كاملا فيه :

رَمَتْ الْمُقَاتِلَ مِنْ فَوَادِكِ بَعْدَمَا كَانَتْ جَسُوبُ تَدِينُكَ الْأَدْيَانَا

ويروى : كانت ظلوم .

قال شارحه : أى تفعل بك الأفعال ، ويقال : تستعبدك ، أو أنها كانت تعذبك .

(٣) سبق الكلام على بيت الأعشى هذا في الجزء الثاني ص ١٩٤ ، والرباب بكسر الراء اسم لخمس قبائل : ضبة ، وتيم ، وعلد ، وثور ، وعكل ، أولاد مطابخة بن إلياس بن مضر . والدين : الطاعة .

یعنی بقوله دان : ذل ، وبقوله كرهوا الدين : الطاعة ، وكذلك الإسلام ، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم ، بمعنى : دخل في السلم ، كما يقال أقحط القوم : إذا دخلوا في القحط ، وأربعوا : إذا دخلوا في الربيع ، فكذلك أسلموا : إذا دخلوا في السلم ، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له ، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة ، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى ، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ والإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وهو دين الله الذي شرع لنفسه ، وبعث به رسوله ، ودل عليه أوليائه ، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ثنا أبو العالية في قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ قال : الإسلام : الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ، وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة ، وسائر الفرائض لهذا تبع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد في قوله أسلمنا ، قال : دخلنا في السلم وتركنا الحرب .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ : أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل ، وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى ، وافترأهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشبت بها كلمتهم ، وباين بها بعضهم بعضا ، حتى استحل بها بعضهم دماء بعض ، إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، يعنى : إلا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم القرية مبطلون فأخبر الله عباده أنهم أوتوا ما أوتوا من الباطل ، وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلا منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه ، تعديا من بعضهم على بعض ، وطلب الرياسات والملك والسلطان .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ قال : قال أبو العالية

إلا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم بغيا بينهم ، يقول : بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها ، فقتل بعضهم بعضا على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماء الناس .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن ابن عمر أنه كان يكثر تلاوة هذه الآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴿١﴾ يقول : بغيا على الدنيا ، وطلب ملكها وسلطانها من قبلها ، والله ما أأتينا ما كان علينا من يكون ، بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه ، ولكننا أأتينا من قبلها . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : إن موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بني إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أمناء عليه ، كل حبر جزءا منه ، واستخلف موسى يوشع بن نون ، فلما مضى القرن الأول ، ومضى الثاني ، ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم . وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين ، حتى أهرأقوا بينهم الدماء ، ووقع الشر والاختلاف ، وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا ، طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها . فسلط الله عليهم جبابرتهم ، فقال الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ يقول الربيع بن أنس : هذا يدل على أنه كان عنده أنه معنى بقوله ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود من بني إسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم وكان غيره يوجه ذلك إلى أن المعنى به النصارى الذين أوتوا الإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ الذي جاءك ، أي أن الله الواحد الذي ليس له شريك ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يعني بذلك : النصارى . القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني بذلك : ومن يجحد حجج الله وأعلامه التي نصيها ذكرى لمن عقل ، وأدلة لمن اعتبر وتذكر ، فإن الله محصن عليه أعماله التي كان يعملها في الدنيا ، فمجازيه بها في الآخرة ، فإنه جل ثناؤه سريع الحساب ، يعني : سريع الإحصاء . وإنما معنى ذلك : أنه حافظ على كل عامل عمله ، لا حاجة به إلى عقد ، كما يعتقد خلقه بأكفهم : أو يعونه بقلوبهم ، ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مئونة ، ولا معاناة لما يعاينه غيره من الحساب .

وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ كان مجاهد يقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قال : إحصاؤه عليهم . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إحصاؤه .

(١) « ما » : ساقطة من الأصل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
ءَاَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٠﴾

﴿٥٠﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : فإن حاجتك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران في أمر عيسى صلوات الله عليه ، فخاصموك فيه بالباطل ، فقل : انقدت لله وحده بلساني وقلبي وجميع جوارحي ، وإنما خص جل ذكره بأمره بأن يقول : أسلمت وجهي لله ، لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه ، وفيه بهاؤه وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء ، فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه . وأما قوله ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فإنه يعني : وأسلم من اتبعني أيضا وجهه لله معي ، ومن معطوف بها على التاء في أسلمت . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿فإن حاجوك﴾ أى بما يأتونك به من الباطل من قولهم : خلقنا ، وفعلنا ، وجعلنا ، وأمرنا ، فلنما هي شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق ، فقل : أسلمت وجهي لله ومن اتبعني .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴿٥٠﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، والأمين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب أسلمتم ؟ يقول : قل لهم : هل أفردتم التوحيد ، وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين ، دون سائر الأنداد والأشراك التى تشركونها معه فى عبادتكم إياهم ، وإقراركم بربوبيتهم ، وأنتم تعلمون أنه لا رب غيره ، ولا إله سواه ، فإن أسلموا يقول : فإن انقادوا لإفراد الوجدانية لله ، وإخلاص العبادة والألوهة له ، فقد اهتدوا ، يعنى : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا محجة الرشده .

﴿٥٠﴾ فإن قال قائل : وكيف قيل : فإن أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام ، وهل يجوز على هذا فى الكلام أن يقال لرجل : هل تقوم ؟ فإن تقيم أكرمك ؟ . قيل : ذلك جائز إذا كان الكلام مرادا به الأمر ، وإن خرج مخرج الاستفهام ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ يعنى انتهوا ، وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى : ﴿يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ وإنما هو مسئلة ، كما يقول الرجل : هل أنت كاف عنا ؟ بمعنى : اكفف عنا ، وكما يقول الرجل للرجل : أين أين ؟ بمعنى : أقم فلا تبرح ، ولذلك جوزى فى الاستفهام كما جوزى فى الأمر فى قراءة عبد الله ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أمينوا ففسرها بالأمر . وهى فى قراءةنا على الخبر ، فالحجزة فى قراءةنا على قوله ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وفى قراءة عبد الله على قوله ﴿آمِنُوا﴾ على الأمر ، لأنه هو التفسير .
وبنحو معنى ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ ، وَالْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ : ﴿أُاسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ ... الآية :
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ﴿وَقُلْ
لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ قال : الأميون : الذين لا يكتبون .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام ، وإخلاص
التوحيد لله رب العالمين ، فإنما أنت رسول مبلغ ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من
خلق ، وأداء ما كلفتك من طاعتي ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ يعنى بذلك ، والله ذو علم بمن يقبل من عباده
ما أرسلتك به إليه ، فيطيعك بالإسلام ، وبمن يتولى منهم عنه معرضا ، فيرد عليك ما أرسلتك به إليه
في عصيكم بإيائه الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ جِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى يحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون
بها من أهل الكتابين التوراة والإنجيل .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : ثم
جمع أهل الكتابين جميعا ، وذكر ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى ، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إلى قوله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَنْ تَشَاءُ﴾ وأما قوله ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فإنه يعنى بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل الله
الذين كانوا يرسلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله ، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد
تقدم الله إليهم في كتبهم بالزجر عنها ، نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾
اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قراء الأمصار
﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بمعنى القتل ، وقرأه بعض المتأخرين من قراء الكوفة :
ويقاتلون ، بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود ، وادعى أن ذلك في مصحف عبد الله : وقاتلوا ،
فقرأ الذي وصفنا أمره من القراءة بذلك التأويل ويقاتلون .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، قراءة من قرأه ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ لإجماع الحجة من القراءة عليه به ، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن معقل بن أبي مسكين في قول الله ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ قال : كان الوحي يأتي إلى بني إسرائيل فيذكرون ، ولم يكن يأتيهم كتاب ، فيقتلون ، فيقوم رجال ممن اتبعهم وصداقهم ، فيذكرون قومهم فيقتلون ، فهم الذين يأمرُونَ بالقسط من الناس . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة في قوله ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ قال : كان ناس من بني إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحي يأتي إليهم ، فيذكرون قومهم فيقتلون على ذلك ، فهم الذين يأمرُونَ بالقسط من الناس .

حدثني أبو عبيد الرصافي محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو الحسن مولى بني أسد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، عن أبي عبيدة بن الجراح ، قال : قلت يا رسول الله ، أي الناس أشدّ عذابا يوم القيامة ؟ قال : «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا ، أَوْ رَجُلٌ أَمَرَ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ ، ثُمَّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى أن انتهى إلى ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا عبيدة قَتَلْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَتَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَتَقَتَلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .»

فتأويل الآية إذا : إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون أمرهم بالعدل في أمر الله ونبيه ، الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ . أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿

(۱) «إلى» : ساقطة من الدر المنثور (۲ : ۱۳) .

(۲) كذا في النسخ وفي الدر المنثور أيضا ، والتلاوة «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الخ» .

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فأخبرهم يا محمد ، وأعلمهم أن لهم عند الله عذابا مؤلما لهم ، وهو الموضع .

وأما قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فإنه يعنى بقوله ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين يكفرون بآيات الله ، ومعنى ذلك : أن الذين ذكرناهم ، هم الذين حبطت أعمالهم ، يعنى بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة . فأما قوله ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فلم ينالوا بها محمدا ولا ثناء من الناس ، لأنهم كانوا على ضلال وباطل ، ولم يرفع الله لهم بها ذكرا ، بل لعنهم وهتك أستارهم ، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة ، فذلك حبوطها في الدنيا . وأما في الآخرة : فإنه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه . وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها ، لأنها كانت كفرا بالله ، فجزاء أهلها الخلود في الجحيم .

وأما قوله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترأهم عليه ، فيستنقذهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ تَرَى إِلَى الدِّينِ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ألم تر يا محمد إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب . يقول : الذين أعطوا حضا من الكتاب ، يدعون إلى كتاب الله .

واختلف أهل التأويل في الكتاب الذى عنى الله بقوله ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ فقال بعضهم : هو التوراة دعاهم إلى الرضا بما فيها ، إذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تُقَرِّبُها وبما فيها . أنها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أى دين أنت يا محمد ؟ فقال : على ملة إبراهيم ودينه ، فقالا : فإن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلُمَّسُوا إِلَى التَّوْرَةِ فَهَيَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ . . . إلى قوله ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ، عن

سعيد بن جبیر أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَهَلُمَّا إِلَى التَّوْرَةِ » ، وقال أيضا : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب .

وقال بعضهم : بل ذلك كتاب الله الذي أنزله على محمد ، وإنما دعيت طائفة منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق ، فأبت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ : « ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ أولئك أعداء الله اليهود ، دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، وإلى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، ثم تولوا عنه وهم معرضون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسماعيل ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . . . الآية ، قال : هم اليهود دعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه ، وهم يجدونه مكتوبا عندهم ، ثم يتولون وهم معرضون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قال : كان أهل الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق يكون وفي الحدود ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام ، فيتولون عن ذلك .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي مَهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَهْدِهِ ، مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ عِلْمًا بِالتَّوْرَةِ أَنَّهُمْ دَعَوْا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي كَانُوا يَقْرَءُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ فِي التَّوْرَةِ فِي بَعْضِ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ ، هُمْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنَازُعُهُمُ الَّذِي كَانُوا تَنَازَعُوا فِيهِ ثُمَّ دَعَوْا إِلَى حُكْمِ التَّوْرَةِ فِيهِ ، فَامْتَنَعُوا مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ ، كَانَ أَمْرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرُ نَبِيِّتِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ أَمْرُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ وَدِينِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَا دَعَوْا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ فِي حَدِّ ، فَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ كَانُوا نَازَعُوا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَاهُمْ فِيهِ إِلَى حُكْمِ التَّوْرَةِ ، فَأَبَى الْإِجَابَةَ فِيهِ ، وَكَتَمَهُ بَعْضُهُمْ ، وَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَبِي ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : هُوَ هَذَا دُونَ هَذَا . وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي دَعَوْا إِلَيْهِ جَمَلَتَهُ هُوَ مَا كَانَ فَرَضًا عَلَيْهِمُ الْإِجَابَةُ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ . فَامْتَنَعُوا مِنْهُ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ بَرْدَتَهُمْ وَتَكْذِيبَهُمْ ، بِمَا فِي كِتَابِهِمْ

وجحدهم ، ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به ، فلن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمدا وما جاء به من الحق مثلهم في تكذيبهم موسى وما جاء به ، وهم يتولونه ويقرّون به .
ومعنى قوله ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ وهم معرضون ﴿ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي دَعَا إِلَى حَكْمِهِ مَعْرُضًا عَنْهُ مُنْصَرِفًا ، وهو بحقيقته وحجته عالم .
وإنما قلنا إن ذلك الكتاب هو التوراة ، لأنهم كانوا بالقرآن مكذّبين ، وبالتوراة بزعمهم مصدّقين ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقروّون أبلغ ، وللعذر أقطع .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿٢٤﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ بأن هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أبوا الإجابة في حكم التوراة . وما فيها من الحق من أجل قولهم ﴿ لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ وهى أربعون يوما ، وهنّ الأيام التى عبدوا فيها العجل ، ثم يخرجنا منها ربنا ، اغترارا منهم بما كانوا يفترون ، يعنى بما كانوا يخلقون من الأكاذيب والأباطيل فى ادّعائهم أنهم أبناء الله وأحبّاءه ، وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يدخل أحدا من ولده النار إلا تحلة القسم ، فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم ، وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار ، هم فيها خالدون ، دون المؤمنين بالله ورسوله ، وما جاءوا به من عنده .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد : عن قتادة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ قالوا : لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التى نصبنا فيها العجل ، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا ، قال الله عز وجل ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أى قالوا : نحن أبناء الله وأحبّاءه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ . . . الآية ، قال : قالوا : لن نعذب فى النار إلا أربعين يوما ، قال : يعنى اليهود . قال : وقال قتادة مثله ، وقال : هى الأيام التى نصبوا فيها العجل يقول الله عز وجل ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ حين قالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : قوله ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ قال : غرهم قولهم ﴿ لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ يَوْمٌ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥﴾

﴿يعني بقوله جل ثناؤه﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ ﴿فأى حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول ، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله واغترارهم برهبهم ، وافتراءهم الكذب ، وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد ، وتهديد غليظ . وإنما يعني بقوله﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ ﴿... الآية : فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم إذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه ، لأنه لا يعاقب فيه إلا على ما أجترم ، ولا يؤخذ إلا بما عمل ، يجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يخاف أحد من خلقه يومئذ ظلما ولا هظما .

﴿فإن قال قائل : وكيف قيل :﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴿ولم يقل : في يوم لا ريب فيه ؟ قيل : لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى في ، وذلك أنه لو كان مكان اللام «في» لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ، وليس ذلك المعنى في دخول اللام ، ولكن معناه مع اللام ، فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ، ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ، ماذا لهم حينئذ من العقاب ، وأليم العذاب ، فع اللام في ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ نية فعل وخبر مطلوب ، وقد ترك ذكره أخيرا بدلالة دخول اللام في اليوم عليه منه ، وليس ذلك مع «في» فلذلك اختيرت اللام فأدخلت في «ليوم» دون «في» .

وأما تأويل قوله ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه لا شك في مجيئه ، وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية ، مع ذكر من قال ذلك ، في تأويله فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . وعنى بقوله ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني أنه لا يبخس المحسن جزاء إحسانه ، ولا يعاقب مسيئا بغير جرمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾

أما تأويل قوله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ فإنه قل يا محمد : يا الله .

واختلف أهل العربية في نصب ميم ﴿اللَّهُمَّ﴾ وهو منادى ، وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع ، وفي دخول الميم فيه ، وهو في الأصل الله بغير ميم فقال بعضهم إنما زيدت فيه الميم لأنه لا ينادى بيا كما ينادى الأسماء التي لا ألف فيها وذلك أن الأسماء التي لا ألف ولا لام فيها تنادى بيا ، كقول القائل : يا زيد ويا عمرو ، قال : فجعلت الميم

فيه خلفا من يا ، كما قالوا : فم ودم ا وهم وزرقم وسهم ، وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التي يحذف منها الحرف ، ثم يبدل مكانه ميم ، قال : فكذلك حذفت من اللهم يا التي ينادى بها الأسماء التي على ما وصفنا ، وجعلت الميم خلفا منها في آخر الاسم ، وأنكر ذلك من قولهم آخرون ، وقالوا : قد سمعنا العرب تنادي : اللهم يا ، كما تناديه ، ولا ميم فيه ، قالوا : فلو كان الذي قال هذا القول مصيبا في دعواه لم تدخله العرب يا ، وقد جاءوا بالخلف منها ؛ وأنشدوا في ذلك سماعا من العرب :

وَمَا عَايِكَ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا صَلَّيْتَ أَوْ كَبَّرْتَ يَا اللَّهُمَّ مَا

أَرَدْتُ إِلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلِّمًا ٢

ويروى : سبحت أو كبرت ، قالوا : ولم نر العرب زادت مثل هذه الميم إلا مخففة - في نواقص الأسماء مثل فم ودم وهم ا قالوا : ونحن نرى أنها كلمة ضم إليها أم بمعنى يا الله أمنا بخير ، فكثرت في الكلام فاختلفت به ؛ قالوا : فالضمة التي في الهاء من همزة أم لما تركت انتقلت إلى ما قبلها ؛ قالوا : ونرى أن قول العرب هلم إلينا مثلها ؛ إنما كان هلم « هل » ضم إليها « أم » فتركت على نصيبها ؛ قالوا : ومن العرب من يقول : إذا طرح الميم يا الله اغفر لي ، ويا الله اغفر لي ، بهمز الألف من الله مرة ، ووصلها أخرى ، فمن حذفها أجراها على أصلها لأنها ألف ولام ، مثل الألف واللام اللتين يدخلان في الأسماء المعارف زائدتين ، ومن همزها توهم أنها من الحرف ، إذ كانت لا تسقط منه ، وأنشدوا في همز الألف منها :

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَاهُ عَلَى اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ ٣

قالوا : وقد كثرت اللهم في الكلام حتى خففت ميمها في بعض اللغات ، وأنشدوا :

كحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَاهُمُ الْكُبَارُ ٤

(١) قوله « ودم » كذا في النسخ ، والكلمتان : دم وهم لعلهما محرفتان عن ابنهم ودمهم أو دلهم من الكلمات التي زيدت في آخرها الميم ، وقد ذكرها السيوطي في المزهري (٢ : ١٣٥) .

(٢) أورد البغدادي في الخزانة الأبيات الثلاثة في شواهد النداء ، وفيها « سجدت أو صليت » في مكان : « صليت أو كبرت » . وقال : هذا الرجز ما لا يعرف قائله . والشاعر يخاطب أمي ، لعلها زوجه أو ابنته ، يطلب منها أن تدعوله إذا سافر وغاب ، في أوقات الدعوات ، ومظان القبول .

(واللهم ما) : كذا روى في الخزانة بثلاث ميمات . وفي اللسان : (يا أللهما) ميم واحدة مخففة . وبقطع همزة (الله) . وقال قال الفراء : إن « ياقد » يقال مع اللهم ، فيقال (يا ألهم) واستشهد بشعر لا يكون مثله حجة . قال أبو إسحاق : وقال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم : اللهم : بمعنى يا الله ، وأن الميم المشددة : عوض من (يا) .

(٣) البيت أشد صاحب اللسان في (أله) ولم ينسبه . واستشهد به على أن لفظ الجلالة (الله) إذا دخلت عليه يا للنداء ، فمن العرب من يحذف الهمزة ، ومنهم من يحققها .

(٤) البيت في ديوان الأعشى طبع القاهرة ص ٢٨٣ . وأبو رياح بكسر الراء وبالياء : رجل من بني ضبيعة قتل جارا لبني سعد بن ثعلبة ، فسأله أن يديه ، فحلف ألا يفعل ، ثم قتل بعد حلفه ، فبرت يمينه . يقول لاهم : قد برت يمينكم حين أقسمت منكمين ألا نعطيكم إلا القتال ، كما برت يمين أبي رياح هذا . ولا هم : كذا روى في (اللسان : أله) وفي الديوان : لاهم : أي إله . والكبار : الكبير العظيم . وأنشده الفراء في معاني القرآن « يسمعه اللهم الكبار » بتخفيف ميم من اللهم :

والرواة تشدد ذلك : يَسْمَعُهَا لَاهُهُ الْكُبَارُ
 وقد أنشده بعضهم : يَسْمَعُهَا اللَّهُ وَالْكُبَارُ
 القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُوِّتِيَ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾
 يعنى بذلك : يا مالك الملك ، يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره .
 كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله
 ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ ﴾ أى ربّ العباد الملك لا يقضى فيهم غيرك . وأما قوله ﴿ تُوِّتِيَ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾
 تَشَاءُ فإنه يعنى : تعطى الملك من تشاء فتملكه وتسلبه على من تشاء ، وقوله ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾
 تَشَاءُ أن تنزعه منه ، فترك ذكر أن تنزعه منه اكتفاء بدلالة قوله ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ عليه
 كما يقال : خذ ما شئت ، وكن فيما شئت ، يراد : خذ ما شئت أن تأخذه ، وكن فيما شئت أن تكون فيه ،
 وكما قال جل ثناؤه ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ يعنى : فى أى صورة شاء أن يركبك فيها ركبك .
 وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لمسئلته ربه أن يجعل ملك فارس
 والروم لأمته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم
 سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته ، فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ
 الْمُلْكُ تُوِّتِيَ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ . . . إلى ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا
 والله أعلم أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته ، ثم
 ذكر مثله .

وروى عن مجاهد أنه كان يقول : معنى الملك فى هذا الموضع : النبوة .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله
 ﴿ تُوِّتِيَ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ قال : النبوة .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

يعنى جل ثناؤه : وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان ، وبسط القدرة له ، وتذل من تشاء بسلبك
 ملكه ، وتسلبت عدو عليه ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ أى كل ذلك بيدك وإليك ، لا يقدر على ذلك أحد ، لأنك

على كل شيء قدير ، دون سائر خلقك ، ودون من اتخذهم المشركون من أهل الكتاب والأمينين من العرب لها وربا يعبدونه من دونك ، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ . . . الآية ، أي إن ذلك بيدك لا إلى غيرك ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك .

القول في تأويل قوله تعالى :

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْأَمْثِلَ وَتُخْرِجُ الْأَمْثِلَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ، يقال منه : قد ولج فلان منزله : إذا دخله ، فهو يلجه ولجا وولوجا وبلجة ، وأولجته أنا : إذا أدخلته ؛ ويعنى بقوله ﴿تُؤِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ تدخل ما نقصت من ساعات الليل في ساعات النهار ، فتزيد من نقصان هذا في زيادة هذا ﴿وَتُخْرِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتدخل ما نقصت من ساعات النهار في ساعات الليل ، فتزيد في ساعات الليل ما نقصت من ساعات النهار . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط . عن السدي ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة . والنهار تسع ساعات ، وتدخل النهار في الليل ، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص . عن عمر . عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نقص من النهار يجعله في الليل ، وما نقص من الليل يجعله في النهار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ قال : ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر متعاقبان ، أو يتعاقبان ، شك أبو عاصم ذلك من الساعات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ما ينقص من أحدهما في الآخر يتعاقبان ذلك من الساعات . حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر . عن قتادة في قوله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ قال : هو نقصان أحدهما في الآخر .

حدثت عن عمار . قال : ثنا ابن أبي جعفر . عن أبيه . عن قتادة في قوله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ قال : يأخذ الليل من النهار . ويأخذ النهار من الليل . يقول : نقصان الليل في زيادة النهار ، ونقصان النهار في زيادة الليل .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿تَوَلَّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾ ، وَتَوَلَّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾ يعني أنه يأخذ أحدهما من الآخر ، فيكون الليل أحيانا أطول من النهار ، والنهار أحيانا أطول من الليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿تَوَلَّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾ ، وَتَوَلَّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾ قال : هذا طويل ، وهذا قصير ، أخذ من هذا فأولج في هذا حتى صار هذا طويلا ، وهذا قصيرا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويل ذلك : أنه يخرج الشيء الحي من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الشيء الحي .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة ، وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : الناس الأحياء من النطف والنطف ميتة ، ويخرجها من الناس الأحياء والأنعام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبط ، عن الضحاك في قوله ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ فذكر نحوه .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ فالنطفة ميتة تكون تخرج من إنسان حي ، ويخرج إنسان حي من نطفة ميتة .

حدثني محمد بن عمرو ، وابن علي ، عن عطاء المقدمي ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : تخرج النطفة من الرجل ، والرجل من النطفة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : تخرج الحي من هذه النطفة الميتة ، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ﴿وُتَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ . . . الآية ، قال : الناس الأحياء من النطف ، والنطف ميتة من الناس الأحياء ، ومن الأنعام والنبات ، كذلك قال ابن جريج ، وسمعت يزيد بن عويمر يخبر عن سعيد بن جبير ، قال : لإخراجه النطفة من الإنسان ، وإخراجه الإنسان من النطفة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : النطفة ميتة ، فتخرج منها أحياء ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ تخرج النطفة من هؤلاء الأحياء ، والحب ميتة تخرج منه حياء ﴿ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ تخرج من هذا الحي حياء ميتا .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه يخرج النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والسنبل من الحب والحب من السنبل ، والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا عبد الله ، عن عكرمة قوله ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ قال : هي البيضة تخرج من الحي وهي ميتة ، ثم يخرج منها الحي .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحب من السنبلة ، والسنبلة من الحب .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن في قوله ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ يعني المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والمؤمن عبد حي الفؤاد ، والكافر عبد ميت الفؤاد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن في قوله ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن سعيد بن عمرو ، عن الحسن قرأ ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ قال : تخرج المؤمن من الكافر ، وتخرج الكافر من المؤمن .
حدثني حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، أو عن ابن مسعود ، وأكبر ظني أنه عن سلمان قال : إن الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة أو قال : أربعين يوما ، ثم قال بيده فيه ، فخرج كل طيب في يمينه ، وخرج كل خبيث في يده الأخرى ،

ثم خلط بينهما ، ثم خلق منها آدم ، فمن ثم يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه ، فإذا بامرأة حسنة النعمة ^١ ، فقال : من هذه ؟ قالت : إحدى خالاتك ، قال : إن خالاتي بهذه البسلة ^٢ لغرائب ، وأي خالاتي هذه ؟ قالت : خلدة ^٣ ابنة الأسود ابن عبد يغوث ، قال : سبحان الذي يخرج الحي من الميت ، وكانت امرأة صالحة ، وكان أبوها كافرا .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ ، ويخرج الميت من الحي ، قال : هل علمتم أن الكافر يلد مؤمنا ، وأن المؤمن يلد كافرا ؟ فقال : هو كذلك .

وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال : يخرج الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة ، وذلك إخراج الحي من الميت ، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء ، وذلك إخراج الميت من الحي ، وذلك أن كل حي فارقته شيء من جسده ، فذلك الذي فارقته ميت ، فالنطفة ميتة لفراقها جسد من خرجت منه ، ثم ينشئ الله منها إنسانا حيا و بهائم وأنعاما أحياء ، وكذلك حكم كل شيء حي زايلا عنه ، فالذي زايلا عنه ميت ، وذلك هو نظير قوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . وأما تأويل من تأوله بمعنى الحبة من السنبل ، والسنبل من الحبة ، والبيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم ، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام ، وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة منهم ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ ، ويخرج الميت من الحي ، بالتشديد وتثقيب الياء من الميت ، بمعنى أنه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قد مات ، وما لم يمت . وقرأت جماعة أخرى منهم ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ ، ويخرج الميت من الحي ، بتخفيف الياء من الميت ، بمعنى أنه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قد مات دون الشيء الذي لم يمت ، ويخرج الشيء الميت دون الشيء الذي لم يمت من الشيء الحي ، وذلك أن الميت مثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات . وأما الميت مخففا : فهو الذي قد مات ، فاذا أرادوا النعت قالوا : إنك مائت غدا وإنهم مائتون ، وكذلك كل ما لم يكن بعد ، فإنه يخرج على هذا المثال الاسم منه ، يقال : هو الجائد بنفسه والطائبة نفسه بذلك ، وإذا أريد معنى الاسم قيل : هو الجواد بنفسه والطيبة نفسه ، فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدد الياء من الميت ، لأن الله جل ثناؤه يخرج الحي من الميت

(١) في القرطبي : الميتة . (٢) البلد يذكر ويؤنث كما في المصباح . (٣) في الدر المنثور : خلدة .

النطفة التي قد فارقت الرجل ، فصارت ميتة ، وسيخرجه منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ، ويخرج الميت من الحي ، النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحي ميتا ، وهي قبل خروجها منه حية ، فالتشديد أبلغ في المدح أكمل في الثناء .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه يعطي من يشاء من خلقه ، فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه ، لأنه لا يخاف دخوله انتقاص في خزائنه ، ولا الفناء على ما بيده .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال : يخرج الرزق من عنده بغير حساب ، لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى .

فتأويل الآية إذا : اللهم يا مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، دون من ادعى الملحدون أنه لهم إله ورب وعبدوه دونك ، واتخذوه شريكا معك ، أو أنه لك ولد ، وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء ، وتقدر بها على كل شيء ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، فتنقص من هذا وتزيد في هذا ، وتنقص من هذا وتزيد في هذا ، وتخرج من ميت حيا ، ومن حي ميتا ، وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك ، لا يقدر على ذلك أحد سواك ، ولا يستطيعه غيرك .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ أى بتلك القدرة ، يعنى بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وترزق من تشاء بغير حساب ، لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت ، أى فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب لتجعله آية للناس ، وتصديقا له في نبوته التي بعثه بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه ، كتمليك الملوك ، وأمر النبوة ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت ، والميت من الحي ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة ، إذ لو كان إلها لكان ذلك كله إليه وهو في علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم في البلاد من بلد إلى بلد .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَخْذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقُومَ لَهُمْ تَقَرُّهُ وَيُحْذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾

﴿وَهَذَا نَهَى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا وَظُهُورًا ، وَلِذَلِكَ كَسَرَ يَتَّخِذُ لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعٍ جَزَمَ بِالنَّهْيِ ، وَلَكِنَّهُ كَسَرَ الذَّالَ مِنْهُ لِلْسَّاكِنِ الَّذِي لَقِيَهُ وَهِيَ سَاكِنَةٌ . وَمَعْنَى ذَلِكَ : لَا يَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا ، تَوَالِيَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ بَارْتِدَادَهُ عَنْ دِينِهِ ، وَدَخُولَهُ فِي الْكُفْرِ ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ، فَتَخَافُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَتُظَاهِرُوا لَهُمُ الْوَلَايَةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَلَا تَعِينُوهُمْ عَلَى مُسْلِمٍ بِفَعْلٍ .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ، أو يتخذوهم وليجة من دُونِ المؤمنين ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَافِرُ عَلَيْهِمْ ظَاهِرِينَ ، فيُظَاهِرُونَ لَهُمُ اللَّطْفَ ، وَيُخَالِفُونَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق ، وقيس بن زيد ، قد بطنوا بنفرا من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم ، فقال رفاعة بن المنذر ابن زبير وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود ، واحذروا لزومهم ومباطنتهم ، لا يفتنوكم عن دينكم ، فأبى أولئك النفر إلا مباظنتهم ولزومهم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بقول : لا يتخذ المؤمن كافرا ولما من دون المؤمنين .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ إِلَى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أما أولياء : فيواليتهم في دينهم ، ويظهرهم على عورة المؤمنين ، فمن فعل هذا فهو مشرك ، فقد برئ الله منه ، إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُمْ تُقَاةً ، فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن حماد بن عمار ، عن ابن عباس ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : التقاة : التكلم باللسان ، وقلبه مطمئن بالإيمان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : ما لم يهرق دم مسلم ، وما لم يستحل ماله .

(۱) بطن فلان بفلان يبطن به بطونا وبطانة : إذا كان خاصا به داخل في أمره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلامصانعة في الدنيا ومخالفة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : قال أبو العالية : التقية باللسان وليس بالعمل .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية ، فتكلم مخافة على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فلا إثم عليه ، إنما التقية باللسان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ فالتقية باللسان : من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله ، فيتكلم به مخافة الناس ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن ذلك لا يضره ، إنما التقية باللسان .

وقال آخرون : معنى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ إلا أن يكون بينك وبينه قرابة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿ نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولواهم دون المؤمنين ، وقال الله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ الرحم من المشركين من غير أن يتولواهم في دينهم ، إلا أن يصل رحاله في المشركين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قال : لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا في دينه ، وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : أن يكون بينك وبينه قرابة . فتصله لذلك .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال : صاحبهم في الدنيا معروفا بالرحم وغيره ، فأما في الدين فلا ، وهذا الذى قاله قتادة تأويل له وجه ، وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية : إلا أن تتقوا من الكافرين تقاة . فالأغلب من معانى هذا الكلام : إلا أن تخافوا منهم مخافة ، فالتقية التى ذكرها الله في هذه الآية إنما هى تقية من الكفار ، لا من غيرهم ، ووجهه قتادة إلى أن تأويله : إلا أن تتقوا الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة ، فتصلون رحمها ، وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿إِلَّا

أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿۱﴾ عَلَى تَقْدِيرِ فَعْلَةٍ مِثْلَ تَحْمَةٍ وَتَوْدَةٍ وَتَكَاةٍ مِنْ اتَّقَيْتَ ، وَقَرَأَ ذَلِكَ آخَرُونَ ﴿۲﴾ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿۳﴾ عَلَى مِثَالِ فَعِيلَةٍ .

﴿۱﴾ والقراءة التي هي القراءة عندنا ، قراءة من قرأها ﴿۲﴾ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿۳﴾ لثبوت حجة ذلك بأنه القراءة الصحيحة ، بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه الخطأ .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾
يعنى تعالى ذكره بذلك : ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه ، فإن الله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ، ويوم حشركم لموقف الحساب ، يعنى بذلك : متى صرتم إليه ، وقد خالفتكم ما أمركم به ، وأنتيم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به ، يقول : فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه ، فإنه شديد العقاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُجَادُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَابِضٌ ﴿۱﴾

﴿۱﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، إن تخفوا ما في صدوركم من موالة الكفار فتسرّوه ، أو تبدوا ذلكم من أنفسكم بالسنتكم وأفعالكم ، فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه ؛ يقول : فلا تضمروا لهم مودة ، ولا تظهروا لهم موالة ، فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به ، لأنه يعلم سركم وعلاانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء منه ، وهو مخضيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئة مثلاً .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا ، فقال : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه .

وأما قوله ﴿وَيُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فإنه يعنى أنه إذا كان لا يخفى عليه شيء هو في سماء أو أرض أو حيث كان ، فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ما في صدوركم من الميل إليهم بالمودة والمحبة ، أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلاً وقولاً .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإنه يعنى : والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم إياهم ، ومظاهرتكمهم على المؤمنين ، وعلى ما يشاء من الأمور كلها ، لا يتعذر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه شيء طلبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَجْعَلُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا
وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿۱﴾

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ : وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ، فِي يَوْمٍ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَوْفَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا : يَعْنِي : غَايَةً بَعِيدَةً ، فَإِنْ مَصِيرُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ يَوْمَئِذٍ إِلَيْهِ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ .

وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿مُحْضَرًا﴾ مَا حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ يَقُولُ : مَوْفَرًا .

وَقَدْ زَعَمَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ : وَاذْكُرْ يَوْمَ تَجِدُ ، وَقَالَ : إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ لِلْأَمْرِ وَالذِّكْرِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ : اذْكُرُوا كَذَا وَكَذَا ، لِأَنَّهُ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَاتَّقُوا يَوْمَ كَذَا وَحِينَ كَذَا . وَأَمَّا « مَا » الَّتِي مَعَ عَمِلْتَ فَبِمَعْنَى الَّذِي ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جَزَاءً لَوْقُوعِ تَجِدُ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ فَإِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ « مَا » الْأُولَى ، وَعَمِلْتَ صِلَةٌ بِمَعْنَى الرِّفْعِ ، كَمَا قِيلَ تَوَدُّ . فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ : يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ الَّذِي عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَالَّذِي عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ : تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا ، وَالْأَمَدُ : الْغَايَةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ الطَّرْمَاحِ :

كُلٌّ حَتَّى مُسْتَكْمِلٍ عِدَّةَ الْعُمُرِ وَمُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهُ ٢

يَعْنِي : غَايَةَ أَجَلِهِ .

وَقَدْ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّدى قَوْلَهُ ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ مَكَانًا بَعِيدًا .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ قَالَ : أَجَلًا . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنَفِيُّ ، قَالَ : ثَنَا عَبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ قَالَ : يَسِّرُ أَحَدَهُمْ أَنْ لَا يَلْقَى عَمَلَهُ ذَاكَ أَبَدًا يَكُونُ ذَلِكَ مَنَاهُ ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ كَانَتْ خَطِيئَتُهُ يَسْتَلْذُّهَا .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ : وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ أَنْ تَسْخَطُوهُمَا عَلَيْكُمْ بِرُكُوبِكُمْ مَا يَسْخَطُهُ عَلَيْكُمْ ، فَتَوَافُونَهُ ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَهُوَ عَلَيْكُمْ سَاخِطٌ ، فَيُنَالُكُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ رَءُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ بِهِمْ ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ نَفْسَهُ ، وَتَخْوِيفُهُمْ عِقَابَهُ ، وَنَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ ابْنِ عَيْنَةَ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ

(١) قَوْلُهُ « فَإِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى » لَعَلَّ فِي الْعِبَارَةِ سَقَطًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَحَاصِلُ الْمَقَامِ أَنَّ وَمَا ، إِذَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا الْأُولَى ، أَوْ مَبْتَدَأٌ خَبَرُهُ تَوَدُّ ، انْظُرْ كِتَابَ التَّفْسِيرِ .

(٢) قَالَ فِي اللَّيْثِ (أَمَدٌ) : الْأَمَدُ : الْغَايَةُ كَالْمَدَى . بِقَالَ : مَا أَمَدُكَ ؟ أَيُّ مَتْنِي عَمْرُكَ . وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ الطَّرْمَاحِ طَبْعَةٌ لَيْدَنَ سَنَةِ ١٩٢٧ ص ١١٢ ، وَهُوَ النَّاسِخُ فِي الْقَصِيدَةِ . وَفِيهِ « انْقَضَى عَدَدُهُ » فِي مَكَانٍ : « انْقَضَى أَمَدُهُ » .

الحسن في قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٤٠﴾ قال: من رأفته بهم أن حذرهم نفسه .
القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤١﴾

اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : إنا نحب ربنا ، فأمر الله جل وعز نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَقُولُونَ فَاتَّبِعُونِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِلَامَةٌ صِدْقِكُمْ فِيمَا قُلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ » .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بكر بن الأسود ، قال : سمعت الحسن يقول : قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنا نحب ربنا ، فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه ، وعذاب من خالفه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا علي بن الهيثم ، قال : ثنا عبد الوهاب ، عن أبي عبيدة ، قال : سمعت الحسن ، يقول : قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنا لنحب ربنا ، فأنزل الله جل وعز بذلك قرآنا ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه ، وعذاب من خالفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قال : كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله ، يقولون : إنا نحب ربنا ، فأمرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وجعل اتباع محمد علما لحبه .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ . . . الآية ، قال : إن أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله ، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل ، فقال : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ . . . الآية . كان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم .

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذي يقولونه في عيسى من عظيم القول إنما يقولونه تعظيما لله وحبا له ، فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أى إن كان هذا من قولكم ، يعنى فى عيسى ، حبا لله وتعظيما له ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى ما مضى من كفركم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قول محمد بن جعفر بن الزبير ، لأنه لم يجز لغير وفد نجران فى هذه السورة ، ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادّعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ جوابا لقولهم على ما قاله الحسن .

وأما ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصح ، فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك ، وإن لم يكن فى السورة دلالة على أنه كما قال إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير إخبارنا ، فإذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا فى الآية دليل على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذى عليه الدلالة من آى السورة ، وذلك هو ما وصفنا ، لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم ، واحتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ودليل على بطول قولهم فى المسيح ، فالواجب أن تكون هى أيضا مصروفة المعنى إلى نحو ما قبلها ، ومعنى ما بعدها .

فإذا كان الأمر على ما وصفنا ، فتأويل الآية : قل يا محمد للوفد من نصارى نجران : إن كنتم ترعمون أنكم تحبون الله ، وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون ، حبا منكم ربكم ، فحققوا قولكم الذى تقولونه ، إن كنتم صادقين باتباعكم إياى ، فإنكم تعلمون أنى لله رسول إليكم ، كما كان عيسى رسولا إلى من أرسل إليه ، فإنه إن اتبعتمونى وصدقتمونى على ما أتيتكم به من عند الله ، يغفر لكم ذنوبكم ، فيصفيح لكم عن العقوبة عليها ويعفو لكم عما مضى منها ، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم وبغيرهم من خاتمه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران : اطيعوا الله والرسول محمدا ، فإنكم قد علمتم يقينا أنه رسولى إلى خاتى ابتعثته بالحق تجددونه مكتوبا عندكم فى الإنجيل ، فإن تولّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك ، وأعرضوا عنه ، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق ، وأنكره بعد علمه ، وأنهم منهم بجحودهم نبوتك ، وإنكارهم الحق الذى أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوتك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ فأنتم تعرفونه ، يعنى الوفد من نصارى نجران ، وتجددونه فى كتابكم ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ على كفرهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : إن الله اجتبي آدم ونوحا ، واختارهما لديهما ، وآل إبراهيم وآل عمران لديهم الذي كانوا عليه ، لأنهم كانوا أهل الإسلام ، فأخبر الله عز وجل أنه اختار دين من ذكرنا على سائر الأديان التي خالفته ، وإنما عني بآل إبراهيم وآل عمران المؤمنين .

وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه ، ومن هو على دينه ، وبالذي قلنا في ذلك روى القول عن ابن عباس أنه كان يقوله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ، يقول الله عز وجل ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الْلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين .

حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال : ذكر الله أهل بيتين صالحين ، ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين ، فكان محمد من آل إبراهيم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال : فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

❦ يعني بذلك : أن الله اصطفى آل إبراهيم ، وآل عمران ذرية بعضها من بعض ، فالذرية منصوبة على القطع من آل إبراهيم وآل عمران ، لأن الذرية نكرة ، وآل عمران معرفة ، ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صوابا ، لأن المعنى : اصطفى ذرية بعضها من بعض ، وإنما جعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ، والموازية على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وقال في موضع آخر ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني أن دينهم واحد وطريقتهم واحدة ، فكذلك قوله ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ﴾ إنما معناه : ذرية دين بعضها دين بعض ، وكلمتهم واحدة ، وملتهم واحدة في توحيد الله وطاعته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ذُرِّيَّةٌ بِعَظْمٍ مِنْ بَعْضِ﴾ يقول : في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له .
وقوله ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني بذلك : والله ذو سمع لقول امرأة عمران ، وذو علم بما تضرمه في نفسها ، إذ نذرت له ما في بطنها محرراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(٢٥)

يعني ١ بقوله جل ثناؤه ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي ٢ فإذ من صلة سميع . وأما امرأة عمران : فهي أم مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم صلوات الله عليه ، وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قتيل .

كذلك حدثنا به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في نسبه ، وقال غير ابن حميد ابنة فاقوذ بالدال ابن قتيل ؛ فأما زوجها فإنه عمران بن ياشهم ٢ بن آمون بن منشا بن حزقيا بن أحريق بن يويم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو ، بن يازم بن يهفاشاط بن اشابرابان بن رحبعم بن سليمان بن داود بن إيشا .
كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نسبه .

وأما قوله ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ فإن معناه : إني جعلت لك يا رب نذرا أن لك الذي في بطني محرراً لعبادتك ، يعني بذلك : حبسته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة ، عتيقة من خدمة كل شيء سواك ، مفرغة لك خاصة ، ونصب محرراً على الحال من ما التي بمعنى الذي ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ أي فتقبل مني ما نذرت لك يا رب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني : إنك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو ، العليم لما أنوي في نفسي وأريد ، لا يخفى عليك سرّ أمرى وعلائيته .

وكان سبب نذر حنة ابنة فاقوذ امرأة عمران الذي ذكره الله في هذه الآية فيما بلغنا ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : تزوج زكريا وعمران أختين ، فكانت أم يحيى عند زكريا ، وكانت أم مريم عند عمران ، فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم ، فهى جنين في بطنها ، قال : وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان ، فبينما هى في ظل شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخا له ، فتحرّكت نفسها للولد ، فدعت الله أن يهب لها ولدا ، فحملت بمريم وهلك عمران ، فلما عرفت أن في بطنها جنينا ، جعلته لله نذيرة ، والنذيرة أن تعبده لله ، فتجعله حبسا في الكنيسة ، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا .

(١) كذا في النسخ ، ولعل المعنى سقط من قلم الناسخ ، كما يدل عليه التفريع بعده .

(٢) في إنجيل متى (١ : ١ - ١٦) خلاف في رسم بعض هذه الأسماء . وقد تركناها كما في أصل المؤلف ، مكتفين بهذه الإشارة لمن أراد زيادة التحقيق .

امراة عمران حررت لله ما في بطنها ، قال : وكانوا إنما يحررون الذكور ، فكان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة لا يريحها ، يقوم عليها ويكنسها .

حدث عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك في قوله ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ قال : جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر ، عن عكرمة أن امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة ، وكانت لا تلد فجعلت تغبط النساء لأولادهن ، فقالت : اللهم إن على نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس ، فيكون من سدنته وخدامه ، قال وقوله ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ إنها لحررة ابنة الخرائر محررا للكنيسة يخدمها .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ﴾ . . . الآية كلها ، قال : نذرت ما في بطنها ثم سويتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾

﴿ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ فلما وضعت حنة النذيرة ، ولذلك أنث ، ولو كانت الهاء عائدة على « ما » التي في قوله ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ لكان الكلام : فلما وضعت قالت : ربِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، ومعنى قوله ﴿ وَضَعْتُهَا ﴾ ولدتها ، يقال منه : وضعت المرأة تضع وضعا ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ أي ولدت النذيرة أنثى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء ﴿ وَضَعْتَ ﴾ خبرا من الله عز وجل عن نفسه ، أنه العالم بما وضعت من غير قيلها ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ ، وقرأ ذلك بعض المتقدمين ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هي القائلة ، والله أعلم بما ولدت مني .

﴿ وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها ، وذلك قراءة من قرأ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ ولا يعترض بالشاذ عنها عليها .

فتأويل الكلام إذا : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ، ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها ، أنها قالت اعتذارا إلى ربها مما كانت نذرت في حملها ، فحررت له لخدمة ربها ﴿ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَى ﴾ لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعترضها من الحيض والنفاس ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ أي لما جعلتها له محررة نذيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ لأن الذكر هو أقوى على ذلك من الأنثى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك ، يعني أن تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى ، فعند ذلك قالت ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ وإنما كانوا يحررون الغلمان ، قال ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ وإني سميتها مريم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق : قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها ، وكانت على رجاء أن يهب لها غلاما ، لأن المرأة لا تستطيع ذلك ، يعني القيام على الكنيسة لا تبرحها ، وتكنسها لما يصيبها من الأذى .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أن امرأة عمران ظنت أن ما في بطنها غلام ، فوهبته لله ، فلما وضعت إذا هي جارية ، فقالت تعذر إلى الله ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ تقول : إنما يحرر الغلمان ، يقول الله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ فقالت ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر ، عن عكرمة ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ يعني في الحيض ، ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال ، أمها تقول ذلك .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَسْ مِنْ دُونِ يَدَيَّ وَالْجَبْهَتَيْنِ ذُرِّيَّتَهُمَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .
تعني بقولها ﴿ وَلَا تَنفَسْ مِنْ دُونِ يَدَيَّ ﴾ وإني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك .
وأصل المعاذ : الموئل والملجأ والمقل ، فاستجاب الله لها فأعادها الله وذريتها من الشيطان الرجيم ، فلم يجعل له عليها سيلا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ نَفْسٍ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَنَالُ مِنْهُ تِلْكَ الطَّعْنَةُ ، وَبِهَا يَسْتَهْلِكُ الصَّبِيُّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ فَإِنَّهَا كَلَّمَا »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأُمها ، يذكرها باليتم ، ثم قصّ خبرها وخبر زكريا .
حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة قوله ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال : كانت عنده .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة قوله ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال : جعلها زكريا معه في محرابه .
حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ وتقارعها القوم ، فقرع زكريا ، فكفلها زكريا .
وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ، ولا استهام عليها ولا منازعة أحد إياه فيها ، وإنما كفلها لأن أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة ، وعند زكريا خالتها إيشاع ابنة فاقوذ ؛ وقد قيل : إن اسم أم يحيى خالة عيسى : أشيع .

حدثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب ابن سليمان ، عن شعيب الحياتي أن اسم أم يحيى : أشيع ، فضمها إلى خالتها أم يحيى ، فكانت إليهم ومعهم ، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أمها التي نذرت فيها ، قالوا : والاقتراع فيها بالأقلام ، إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة إصابتهم ضعف زكريا عن حمل مؤنتها ، فتدافعوا حمل مؤنتها ، لارغبة منهم ، ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها ، وسندكر قصتها على قول من قال ذلك إذا بلغنا إليها إن شاء الله تعالى .
حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق .

فعلى هذا التأويل تصح قراءة من قرأ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتخفيف الفاء لو صح التأويل ، غير أن القول متظاهر من أهل التأويل بالقول الأول إن استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا إياها ، وأن زكريا إنما كفلها بإخراج سهمه منها فالجأ على سهام خصومه فيها ، فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾
يعنى بذلك جل ثناؤه : أن زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد إدخاله إياها المحراب ، وجد عندها رزقا من الله لغدائها ، فقيل : إن ذلك الرزق الذي كان يجده زكريا عندها فأكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قال : وجد عندها عنبا في مكث في غير حينه .

وَضَعَتْهَا قَالَتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي أُعِيدُهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فَضْرِبَ دُونَهَا حِجَابٌ ، فَطَعَنَ فِيهِ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُ طَعْنَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَبِهَا يَسْتَهْلُ الصَّبِيُّ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَوَلَدَهَا ، فَإِنَّ أُمَّهَُا قَالَتْ حِينَ وَضَعَتْهَا: ﴿إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فَضْرِبَ دُونَهُمَا حِجَابٌ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو ، عن شعيب بن خالد ، عن الزبير ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَامِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ يُوَلَدُ إِلَّا قَدْ مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَدُ ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا يَمَسُّهُ إِيَّاهُ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا . فقال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ مِنْ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ بِأُصْبُعِهِ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحرث أن أبا يونس سليمان مولى أبي هريرة ، حدثه عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمران أن أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر . عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَامِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسَّةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا » ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿وَلَدْتُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس ، عن الأعمش . عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَامِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد في قوله ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : العنب في غير حينه .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : فاكهة في غير حينها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو إسحاق الكوفي ، عن الضحاك أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، يعني في قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبط ، عن الضحاك ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو ، قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أشياخه ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثله .
حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا من سمع الحكم بن عتيبة يحدث ، عن مجاهد ، قال : كان يجد عندها العنب في غير حينه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : عنباً وجدته زكريا عند مريم في غير زمانه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : كنا نحدث أنها كانت تأتي بفاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : وجد عندها ثمرة في غير زمانها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب ، فكان يدخل عليها ، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : جعلها زكريا معه في بيت وهو المحراب ، فكان يدخل عليها في الشتاء ، فيجد عندها فاكهة الصيف ، ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهة الشتاء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال : كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء .

عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ إِلَّا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ولد مولود إلا وقد استهل ، غير المسيح ابن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينزله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا المنذر بن النعمان الأفيطس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما ولد عيسى ، أتت الشياطين إبليس ، فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها ، فقال : هذا في حادث حدث ، فقال : مكانكم ، فطار حتى جاء خافق الأرض ، فلم يجد شيئا ، ثم جاء البحار فلم يجد شيئا ، ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مذود حمار ، وإذا الملائكة قد حفت حوله ، فرجع إليهم فقال : إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ، ولا وضعت إلا أنا بحضرتها إلا هذه ، فأيسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن اتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «كُلُّ بَنِي آدَمَ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ إِلَّا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ، جُعِلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ، فَأَصَابَتْ الطَّعْنَةَ الْحِجَابَ وَلَمْ يَنْفُذْ إِلَيْهِمَا شَيْءٌ» . وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها سائر بني آدم . وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ بَنِي آدَمَ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ غَيْرَ عَيْسَى وَأُمِّهِ ، كَانَا لَا يُصِيبَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يُصِيبُهَا بَنُو آدَمَ» قال : وقال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثنى على ربه : وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ حِينَ تَلِدُهُ أُمُّهُ ، إِلَّا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ» .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا شعيب ، قال : أخبرنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : رأيت هذه الصرخة التي يصرخها الصبي حين تلده أمه ، فلما منها . حدثني أحمد بن الفرغ ، قال : ثنا بقة بن الوليد ، قال : ثنا الزبيدي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مِمَّنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ يَسْتَهْلِكُ صَارِخًا» .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : كُنَّا دَخَلْنَا عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴿١﴾ قال : وجد عندها ثمار الجنة فأكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى بعض أهل العلم أن زكريا كان يجد عندها ثمرة الشتاء في الصيف ، وثمره الصيف في الشتاء .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، قال : كان زكريا إذا دخل عليها ، يعنى على مريم المحراب وجد عندها رزقا من السماء من الله ، ليس من عند الناس ، وقالوا : لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن زكريا كان إذا دخل إليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلا عما كان يأتيها به الذي كان يمونها في تلك الأيام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : كفلها بعد هلاك أمها ، فضمها إلى خالتها أم يحيى ، حتى إذا بلغت ، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها الذي نذرت فيها ، فجعلت تنبت وتزيد ، قال : ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة ، وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها ، فخرج على بنى إسرائيل ، فقال : يا بنى إسرائيل أتعلمون ، والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران ، فقالوا : ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم فتدافعوها بينهم ، وهم لا يرون لهم من حملها بدا حتى تقارعوا بالأقلام ، فخرج السهم بحملها على رجل من بنى إسرائيل نجار يقال له جريج ، قال : فعرفت مريم في وجهه شدة مونة ذلك عليه ، فكانت تقول له : يا جريج أحسن بالله الظن ، فإن الله سيرزقنا ، فجعل جريج يرزق بمكانها ، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها ، فإذا أدخله عليها وهى في الكنيسة أنما الله وكثره ، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ، وليس بقدر ما يأتيها به جريج ، فيقول : يا مريم أنى لك هذا ؟ فتقول : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وأما المحراب : فهو مقدم كل مجلس ومصلى ، وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها ، وكذلك هو من المساجد ، ومنه قول عدى بن زيد :

كَدُمَتِى الْعَاجِ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ

والحاريب جمع محراب ، وقد يجمع على محارب .

(١) عدى بن زيد التميمي كان نصرانيا عباديا كمباد الحيرة . والدى : جمع دمية ، وهى التمثال من العاج أو الرخام يضعه النصارى في بيوت العبادة . والمحراب كما في لسان العرب : صدر البيت ، وأكرم موضع فيه . وهو أيضا الغرفة يرتقى إليها . وعند العامة : مقام الإمام في المسجد . والقبلة ، والمساجد التي يجتمع فيها الناس للصلاة .

شبه نساء حسنا مشرقا الوجوه بمائيل من العاج في بيوت العبادة عندهم . أو بالبيض تضمه النعامة في روضة مزهرة ، ليكون أبعد له من الدنس .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَبْرَأُكُمْ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

﴿٢٧﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : تقبل مريم من أمها حنة بتحريرها إياها للكنيسة وخدمتها ، وخدمة ربها بقبول حسن ، والقبول : مصدر من قبلها ربها ، فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل ، ولو كان على لفظه لكان فتقبلها ربها تقبلا حسنا ، وقد تفعل العرب ذلك كثيرا أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة ، وذلك كقولهم : تكلم فلان كلاما ، ولو أخرج المصدر على الفعل لقليل : تكلم فلان تكلم ، ومنه قوله ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ولم يقل : إنباتا حسنا ، وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : لم نسمع العرب تضم القاف في قبول ، وكان القياس الضم لأنه مصدر مثل الدخول والخروج ، قال : ولم أسمع بحرف آخر في كلام العرب يشبهه .

حدثت بذلك عن أبي عبيد ، قال : أخبرني اليزيدي عن أبي عمرو :

وأما قوله ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فإن معناه : وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكلت امرأة بالغة تامة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال الله عز وجل ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ قال : تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة ، وآجرها فيها وأنبتها ، قال : نبتت في غذاء الله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ فقرأته عامة فراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا إليه اعتبارا بقول الله عز وجل ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بمعنى : وكفلها الله زكريا .

﴿٢٨﴾ وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندى قراءة من قرأ ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء بمعنى : وكفلها الله زكريا ، بمعنى : وضمها الله إليه ، لأن زكريا أيضا ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له ، والآية التي أظهرها لخصومه فيها ، فجعله بها أولى منهم ، إذ قرع فيها من شاحه فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساموا بقداحهم رموا بها في نهر الأردن ، فقال بعض أهل العلم : رتب (١) قِدْحُ زَكَرِيَّا ، فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء ، فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحق المتنازعين فيها .

(١) رتب : انتصب وثبت .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه: قال زكريا يا مريم: أنى لك هذا؟ من أى وجه لك هذا الذى أرى عندك من الرزق، قالت مريم مجيبة له: هو من عند الله، تعنى أن الله هو الذى رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاه، وإنما كان زكريا يقول ذلك لها لأنه كان فيما ذكر لنا يغلق عليها سبعة أبواب، ويخرج ثم يدخل عليها، فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء، فكان يعجب مما يرى من ذلك، ويقول لها تعجبا مما يرى: أنى لك هذا؟ فتقول: من عند الله.

حدثني بذلك المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنى بعض أهل العلم، فذكر نحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال: فإنه وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، فكان زكريا يقول: يا مريم أنى لك هذا؟

وأما قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فخير من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده، لأنه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك إليه، كذلك خزائنه، ولا يزيد إعطاؤه إياه، ومحاسبته عليه فى ملكه، وفيما لديه شيئا، ولا يعزب عنه علم ما يرزقه، وإنما يحاسب من يعطى ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه، بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطى على غير حساب.

القول في تأويل قوله تعالى:

هَٰذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾

أما قوله ﴿هَٰذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ فعناه عند ذلك، أى عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذى رزقها، وفضله الذى آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين فى ذلك لها، ومعانيته عندها الثمرة الرطبة التى لا تكون فى حين رؤيته إياها عندها فى الأرض طمع فى الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر، فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التى هما بها، كما رزق مريم على تخليها من الناس ما رزقها، من ثمرة الصيف فى الشتاء، وثمره الشتاء فى الصيف، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده فى مثل ذلك الحين العادات فى الأرض، بل المعروف فى الناس غير ذلك، كما أن ولادة العاقر غير الأمر الجارية به العادات فى الناس، فرغب إلى الله جل ثناؤه فى الولد، وسأله ذرية طيبة، وذلك أن أهل بيت زكريا فيما ذكر لنا، كانوا قد انقضوا فى ذلك الوقت.

كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى، فلما رأى زكريا من حالها ذلك

وقال آخرون : بل صعد قدح زكريا في النهر ، وانحدرت قداج الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علما من الله أني أنه أولى القوم بها ، وأى الأمرين كان من ذلك فلا شك أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها ، وإذا كان ذلك كذلك ، فإنما ضمها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه بقضائه له بها على خصومه عند تشايعهم فيها واختصامهم في أولاهم بها .

وإذا كان ذلك كذلك كان بيّنا أن أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد كفلها . وأما ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وأن ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ فحجة دالة على ضعف اختيار المحتج بها ، وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل : كفل فلان فلانا فكفله فلان ، فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم ، بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضى بينهم فيها عند إلحاقهم الأقلام .

وكذلك اختلفت القراءة في قراءة زكريا ، فقرأته عامة قراء المدينة بالمد ، وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر ، وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين ، وليس في القراءة بإحداهما خلاف لمعنى القراءة الأخرى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

غير أن الصواب عندنا إذا مد زكريا ، أن ينصب بغير تنوين ، لأنه اسم من أسماء العجم لا يجرى ، ولأن قراءتنا في كفلها بالتشديد وتثقل الفاء ، فزكرياء منصوب بالفعل الواقع عليه ، وفي زكريا لغة ثلاثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكري بحذف المدة والياء الساكنة ، تشبه العرب بالمنسوب من الأسماء فتنونه ، وتجريه في أنواع الإعراب مجازى ياء النسبة .

فتأويل الكلام : وضمها الله إلى زكريا من قول الشاعر :

فَهُوَ لِيضْلَالَ الْهَوَامِ كَافِلٌ ١

يراد أنه لما ضل من متفرق النعم ومنتشره ، ضام إلى نفسه وجامع ، وقد روى :

فَهُوَ لِيضْلَالَ الْهَوَا فِي كَافِلٌ

بمعنى أنه لما ندّ فهرب من النعم ، ضام من قولهم : هفا الظليم : إذا أسرع الطيران ، يقال منه للرجل : مالك تكفل كل ضالة ، يعنى به : تضمها إليك وتأخذها .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عري ، عن عكرمة في قوله ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ قال : ألقوا أقلامهم فجرت بها البحرية ، إلا قلم زكريا صاعدا ، فكفلها زكريا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله

(١) الهوام : جمع هامة ، همت الماشية : إذا لدت للرعى ، وهوامى الإبل : ضواها إلى لراعى معها . حدثت منه الهاء تخفيفا . وبمعناها الهوامى في الرواية الأخرى ، جمع هافية . ولم يثر على بقية البيت ولا قاله .

يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف ، قال : إن ربا أعطاهما هذا فى غير حينه ، لقادر على أن يرزقنى ذرية طيبة ، ورغب فى الولد ، فقام فصلى ، ثم دعا ربه سرا ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ، وَإِنِّى خِفْتُ الْمَمَالِىَ مِنِّى وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَاتِى عَاقِرًا ، فَهَبْ لى مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثْنِى وَيَرِثُ مِنِّى آلِ يَعْقُوبَ ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ﴾ ، وقوله : ﴿رَبِّ هَبْ لى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ﴾ و﴿قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : فلما رأى ذلك زكريا ، يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف عند مريم ، قال : إن الذى يأتى بهذا مريم فى غير زمانه ، قادر أن يرزقنى ولدا ، قال الله عز وجل ﴿هَئِلِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ﴾ قال : فذلك حين دعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة ، قال : فدخل الحراب ، وغلق الأبواب ، وناجى ربه ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ۖ﴾ إلى قوله ﴿رَبِّ رَضِيًّا ۖ﴾ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى بعض أهل العلم ، قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسن ، ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته ، فقال ﴿رَبِّ هَبْ لى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ﴾ ثم شكى إلى ربه ، فقال ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ۖ﴾ . . . إلى ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ﴾ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب . . . الآية . وأما قوله ﴿رَبِّ هَبْ لى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ فإنه يعنى بالذرية : النسل ، وبالطيبة : المباركة . كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ يقول : مباركة .

وأما قوله ﴿مِن لَّدُنْكَ ۖ﴾ فإنه يعنى من عندك . وأما الذرية : فإنها جمع ، وقد تكون فى معنى الواحد وهى فى هذا الموضع الواحد ، وذلك أن الله عز وجل قال فى موضع آخر مخبرا عن دعاء زكريا ﴿فَهَبْ لى مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ ولم يقل أولياء ، فدل على أنه سأل واحدا ، وإنما أنث طيبة لتأنيث الذرية ، كما قال الشاعر :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتُهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الْكَمَالُ

فقال : ولدته أخرى ، فأنت ، وهو ذكر لتأنيث لفظ الخليفة ، كما قال الآخر :

(١) البيت غير منسوب ، وهو من شواهد الفراء . وذكره صاحب اللسان : (خلف) قال : الخليفة السلطان الأعظم ، وقد يؤنث . وأنشد الفراء (البيت) قال : ولدته أخرى لتأنيث اسم الخليفة . والوجه أن يكون : ولده آخر .

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال : ضمها إليه ، قال : ألقوا أقلامهم ، يقول عصيهم ، قال : فألقوها تلقاء جرية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء فقرعهم .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال الله عز وجل ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فانطلقت بها أمها في خرقها ، يعني أم مريم بمرم حين ولدتها إلى المحراب .

وقال بعضهم : انطلقت حين بلغت إلى المحراب ، وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاءوا إليهم بإنسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه ، وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان بينهم ، وكانت خالة مريم تحته ، فلما أتوا بها اقترعوا عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحقكم بها تحتي خالتها ، فأبوا ، فخرجوا إلى نهر الأردن ، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها ، أيهم يقوم قلمه فيكفلها ، فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته ١ كأنه في طين ، فأخذ الجارية ، وذلك قول الله عز وجل ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ فجعلها زكريا معه في بيته ، وهو المحراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ يقول : ضمها إليه . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال : سهمهم ٢ بقلمه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : كانت مريم ابنة سيدهم وإمامهم ، قال : فتشاح عليها أخبارهم ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ، قال قتادة : وكان زكريا زوج أختها فكفلها ، وكانت عنده وحضها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره ، عن عكرمة ، وأبي بكر ، عن عكرمة ، قال : ثم خرجت بها ، يعني أم مريم بمرم في خرقها تحملها إلى بني الكاهن بن هارون أخى موسى بن عمران ، قال : وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجة من الكعبة ، فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي ابنتي ، ولا يدخل الكنيسة حائض ، وأنا لأردّها إلى بيتي ، فقالوا : هذه ابنة إمامنا ، وكان عمران يؤمهم في الصلاة ، وصاحب قربانهم ، فقال زكريا : ادفعوها إلى فإن خالتها عندي ، قالو : لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا ، فذلك حين اقترعوا فاقترعوا بأقلامهم عليها ، بالأقلام التي يكتبون بها التوراة ، فقرعهم زكريا فكفلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جعلها زكريا معه في محرابه ، قال الله عز وجل ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قاله حجاج : قال ابن جريج : الكاهن في كلامهم : العالم .

(١) القرنة ، بضم القاف : الطرف الشاخص من كل شيء ، يقال : قرنة الجبل والمهمل والرمح (اللسان) .
(٢) أي غلبهم وفلج عليهم ، يقال : ساهمه على الشيء فهمه : أي غلبه عليه .

كما يَزْدَرِي مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سَكَابٍ إِذَا مَا عَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدَا ١
فَأَنْتَ الْجَبَلِيَّةُ لِتَأْنِيثِ لَفْظِ الْحَيَّةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَعْنَى فَقَالَ : إِذَا مَا عَضَّ لِأَنَّهُ كَانَ أَرَادَ حَيَّةَ ذَكَرًا ، وَإِنَّمَا
يَجُوزُ هَذَا فِيمَا لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ فَلَانٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ كَالدَّابَّةِ وَالذَّرِيَّةِ وَالْخَلِيفَةِ ، فَأَمَّا إِذَا سَمِيَ رَجُلٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ،
فَكَانَ فِي مَعْنَى فَلَانٍ لَمْ يَجْزِ تَأْنِيثُ فَعْلِهِ وَلَا نَعْتِهِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فَإِنْ مَعْنَاهُ : إِنَّكَ سَامِعُ الدُّعَاءِ ، غَيْرَ أَنْ سَمِيعٌ أَمْدَحٌ ، وَهُوَ بِمَعْنَى
ذُو سَمْعٍ لَهُ ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ أَنَّ مَعْنَاهُ : إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا تَدْعَى بِهِ .
فَتَأْوِيلُ آيَةِ : فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ فَقَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ عِنْدِكَ وَلَدًا مَبَارَكًا ، إِنَّكَ ذُو سَمْعٍ دُعَاءٍ
مِنْ دَعَاكَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَدَقَةٍ قَائِمَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَسَيِّدًا
وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة ﴿فَنَادَتْهُُ
الْمَلَائِكَةُ﴾ عَلَى التَّأْنِيثِ بِالتَّاءِ ، يَرَادُ بِهَا : جَمْعُ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعُلُ الْعَرَبُ فِي جَمَاعَةِ الذَّكَورِ إِذَا تَقَدَّمَتْ
أَفْعَالُهَا أَثْنَتْ أَفْعَالُهَا وَلَا سِوَا الْأَسْمَاءِ الَّتِي فِي أَلْفَاظِهَا التَّأْنِيثُ كَقَوْلِهِمْ : جَاءَتْ الطَّلِحَاتُ .
وَقَدْ قَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْيَاءِ ، بِمَعْنَى : فَنَادَاهُ جَبْرِيلُ فَذَكَرُوهُ لِلتَّأْوِيلِ ، كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا آتِفًا
أَنَّهُمْ يُؤْنِثُونَ فِعْلَ الذَّكَرِ لِلْفِظِ ، فَكَذَلِكَ يَذْكُرُونَ فِعْلَ الْمُؤْنِثِ أَيْضًا لِلْفِظِ ، وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ فِيمَا أَرَى بِقِرَاءَةِ
يَذْكُرُ أَنَّهَا قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

وَهُوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحِجَابِ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَادٍ أَنَّ قِرَاءَةَ
ابْنِ مَسْعُودٍ ﴿فَنَادَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾ وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ ﴿فَنَادَتْهُُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بِجَمَاعَةٍ
مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ ﴿فَنَادَتْهُُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وَهُوَ جَبْرِيلُ
أَوْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَهُوَ جَبْرِيلُ ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَدَقَةٍ قَائِمَةٍ﴾
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ جَازَ أَنْ يَقَالَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ ﴿فَنَادَتْهُُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وَالْمَلَائِكَةُ جَمْعٌ لِأَوَّاحِدٍ ؟
قِيلَ : ذَلِكَ جَائِزٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِأَنْ تَخْبُرَ عَنِ الْوَاحِدِ بِمَذْهَبِ الْجَمْعِ ، كَمَا يَقَالُ فِي الْكَلَامِ : خَرَجَ فَلَانٌ عَلَى
بَغَالِ الْبَرْدِ ، وَإِنَّمَا رَكِبَ بَغْلًا وَاحِدًا ، وَرَكِبَ الْسَفْنَ ، وَإِنَّمَا رَكِبَ سَفِينَةً وَاحِدَةً ، وَكَمَا يَقَالُ : مِمَّنْ سَمِعْتَ

(١) فِي السَّائِلِ : (خَيْبِي) : الْحَيَّةُ تَكُونُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَإِنَّمَا دَخَلَتْهُ التَّاءُ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ جِنْسٍ ، مِثْلُ بَطَّةٍ وَدَجَاجَةٍ . وَالْأَزْدَرَاءُ :
الْإِحْقَارُ : وَسَكَابٍ : اسْمُ فَرَسٍ وَالْأَدْرَدُ : الَّذِي ذَهَبَتْ أَسْنَانُهُ ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ حَيَّةٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ حَيَّةَ ذَكَرًا لَيْسَ بِأَدْرَدٍ .

هذا الخبر ؟ فيقال : من الناس ، وإنما سمعه من رجل واحد ، وقد قيل : إن منه قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ ، والقائل كان فيما ذكر واحدا ، وقوله ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ ، والناس بمعنى واحد ، وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد .

وإنما الصواب من القول عندى فى قراءة ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، أعنى التاء والياء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أنه لاختلاف فى معنى ذلك باختلاف القراءين ، وهما جميعا فصيحتان عند العرب . وذلك أن الملائكة إن كان مرادا بها جبريل كما روى عن عبد الله فإن التأنيث فى فعلها فصيح فى كلام العرب للفظها إن تقدمها الفعل ، وجائز فيه التذكير لمعناها ، وإن كان مرادا بها جمع الملائكة فجائز فى فعلها التأنيث ، وهو من قبلها للفظها ، وذلك أن العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته ، فقالت : قالت النساء ، وجائز التذكير فى فعلها بناء على الواحد إذا تقدم فعله ، فيقال : قال الرجال .

وأما الصواب من القول فى تأويله ، فأن يقال : إن الله جل ثناؤه ، أخبر أن الملائكة نادته ، والظاهر من ذلك أنها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد ، فلن يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل فى لسان العرب ، دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد ، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفى من الكلام والمعانى .

وبما قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم ، منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة ومجاهد وجماعة غيرهم ، وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ وتأويل قوله ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ : فنادته الملائكة فى حال قيامه مصليا ، فقوله ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ خبر عن وقت نداء الملائكة زكريا ، وقوله ﴿يُصَلَّى﴾ فى موضع نصب على الحال من القيام ، وهو رفع بالياء . وأما المحراب : فقد بينا معناه ، وأنه مقدم المسجد .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ فقرأته عامة القراء ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف من أن بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك ، وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بكسر الألف بمعنى : قالت الملائكة : إن الله يبشرك ، لأن النداء قول ، وذكروا أنها فى قراءة عبد الله : فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب : يا زكريا إن الله يبشرك ، قالوا : إذا بطل النداء أن يكون عاملا فى قوله يا زكريا ، فباطل أيضا أن يكون عاملا فى إن .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بفتح أن بوقوع النداء عليه ، بمعنى : فنادته الملائكة بذلك ، وليست العلة التى ^١ اعتل بها القارئون بكسر إن ، من أن عبد الله كان يقرأها كذلك ، وذلك أن عبد الله إن كان قرأ ذلك كذلك ، فإنما قرأها بزعمهم . وقد اعترض بيازكريا بين إن ، وبين قوله :

(١) التى : خبر ليست العلة .

فنادته ، وإذا اعترض به بينهما ، فإن العرب تعمل حينئذ النداء في أن ، وتبطله عنها . أما الإبطال ، فإنه بطل عن العمل في المنادى قبله ، فأسلخوا الذي بعده مسلكه في بطول عمله . وأما الإعمال ، فلأن النداء فعل واقع كسائر الأفعال . وأما قراءتنا فليس نداء زكريا بيازكريا ، معترضا به بين أن وبين قوله : فنادته ، وإذا لم يكن ذلك بينهما ، فالكلام الفصيح من كلام العرب إذ نصبت بقول : ناديت اسم المنادى ، وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على أن بعده وإن كان جائزا لإبطال عمله ، فقوله : نادته ، قد وقع على مكنى زكريا ، فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها ، مع أن ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الإسلام ، ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التي تجيء مجيء الحجة .

وما قوله ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿أن الله يبشرك﴾ بتشديد الشين وضم الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد ، من قول الناس : بشرت فلانا البشري بكذا وكذا : أي أتته بشارات البشري بذلك .

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم ﴿إن الله يبشرك﴾ بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها ، بمعنى : أن الله يسرك بولد يهبه لك ، من قول الشاعر :

بَشَرْتُ عِيَالِي إِذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنْ الْحَجَّاجِ يُتْلَى كِتَابُهَا ١

وقد قيل : إن بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش ، وأنهم يقولون : بشرت فلانا بكذا فأنا أبشره بشرا ، وهل أنت باشر بكذا ، وينشد لهم البيت في ذلك :

وَإِذَا رَأَيْتُ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا غُيْبَرًا أَكْفَهُمْ بِقَاعٍ مُمَحِلٍ

فَأَعْنِيهِمْ وَأَبَشِّرُ بِمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضَنْكَ فَاَنْزِلِ ٢

فإذا صاروا إلى الأمر ، فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف ، فيقال : أبشر فلانا بكذا ، ولا يكادون يقولون : بشره بكذا ، ولا أبشره .

وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها .

وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن معاذ الكوفي ، قال : من قرأ يبشرهم مثقلة ، فإنه من البشارة ، ومن قرأ يبشّرهم مخففة بنصب الياء ، فإنه من السرور يسرهم .

والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين ، بمعنى التبشير ، لأن ذلك هي اللغة السائرة ، والكلام المستفيض المعروف في الناس ، مع أن جميع قراء الأمصار مجمعون في قراءة ﴿فهم تبشرون﴾ على التشديد . والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره ، أن يكون مثله في التشديد وضم الياء .

(١) هذا البيت مما رواه الفراء عن بعض العرب في تفسيره «معاني القرآن» (طبعة دار الكتب المصرية صفحة ٢١٢) .

وفي (اللسان : بشر) : بشرت الرجل أبشر بشرا وبشورا (من باب نصر) : من البشري . وكذلك الإخبار والتبشير . ثلاث لغات . يقال : بشرته بمولود ، فأبشر إخبارا ، أي سر . وبشرت بكذا (بكسر الشين) أبشر : أي استبشرت به .

(٢) أورد البيهقي الفراء في معاني القرآن وصاحب اللسان في (بشر) ونسبهما إلى عطية بن زيد شاعر جاهلي . وقال ابن بري : هو لعبد القيس بن خفاف البرجي . واستشهد به على أن بشرت بكذا بالكسر أبشر : أي استبشرت به . ثم قال : ويروى ويسر بما يسروا به . وبش إلى الشيء : نظر إليه . فأعجبه واشتهاه فتناوله ، وأسرع نحوه وفرح به .

وأما ما روى عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك ، فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح ، فلا معنى لما حكى من ذلك عنه ، وقد قال جرير بن عطية :
يا بَشْرُ حَقٍّ لِبَشْرِكَ التَّبَشِيرُ هَلَا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ
فقد علم أنه أراد بقوله التبشير : الجمل والنضارة والسرور ، فقال التبشير ولم يقل البشر ، فقد بين ذلك أن معنى التخفيف والتثقل في ذلك واحد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحَتِي ﴾ قال : بشرته الملائكة بذلك .
وأما قوله ﴿ بَيْحَتِي ﴾ فإنه اسم صلة^٢ يَفْعَل ، من قول القائل : حي فلان فهو يحيى ، وذلك إذا عاش فيحيى يَفْعَل من قولهم حي ؛ وقيل : إن الله جل ثناؤه سماه بذلك لأنه يتأول اسمه أحياء بالإيمان .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحَتِي ﴾ يقول : عبد أحياء الله بالإيمان .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قوله ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحَتِي ﴾ قال : إِنَّمَا سَمِيَ يَحْيَى ، لأن الله أحياءه بالإيمان .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾
يعنى بقوله جل ثناؤه : إن الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابنا لك ، مصدقا بكلمة من الله ، يعنى بعيسى ابن مريم ، ونصب قوله مصدقا على القطع من يحيى ، لأن مصدقا نعت له وهو نكرة ، ويحيى غير نكرة .
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا النضر بن عري ، عن مجاهد قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إني أجد الذى فى بطنى يتحرك للذى فى بطنك ، قال : فوضعت امرأة زكريا يحيى ، ومريم عيسى ، ولذا قال ﴿ مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ قال يحيى : مصدق بعيسى .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الرقاشى فى قول الله ﴿ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحَتِي مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ قال : مصدقا بعيسى ابن مريم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة فى قوله ﴿ مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ قال : مصدقا بعيسى .

(١) فى اللسان (بشر) : وقوله عز وجل : « إن الله يبشرك » . وقرأ يبشرك (كينصرك) قال الفراء : كأن المشدد منه على بشارات البشرى ، وكأن المخفف من وجه الإفراج والسرور . وهذا شيء كان المشيخة يقولونه . قلت : هذا الذى أشار إليه المؤلف هنا ، وشكك فى صحته .
(٢) أى متعلق بالفعل الذى قبله ، ومتمم لمعناه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يقول : مصدق بعيسى ابن مريم ، وعلى سننه ومنهاجه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ : يعنى عيسى ابن مريم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يقول : مصدق بعيسى ابن مريم ، يقول : على سننه ومنهاجه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال : كان أول رجل صدق عيسى وهو كلمة من الله وروح .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يصدق بعيسى .

حدث عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِخْوَانِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ : فإن يحيى أول من صدق بعيسى ، وشهد أنه كلمة من الله ، وكان يحيى ابن خالة عيسى ، وكان أكبر من عيسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال عيسى ابن مريم : هو الكلمة من الله اسمه المسيح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال : كان عيسى ويحيى ابني خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد الذي في بطنى يسجد للذى في بطنك ، فذلك تصديقه بعيسى ، سجدته في بطن أمه ، وهو أول من صدق بعيسى ، وكلمة عيسى ، ويحيى أكبر من عيسى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِخْوَانِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال : الكلمة التي صدق بها عيسى .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لقيت أم يحيى أم عيسى ، وهذه حامل بيحيى ، وهذه حامل بعيسى ، فقالت امرأة زكريا : يا مريم استشعرت أنى حبل ، قالت : مريم : استشعرت أنى أيضا حبل ، قالت امرأة زكريا : فإنى وجدت ما في بطنى يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن في قول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِخْوَانِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال : مصدق بعيسى ابن مريم .

وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾

بكتاب من الله ، من قول العرب : أنشدني فلان كلمة كذا ، يراد به قصيدة كذا ، جهلا منه بتأويل الكلمة ، واجترأ على ترجمة القرآن برأيه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَسَيِّدًا﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَسَيِّدًا﴾ : وشريفا في العلم والعبادة ، ونصب السيد عطفًا على قوله مصدقا . وتأويل الكلام : إن الله يبشرك بيحيي مصدقا بهذا وسيدا ، والسيد : الفَيْعِل ، من قول القائل : ساد يسود :

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَسَيِّدًا﴾ : إى والله ، لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة في قواه ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد لأعلمه إلا قال في العلم والعبادة .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال : السيد : الحليم . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبیر ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : الحليم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبیر ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد : التقى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد : الكريم على الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : زعم الرقاشي أن السيد : الكريم على الله . حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك في قول الله عز وجل ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد : الحليم التقى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : يقول : تقيا حلما .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان في قوله ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : حلما تقيا :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد : الشريف . حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقة بن الوليد ، عن عبد الملك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قول الله عز وجل ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : السيد : الفقيه العالم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال : يقول : حلما تقيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السيد الذي لا يغلبه الغضب .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ :

يعنى بذلك : ممتنعاً من جماع النساء من قول القائل : حصرت من كذا أحصر : إذا امتنع منه ؛ ومنه قولهم : حصر فلان في قراءته : إذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها ، وكذلك حصر العدو : حبسهم الناس ومنعهم إياهم التصرف ، ولذلك قيل للسيد لا يخرج مع ندمائه شيئاً : حصور ، كما قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بِسَوَّارٍ

ويروى بسار ؛ ويقال أيضاً للسيد لا يخرج سره ويكتله حصور ، لأنه يمنع سره أن يظهر ، كما قال جرير :

وَلَقَدْ تَسْقَطَنِي الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا حَصِيرًا بِسِرِّكَ يَا أُمِّمٍ ضَنِينًا^٢

وأصل جميع ذلك واحد ، وهو المنع والحبس .

وبمثل الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن خلف ، قال : ثنا حماد بن شعيب ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله في قوله ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال : الحصور : الذي لا يأتي النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال ثنى ابن العاص ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُتِبَ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا » ، قال : ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الأرض ، فأخذ عويداً صغيراً ، ثم قال : وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا لِلرِّجَالِ إِلَّا مِثْلَ هَذَا الْعُودِ ، وبذلك سماه الله سيداً وحصوراً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب ، يقول : ليس أحد إلا يلتقي الله يوم القيامة ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا ، كان حصوراً ، معه مثل الهدبة .

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا عمر بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال ابن العاص : إمام عبد الله ، وإمام أبوه ، ما أحد يلتقي الله إلا وهو ذو ذنب ،

(١) البيت في ديوان الأخطل (طبعة بيروت سنة ١٨٩١ ص ١١٦) . والمربح : الذي يربح صاحبها ، أو الذي ينحر لضيافته الربح ، وهو الفصيل . ويروى : مرتج . وهو الذي كأسه ملائ بالحر ، فيسكر ولا يتغير عن أخلاقه الحميدة . والحصور : الضيق البخيل مثل الحصور . والسوار : السيئ الخلق ، الذي يساور عليها ويقاتل فيها . ويروى بسار ، وهو الذي يسر في القدح ، أي يترك فيه فضلة . وإنظره في اللسان : حصر .

(٢) في اللسان (مقط) : وتسقطه واستسقطه : طلب سقطه وعاجله على أن يسقط ، فيخطئ أو يكذب ، أو ييوح بما عنده . قال جرير . . . البيت . وفيه « حجنا بسرك » أي مولعا ضنيناً به ، (وفي الأساس والصحاح ، واللسان : حصر) كما رواه المؤلف . والحصر والحصور والحصير : الكتوم للسر ، الحابس له ، الضنين به .

إلا يحيى بن زكريا ، قال : وقال سعيد بن المسيب ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال : الحصور : الذى لا يغشى النساء ، ولم يكن ما معه إلا مثل هدبة الثوب :

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقة بن الوليد ، عن عبد الملك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : الحصور ؛ الذى لا يشتهي النساء ، ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخذ نواة فقال : ما كان معه إلا مثل هذه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : الحصور : الذى لا يأتي النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد ، مثله .

حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : الذى لا يأتي النساء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الحصور : لا يقرب النساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : زعم الرقاشي : الحصور : الذى لا يقرب النساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك : الحصور : الذى لا يولد له ، وليس له ماء .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : هو الذى لا ماء له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَحَصُورًا﴾ كنا نحدث أن الحصور الذى لا يقرب النساء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة في قوله ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال : الحصور : الذى لا يأتي النساء :

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الحصور : الذى لا ينزل الماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : الحصور : الذى لا يأتي النساء

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : الحصور : الذي لا يريد النساء .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ﴿وَحَصُورًا﴾ قال : لا يقرب النساء .

وأما قوله ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فانه يعني : رسولا لربه إلى قومه ، ينبئهم عنه بأمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ويبلغهم عنه ما أرسله به إليهم . ويعني بقوله ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ من أنبيائه الصالحين . وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوة وما أصلها بشواهد ذلك ، والأدلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

①

❦ يعني أن زكريا قال إذ نادته الملائكة : ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَشَرٍ مُّصَدَّقٍ بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ، وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ : ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ يعني : من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ والعاقرة من النساء : التي لا تلد ، يقال منه : امرأة عاقرة ، ورجل عاقرة ، كما قال عامر بن الطفيل :

لَبِئْسَ الْفَتَى أَنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُدْرِي لَدَى كُلِّ مُحْضَرٍ ١

وأما الكبير : فمصدر كبير فلان فهو يكبر كبيرا ، وقيل : بلغني الكبير ، وقد قال في موضع آخر : ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾ لأن ما بلغك فقد بلغت ، وإنما معناه : قد كبرت ، وهو كقول القائل : وقد بلغني الجهد بمعنى : أني في جهد .

❦ فإن قال قائل : وكيف قال زكريا وهو نبي الله : ﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وقد بشرته الملائكة بما بشرته به ، عن أمر الله إياها به أشك في صدقهم ، فذلك ما لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان بالله ، فكيف الأنبياء والمرسلون ، أم كان ذلك منه استنكارا لقدرة ربه ، فذلك أعظم في البلية ؟ قيل : كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننت ، بل كان قبله ما قال من ذلك . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، لما سمع النداء ، يعني زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى ، جاءه الشيطان فقال له : يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك ، كما يوحى إليك في غيره من

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل طبعة ليدن سنة ١٩١٣ . والرواية فيه : « فبئس » في مكان « لبئس » . وفي اللسان :

العاقرة : التي لا تحبل ، ورجل عاقرة : لا يولد له . ونساء عقر ورجال عقر ، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة .

الأمر ، فشكّ مكانه ، وقال : ﴿ أَتَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ذكر ، يقول : ومن أين ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : فأتاه الشيطان ، فأراد أن يكدر عليه نعمة ربه ، فقال : هل تدري من ناداك ؟ قال : نعم ، ناداني ملائكة ربي ، قال : بل ذلك الشيطان ، لو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك ، فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ فكان قوله ما قال من ذلك ، ومراجعتة ربه فيما راجع فيه بقوله ﴿ أَتَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ، للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان ، حتى خيلت إليه أن النداء الذي سمعه كان نداء من غير الملائكة ، فقال : ﴿ رَبِّ أَتَنِي يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ مستتبها في أمره لتقرر عنده بآية ، يريه الله في ذلك أنه بشارة من الله على ألسن ملائكته ، ولذلك قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ . وقد يجوز أن يكون قلبه ذلك مسألة منه ربه : من أي وجه يكون الولد الذي بشر به ، أمن زوجته فهي عاقرة ، أم من غيرها من النساء ؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والسدي ، ومن قال مثل قولهما .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ ﴾ أي هو ما وصف به نفسه ، أنه هين عليه أن يخلق ولدا من الكبير الذي قد يئس من الولد ، ومن العاقرة التي لا يرجى من مثلها الولادة ، كما خلقت يا زكريا من قبل خلق الولد منك ، ولم تك شيئا ، لأنه الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه ، لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَوْجًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ

كَثِيرًا وَسِيحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۝

يعنى بذلك جل ثناؤه خبرا عن زكريا ، قال زكريا : يا رب إن كان هذا النداء الذي نوديته ، والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك ، وبشارة منك لي ، فاجعل لي آية ، يقول : علامة أن ذلك كذلك ، ليزول عني ما قد وسوس إلى الشيطان ، فألقاه في قلبي ، من أن ذلك صوت غير الملائكة ، وبشارة من عند غيرك . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ قال : قال يعني زكريا : يا رب فإن كان هذا الصوت منك ، فاجعل لي آية .

وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية ، وأنها العلامة ، بما أغنى عن إعادته .

وقد اختلف أهل العربية في سبب ترك العرب همزها ، ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة ، فقال بعضهم : ترك همزها لأنها كانت آية ، فثقل عليهم التشديد ، فأبدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد ، كما قالوا : أَيْمًا فلان فأخزاه الله .

وقال آخرون منهم : بل هي فاعلة منقوصة ، فسلوا ، فقليل لهم ، فما بال العرب تصغرها آية ، ولم يقولوا أوييية ؟ فقالوا : قيل ذلك كما قيل في فاطمة : هذه فطيمة ، فقليل لهم : فإنهم يصغرون فاعلة على فعيلة إذا كان اسما في معنى فلان وفلانة ، فأما في غير ذلك ، فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة .

وقال آخرون : إنه فعلة ، صيرت ياؤها الأولى ألفا ، كما فعل بحاجة وقامة ، فقليل لهم : إنما تفعل العرب ذلك في أولاد الثلاثة ، وقال من أنكر ذلك من قليلهم : لو كان كما قالوا لقليل في نواة : ناية ، وفي حياة : جاية .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ فعاقبه الله فيما ذكر لنا بمسألته الآية ، بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة ، فجعل آيته على تخصيص ماسمع من البشارة من الملائكة يبيحي أنه من عند الله آية من نفسه ، جمع تعالى ذكره بها العلامة التي سألها ربه على ما يبين له حقيقة البشارة أنها من عند الله ، وتمحيصا له من هفوته ، وخطأ قلبه ومسألته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، قال آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴿ إنما عوقب بذلك لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته يبيحي ، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه ، فأخذ عليه بلسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار ، فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون : ﴿ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَشَرٍ مَصْدَقًا ﴾ قال : شافهته الملائكة ، فقال ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، قال آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴿ يقول : إلا إيماء ، وكانت عقوبة عوقب بها ، إذ سأل الآية مع مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، قال آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴿ قال : ذكر لنا والله أعلم ، أنه عوقب لأن الملائكة شافهته مشافهة ، فبشرته يبيحي ، فسأل الآية بعد ، فأخذ بلسانه .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب لأن الملائكة شافهته فبشرته يبيحي ، قالت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَشَرٍ ﴾ ،

(١) أصلها : أما فلان . . . الخ .

(٢) كذا في النسخ ، وتأمله .

فسأل بعد كلام الملائكة إياه الآية ، فأخذ عليه لسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلا رمزا ، يقول : يومئذ إيماء .

حدثني أبو عبيد الرصافي ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن جوير بن نصير في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ ، قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ قَالَ : ربا لسانه في فيه حتى ملأه ، ثم أطلقه الله بعد ثلاث .

وإنما اختارت القراء النصيب في قوله ﴿ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ لأن معنى الكلام : قال : آيتك أن لا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام ، فكانت أن هي التي تصحب الاستقبال دون التي تصحب الأسماء فتصيبها ، ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام : أي أنك على هذه الحال ثلاثة أيام ، كان وجه الكلام الرفع ، لأن « أن » كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ، ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر .

وأما الرمز ، فإن الأغلب من معانيه عند العرب : الإيماء بالشفيتين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانا ، وذلك غير كثير فيهم ، وقد يقال للحنى من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت : الرمز ، ومنه قول جؤية بن عابد :

وكانَ يُكَلِّمُ الْأَبْطَالَ رَمَزًا وَهَمْهَمَةً لَهْمًا مِثْلَ الْهَدِيرِ
يقال منه : رمز فلان فهو يرمز ، ويرمز رمزا ، ويترمز ترمزا ، ويقال : ضربه ضربة فارتمز منها : أي اضطرب للموت ، قال الشاعر :

خَرَرْتُ مِنْهَا لِقْفَايَ أُرْتَمِزُ^٢

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن زكريا من قوله : ﴿ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾ وأي معاني الرمز عنى بذلك ؟ فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا تحريكا بالشفيتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله ﴿ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾ قال : تحريك الشفتين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ ﴾ قال : لإيماءه بشفتيه .

(١) البيت لجؤية بن عائذ الكوفي النحوي . وقد جاء اسمه محرفا في الأصل . والتصويب عن تاج العروس . قال في اللسان (رمز) : الرمز : تصويت حنى باللسان كالهمس ، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت ، إنما هو إشارة بالشفيتين وقيل الرمز : إشارة بالعينين والحاجبين والشفيتين والهم . والرمز في اللغة : كل ما أشرت إليه بما يبان باللفظ بأي شيء أشرت إليه ، بيد أو بعين . والهمهمة : الصوت الحنى . وقيل : هو صوت معه بحج . وقيل : هو ترديد الصوت في الصدر . والهدير : تردد صوت البعير في حنجرتة .

(٢) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (رمز) وجعله شاهدا على أن معنى أرتمز من الضربة : اضطرب منها . ولم ينسبه لقائل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وقال آخرون : بل عني الله بذلك الإيماء والإشارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : الإشارة .
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : الرمز : أن يشير بيده أو رأسه ولا يتكلم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : الرمز : أن أُخِذَ بلسانه ، فجعل يكلم الناس بيده .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : والرمز : الإشارة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ ، قال : آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا . . . الآية . قال : جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، إلا أنه يذكر الله ، والرمز : الإشارة يشير إليهم .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ إلا إيماء .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ يقول : إشارة .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ : إلا إشارة .
حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قوله ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : أُمْسِكَ بلسانه ، فجعل يومئ بيده إلى قومه : أن سبحوا بكرة وعشيا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ كُفِّرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبَّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾
يعنى بذلك : قال الله جل ثناؤه لزكريا : يا زكريا آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا بغير خرس ، ولا عاهة ، ولا مرض ، وإذ كر ربك كثيرا ، فإنك لا تمنع ذكره ، ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ قال : آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ، وإذ كُفِّرُ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾ أيضا .

وأما قوله ﴿وَسَبَّحُ بِالْعَشِيِّ﴾ فإنه يعنى : عظم ربك بعبادته بالعشي ، والعشي : من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، كما قال الشاعر :

فلا الظل من برَدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيء من برَدِ العَشِيِّ تَذُوقُ^١

فالْيء إنما تبدى أوبته عند زوال الشمس ، وتتناهى بمغيبها .

وأما الإبكار : فانه مصدر من قول القائل : أبكر فلان في حاجة ، فهو يبكر إيكارا ، وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضحى ، فذلك إيكار ، يقال فيه : أبكر فلان ، وبكر يبكر بكورا ، فمن الإيكار قول عمر بن أبي ربيعة .

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فُبُكْرٍ^٢

ومن البكور قول جرير :

أَلَا بَكَرَتْ سَلَمَى فَجَدَّ بُكُورُهَا وَشَقَّ الْعَصَا بَعْدَ اجْتِمَاعِ أَمِيرُهَا^٣

ويقال من ذلك : بكر النخل يبكر بكورا ، وأبكر يبكر إيكارا ، والباكور من الفواكه : أولها إدراكا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَسَبَّحُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ قال : الإيكار : أول الفجر ، والعشي : ميل الشمس حتى تغيب . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَلْمُزُهُمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾

﴿يَلْمُزُهُمْ﴾ : يذمهم . والله سميع عليم ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ .

ومعنى قوله ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختارك واجتباك لطاعته ، وما خصك به من كرامته ، وقوله ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ : طهر دينك من الريب والأدناس التى فى أديان نساء بنى آدم ، ﴿وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ : اختارك على نساء العالمين فى زمانك بطاعتك إياه ، ففضلك عليهم .

(١) البيت لحمد بن تور الهذلى كما فى اللسان (فى) كما أورده المؤلف . وهو فى (ديوانه طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ ص ٤٠) . يصف سرحة ، وكفى بها عن امرأة . والرواية فيه : « فلا الظل منها بالضحى » . والظل : ما كان أول النهار . والنوء : ما كان بعد الزوال إلى الليل . ويقال : البردان والأبردان للظل والنوء ، وأيضا للغداة والعشي .

(٢) البيت مطلع قصيدة لعمر بن أبي ربيعة . وعجزه :

غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحَ فُهِجَرٍ

(ديوانه طبعة السعادة سنة ١٣٣٠ هـ ص ١٨١) .

(٣) البيت مطلع قصيدة لجرير يهجو بها غسان بن ذهل ويرد عليه هجاءه ، (ديوانه طبعة الصاوى ص ٢٩٣) . وشق المصا :

كناية عن الفرقة بعد الاجتماع . وأميرها : زوجها أو أبوها .

كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » يعنى بقوله : خير نساءها : خير نساء أهل الجنة .

حدثني بذلك الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا محاضر بن المورع ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : سمعت عليا بالعراق ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى المنذر بن عبد الله الخزامي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خَيْرُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : « حَسْبُكَ بِمَرْيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « خَيْرُ نِسَاءِ رَكِيبِ الْإِبِلِ صَوَّالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » قال قتادة : وذكر لنا أنه كان يقول : « لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ مَرْيَمَ رَكِيبَتِ الْإِبِلِ مَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا أَحَدًا » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خَيْرُ نِسَاءِ رَكِيبِ الْإِبِلِ صَلَّحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ وَأَرْعَاهُ لِزَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » قال أبو هريرة : ولم تركب مريم بعيرا قط .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا آدم العسقلاني ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا عمرو بن مرة ، قال : سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ » .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو الأسود المصري ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن عمار بن غزية ، عن محمد

ابن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان ، أن فاطمة بنت حسين بن عليّ حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأنا عند عائشة ، فناجاني ، فبكيت ، ثم ناجاني ، فضحكت ، فسألني عائشة عن ذلك ، فقلت : لقد عجلت ، أخبرك بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فتركتني ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألتها عائشة ، فقالت : نعم ، ناجاني فقال «جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة ، وإنه قد عارض القرآن مرتين ، وإنه ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي كان قبله ، وإن عيسى أخى كان عمره عشرين ومائة سنة ، وهذه لي ستون ، وأحسبني ميتا في عامي هذا ، وإنه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ، ولا تكوني دون امرأة صبرا ، قالت : فبكيت ، ثم قال : أنت سيّدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول » فتوفي عامه ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو الأسود ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن الحرث ، أن أبا زياد الحميريّ حدثه ، أنه سمع عمار بن سعد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فُضِّلْتُ خَدِيجَةً عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي كَمَا فُضِّلْتُ مَرْيَمٌ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» .

وبمثل الذي قلنا في معنى قوله ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ : أنه وطهر دينك من الدنس والريب ، قال مجاهد : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ قال : جعلك طيبة إيمانا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : ذلك للعالمين يومئذ ، وكانت الملائكة فيما ذكر ابن إسحاق تقول ذلك لمريم شفاها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني ابن إسحاق ، قال : كانت مريم حبيسا في الكنيسة ، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف ، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيرا حبيسا ، فكانا في الكنيسة جميعا ، وكانت مريم إذا نفذ مأوها وماء يوسف ، أخذتا قلتيهما فانطلقا إلى المنارة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه ، فيملاان قلتيهما ، ثم يرجعان إلى الكنيسة ، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ فاذا سمع ذلك زكريا . قال : إن لابنة عمران لشأنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَمْزِجُ مَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٣١﴾

﴿يَمْزِجُ﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله خبرا عن قيل ملائكته لمريم ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أخلصي الطاعة لربك وحده . وقد دللنا على معنى القنوت بشواهد في ما مضى قبل .

والاختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع . نحو اختلافهم فيه هنالك ، وسنذكر قول بعضهم أيضا في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معنى اقنتي : أطيلي الركود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : أطيلي الركود ، يعني : القنوت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : قال مجاهد : أطيلي الركود في الصلاة ، يعني : القنوت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قامت حتى ورم كعباها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لما قيل لها : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قامت حتى ورمت قدميها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : أطيلي الركود .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : القنوت : الركود ، يقول : قومي لربك في الصلاة ، يقول : اركدي لربك ، أي انتصبي له في الصلاة ، واسجدي واركعي مع الراكعين .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : كانت تصلي حتى ترم قدميها .

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا الأوزاعي ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : كانت تقوم حتى يسيل القبح من قدميها .
وقال آخرون : معناه : أخلصي لربك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : أخلصي لربك .
وقال آخرون : معناه : أطيعي ربك .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : أطيعي ربك .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ : أطيعي ربك .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن

أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ حَرْفٍ يُذَكَّرُ فِيهِ الْقُنُوتُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَهُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ » .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن ، في قوله : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ قال : يقول : اعبدى ربك .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضا معنى الركوع والسجود بالأدلة الدالة على صحته ، وأنهما بمعنى الخضوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية .

فتأويل الآية إذا : يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصا ، واخشعي لطاعته وعبادته ، مع من خشع له من خلقه ، شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دهرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله : ذلك الأخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا ، وابنه يحيى ، وسائر ما قص في الآيات من قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك ، فقال : هذه الأنباء من أنباء الغيب : أى من أخبار الغيب ، ويعنى بالغيب ، أنها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليل من أخبار أهل الكتابين ورهبانهم ، ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك إليه حجة على نبوته ، وتحقيقا لصدقه ، وقطعا منه به عذر منكرى رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها إلا بإعلام الله ذلك إياه ، إذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمى لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من قبل الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب ، فيأخذ علمه من قبلهم .

وأما الغيب : فصدر من قول القائل : غاب فلان عن كذا ، فهو يغيب عنه غيبا وغيبة .

وأما قوله ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ فإن تأويله : نزل به إليك ، وأصل الإيحاء : إلقاء الموحى إلى الموحى إليه ، وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء وبإلهام وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها ، وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ بمعنى : ألقى إليهم علم ذلك إلهاما ، وكما قال الراجز :

أَوْحَىٰ لَهُمَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ ۱

(١) هذا بيت للمعاج من أرجوزة له في (ديوانه ص ٥) . والرواية فيه . « وحي » بدون همزة ، وهو بمعنى أوحى .

بمعنى : ألقى إليها ذلك أمرا ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^١ بمعنى : فألقى ذلك إليهم أيضا ، والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم ، وقد يكون إلقاء ذلك إليهم إيماء ، ويكون بكتاب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾^٢ يلقون إليهم ذلك وسوسة ، وقوله : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ ، وَمَنْ بَلَغَ ﴾^٣ ألقى إلى مجيئ جبريل عليه السلام به إلى من عند الله عز وجل . وأما الوحي : فهو الواقع من الموحى إلى الموحى إليه ، ولذلك سمى العرب الخط والكتاب وحيا ، لأنه واقع فيما كتب ثابت فيه ، كما قال كعب بن زهير :

أَتَى الْعُجُجَمَ وَالْآفَاقَ مِنْهُ قَصَائِدُ^٤ بِقَيْنَ بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي الْحَجَرِ الْأَصَمِ^٥

يعنى به الكتاب الثابت فى الحجر ، وقد يقال فى الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب وحى ، بغير ألف ، ومنه قول رؤبة :

كَأَنَّهُ بَعْدَ رِيَّاحٍ تَدْهَمُهُ^٦ وَمُرْتَعِنَاتِ الدُّجُونِ تَشْمُهُ^٧

إنجيل أخبار وحى منمنمة^٨

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^٩

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ : وما كنت يا محمد عندهم ، فتعلم ما نعلمك من أخبارهم التى لم تشهدها ، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفنا كه .

ومعنى قوله ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ : عندهم ، ومعنى قوله ﴿ إِذْ يُلْقُونَ ﴾ : حين يلقون أقلامهم . وأما أقلامهم فسهمهم التى استهم بها المستهمون من بنى إسرائيل على كفالة مريم ، على ما قد بينا قبل فى قوله ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾^{١٠} .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام بن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾^{١١} يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾^{١٢} : زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ ﴾^{١٣}

(١) قال فى لسان العرب (وحى) : الوحي : الإشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والإلهام ، والكلام الخفى ، وكل ما ألقىته إلى غيرك ، والوحى : المكتوب والكتاب .

(٢) هذه الأبيات من الرجز فى ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٤٩ طبعة برلين سنة ١٩٠٣ . وتدهمه : تغشاه . والمرثن من المطر : المسترسل السائل . والدجون : جمع دجن ، وهو ظل الغيم فى اليوم المطير . وتشمه : تضربه بشدة . ووحى منمنه : أى كتبه كاتبه كما فى اللسان ، واستشهد عليه بالبيت ، ونسبه لرؤبة ، وهو الصحيح . وفى موضع آخر (رثن) نسبه إلى ذى الرمة خطأ . وقال : يقال : وحيث الكتاب أحياه وحيا ، كتبه ، فهو موحى ، قال رؤبة : . . . (البيت) . وبعده « ماخط فيه بالمداد قلمه » .

أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٠١﴾ : كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم ، فتشاح عليها بنو إسرائيل ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا ، وكان زوج أختها ، فكفلها زكريا ، يقول : ضمها إليه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ قال : تساهموا على مريم أيهم يكفلها ، فقرعهم زكريا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ، وإن مريم لما وضعت في المسجد ، اقترع عليها أهل المصلى ، وهم يكتبون الوحي ، فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها ، فقال الله عز وجل لحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٠١﴾ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ : اقترعوا بأقلامهم أيهم يكفل مريم ، فقرعهم زكريا .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قوله ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ قال : حيث اقترعوا على مريم ، وكان غيبا عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبره الله .

وإنما قيل : ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ لأن إلقاء المستهين أقلامهم على مريم إنما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحق ، في قوله عز وجل ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ دلالة على محذوف من الكلام ، وهو لينظروا أيهم يكفل ، وليتبينوا ذلك ويعلموه .

﴿فَإِنْ ظَنَّ أَنْ الْوَاجِبُ فِي أَيِّهِمُ النَّصَبُ﴾ ، إذ كان ذلك معناه ، فقد ظن خطأ ، وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أي يقتضي استفهاما واستخبارا ، وحظ أي في الاستخبار الابتداء ، وبطول عمل المسئلة والاستخبار عنه . وذلك أن معنى قول القائل : لأنظرون أيهم قام ، لأستخبرن الناس أيهم قام ؛ وكذلك قولهم : لأعلمن . وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفل يضم ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنت يا محمد عند قوم مريم ، إذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى ، وذلك من الله عز وجل وإن كان خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فتوبيخ منه عز وجل للمكذابين به من أهل الكتابين ، يقول : كيف يشك أهل الكفر بك منهم ، وأنت تنبئهم هذه الأنباء ولم تشهدا ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور ، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَمَا كُنْتَ

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٥﴾ أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما اكتبتموه منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم ، لما يأتيهم به مما أخفوا منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾

﴿١٥﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه : إذ قالت الملائكة : وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضا إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك ، والتبشير : إخبار المرء بما يسره من خير ، وقوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ يعنى : برسالة من الله ، وخبر من عنده ، وهو من قول القائل : ألقى فلان إلى كلمة سرّتى بها ، بمعنى : أخبرنى خبرا فرحت به ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها .

فتأويل الكلام : وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده ، هى ولد لك ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم .

وقد قال قوم ، وهو قول قتادة : إن الكلمة التى قال الله عز وجل بكلمة منه ، هو قوله : كن . حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ قال : قوله : كن ، فسماه الله عز وجل كلمته ، لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدر الله من شيء : هذا قدر الله وقضاؤه ، يعنى به : هذا عن قدر الله وقضائه حدث ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يعنى به : ما أمر الله به ، وهو المأمور الذى كان عن أمر الله عز وجل .

وقال آخرون : بل هى اسم لعيسى سماه الله بها كما سمي سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : الكلمة : هى عيسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ قال : عيسى هو الكلمة من الله . ﴿١٥﴾ وأقرب الوجوه إلى الصواب عندى القول الأول : وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقىها إليها ، أن الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ، ولذلك قال عز وجل : ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ فذكر ، ولم يقل اسمها فيؤنث ، والكلمة مؤنثة ، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان ، وإنما هى بمعنى البشارة ، فذكرت كنياتها ، كما تذكر كناية الذرية والدابة والألقاب ، على ما قد بيناه قبل فيما مضى .

فتأويل ذلك كما قلنا آنفا ، من أن معنى ذلك : إن الله يبشرك ببشرى ، ثم بين عن البشرى ، أنها ولد اسمه المسيح .

وقد زعم بعض نحوي البصرة ، أنه إنما ذكر فقال ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ ، وقد قال ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ والكلمة عنده : هي عيسى ، لأنه في المعنى كذلك ، كما قال جل ثناؤه ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾ ، ثم قال : ﴿بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ وكما يقال : ذوالثدية^(١) ، لأن يده كانت قصيرة قريبة من ثديه ، فجعلها كأن اسمها ثدية ، ولولا ذلك لم تدخل الهاء في التصغير .

وقال بعض نحوي الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوي البصرة ، في أن الهاء من ذكر الكلمة ، وخالفه في المعنى الذي من أجله ذكر قوله ﴿اسْمُهُ﴾ ، والكلمة متقدمة قبله ، فزعم أنه إنما قيل اسمه ، وقد قدمت الكلمة ، ولم يقل اسمها ، لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والألقاب والأسماء التي لم توضع لتعريف المسمى به كفلان وفلان ، وذلك مثل الذرية والخليفة والدابة ، ولذلك جاز عنده أن يقال : ذرية طيبة ، وذرية طيبا ، ولم يحز أن يقال : طلحة أقبلت ، ومغيرة قامت . وأنكر بعضهم اعتلال من اعتل في ذلك بذي الثدية ، وقالوا : إنما أدخلت الهاء في ذى الثدية لأنه أريد بذلك : القطعة من الثدي ، كما قيل : كنا في لحمه ونبيذة ، يراد به : القطعة منه .

وهذا القول نحو قولنا الذي قلناه في ذلك .

وأما قوله ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فإنه جل ثناؤه أنبا عباده عن نسبة عيسى ، وأنه ابن أمه مريم ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جل ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بنوته إلى الله عز وجل ، وما قذفت أمه به المفترية عليها من اليهود .

كما حدثني به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ : أي هكذا كان أمره ، لا ما يقولون فيه . وأما المسيح ، فإنه فعيل ، صرف من مفعول إلى فعيل ، وإنما هو ممسوح ، يعنى : مسح الله فطهره من الذنوب ، ولذلك قال إبراهيم : المسيح الصديق ، وقال آخرون : مسح بالبركة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن الرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : قال سعيد : إنما سمي المسيح ، لأنه مسح بالبركة القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ :

يعنى بقوله وجيها : ذا وجه ومنزلة عالية عند الله ، وشرف وكرامة ، ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس : وجيه ، يقال منه : ما كان فلان وجيها ، ولقد وجه وجاهة ، وإن له لوجها عند السلطان ، وجاها ووجاهة . والجاه : مقلوب قلبت واوه من أوله إلى موضع العين منه ، فقيل جاه ، وإنما

(١) ذو الثدية ، والأصح : ذو اليد . لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج . وقيل لقب رجل اسمه ثرملة .

هو وجه وفعل من الجاه جاه يجوه ، مسموع من العرب ، أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا ، بمعنى : أن يستقبلني في وجهي بأعظم منه . وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى ، لأن عيسى معرفة ، ووجيه نكرة ، وهو من نعتة ، ولو كان مخفوضا على الرد على الكلمة كان جائزا .

وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها في الدنيا والآخرة عند الله ، قال فيما بلغنا محمد بن جعفر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ وَجِيهَا ﴾ قال : وجيها في الدنيا والآخرة عند الله .

وأما قوله ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ فإنه يعنى : أنه ممن يقربه الله يوم القيامة ، فيسكنه في جواره ، ويدنيه منه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ يقول : من المقرّبين عند الله يوم القيامة .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ يقول : من المقرّبين عند الله يوم القيامة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾

أما قوله ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ فإن معناه : أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها عند الله ، ومكلما الناس في المهد ، فيكلم وإن كان مرفوعا ، لأنه في صورة « يَفْعَلُ » بالسلامة من العوامل فيه ، فإنه في موضع نصب ، وهو نظير قول الشاعر :

بِتُّ أُعْشِيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أُسُوقِهَا وَجَائِرٍ ١

وأما المهد : فإنه يعنى به مضجع الصبي في رضاعه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ قال : مضجع الصبي في رضاعه .

وأما قوله ﴿ وَكَهْلًا ﴾ فإنه ومحتنكا فوق الغلومة ودون الشيخوخة ، يقال منه : رجل كهل ، وامرأة كهلة ، كما قال الراجز :

(١) البيت غير معروف قائله ، وقد استشهد به النحويون على جواز عطف الاسم المشبه للفعل (جائر) على الفعل (يقصد) واستشهد به الفراء والزجاج في تفسيريهما ، ولم ينسباه . ورواية الفراء : (بت) . ورواية ابن الشجري في أماليه : (بات يغشيها) بالعين المعجمة ، أى يشملها ويعمها . وضمير المؤنث للإبل . وهو في وصف كريم بأنه يعقر إبله لضيوفه . والعضب : السيف القاطع وباتر ، صفة أولى لعضب ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، وجائر : صفة ثالثة له . والجائر : الظالم . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

والرواية في (اللسان : كهل) ، وفي معاني القرآن للفراء طبعة دار الكتب المصرية والخزانة ٢ : ٣٤٥ : « بت أعشيها » .

وَلَا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيًّا أُمَارِسُ الْكَهْلَةَ وَالصَّبِيَّا

وإنما عني جل ثناؤه بقوله ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ : ويكلم الناس طفلا في المهد ، دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها ، وحجة له على نبوته ، وبالغا كبيرا بعد احتناكه بوحى الله الذى يوحى إليه ، وأمره ونهيه ، وما تقول عليه من كتابه . وإنما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح ، وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولا وشيوخا ، احتجاجا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل ، وأنه كان فى معاناة أشياء مولودا طفلا ، ثم كهلا يتقلب فى الأحداث ، ويتغير بمرور الأزمنة عليه والأيام ، من صغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال ، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه ، كان ذلك غير جائز عليه ، فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران ، الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، واحتج به عليهم لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلمهم أنه كان كسائر بنى آدم ، إلا ما خصه الله به من الكرامة التى أبانه بها منهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ : يخبرهم بحالاته التى يتقلب بها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا وكبارا ، إلا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته ، وتعريفا للعباد مواقع قدرته . حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ يقول : يكلمهم صغيرا وكبيرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال : يكلمهم صغيرا وكبيرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وِكَهْلًا﴾ ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ قال : الكهل : الحليم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كالمهم صغيرا وكبيرا وكهلا . وقال ابن جريج ، وقال مجاهد : الكهل : الحليم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال : كالمهم فى المهد صبييا ، وكالمهم كبيرا .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿وِكَهْلًا﴾ : أنه سيكلمهم إذا ظهر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعته : يعنى ابن زيد يقول فى قوله : ﴿وَيُكَلِّمُ

(۱) البیتان من الرجز ، نسبهما صاحب اللسان فى (كرى) لئذا فى الكندى . قال : والكرى على فمیل : المكازى ، وهو الذى يكرىك دابته . والكهل : من زاد على الثلاثين سنة إلى الأربعين أو إلى الخمسين ، والمراد أنه إذا جاوز سن الشباب سمي كهلا .

النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿١٧﴾ قَالَ : قد كلمهم عيسى في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال ، وهو يومئذ كهل ؛ ونصب كهلا عطفا على موضع : ويكلم الناس .
وأما قوله ﴿١٨﴾ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ فإنه يعني : من عدادهم وأوليائهم لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾

﴿١٧﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : قالت مريم ، إذ قالت لها الملائكة : إن الله يبشرك بكلمة منه : رب أنى يكون لى ولد : من أى وجه يكون لى ولد ؟ أمن قبل زوج أتزوج به وبعل أنكحه ؟ أو تبتدى فى خلقه من غير بعل ولا فحل ، ومن غير أن يمسنى بشر ؟ فقال الله لها : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ يعنى : هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسنى بشر ، فيجعله آية للناس وعبرة ، فانه يخلق ما يشاء ، ويصنع ما يريد ، فيعطى الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل ، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل ، لأنه لا يتعدّر عليه خلق شيء أراد خلقه ، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئا ما أراد ، فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء ، وكيف شاء .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ ، قال كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ : يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر : أى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، مما يشاء ، وكيف يشاء ، فيكون ما أراد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾

اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينه ، وبعض قراء الكوفيين ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياء ردا على قوله ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ ﴾ فألقوا الخبر فى قوله ويعلمه ، بنظير الخبر فى قوله ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، وقوله ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون عطفا به على قوله ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ كأنه قال : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، ونعلمه الكتاب ، وقالوا : ما بعد نوحيه فى صلته ، إلى قوله : كن فيكون ، ثم عطف بقوله : ونعلمه عليه .

﴿١٨﴾ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتى المعانى ، فبأيهما قرأ القارى فهو

مصيب الصواب في ذلك لاتفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يعلم عيسى الكتاب ، وما ذكر أنه يعلمه ، وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة ، ورفع المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يخلق منك ولدا ، من غير فحل ولا بعل ، فيعلمه الكتاب ، وهو الخط الذي يخطه بيده ، والحكمة : وهي السنة التي نوحها إليه في غير كتاب ، والتوراة : وهي التوراة التي أنزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى ، والإنجيل : إنجيل عيسى ، ولم يكن قبله ، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحى إليه ، وإنما أخبرها بذلك ، فسماه لها ، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحى إليه كتابا اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلا ، هو الولد الذي وهبه لها ، وبشرها به .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ﴿وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ قال : بيده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال : الحكمة : السنة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، في قوله ﴿وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ قال : الحكمة : السنة والتوراة والإنجيل ، قال : كان عيسى يقرأ التوراة والإنجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قال : الحكمة : السنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : أخبرها ، يعني : أخبر الله مريم ما يريد به ، فقال : ﴿وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ كتابا آخر أحدثه إليه ، لم يكن عندهم علمه إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَرَسُولًا﴾ : ونجعله رسولا إلى بنى إسرائيل ، فترك ذكر ونجعله ، لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر :

ورأيت زَوْجَكَ في الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحًا

وقوله ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بمعنى : ونجعله رسولا إلى بنى إسرائيل بأنه نبي وبشير ونذير ، وحجتي عن صدق على ذلك ، أني قد جئتكم بآية من ربكم ، يعنى بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدق خبري ، أني رسول من ربكم إليكم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بَآيَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى تحقق بها نبوتى ، وأنى رسول منه إليكم . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : ورسولا إلى بنى إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم بين عن الآية ما هى ، فقال : ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ﴾ . فتأويل الكلام : ورسولا إلى بنى إسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم بأن أخلق لكم من الطين كهية الطير ، والطير جمع طائر .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض أهل الحجاز : كهية الطائر فأنفخ فيه فيكون طائرا ، على التوحيد . وقرأه آخرون : كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا ، على الجماع كليهما .

وأعجب القراءات إلى في ذلك قراءة من قرأ : كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا ، على الجماع فيهما جميعا ، لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله ، وأنه موفق لخط المصحف ، واتباع خط المصحف مع صحة المعنى ، واستفاضة القراءة به أعجب إلى من خلاف المصحف .

وكان خلق عيسى : ما كان يخلق من الطير :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق أن عيسى صلوات الله عليه ، جلس يوما مع غلمان من الكتاب ، فأخذ طينا ، ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائرا ، قالوا : وتستطيع ذلك ؟ قال : نعم بإذن ربى ، ثم هبأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ، ثم قال : كن طائرا بإذن الله ، فخرج يطير بين كفيه ، فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم ، فأفشوه في الناس ، وترعرع ، فهمت به بنو إسرائيل ، فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة .

وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم : أى الطير أشد خلقا ؟ فقبل له الخفاش .

(١) أورد البيت صاحب اللسان في (قلد) ولم ينسبه ، قال : وتقلد الأمر : احتمله ، وكذلك تقلد السيف ، وقوله :

يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفاً ورمحاً

أى وحاملا رُمحاً ، قال : وهذا كقول الآخر : « علفتها تبنا وماء باردا » : أى وسقيتها ماء باردا .

وأورده صاحب الخزنة عرضا في باب شواهد المفعول معه (١ : ٥٠٠) كما أورده صاحب اللسان بلفظه .

كما حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ قال : أى الطير أشدّ خلقا ؟ قالوا : الحفاش إنما هو لحم ، قال ففعل ﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ﴾ فأنفخ فيه ﴿وَقَدْ قِيلَ﴾ ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ؟ قيل : لأن معنى الكلام : فأنفخ فى الطير ، ولو كان ذلك : فأنفخ فيها ، كان صحيحا جائزا ، كما قال فى المائدة ﴿فَأَنْفُخُ فِيهَا﴾ يريد : فأنفخ فى الهيئة ، وقد ذكر أن ذلك فى إحدى القراءتين : فأنفخها ، بغير فى ، وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول : رب ليلة قد بتها وبت فيها ، قال الشاعر :
 مَاشِقُ جَيْبٍ وَلَا قَامَتِكَ نَائِحَةٌ وَلَا بِكَتِكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابٍ
 بمعنى : ولا قامت عليك ، وكما قال الآخر :

إِحْدَى بَنَى عَيْدَ اللَّهِ اسْتَمَرَّ بِهَا حُلُوُ الْعَصَاةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ
 القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ :

يعنى بقوله ﴿وَأُبْرِئُ﴾ : وأشفى ، يقال منه : أبرأ الله المريض : إذا شفاه منه ، فهو يبرئه لإبراء ، وبرأ المريض فهو يبرأ برءا . وقد يقال أيضا : برئ المريض فهو يبرأ ، لغتان معروفتان .
 واختلف أهل التأويل فى معنى الأكمه ، فقال بعضهم : هو الذى لا يبصر بالليل ، ويبصر بالنهار .
 ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ قال : الأكمه : الذى يبصر بالنهار ، ولا يبصر بالليل ، فهو يتكمه .
 حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
 وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدث أن الأكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، فى قوله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ قال : كنا نحدث أن الأكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين .
 حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الأكمه : الذى يولد وهو أعمى .

(١) الشاهد فى قوله قامت عليك نائحة ، فإن أصله : قامت عليك نائحة ، ثم حذف الجار ، ووصل الضمير بالفعل ، ولم نعث على قائل البيت .

(٢) لم نعث على قائل البيت . وبنو عيذ الله ، بتشديد الياء ، وتخفيف عند النسب إليه ، وعيذ الله هو ابن سعد بن مذحج كما فى التاج . وقوله « حتى ينفخ الصور » : أصله : ينفخ فى الصور . قال فى اللسان : نفخ فيه فانتفخ . فأسقط حرف الجر وأوصل الفعل إلى المفعول ، ثم رفعه نائبا عن الفاعل .

وقال آخرون : بل هو الأعمى .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ﴾ : هو الأعمى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الأعمى . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ﴾ قال : الأكمه : الأعمى .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ﴾ قال : الأعمى .

وقال آخرون : هو الأعمش .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله ﴿وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ﴾ قال : الأعمش . والمعروف عند العرب من معنى الكمه : العمى ، يقال منه : كهمت عينه ، فهي تكمه كمها ، وأكهمتها أنا : إذا أعميتها ، كما قال سويد بن أبي كاهل :

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى ابْيَضَّتَا فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعَ^١

ومنه قول رؤبة :

هَرَجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الْأَكْمَهِ فِي غَائِلَاتِ الْحَائِرِ الْمُتَهَشِّهِ^٢

وإنما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه ، أنه يقول ذلك لبنى إسرائيل ، احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته ، وذلك أن الكمه والبرص لاعلاج لهما ، فيقدر على إبرائه ذو طب بعلاج ، فكان ذلك من أدلته على صدق قبيله ، إنه لله رسول ، لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التي

(١) البيت من عينية سويد بن أبي كاهل الإشكري المشهورة (انظر المفضليات للضبي) . وأورده صاحب اللسان في كه ، قال : الكه في التفسير : العمى الذي يولد به الإنسان ، كه بصره بالكسر كمها وهو أكه ؛ إذا اعترت ظلمة تطمس عليه . وربما جاء الكه في الشعر العمى العارض ، قال سويد : . . . (البيت) .

قال ابن بري : وقد يجوز أن يكون مستعارا من قولهم : كهمت الشمس : إذا علتها غبرة فأظلمت ، كما تظلم العين إذا علتها غبرة العمى . ويجوز أيضا أن يكون مستعارا من قولهم كه الرجل : إذا سلب عقله ، لأن العين بالكه يسلب نورها . ومعنى البيت : أن الحسد قد بيض عينيه كما قال رؤبة : « بيض عينيه العمى المعنى » .

وذكر أهل اللغة أن الكه يكون خلقة ، ويكون حادثا بعد بصر . وعلى هذا الوجه الثاني فسر هذا البيت ، قال ابن سيده : وربما قالوا للمسلوب العقل أكه ، قال رؤبة (انظر الشاهد الذي بعد هذا) . ابن الأعرابي : الأكه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . وقال أبو الهيثم : الأكه الأعمى الذي لا يبصر ، فيتحير ويتردد . ويقال إن الأكه الذي تلده أمه أعمى . وأنشد بيت رؤبة . . . فوصفه بالهرج ، وذكر أنه كالأكه في حال هرجه .

(٢) في لسان العرب (تهته) قال ابن بري : تهته في الشيء (مينيا للمجهول) أي ردد فيه ويقال تهته فلان إذا ردد في الباطل . ومنه قول رؤبة . . . (البيت) والبيتان في ديوانه من أرجوزة يصف بها نفسه ص ١٦٦ . وفيه « الخائب » في مكان « الحائر » .

أعطاه الله إياها دلالة على نبوته . فأما ما قال عكرمة ، من أن الكه : العمش ، وما قاله مجاهد : من أنه سوء البصر بالليل ، فلا معنى لهما ، لأن الله لا يحتاج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل إلى معارضته فيها ، ولو كان مما احتج به عيسى على بنى إسرائيل في نبوته أنه يرى الأعمش ، أو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بأن يقولوا : وما فى هذا لك من الحجة ، وفينا خلق ممن يعالج ذلك وليسوا الله أنبياء ولا رسلا ، ففى ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكه : هو الأعمى الذى لا يبصر شيئا لاليل ولا نهارا ، وهو بما قال قتادة : من أنه المولود كذلك أشبه ، لأن علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر ، إلا من أعطاه الله مثل الذى أعطى عيسى ، وكذلك علاج الأبرص .

• القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ، وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله ، يدعو لهم ، فيستجيب له .

كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما صار عيسى ابن اثنى عشرة سنة ، أوحى الله إلى أمه وهى بأرض مصر ، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر أن اطلعى به إلى الشام ، ففعلت الذى أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوته ثلاث سنين ، ثم رفعه الله إليه . قال : وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفا ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله .

وأما قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ فإنه يعنى : وأخبركم بما تأكلون مما لم أعينه وأشاهده معكم فى وقت أكلكموه ، وما تدخرون ، يعنى بذلك : وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه ، يعلمهم أن من حجته أيضا على نبوته مع المعجزات التى أعلمهم أنه يأتى بها حجة على نبوته وصدقه فى خبره ، أن الله أرسله إليهم : من خلق الطير من الطين ، وإبراء الأكه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله ، التى لا يطيقها أحد من البشر ، إلا من أعطاه الله ذلك ، علما له على صدقه ، وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ، ومن أحب من خلقه ، إنباءه عن الغيب الذى لا سبيل لأحد من البشر الذين سبيلهم سبيله عليه .

• فإن قال قائل : وما كان فى قوله لهم : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ من الحجة له على صدقه ، وقد رأينا المتنجمة والمتكهنه تخبر بذلك كثيرا فتصيب؟ قيل : إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما يثبتان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه ، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ، ومن سائر أنبياء الله ورسله ، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفة باحتيال ، ولكن ابتداء بأعلام الله إياه من غير أصل تقدم ذلك ، احتذاه ، أو بنى عليه أو فزع إليه ، كما يفزع المتنجم إلى حسابه ، والمتكهن إلى رثيه ، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذبة على الله ، أو المدعية علم ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرة أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون ، فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان ، فلا يذهب يعلمه شيئا مما يعلمه الغلمان إلا بדרه إلى علمه قبل أن يعلمه إياه ، فيقول : ألا تعجبون لابن هذه الأرملة ، ما أذهب أعلمه شيئا إلا وجدته أعلم به مني

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان ، غلمان القرية التي كان فيها ، فيحدث الغلمان بما يصنع آبائهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : كان عيسى ابن مريم إذ كان في الكتاب يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : إن عيسى ابن مريم كان يقول للغلام في الكتاب : يا فلان إن أهلك قد خبأوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه ، فهكذا فعل الأنبياء وحججها إنما تأتي بما أتت به من الحجيج بما قد يوصل إليه ببعض الحيل ، على غير الوجه الذي يأتي به غيرها ، بل من الوجه الذي يعلم الخلق أنه لا يوصل إليه من ذلك الوجه بحيلة إلا من قبل الله . ونحو ما قلنا في تأويل قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : بما أكلتم البارحة ، وما خبأتم منه عيسى ابن مريم يقوله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح يعني قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم غيبا علمه الله إياه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : ما تأكلون : ما أكلتم البارحة من طعام ، وما خبأتم منه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان ، يعني عيسى ابن مريم ، يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آبائهم ، وبما يرفعون لهم ، وبما يأكلون

ويقول للغلام : انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا ، وهم يأكلون كذا وكذا ، فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء ، فيقولون له : من أخبرك بهذا ؟ فيقول : عيسى ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ فحبسوا صبيانهم عنه ، وقالوا : لاتلعبوا مع هذا الساحر ، فجمعوهم في بيت ، فجاء عيسى يطلبهم ، فقالوا : ليس هم ههنا ، فقال : ما في هذا البيت ؟ فقالوا : خنازير ، قال عيسى : كذلك يكونون ، ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير ، فذلك قوله ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : ما تخبئون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شيء . وقال آخرون : إنما عني بقوله ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ فكان القوم لما سألوا المائدة ، فكانت جرابا ينزل عليه أينما كانوا ثمرا من ثمار الجنة ، فأمر القوم أن لا يخونوا فيه ، ولا يخبئوا ، ولا يدخروا لغد ، بلاء ابتلاهم الله به ، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئا أنباهم به عيسى ابن مريم ، فقال : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ ﴾ قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة ، وما تدخرون منها ، قال : فكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا ، فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا ، فذلك قوله ﴿ فَتَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ ﴾ فَإِنِّي أَعَذُّبُهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ قال ابن يحيى : قال عبد الرزاق : قال معمر ، عن قتادة ، عن خلاص ابن عمرو ، عن عمار بن ياسر ذلك .

وأصل يدخرون من الفعل يَفْتَعِلُونَ ، من قول القائل : ذخرت الشيء بالذال ، فأنا أذخره ، ثم قيل : يدخر كما قيل : يدكر ، من ذكرت الشيء ، يراد به يدخر ، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج ، ثقل إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى وصيرتا دالا مشددة صيروها عدلا بين الذال والتاء ، ومن العرب من يغلب الذال على التاء فيدغم التاء في الذال ، فيقول : وما تدخرون وهو مذخر لك ، وهو مذكر ، واللغة التي بها القراءة الأولى ، وذلك إدغام الذال في التاء ، وإبدالهما دالا مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها ، وهو اللغة الجودى ، كما قال زهير :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفَوًا وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا فَيَظْلِمُ^١

يروى بالطاء ، يريد : فيفتعل من الظلم ، و يروى بالطاء أيضا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن في خلق من الطين الطير بإذن الله ، وفي إبرائى الأكمة والأبرص ، وإحيائى الموتى ، وإنبائى إياكم بما تأكلون ، وما تدخرون في بيوتكم ، ابتداء من غير حساب وتنجم ، ولا كهانة وعرافة ، لعبرة لكم ، ومتفكرا تتفكرون في ذلك ، فتعتبرون به أنى محق في قولى لكم : إني رسول من ربكم إليكم ، وتعلمون به أنى فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونبيه صادق ، إن كنتم مؤمنين ، يعنى : إن كنتم مصدقين حجج الله وآياته ، مقرين بتوحيده ونبيه موسى ، والتوراة التى جاءكم بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^٢ إِنَّ اللَّهَ زَنَىٰ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ^٣

يعنى بذلك جل ثناؤه : وبأنى قد جئتم بآية من ربكم ، وجئتمكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتم . والذي يدل على أنه نصب على قوله وجئتم دون العطف على قوله وجيها ، قوله ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ ولو كان عطفا على قوله وجيها ، لكان الكلام : ومصدق لما بين يديه من التوراة ، وليحل لكم بعض الذى حرّم عليكم ، وإنما قيل : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها ، وأنها من عند الله ، وكذلك الأنبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله ، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم في ذلك ، مع أن عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة ، لم يخالف شيئا من أحكامها إلا ما خفف الله عن أهلها في الإنجيل مما كان مشددا عليهم فيها .

كما حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليهما وسلم ، وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس ، فقال لبنى إسرائيل : إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم ، وأضع عنكم من الآصار .

(١) رواية البيت كما في الصحاح واللسان عن سيويه والديوان (انظر مختار الشعر الجاهلى ص ٢٦٠) : هو الجواد الذى . . . قال في اللسان : أنشد سيويه قول زهير : هو الجواد . . . الخ . أى يطلب منه في غير موضع الطلب وهو عنده يفتعل . و يروى يظلم . . . وفي افتعل من ظلم ثلاث لغات من العرب من يقلب التاء طاء ، ثم يظهر الطاء والطاء جميعا ، فيقول : اظلم ، ومنهم من يدغم الطاء في الطاء فيقول : اظلم ، وهو أكثر اللغات . ومنهم من يكره أن يدغم الأصل في الزائد ، فيقول : اظلم اد .

حدثني بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَمُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى ، وكان قد حرّم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب^(١) ، وأشياء من الطير والحيتان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله ﴿وَمُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال : كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى ، قال : وكان حرّم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الإبل والثروب^(١) فأحلها لهم على لسان عيسى ، وحرّمت عليهم الشحوم ، وأحلت لهم فيما جاء به عيسى ، وفي أشياء من السمك ، وفي أشياء من الطير مما لا صيصية له ، وفي أشياء حرّمها عليهم ، وشدّها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الإنجيل ، فكان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى ، صلوات الله عليه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال : لحوم الإبل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم ، وبعث إلى اليهود فاختلفوا وتفرّقوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَمُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي لما سبقني منها ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أخبركم أنه كان حراما عليكم ، فركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم ، فتصيرون يسره وتخرجون من تبعته^(٢) . حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال : كان حرّم عليهم أشياء ، فجاءهم عيسى ليحلّ لهم الذي حرّم عليهم ، يبتغي بذلك شكرهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ :

يعنى بذلك : وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم ، تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال : ما بين لهم عيسى من الأشياء كلها ، وما أعطاه ربه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَجِئْتُكُمْ

بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : ما بين لهم عيسى من الأشياء كلها ، ويعنى بقوله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ : من عند ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فاعبدوه ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ :

يعنى بذلك : وجئتكم بآية من ربكم ، تعلمون بها يقينا صدق فيما أقول ، فاتقوا الله يا معشر بني إسرائيل

فيا أمركم به ، ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى ، فأوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه ، وأطيعوا

(١) جمع ثروب ، وهو شحم رقيق ينشئ الكرش والأمعاء . وجمعه : ثروب .

(٢) التباعة والتبعة : ما فيه لثم يتبع به .

فما دعوتكم إليه من تصديقي فيما أرسلني به إليكم ، ربّي وربكم فاعبدوه ، فإنه بذلك أرسلني إليكم ،
ويأجل بعض ما كان محرّما عليكم في كتابكم ، وذلك هو الطريق القويم ، والهدى المتين الذي لا اعوجاج فيه .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ ﴾ ، إن الله ربّي وربكم ، تبرا من الذي يقولون فيه ، يعني ما يقول فيه النصارى واحتجاجا
لربه عليهم ، فاعبدوه ، وهذا صراط مستقيم : أي الذي هذا قد حملتكم عليه وجئتكم به .
واختلفت القراءة في قراءة قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ فاعبدوه ﴿ فَقَرَأَتْهُ عَامَةً قَرَاءَ الْأَمْصَارِ ﴾ : ﴿ إِنَّ
اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ بكسر ألف إن على ابتداء الخبر ، وقرأه بعضهم ﴿ أَنْ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ ﴾ بفتح ألف أن بتأويل : وجئتكم بآية من ربكم أن الله ربّي وربكم ، على ردّ أن على الآية ،
والإبدال منها .

❦ والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار ، وذلك كسر ألف إن على الابتداء ، لإجماع الحجة
من القراءة على صحة ذلك ، وما اجتمعت عليه فحجة ، وما انفرد به المنفرد عنها فرأى ، ولا يعترض بالرأى على
الحجة . وهذه الآية ، وإن كان ظاهرها خبرا ، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم
على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران باخبار الله عز وجل ، عن أن عيسى كان بريثا مما نسب إليه من نسبه ،
غير الذي وصف به نفسه ، من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الأرض إلا ما كان الله جل ثناؤه خصه
به من النبوة والحجج التي آتاه دليلا على صدقه ، كما آتى سائر المرسلين غيره من الأعلام والأدلة على
صدقهم ، والحجة على نبوتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ

أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

❦ يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ فلما وجد عيسى منهم الكفر ،
والإحساس : هو الوجود ، ومنه قول الله عز وجل ﴿ هَلْ تَحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ : فأما الحس
بغير ألف ، فهو الإفناء والقتل ، ومنه قوله ﴿ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ﴾ والحس أيضا : العطف والرقعة .
ومنه قول الكميت :

هَلْ مَنْ بَسَكِي الدَّارَ رَاجٍ أَنْ تَحْسَ لَهُ أَوْ يُبْكِي الدَّارَ مَاءُ الْعَبْرَةِ الْخَضِيلُ (١)

يعني بقوله : أن تحس له : أن ترق له .

فتأويل الكلام : فلما وجد عيسى من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحودا لنبوته ، وتكذيبا

(١) أنشد صاحب اللسان البيت منسوبا إلى الكميت . قال الأزهري : الحس العطف والرقعة بالفتح . وأنشد للكميت . . . البيت .
وفي حديث قتادة رضي الله عنه : إن المؤمن ليحس للمنافق : أي يأوى له ويتوجع . وحسست له بالفتح والكسر أحس : أي رقت له .

لقوله ، وصدّا عما دعاهم إليه من أمر الله ، قال : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يعنى بذلك : قال عيسى : من أعوانى على المكذّبين بحجة الله ، والمولين عن دينه ، والجاحدين نبوة نبيه إلى الله عزّ وجلّ ، ويعنى بقوله ﴿إلى الله﴾ : مع الله ، وإنما حسن أن يقال إلى الله ، بمعنى : مع الله ، لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبر عنهما بضمّ أحدهما مع الآخر إذا ضمّ إليه جعلوا مكان مع إلى أحيانا ، وأحيانا تخبر عنهما جمع ، فتقول الذود إلى الذود إبل ، بمعنى : إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إبلا ، فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بإلى ولم يجعلوا مكان مع إلى غير جائز أن يقال : قدم فلان وإليه مال ، بمعنى : ومعه مال .

وبمثل ما قلنا فى تأويل قوله ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قوله ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يقول : مع الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يقول : مع الله .

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافا ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : لما بعث الله عيسى ، فأمره بالدعوة ، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمه يسيحون فى الأرض ، فنزل فى قرية على رجل ، فضافهم وأحسن إليهم ، وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد ، فجاء ذلك الرجل يوما وقد وقع عليه همّ وحزن ، فدخل منزله ومريم عند امرأته ، فقالت مريم لها : ما شأن زوجك أراه حزينا ؟ قالت : لا تسألى ، قالت : أخبرينى لعلّ الله يفرّج كربته ، قالت : فان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ، ويسقيهم من الخمر ، فإن لم يفعل عاقبه ، وإنه قد بلغت نوبته اليوم الذى يريد أن نصنع له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة ، قالت : فقولى له : لا يهتمّ ، فإنى أمر ابنى فيدعوه ، فيكفى ذلك ، قالت مريم لعيسى فى ذلك ، قال عيسى : يا أمه إني إن فعلت كان فى ذلك شرّ ، قالت : فلا تبال ، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا ، قال عيسى : فقولى له : إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ، قال : فلما ملأهنّ أعلمه : فدعا الله ، فتحول ما فى القدور لحما ومرقا وخبزا ، وما فى الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط وإياه طعاما : فلما جاء الملك أكل ، فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر ؟ قال له : هى من أرض كذا وكذا ، قال الملك : فإن خمري أوتى بها من تلك الأرض فليس هى مثل هذه ، قال : هى من أرض أخرى ؛ فلما خلط على الملك اشتدّ عليه ، قال : فأنا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه . وإنه دعا الله . فجعل الماء خمرا ، قال الملك ، وكان له ابن يريد أن يستخلفه ، فمات قبل ذلك بأيام ، وكان أحبّ الخلق إليه ، فقال : إن رجلا دعا الله حتى جعل

الماء حمرا ، ليستجابين له حتى يحيى ابنى ، فدعا عيسى فكلمه ، فسأله أن يدعو الله فيحيى ابنه ، فقال عيسى : لاتفعل ، فإنه إن عاش كان شرّا ، فقال الملك : لا أبالى ، أليس أراه ، فلا أبالى ما كان ، فقال عيسى عليه السلام : فإن أحييته تركونى أنا وأمى نذهب أينما شئنا ، قال الملك : نعم ، فدعا الله ، فعاش الغلام ، فلما رآه أهل مملكته قد عاش ، تنادوا بالسلاح ، وقالوا : أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه فياأكلنا كما أكلنا أبوه ، فاقتلوا ، وذهب عيسى وأمه ، وصحبهما يهودى ، وكان مع اليهودى رغيفان ، ومع عيسى رغيف ، فقال له عيسى : شاركنى ، فقال اليهودى : نعم ، فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف ندم ؛ فلما ناما جعل اليهودى يريد أن يأكل الرغيف ، فلما أكل لقمة قال له عيسى : ما تصنع ؟ فيقول : لاشئ ، فيطرحها ، حتى فرغ من الرغيف كله ؛ فلما أصبحا قال له عيسى : هلم طعامك ، فجاء برغيف ، فقال له عيسى : أين الرغيف الآخر ؟ قال : ما كان معى إلا واحد ، فسكت عنه عيسى ، فانطلقوا ، فرّوا براعى غم ، فنادى عيسى : يا صاحب الغنم أجزرنا شاة من غنمك ، قال : نعم ، أرسل صاحبك يأخذها ، فأرسل عيسى اليهودى ، فجاء بالشاة ، فذبحوها وشووها ، ثم قال لليهودى : كل ولا تكسرن عظما ، فأكلوا ، فلما شبعوا قذف عيسى العظام فى الجلد ، ثم ضربها بعصاه وقال : قومى بإذن الله ، فقامت الشاة تتغوا ، فقال : يا صاحب الغنم خذ شاتك ، فقال له الراعى : من أنت ؟ قال : أنا عيسى ابن مريم ، قال : أنت الساحر ، وفر منه . قال عيسى لليهودى : بالذى أحيا هذه الشاة بعد ما أكلناها كم كان معك رغيفا ؟ فحلف ما كان معه إلا رغيف واحد ، فرّوا بصاحب بقر ، فنادى عيسى ، فقال : يا صاحب البقر أجزرنا من بقرك هذه عجلا ، قال : ابعث صاحبك يأخذها ، قال : انطلق يا يهودى فجي به ، فانطلق فجاء به ، فذبحه وشواه ، وصاحب البقر ينظر ، فقال له عيسى : كل ولا تكسرن عظما ، فلما فرغوا قذف العظام فى الجلد ، ثم ضربه بعصاه ، وقال : قم بإذن الله ، فقام وله خوار ، قال خذ عجلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى ، قال : أنت الساحر ، ثم فر منه ، قال اليهودى : يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه ، قال عيسى : فبالذى أحيا الشاة بعد ما أكلناها ، والعجل بعد ما أكلناه ، كم كان معك رغيفا ؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد ، فانطلقا حتى نزلا قرية ، فنزل اليهودى أعلاها ، وعيسى فى أسفلها ، وأخذ اليهودى عصا مثل عصا عيسى ، وقال : أنا الآن أحيى الموتى ، وكان ملك تلك المدينة مريضا شديدا المرض ، فانطلق اليهودى ينادى : من يبتغى طبيبا ، حتى أتى ملك تلك القرية ، فأخبر بوجعه ، فقال : أدخلونى عليه فأنا أبرئه ، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه ، فقيل له : إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك ، ليس من طبيب يداويه ، ولا ينى دواؤه شيئا إلا أمر به فصلب ، قال : أدخلونى عليه فإنى سأبرئه ، فأدخل عليه ، فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات ، فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ، ويقول : قم بإذن الله ، فأخذ ليصلب ، فبلغ عيسى ، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة ، فقال : رأيتم إن أحييت لكم صاحبكم أتركون لى صاحبي ؟ قالوا : نعم ، فأحيا الله الملك لعيسى ، فقام وأنزل اليهودى ، فقال : يا عيسى أنت أعظم الناس على منة ، والله لا أفارقك أبدا ، قال عيسى فيما حدثنا

(١) ثفت الشاة والعنز والطبيرة تشغو ثغاه : صاحت .

به محمد بن الحسين بن موسى ، قال : ثنا أحمد بن المفضل قال أسباط ، عن السدي لليهودي : أنشدك بالذي أحيا الشاة والعجل بعد ما أكلناهما ، وأحيا هذا بعد مامات ، وأنزلك من الجذع بعد ما رفعت عليه لتصبب كم كان معك رغيفا ، قال : فحلف بهذا كله ما كان معه إلا رغيف واحد ، قال : لا بأس ، فانطلقا حتى مرّا على كنز قد حفرت السباع والدواب ، فقال اليهودي يا عيسى : لمن هذا المال ، قال عيسى : دعه ، فإن له أهلا يهلكون عليه ، فجعلت نفس اليهودي تطلع إلى المال ، ويكره أن يعصى عيسى ، فانطلق مع عيسى ومرّا بالمال أربعة نفر ، فلما رأوه ، اجتمعوا عليه ، فقال اثنان لصاحبيهما : انطلقا فابتاعا لنا طعاما وشرابا ودوابّ نحمل عليها هذا المال ، فانطلق الرجلان فابتاعا دوابّ وطعاما وشرابا ، وقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن نجعل لصاحبينا في طعامهما سما ، فإذا أكلا ماتا ، فكان المال بيني وبينك ، فقال الآخر نعم ، ففعلا ، وقال الآخران : إذا ما أتينا بالطعام ، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله ، فيكون الطعام والدوابّ بيني وبينك ، فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاه ، ثم قعدا على الطعام ، فأكلا منه فماتا ، وأعلم ذلك لعيسى ، فقال لليهودي : أخرجته حتى نقتسمه ، فأخرجته فقسمه عيسى بين ثلاثة ، فقال لليهودي : يا عيسى اتق الله ولا تظلمني ، فإنما هو أنا وأنت ، ما هذه الثلاثة ؟ قال له عيسى هذا لي ، وهذا لك ، وهذا الثلث لصاحب الرغيف ، قال اليهودي : فإن أخبرتك بصاحب الرغيف تعطيني هذا المال ؟ فقال عيسى : نعم ، قال : أنا هو ، قال : عيسى خذ حظي وحظك وحظّ صاحب الرغيف ، فهو حظك من الدنيا والآخرة ، فلما حمه مشى به شيئا ، فخسف به ، وانطلق عيسى ابن مريم ، فرّ بالحواريين وهم يصطادون السمك ، فقال : ما تصنعون ؟ فقالوا : نصطاد السمك ، فقال : أفلا تمشون حتى نصطاد الناس ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى ابن مريم ، فآمنوا به ، وانطلقوا معه ، فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾ . الآية ، قال : استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم .

وقال آخرون : كان سبب استنصار عيسى من استنصر ، لأن من استنصر الحواريين عليه كانوا أرادوا قتله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ قال : كفروا وأرادوا قتله ، فذلك حين استنصر قومه ، قال ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾ قال الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَالْأَنْصَارُ : جمع نصير ، كما الأشراف جمع شريف ، والأشهاد جمع شهيد .

وأما الحواريون ، فإن أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا حواريين ، فقال بعضهم : سموا بذلك لبياض ثيابهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : مما روى أبي ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : إنما سموا الحواريين ببياض ثيابهم . وقال آخرون : سموا بذلك لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبي أرطاة ، قال : الحواريون : الغسالون ، الذين يحوِّرون الثياب يغسلونها . وقال آخرون : هم خاصة الأنبياء وصفوتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن روح بن القاسم ، أن قتادة ذكر رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان من الحواريين ، فقليل له : من الحواريون ؟ قال : الذين تصلح لهم الخلافة .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاک في قوله ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ قال : أصفياء الأنبياء .

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال : سموا بذلك لبياض ثيابهم ، ولأنهم كانوا غسالين ، وذلك أن الحور عند العرب : شدة البياض ، ولذلك سمي الحوارى من الطعام حوارى لشدة بياضه ، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين أحور ، وللمرأة حوراء ، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبيضهم الثياب ، وأنهم كانوا قصارين ، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحابا وأنصارا ، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل ، حتى صار كل خاصة للرجل من أصحابه وأنصاره حواريه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيٌّ الزُّبَيْرُ » يعنى خاصته ، وقد تسمى العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار حواريات ، وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ، ومن ذلك قول أبي جلدَةَ اليشكرى :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَسْكِينٌ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِينَا إِلَّا الْكِلاَبُ النَّوَابِحُ

ويعنى بقوله ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ قال : هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبيضهم الثياب : آمنا بالله ،

(١) في الأصل : إن لكل نبي حوارى . وفي مسلم : لكل نبي حوارى .

(٢) البيت لأبي جلدَةَ اليشكرى ، كما في اللسان (حور) قال : الحوراء : البيضاء ، لا يقصد بذلك حور عينا . والأعراب تسمى نساء الأمصار : حواريات ، لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن ، قال أبو جلدَةَ . . . البيت . . . ثم قال : والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود ، لبياضهن .

صدقنا بالله ، واشهد أنت يا عيسى بأننا مسلمون ، وهذا خبر من الله عز وجل أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله ، لا النصرانية ولا اليهودية ، وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها ، كما برأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام ، وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ والعدوان ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم ، واشهد بأننا مسلمون ، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ، يعنى وفد نصارى نجران .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أى صدقنا ﴿بِمَا أُنزِلَتْ﴾ يعنى : بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به وأعوانه ، على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك . وقوله ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يقول : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق ، وأقرؤا لك بالتوحيد ، وصدقوا رسلك ، واتبعوا أمرك ونهيك ، فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك ، وأحلنا محلهم ، ولا تجعلنا ممن كفر بك ، وصد عن سبيلك ، وخالف أمرك ونهيك ، يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ، ليحتذوا طريقهم ، ويتبعوا منهاجهم ، فيصلوا إلى مثل الذي وصلوا إليه من درجات كرامته ، ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة في دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها ، ويحتج به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأن قيل من رضى الله عنه من أتباع عيسى كان خلاف قيلهم ، ومنهاجهم غير منهاجهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ، فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : وَمَكَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ عِيسَى أَحْسَنُ مِنْهُمْ الْكُفْرَ ، وَكَانَ مَكْرُهُمُ الَّذِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، مَوَاطَاةُ بَعْضِهِمْ عَلَى الْفِتْكَ بِعِيسَى وَقَتْلُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ وَأُمَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ عَادَ إِلَيْهِمْ ، فِيمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِيِّ : ثُمَّ إِنَّ عِيسَى سَارَ بِهِمْ : يَعْنِي بِالْحَوَارِيِّينَ

الذين كانوا يصطادون السمك ، فآمنوا به واتبعوه إذ دعاهم حتى أتى بني إسرائيل ليلاً فصاح فيهم ، فذلك قوله : ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ . . . الآية .

وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السدي : إلقاءه شبه عيسى على بعض أتباعه ، حتى قتله الماكرون بعيسى ، وهم يحسبونه عيسى ، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الخواريين في بيت ، فقال عيسى لأصحابه : من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة ، فأخذها رجل منهم ، وصعد بعيسى إلى السماء ، فذلك قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ؛ فلما خرج الخواريون أبصروهم تسعة عشر ، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء ، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة ، ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه ، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى ، وصلبوه ، فذلك قول الله عز وجل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجهم إياهم ليلغ الكتاب أجله ، كما قد بينا ذلك في قول الله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطِّهْرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، إذ قال الله جل ثناؤه ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فإذا صلة من قوله ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ يعني : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ﴾ فتوفاه ورفعاه إليه .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية ، فقال بعضهم : هي وفاة نوم ، وكان معنى الكلام على مذهبهم : إني منيمك ، ورافعك في نومك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قال : يعني وفاة المنام : رفعه الله في منامه .

قال الحسين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود : «إِنَّ عِيسَى لَمْ يَمُتْ ، وَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

وقال آخرون : معنى ذلك : إني قابضك من الأرض ، فرافعك إلى ، قالوا : ومعنى الوفاة : القبض ،

لما يقال : توفيت من فلان مالى عليه ، بمعنى : قبضته واستوفيته ، قالوا : فعنى قوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ﴾ : أى قابضك من الأرض حيا إلى جوارى ، وآخذك إلى ما عندى بغير موت ، ورافعك من بين المشركين ، وأهل الكفر بك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق فى قول الله : ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ﴾ قال : متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ﴾ قال : متوفيك من الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال : فرفعه إياه إليه ، توفيه إياه ، وتطهيره من الذين كفروا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح أن كعب الأحبار ، قال : ما كان الله عز وجل لميت عيسى ابن مريم ، إنما بعثه الله داعيا ومبشرا يدعوا إليه وحده ، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه ، شكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ وليس من رفعتة عندى ميتا ، وإنى سأبعثك على الأعور الدجال ، فتقتله ، ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ، ثم أميتك ميتة الحى . قال كعب الأحبار : وذلك يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : «كَيْفَ تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا ، وَعِيسَى فِي آخِرِهَا ؟» .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : يا عيسى إني متوفيك : أى قابضك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ قال : متوفيك : قابضك ، قال : ومتوفيك ورافعك واحد . قال : ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال ، وسيموت ، وقرأ قول الله عز وجل ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا ، قال : وينزل كهلا .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قول الله عز وجل ﴿يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّىكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ . . . الآية كلها ، قال : رفعه الله إليه ، فهو عنده فى السماء . وقال آخرون : معنى ذلك : إني متوفيك وفاة موت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ﴿إِنِّى مُتَوَفِّىكَ﴾ يقول : إني مميتك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه البياى أنه قال :
توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات
من النهار ، ثم أحياه الله .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذ قال الله يا عيسى ، إني رافعك إلى ، ومطهرك من الذين كفروا ،
ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا ، وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم .
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : معنى ذلك : إني قابضك من الأرض
ورافعك إلى ، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ مِدَّةَ ذِكْرَهَا » اختلفت الرواية في مبلغها ، ثم يموت ،
فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن حنظلة بن على
الأسلمى ، عن أبى هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كَيْتُهَا بَطْنُ اللَّهِ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ،
وَيُفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهَا ، وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الرُّوحَاءِ حَاجًا أَوْ مُعْتَمِرًا ، أَوْ يَدِينُ
بِهِمَا جَمِيعًا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن
ابن آدم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ ، أُمَّهَاتُهُمْ
شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ
الْحُلُقُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبْطُ الشَّعْرِ كَأَنَّ شَعْرَهُ يَقْطُرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ بَيْنَ
مُصَرَّتَيْنِ ، يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخَزِيرَ ، وَيُفِيضُ الْمَالَ ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ
حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا ، وَيُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيخَ الضَّلَالَةِ الْكَذَّابَ الدَّجَالَ
وَتَقَعُ فِي الْأَرْضِ الْأَمْنَةُ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسُودُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنَّمِرُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذَّئْبُ مَعَ
الْغَنَمِ ، وَتَلْعَبُ الْغُلَامَانُ بِالْحَيَّاتِ ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَيَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ،
ثُمَّ يَتَوَفَّى وَيُصَلَّى الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَيَدْفِنُونَهُ » .

قال أبو جعفر : ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذى يميته ميتة أخرى ، فيجمع
عليه ميتتين ، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ، ثم يحييهم ، كما قال جل ثناؤه :
« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ » .

فتأويل الآية إذًا : قال الله لعيسى : يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إلى ، ومطهرك من الذين كفروا ، فجحدوا نبوتك ، وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر ، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجا على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران ، بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب ، كما زعموا أنهم واليهود الذين أقروا بذلك ، وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، ثم أخبرهم ، يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ وأما مطهرك من الذين كفروا ، فإنه يعني منظفك ، فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال : إذ هموا منك بما هموا .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قوله ﴿وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال : طهره من اليهود والنصارى والمجوس ، ومن كفار قومه .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : وجاعل الذين اتبعوك على مناجك وملتك من الإسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك ، وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل ، فكذبوا بما جئت به ، وصدوا عن الإقرار به ، فمصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ثم ذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ثم ذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال : ناصر من اتبعك على الإسلام على الذين كفروا إلى يوم القيامة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ

اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٠﴾ أما الذين اتبعوك ، فيقال : هم المؤمنون وليس هم الروم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن ، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال : جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة . وقال آخرون : ومعنى ذلك : وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الذين كفروا من بنى إسرائيل ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ قال : الذين آمنوا به من بنى إسرائيل وغيرهم ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة ، قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب هم فى البلدان كلها مستدلون .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ﴾ ثم إلى الله أيها المختلفون فى عيسى ﴿مَرْجِعِكُمْ﴾ يعنى مصيركم يوم القيامة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يقول : فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره ، وهذا من الكلام الذى صرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة ، وذلك أن قوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ إنما قصد به الخبر عن متبعى عيسى والكافرين به .

وتأويل الكلام : وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلى مرجع الفريقين الذين اتبعوك ، والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ، ولكن ردّ الكلام إلى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية ، كما قال ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجبرئيل بهم بريح طيبة﴾ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

﴿١١﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى ، وخالفوا ملتك ، وكذبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فىك الباطل ، وأضافوك إلى غير الذى ينبغى أن يضيفوك إليه من اليهود والنصارى ، وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذابا شديدا ، أما فى الدنيا فبالقتل والسبأ والدلة والمسكنة ، وأما فى الآخرة ، فبنار جهنم خالدين فيها أبدا ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ يقول : وما لهم من عذاب الله مانع ، ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة ، لأنه العزيز ذو الانتقام .

وأما قوله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكره : وأما الذين آمنوا بك يا عيسى ، يقول : صدقوك فأقرّوا بنبوّتك ، وبما جئتهم به من الحقّ من عندى ، ودانوا بالإسلام الذى بعثتك به ، وعملوا بما فرضت من فرائضى على لسانك ، وشرعت من شرائعى ، وسننت من سننى . كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول : أدوا فرائضى ، فيوفيههم أجورهم ، يقول : فيعطيههم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً لا يبخسون منه شيئاً ولا ينقصونه .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه يعنى : والله لا يحبّ من ظلم غيره حقاً له ، أو وضع شيئاً فى غير موضعه ، فننى جلّ ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده ، فيجازى المسىء ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به ، أو يجازى المحسن ممن آمن به ، واتبع أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، فأطاعه جزاء المسيئين ممن كفر به ، وكذب رسله ، وخالف أمره ونهيه ، فقال : إني لأحبّ الظالمين ، فكيف أظلم خلقى . وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان خرج مخرج الخبر ، كأنه وعيد منه للكافرين به وبرسله ، ووعد منه للمؤمنين به وبرسله ، لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يبخس هذا المؤمن حقه ، ولا يظلم كرامته ، فيضعها فيمن كفر به ، وخالف أمره ونهيه ، فيكون لها بوضعها فى غير أهلها ظالماً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ نَسْأَلُكَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتٍ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ذلك هذه الأنباء التى أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم ، وأما حنة ، وزكريا وابنه يحيى ، وما قصّ من أمر الحواريين ، واليهود من بنى إسرائيل ، نتلوها عليك يا محمد ، يقول : نقروها عليك يا محمد ، على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم ، بوحيناها إليك ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ يقول : من العبر والحجج ، على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بنى إسرائيل ، الذين كذبوك ، وكذبوا ما جئتهم به من الحقّ من عندى ، والذكر : يعنى : القرآن الحكيم ، يعنى : ذى الحكمة الفاصلة بين الحقّ والباطل ، وبينك وبين ناسى المسيح إلى غير نسبه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ذَلِكَ نَسْأَلُكَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتٍ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك ﴿ذَلِكَ نَسْأَلُكَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتٍ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ قال : القرآن .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله ﴿وَالذِّكْرِ﴾ يقول : القرآن الحكيم الذى قد كمل فى حكمته .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥١

يعنى جل ثناؤه : إن شبه عيسى في خلقه إياه من غير فعل ، فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندى كشبه آدم ، الذى خلقته من تراب ، ثم قلت له كن فكان ، من غير فعل ، ولا ذكر ، ولا أنى . يقول : فليس خلق عيسى من أمه من غير فعل ، بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنى ، فكان لحما ، يقول : وأمرى إذ أمرته أن يكون فكان ، فكذلك خلق عيسى أمرته أن يكون فكان . وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر ، قال : كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولاً ، فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ إلى قوله ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وذلك أن رهطاً من أهل نجران ، قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم السيد والعاقب ، فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : مَنْ هُوَ ؟ قالوا : عيسى ، ترعم أنه عبد الله ، فقال محمد : أجل إنه عبد الله ، قالوا له : فهل رأيت مثل عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم ، فقال : قل لهم : إذا أتوك ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ... إلى آخر الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ : ذكر لنا أن سيدى أهل نجران وأسقفهم ، السيد والعاقب ، لقيا نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه عن عيسى ؟ فقالا : كل آدمى له أب فما شأن عيسى لأب له ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع به أهل نجران ، أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم : منهم العاقب والسيد وماسرجس ، وماريجز ، فسألوه ما يقول

فی عیسیٰ ؟ فقال : هو عبد الله وروحه وكلمته ، قالوا هم : لا ، ولكنه هو الله ، نزل من ملكه ، فدخل فی جوف مریم ، ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره ، فهل رأيت قط إنسانا خلق من غير أب ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال : نزلت فی العاقب والسيد من أهل نجران ، وهما نصرانيان . قال ابن جريج : بلغنا أن نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيهم السيد والعاقب ، وهما يومئذ سيدا أهل نجران ، فقالوا : يا محمد فيم تشتم صاحبنا ؟ قال : مَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قالوا : عيسى ابن مریم ، تزعم أنه عبد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَجَلُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِيمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ ، فغضبوا وقالوا : إن كنت صادقاً ، فأرنا عبداً يحيى الموتى ، ويرى الآكهم ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه ، الآية... لكنه الله ، فسكت حتى أتاه جبريل ، فقال : يا محمد ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾... الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل إنهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى ؟ قال جبريل : مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، فلما أصبحوا عادوا ، فقرأ عليهم الآيات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. الحق من ربك فلا تكن من الممترين .

فإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة ، من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله عز وجل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ قال : أتى نجرانيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر ، فيكون عيسى كذلك ؟ قال : فأُنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أكان لآدم أب أو أم ، كما خلقت هذا في بطن هذه .

فإن قال قائل : فكيف قال : كمثل آدم خلقه ، وآدم معرفة ، والمعارف لا توصل ؟ قيل : إن قوله ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ غير صلة لآدم ، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضرب به وكيف كان .

وأما قوله ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنما قال : فيكون ، وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم ، وذلك خبر عن أمر قد تقضى ، وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى ، فقال جل ثناؤه : ﴿خَلَقَهُ

مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ، لأنه بمعنى الإِعلام من الله نبيه ، أن تكوينه الأشياء بقوله : ﴿ كُنْ ۖ ﴾ ، ثم قال فيكون خبراً مبتدأ ، وقد تنهى الخبر عن أمر آدم عند قوله : كن . فتأويل الكلام إذا إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن ، واعلم يا محمد أن ما قال له ربك : كن ، فهو كائن ، فلما كان في قوله ﴿ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ دلالة على أن الكلام يراد به إِعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ، ولا أول ، ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى ؛ وقيل : فيكون ، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى ؛ وقد قال بعض أهل العربية : فيكون رفع على الابتداء ومعناه : كن فكان ، فكأنه قال : فإذا هو كائن .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٠﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه : الذي أنبأتك به من خبر عيسى ، وأن مثله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له ربه : كن هو الحق من ربك ، يقول : هو الخبر الذي هو من عند ربك ﴾ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، يعني : فلا تكن من الشاكين في أن ذلك كذلك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ يعني فلا تكن في شك من عيسى أنه كمثل آدم عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ يقول : فلا تكن في شك مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة منه وروح ، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ : أي قد جاءك الحق من ربك فلا تتردد فيه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ قال : والمتمرون : الشاكون ، والمرية والشك والريب واحد سواء كهيئة ما تقول : أعطني وناولني وهلم فهذا مختلف في الكلام وهو واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾

﴿ يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ ﴾ : فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم ، والهاء

في قوله ﴿فِيهِ﴾ عائدة على ذكر عيسى ، وجائز أن تكون عائدة على الحق الذي قال تعالى ذكره ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ : ويعنى بقوله ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى أنه عبد الله ، فقل تعالوا : هلموا فلندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم تبتهل . يقول : ثم نلتعن ، يقال في الكلام : ماله ، بهلته الله ؟ أى لعنه الله ، وما له عليه بهلته الله ، يريد اللعن . وقال لسيد ، وذكر قوما هلكوا ، فقال :

نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْتَهَلَ

يعنى دعا عليهم بالهلاك ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : أى في عيسى أنه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿على الكاذبين﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ . . . الآية .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول : من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ثُمَّ تَبْتَهَلُ فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ قال : منا ومنكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : وثني ابن لهيعة ، عن سليمان بن زياد الحضري عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ نَجْرَانَ حِجَابًا فَلَا أَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنِي» من شدة ما كانوا يمارون النبي صلى الله عليه وسلم . القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى ، فقصصته عليك من أنبائه ، وأنه عبدى ورسولى ، وكلمتى ألقيتها إلى مريم ، وروح منى ، هو القصص والنبا الحق ، فاعلم ذلك ، واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبدوه وهو الله العزيز الحكيم . ويعنى بقوله ﴿الْعَزِيزُ﴾ : العزيز في انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره ، وادعى معه إلهاً غيره ، أو عبد ربا سواه ﴿الْحَكِيمُ﴾ : في تدبيره ، لا يدخل ما دبره وهن ، ولا يلحقه خلل ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعنى فإن أدبر

(١) هذا عجزيت للبيد ، وصدره : « في قروم سادة من قومه » ديوانه ص ١٧ طبعة ليدن سنة ١٨٩١ .

هؤلاء الذين حاجوك في عيسى عما جاءك من الحق من عند ربك في عيسى وغيره ، من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان ، فأعرضوا عنه ، ولم يقبلوه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ ، يقول : فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ، ويعملون في أرضه وبلاده بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادهم ، يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم ، يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم .
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ أى إن هذا الذى جئت به من الخبر عن عيسى ، هو القصص الحق من أمره .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ إن هذا الذى قلنا في عيسى هو القصص الحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ قال : إن هذا القصص الحق في عيسى ، ما ينبغي لعيسى أن يتعدى هذا ، ولا يجاوز أن يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها إلى مريم ، وروحاً منه وعبد الله ورسوله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذى قلنا في عيسى هو الحق ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . . .
الآية ، فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل ، وأمره إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله : وأنه لا ولد له ولا صاحبة ، وأن عيسى عبده ورسوله ، وأبوا إلا الجدل والخصومة أن يدعوه إلى الملاعة ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انخذلوا ، فامتنعوا من الملاعة ودعوا إلى المصالحة ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر ، قال : فأمر ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم ، يعنى بملاعنة أهل نجران بقوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ . . . الآية ، فتواعدوا أن يلاعنوه ، وواعدوه الغد ، فانطلقوا إلى السيد والعاقب ، وكانا أعقلهم فتابعاهم ، فانطلقوا إلى رجل منهم عاقل ، فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما صنعتهم وندتهم ، وقال لهم : إن كان نبيا ثم دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبدا ، ولئن كان ملكا فظهر عليكم لا يستبقيكم أبدا ، قالوا : فكيف لنا وقد واعدنا ، فقال لهم : إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الذى فارقتموه عليه ، فقولوا : نعوذ بالله ، فإن دعاكم أيضا ، فقولوا له : نعوذ بالله ، ولعله أن يعفيكم من ذلك ، فلما غدوا ، غدا النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا ، آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه ، فدعاهم إلى الذى فارقه عليه بالأمس ، فقالوا : نعوذ بالله ، ثم دعاهم ، فقالوا : نعوذ بالله مرارا ، قال : « فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَسْلِمُوا ، وَلَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ » كما قال الله عزَّ

وجلّ : « فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ » ، كما قال الله عز وجل ، قالوا : ما نملك إلا أنفسنا ، قال « فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَا تُبْذَرُوا إِلَيْكُمْ عَلَى سَوَاءٍ » كما قال الله عز وجل ، قالوا : ما لنا طاقة بحرب العرب ، ولكن نؤدّي الجزية ، قال : فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة ، ألفا في رجب وألفا في صفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قَدْ أَتَانِي الْبَشِيرُ بِهَلَكَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ حَتَّى الطَّيْرِ عَلَى الشَّجَرِ أَوْ الْعَصَافِيرُ عَلَى الشَّجَرِ » لو تموا على الملاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، قال : فقلت للمغيرة : إن الناس يرون في حديث أهل نجران أن عليا كان معهم ، فقال : أما الشعبي فلم يذكره ، فلا أدري لسوء رأى بني أمية في علي ، أولم يكن في الحديث . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ إِنَّ هَذَا أَهْلُ الْقَصَصِ الْحَقِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فدعاهم إلى النصف وقطع عنهم الحجة ، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من ملاعتهم ، إن ردّوا عليه دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ، ثم تأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذارأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ما ترى ؟ قال : والله يامعشر النصارى ، لقد عرفتم أن محمدا نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم : ما لاعن قوم نبيا قط ، فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمن رأيه ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبي الجارود ، عن زيد بن علي في قوله ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ . . . الآية ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ فَنَحْنُ حَاجُّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ . . . الآية ، فأخذ ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلّي اتبعنا ، فخرج معهم ، فلم يخرج يومئذ النصارى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس دعوة النبي كغيرها ، فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لَوْ خَرَجُوا لَاحْتَرَقُوا ، فصالحوه على صلح على أن له عليهم ثمانين ألفا فاعجزت الدراهم ففي العروض الحلة بأربعين ، وعلى أن له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا ، وثلاثا وثلاثين بعيرا ، وأربعة وثلاثين فرسا غازية كل سنة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى تؤديها إليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا وفدا من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاجوه في عيسى ، فنكصوا عن ذلك وخافوا ،

وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِمَحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ كَانَ الْعَذَابُ لَقَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَلَوْ فَعَلُوا لَاسْتَوْصِلُوا عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ .»

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ فَتَنَ حَاجَتِكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلا عن أهل نجران ، فلما رأوه خرج ، هابوا وفرقوا ، فرجعوا ، قال معمر ، قال قتادة : لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة : اتبعينا ، فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الوزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لو خرج الذين يباهلون النبي صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زكريا ، عن عدي قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا عَنُونِي مَا حَالَ الْحَوْلُ وَبَحَضَرَتِهِمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلَكَ اللَّهُ الْكَاذِبِينَ .»

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو لاعت القوم بمن كنت تأتي حين قلت ﴿ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ ؟ قال : حسن وحسين .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا المنذر بن ثعلبة ، قال : ثنا علباء بن أحمري ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الآية ، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ، ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود : ويحكم أليس عهدكم بالأمس لإخوانكم الذين مسخوا قردة وخنزير ؟ لاتلاعنوا ، فانتهوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل : تعالوا : هلموا إلى

كلمة سواء ، يعنى إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، والكلمة العدل : هى أن نوحى الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً ، وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يقول : ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصى الله ، ويعظمه بالسجود له ، كما يسجد لربه ، فإن تولوا : يقول : فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التى أمرتك بدعائهم إليها ، فلم يجيبوك إليها ، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك : اشهدوا بأننا مسلمون .

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى الكلمة السواء ، وهم الذين حاجوا في إبراهيم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى كلمة السواء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك ، فأبوا عليه ، فجاهدهم ، قال : دعاهم إلى قول الله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ . . . الآية .
وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ . . . الآية ، إلى قوله ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ قال : فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة ، يعنى وفد نجران .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى الوفد من نصارى نجران ، فقال : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، قال : قال : يعنى جل ثناؤه ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ فى عيسى على ما قد بيناه فيما مضى ، قال ﴿فَأَبَوْا﴾ ، يعنى الوفد من نجران ، فقال : ادعهم إلى أيسر من هذا ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر .

ولمّا قلنا : عنى بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ : أهل الكتابين ، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، ولم يخص جل ثناؤه بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بعضاً دون بعض ، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه

مقصود به أهل التوراة بأولى منه ، بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة ، وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر ، لأنه لادلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ، ولا أثر صحيح ، فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به ، لأن أفراد العبادة لله وحده ، وإخلاص التوحيد له ، واجب على كل مأمور منهى من خلق الله ، وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل ، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً .

وأما تأويل قوله ﴿تَعَالَوْا﴾ فإنه : أقبلوا وهلموا ، وإنما هو تفاعل من العلو ، فكأن القائل لصاحبه : تعال إلى ، فإنه تفاعل من العلو ، كما يقال : تدان منى من الدنو ، وتقارب منى من القرب ، وقوله ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ فإنها الكلمة العدل ، والسواء : من نعت الكلمة .

وقد اختلف أهل العربية في وجه اتباع سواء في الإعراب لكلمة ، وهو اسم لصفة ، فقال بعض نحوي البصرة : جرّ سواء لأنها من صفة الكلمة : وهى العدل ، وأراد مستوية ، قال : ولو أراد استواء كان النصب ، وإن شاء أن يجعلها على الاستواء ويجرّ جاز ، ويجعله من صفة الكلمة مثل الخلق ، لأن الخلق هو المخلوق ، والخلق قد يكون صفة واسماً ، ويجعل الاستواء مثل المستوى ، قال عز وجل : ﴿الَّذِي جَعَلَنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ لأن السواء للآخر وهو اسم ليس بصفة ، فيجرى على الأول وذلك إذا أراد به الاستواء ، فإن أراد به مستوياً جاز أن يجرى على الأول ، والرفع في ذا المعنى جيد ، لأنها لا تغير عن حالها ، ولا تثني ، ولا تجمع ، ولا تؤنث ، فأشبهت الأسماء التي هي مثل عدل ورضا وجنب ، وما أشبه ذلك ، وقال : ﴿أَنْ نَجْعَلَ لَهُمْ سَوَاءً كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ فالسواء للمحيا والممات بهذا المبتدأ ، وإن شئت أجرته على الأول وجعلته صفة مقدمة ، كأنها من سبب الأول فجرت عليه ، وذلك إذا جعلته في معنى مستوى ، والرفع وجه الكلام كما فسر لك .

وقال بعض نحوي الكوفة : سواء مصدر وضع موضع الفعل ، يعنى موضع متساوية ومتساو ، فرة يأتي على الفعل ، ومرة على المصدر ، وقد يقال في سواء بمعنى عدل : سَوَى وَسَوَّى ، كما قال جل ثناؤه ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ ، وسوى يراد به عدل ونصف بيننا وبينك . وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ ذلك «إلى كلمة عدل بيننا وبينكم» .

وبمثل الذى قلنا في تأويل قوله ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن السواء : هو العدل قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ : عدل بيننا وبينكم ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ . . . الآية .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله ﴿قُلْ﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴿١٠٠﴾ بمثله .

وقال آخرون : هو قول لا إله إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال أبو العالية : كلمة السواء : لا إله إلا الله .

وأما قوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فَإِنَّهُ أَنْ فِي مَوْضِعٍ خَفِضَ عَلَى مَعْنَى تَعَالَوْا إِلَى أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِيمَا مَضَى ، وَدَلَّلْنَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ مَعَانِيهِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ .
وأما قوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ فَإِنَّ اتِّخَاذَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، هُوَ مَا كَانَ بِطَاعَةِ الْإِتْبَاعِ الرُّؤَسَاءِ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَتَرْكِهِمْ مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَائِهِ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يَقُولُ : لَا يَطْعُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ : إِنْ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةُ أَنْ يَطِيعَ النَّاسُ سَادَتَهُمْ وَقَادَتَهُمْ فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يُصَلُّوا لَهُمْ .
وقال آخرون : اتَّخَاذَ بَعْضِهِمْ أَرْبَابًا : سَجُودَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال : سَجُودَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .
وأما قوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَتَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي : فَإِنْ تَوَلَّى الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ إِلَى الْكَلِمَةِ السَّوَاءِ عَنْهَا وَكَفَرُوا ، فَقُولُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ : أَشْهَدُوا عَلَيْنَا بِأَنَّا بِمَا تَوَلَّيْتُمْ عَنْهُ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ ، وَأَنَّهُ الْإِلَهَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ مُسْلِمُونَ ، يَعْنِي خَاضِعُونَ لِلَّهِ بِمِثْلِ الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَالسَّنْتِنَا ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْإِسْلَامِ فِيمَا مَضَى ، وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿١٠١﴾ قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ : يَا أَهْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، لِمَ تُحَاجُّونَ لِمَ تَجَادِلُونَ ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وَتُخَاصِمُونَ فِيهِ ، يَعْنِي فِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ

حجاجهم فيه : ادّعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم ، وأنه كان يدين دين أهل نحلته ، فعابهم الله عز وجل بادّعاءهم ذلك ، ودلّ على مناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدّعون أنه كان على ملتكم ودينكم ، ودينكم إما يهودية أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعم أن دينه إقامة التوراة والعمل بما فيها ، والنصرانيّ منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه ، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته ، فكيف يكون منكم ؟ فما وجه اختصاصكم فيه وادّعاءكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد علمتم ، وقيل : نزلت هذه الآية في اختصاص اليهود والنصارى في إبراهيم ، وادّعاء كل فريق منهم أنه كان منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ؟ قالت النصارى : كان نصرانيا ، وقالت اليهود : كان يهوديا ، فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ يقول : لم تحاجون في إبراهيم ، وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل أفلا تعقلون .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء ، وهم الذين حاجوا في إبراهيم ، وزعموا أنه مات يهوديا ، فأكذبهم الله عز وجل ، ونفاهم منه ، فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ قال : اليهود والنصارى برأه الله عز وجل منهم حين ادّعى كل أمة أنه منهم ، وألحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وأما قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فإنه يعنى : أفلا تعقلون : تفقهون خطأ قيلكم إن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا ، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِىمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَآجُّوْنَ فِىمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم ، وأنتكم به رسل الله من عنده ، ومن غير ذلك مما أوتيتموه ، وثبتت عندكم صحته ، فلم تحاجون : يقول : فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم ، يعنى الذى لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه ، ولم تجدوه فى كتب الله ، ولا أنتكم به أنبياءكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون﴾ : أما الذى لهم به علم : فما حرم عليهم وما أمروا به ، وأما الذى ليس لهم به علم : فشأن إبراهيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ يقول : فيما شهدتم ورأيتم وعايينتم ﴿فلم تحاجون﴾ فيما ليس لكم به علم ﴿فما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعينوا﴾ ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

وقوله ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول : والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر إبراهيم وغيره من الأمور ، ومما تجادلون فيه ، لأنه لا يغيب عنه شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء فى السموات ولا فى الأرض ، وأنتم لا تعلمون من ذلك إلا ما عايينتم فشاهدتم ، أو أدركتم علمه بالإخبار والسمع .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾

وهذا تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا فى إبراهيم وملته من اليهود والنصارى ، وادعوا أنه كان على ملاتهم ، وتبرئة لهم منه ، وأنهم لدينه مخالفون ، وقضاء منه عز وجل لأهل الإسلام ، ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه ، وعلى مناجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم . يقول الله عز وجل : ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ ، ولكن كان حنيفا مسلما . وما كان من المشركين . الذين يعبدون الأصنام والأوثان ، أو مخلوقا دون خالقه ، الذى هو إله الخلق .

وبارئهم ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ يعني : متبعا أمر الله وطاعته ، مستقيما على محجة الهدى التي أمر بلزومها ، ﴿مُسْلِمًا﴾ يعني : خاشعا لله بقلبه ، متذللا له بجوارحه ، مدعنا لما فرض عليه ، وألزمه من أحكامه .
وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى ، ودللنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن إعادته .

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : قالت اليهود : إبراهيم على ديننا ، وقالت النصارى : هو على ديننا ، فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ . . . الآية ، فأكذبهم الله ، وأدحض حججهم ، يعني اليهود الذين ادّعوا أن إبراهيم مات يهوديا .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله ، لأراه إلا يحدثه عن أبيه ، أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويتبعه ، فلقى عالما من اليهود ، فسأله عن دينه ، وقال : إني لعل أن أدين دينكم ، فأخبرني عن دينكم ، فقال له اليهودي : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا ، وأنا لأستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يك يهوديا ولا نصرانيا ، وكان لا يعبد إلا الله ، فخرج من عنده ، فلقى عالما من النصارى ، فسأله عن دينه ، فقال : إني لعل أن أدين دينكم ، فأخبرني عن دينكم ، قال : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : لا أحتمل من لعنة الله شيئا ، ولا من غضب الله شيئا أبدا ، وأنا لأستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحوا مما قاله اليهودي : لا أعلمه إلا أن تكون حنيفا ، فخرج من عنده ، وقد رضى الذي أخبراه ، والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم ، فلم يزل رافعا يديه إلى الله وقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ إن أحق الناس بإبراهيم ونصرته وولايته ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني الذين سلكوا طريقه ومنهجه ، فوحدوا الله مخلصين له الدين ، وسنوا سننه ، وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به ، وهذا النبي : يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

يعنى والذين صدقوا محمداً ، وبما جاءهم به من عند الله ﴿والله ولى المؤمنين﴾ يقول : والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له في نبوته ، وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والأديان .
وبنثل الذى قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يقول : الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته ، وهذا النبي ، وهو نبي الله محمد والذين آمنوا معه ، وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه ، كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردى والحسن بن أبي يحيى المقدسى ، قالوا : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلاَةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ وَلِيَّيْهِمْ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ »
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، أراه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَدَّتْ﴾ : تمت ﴿طائفة﴾ يعنى جماعة ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم أهل التوراة من اليهود ، وأهل الإنجيل من النصارى ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ يقول : لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام ، ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك ، والإضلال فى هذا الموضع : الإهلاك من قول الله عز وجل ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَكِنَّا خَلَقْنَا جَدِيدًا﴾ يعنى : إذا هلكنا ، ومنه قول الأخطل فى هجاء جرير :

كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَدَفَ الْأَثَى بِهِ فَضَلَّ ضَلالاً

يعنى : هلك هلاكاً ، وقول نابغة بنى ذبيان :

(١) البيت فى ديوان الأخطل (طبع بيروت صفحة ٥٠) . والقذى : ما يعلو الماء من الزبد والفتاء . والأثى : السيل يأتى من بلد بعيد . وفى البحر المحيط لأبى حيان (مجلد ٢ ص ٤٨٩) : « فى موج أخضر مزبد » .

فَأَبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(١)

يعنى مهلكوه .

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ : وما يهلكون بما يفعلون من محاولتهم صدكم عن دينكم أحدا غير أنفسهم ، يعنى بأنفسهم : أتباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم ، وإنما أهلكوا أنفسهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه ، واستحقاقهم به غضبه ولعنته ، لكفرهم بالله ، ونقضهم الميثاق الذى أخذ الله عليهم فى كتابهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، والإقرار بنبوته ، ثم أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم يفعلون ما يفعلون ، من محاولة صد المؤمنين عن الهدى إلى الضلالة ، والردى على جهل منهم ، بما الله بهم محل من عقوبته ، ومدخر لهم من أليم عذابه ، فقال تعالى ذكره ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم لا يضلون إلا أنفسهم بمحاولتهم إضلالكم أيها المؤمنون ؛ ومعنى قوله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ : وما يدرون ولا يعلمون ، وقد بينا تأويل ذلك بشواهد فى غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ : يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ يقول : لم تجحدون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى : بما فى كتاب الله ، الذى أنزله إليكم ، على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته وأنتم تشهدون ﴿أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنه حق من عند ربكم ، وإنما هذا من الله عز وجل توبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم نبوته ، وهم يجحدونه فى كتبهم مع شهادتهم أن ما فى كتبهم حق ، وأنه من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن فتادة ، قوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول : تشهدون أن نعت محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتنكرونها ، ولا تؤمنون به وأنتم تجحدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته .

حدثنا المنفى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول : تشهدون أن نعت محمد فى كتابكم ، ثم تكفرون به ولا تؤمنون به ، وأنتم تجحدونه عندكم فى التوراة والإنجيل النبي الأمي .

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ : أما تشهدون : فيشهدون أنه الحق يجحدونه مكتوبا عندهم

(١) البيت للابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني كما فى ديوانه (انظر مختار الشعر الجاهلي ص ١٩٨) وكما فى اللسان (ضل) قال : يزيد بمضليه : دافنيه حين مات . وقوله : «بعين جلية» : أى بخبر صادق أنه مات . والجولان : موضع بالشام . أى دفن بالنعمان الحزم والعطاء .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ ﴾ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، لَيْسَ لِلَّهِ دِينٌ غَيْرُهُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

﴿٧﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أهل التوراة والإنجيل ، لم تلبسون ، يقول : لم تخلطون الحق بالباطل ، وكان خلطهم الحق بالباطل : إظهارهم بالسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، غير الذى فى قلوبهم من اليهودية والنصرانية .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض : تعالوا تؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ، فيرجعوا عن دينهم ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ . . . إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ يقول : لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وقد علمتم أن دين الله الذى لا يقبل غيره الإسلام ولا يجزى إلا به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله ، إلا أنه قال : الذى لا يقبل من أحد غيره الإسلام ، ولم يقبل ولا يجزى إلا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ : الإسلام باليهودية والنصرانية .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله عز وجل ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ قال : الحق : التوراة التى أنزل الله على موسى ، والباطل : الذى كتبوه بأيديهم .

﴿٧﴾ قال أبو جعفر : وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولم تكتُمون يا أهل الكتاب الحق ، والحق الذى كتموه ما فى كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : كتموا شأن محمد ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر .

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: يكتُمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: الإسلام، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم، وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله، وأن الدين الإسلام. وأما قوله ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فإنه يعني به: وأنتم تعلمون أن الذي تكتُمونه من الحق حق، وأنه من عند الله، وهذا القول من الله عز وجل خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به، وكمأنهم ما قد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ووجدوه في كتبهم وجاءتهم به أنبياءؤهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا
ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾

اختلف أهل التأويل في صفة المعنى الذي أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الإيمان وجه النهار، والكفر آخره، فقال بعضهم: كان ذلك أمرا منهم إياهم بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته، وما جاء به من عند الله، وأنه حق في الظاهر من غير تصديقه في ذلك بالعزم، واعتقاد القلوب على ذلك، وبالكفر به، وجحود ذلك كله في آخره.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ فقال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدقوكم، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا خالد، عن حصين، عن أبي مالك في قوله ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ قال: قالت اليهود: آمنوا معهم أول النهار، واكفروا آخره، لعلهم يرجعون معكم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ كان أحبار قري عرَبِيَّةً اثني عشر حبرا، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمدا كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من

دينكم ، لعلهم يشكون ، يقولون : هؤلاء كانوا معنا أول النهار ، فما بالهم ؟ فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن أبي مالك الغفاري ، قال : قالت اليهود بعضهم لبعض : أسلموا أول النهار ، وارتدوا آخره ، لعلهم يرجعون ، فأطلع الله على سرهم ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وقال آخرون : بل الذي أمرت به من الإيمان الصلاة ، وحضورها معهم أول النهار ، وترك ذلك آخره ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ يهود تقوله صلت مع محمد صلاة الصبح ، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم ، ليرؤا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ ... الآية ، وذلك أن طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون : هؤلاء أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، لعلهم ينقلبون عن دينهم ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم .

فتأويل الكلام إذا : وقالت طائفة من أهل الكتاب ، يعني من اليهود الذين يقرءون التوراة : آمنوا : صدقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ، وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق وشرائعه وسننه ، وجه النهار : يعني أول النهار ، وسمى أوله وجهها له لأنه أحسنه ، وأول ما يواجه الناظر فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب وجهه ، وكما قال ربيع بن زياد :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

(١) البيت للربيع بن زياد يقوله في مالك بن زهير العبسي كما في شرح التبريزي على الحماسة (٣ : ٢٦) وأراد بوجه نهار : صدر نهار ، لأن من شأن الحزين إذا هب من النوم أن يتجدد عليه المصاب . أو هو كما قالت الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمس

تذكره أول النهار أي في وقت الغارة . وعند الغروب لأنه وقت لقاء الضيفان .

ورواه صاحب اللسان في (وجه) وقال قبله : ووجه النهار : أوله . وجئت بك بوجه نهار : أي بأول نهار . ويقال : أتيت بوجه نهار ، وشباب نهار ، وصدر نهار : أي في أوله ، ومنه قوله : . . . البيت . وقيل في قوله تعالى : « وجه النهار واكفروا آخره » : صلاة الصبح . وقيل : أول النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ : أول النهار .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ :
أول النهار ﴿ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ يقول : آخر النهار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾
أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ) قال : قال صلوا معهم الصبح ، ولا تصلوا
معهم آخر النهار ، لعلكم تستزلونهم بذلك .

وأما قوله ﴿ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ فإنه يعني به أنهم قالوا : واجحدوا ما صدقتم به من دينهم في وجه
النهار في آخر النهار ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : يعني بذلك : لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونهم .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يقول : لعلهم
يدعون دينهم ، ويرجعون إلى الذي أنتم عليه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنى عيسى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم ينقلبون عن دينهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم يشكون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ قال : يرجعون عن دينهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكم
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه : ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديا ، وهذا خبر من الله عن قول
الطائفة الذين قالوا لإخوانهم من اليهود : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ واللام
التي في قوله ﴿ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ نظيرة اللام التي في قوله ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾
بمعنى : ردفكم بعض الذي تستعجلون .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾
هذا قول بعضهم لبعض .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ قال : لا تؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب : قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ قال : لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم ، لا من خالفه فلا تؤمنوا به .
• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ :
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : قوله ﴿ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ اعترض به في وسط الكلام خبر من الله ، عن أن البيان بيانه ، والهدى هداه ، قالوا : وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الأول خبر عن قيل اليهود بعضها لبعض . فعنى الكلام عندهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو أن يحاجوكم عند ربكم : أى ولا تؤمنوا أن يحاجكم أحد عند ربكم ، ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وإن الهدى هدى الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ : حسدا من يهود أن تكون النبوة في غيرهم ، وإرادة أن يتبعوا على دينهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
وقال آخرون : تأويل ذلك : قل يا محمد إن الهدى هدى الله ، إن البيان بيان الله أن يؤتى أحد ، قالوا : ومعناه : لا يؤتى أحد من الأمم مثل ما أوتيتم ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ بمعنى لا تضلون وكتفوله ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بمعنى : أن لا يؤمنوا ﴿ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ : يقول : مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الإسلام والهدى ، أو يحاجوكم عند ربكم ، قالوا : ومعنى «أو» إلا : أى إلا أن يحاجوكم ، يعنى إلا أن يجادلوكم عند ربكم ، عند ما فعل بهم ربكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ إِنْ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ يقول : مثل ما أوتيتكم يا أمة محمد ، أو يحاجوكم عند ربكم ، تقول اليهود : فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة ، حتى أنزل علينا المن والسلوى ، فإن الذى أعطيتكم أفضل ، فقولوا ﴿ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . . . الآية ، فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقوله

للإهود ، وهو متلاصق ببعضه ببعض لا اعتراض فيه ، والهدى الثاني ردّ على الهدى الأول ، وأن في موضع رفع على أنه خبر عن الهدى .

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله للإهود ، وقالوا : تأويله : قل يا محمد إن الهدى هدى الله ، أن يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم ، يقول : مثل الذي أوتيتموه أنتم يا معشر الإهود من كتاب الله ، ومثل نبيكم ، فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم ، مثل الذي أعطيتكم من فضلي ، فإن الفضل بيدي أوتيه من أشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ يقول : لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم ، وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ . . . الآية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أنتم يا معشر الإهود من كتاب الله ، قالوا : وهذا آخر القول الذي أمر الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقوله للإهود من هذه الآية ، قالوا : وقوله ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ مردود على قوله ﴿ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، فتركوا الحق أن يحاجوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه ، فاخترتموه أنه محق ، وأنكم تجدون نفعه في كتابكم ، فيكون حينئذ قوله ﴿ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ مردودا على جواب نهى متروك على قول هؤلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ يقول : هذا الأمر الذي أنتم عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو يحاجوكم عند ربكم ، قال : قال بعضهم لبعض : لا تخبروهم بما بين الله لكم في كتابه ليحاجوكم ، قال : ليخاصموكم به عند ربكم ، قل إن الهدى هدى الله ، معترض به ، وسائر الكلام متسق على سياق واحد . فيكون تأويله حينئذ : ولا تؤمنوا إلا لمن اتبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، بمعنى : لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم ، أو يحاجوكم عند ربكم ، بمعنى : أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بإيمانكم ، لأنكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم ، فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾ سوى قوله ﴿ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم في قولهم : قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من الإهود ﴿ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ : إن التوفيق توفيق الله ،

والبيان بيانه ، وإن الفضل بيده يؤتیه من يشاء ، لاما تمنيتموه أنتم يامعشر اليهود ، وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها ، لأنه أصحها معنى ، وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب ، وأشدّها اتساقا على نظم الكلام وسياقه ، وما عدا ذلك من القول ، فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد الكلام .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ :

• يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لأوليائهم : إن الفضل بيد الله ، إن التوفيق للإيمان ، والهداية للإسلام بيد الله ، وإليه دونكم ودون سائر خلقه ، يؤتیه من يشاء من خلقه ، يعنى : يعطيه من أراد من عباده تكديبا من الله عزّ وجلّ لهم في قولهم لتبائعهم : لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، فقال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما هو إلى الله الذى بيده الأشياء كلها ، وإليه الفضل ، وببيده يعطيه من يشاء ، والله واسع عليم : يعنى : والله ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه علم ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج ، في قوله ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿٧٦﴾ يعنى بقوله ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يفتعل من قول القائل : خصصت فلانا بكذا ، أخصه به ، وأما رحمته في هذا الموضع : فالإسلام ، والقرآن مع النبوة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : النبوة يختص بها من يشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : يختص بالنبوة من يشاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن ابن جريج ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : القرآن والإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج مثله .

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ يقول : ذو فضل يتفضل به على من أحبّ وشاء من خلقه ، ثم وصف

فضله بالعظم ، فقال : فضله عظيم لأنه غير مشبه في عظم موقعه ممن أفضله عليه أفضال خلقه ، ولا يقاربه في جلاله خطره ، ولا يدانيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

❦ وهذا مخبر من الله عز وجل أن من أهل الكتاب ، وهم اليهود من بنى إسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ، ومنهم الخائن أمانته ، الفاجر في يمينه المستحل .

❦ فإن قال قائل : وما وجه إخبار الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد علمت أن الناس لم يزلوا كذلك منهم المؤدّي أمانته والخائنها ؟ قيل : إنما أراد جل وعز بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنّوهم على أموالهم ، وتخويفهم الاغترار بهم ، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين . فتأويل الكلام : ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير ، يؤدّه إليك ، ولا يخنك فيه ؛ ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه ، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضى والمطالبة ، والباء في قوله ﴿بِدِينَارٍ﴾ ، وعلى يتعاقبان في هذا الموضع ، كما يقال : مررت به ، ومررت عليه . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ فقال بعضهم : إلا مادمت له متقاضيا . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ : إلا ما طلبته واتبعت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال : تقتضيه إياه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال : مواظبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا ما دمت عليه قائما على رأسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ يقول : يعترف بأمانته ما دمت قائما على رأسه ، فإذا قمت ثم جئت تطلبه كافرًا الذي يؤدى والذي يجحد .

❦ وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : معنى ذلك : إلا ما دمت عليه قائما بالمطالبة والاقتضاء من

قولهم : قام فلان بحق على فلان حتى استخرجه لي ، أى عمل في تخليصه ، وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه ، لأن الله عز وجل إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأُميين ، وأن منهم من لا يقضى ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة ، وليس القيام على رأس الذى عليه الدين ، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحل ، ولكن قد يكون مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق إلى استخراجه السبيل بالاقتضاء والمحكمة والمخاصمة ، فذلك الاقتضاء : هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : أن من استحل الخيانة من اليهود وجحود حقوق العربى التى هى له عليه ، فلم يؤد ما ائتمنه العربى عليه إليه إلا ما دام له متقاضيا مطالباً من أجل أنه يقول : لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ، ولا إثم ، لأنهم على غير الحق ، وأنهم مشركون .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ . . . الآية ، قالت اليهود : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ قال ليس علينا في المشركين سبيل ، يعنون : من ليس من أهل الكتاب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ قال : يقال له : ما بالك لا تؤدى أمانتك ؟ فيقول : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، لما نزلت ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ، ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَذَبَ أَعداءُ الله ما من شئٍ كان في الجاهلية إلا وهو تحته قد مَيَّ ، إلا الأمانة فلانها مؤداة إلى البر والفاجر » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام بن عبيد الله ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما قالت اليهود : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ يعنون : أخذ أموالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : « إِلَّا وَهُوَ تحته قد مَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا الأمانة فلانها مؤداة » ولم يزد على ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون : ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء ، لأنهم أميون ، فذلك قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ قال : بايع اليهود رجال من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم ، فقالوا : ليس لكم علينا أمانة ، ولا قضاء لكم عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه ، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم ، فقال الله عز وجل : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن صعصعة ، قال : قلت لابن عباس : إنا نغزو أهل الكتاب ، فنصيب من ثمارهم ، قال : وتقولون كما قال أهل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن صعصعة أن جلا سأل ابن عباس فقال : إنا نصيب في العرف أو العنق ﴿الشك من الحسن﴾ من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ، فقال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال نقول : ليس علينا بذلك بأس ، قال : هذا ، كما قال أهل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : إن القائلين منهم ليس علينا في أموال الأميين من العرب حرج أن نختنهم إياه ، يقولون بقليلهم : إن الله أحل لنا ذلك ، فلا حرج علينا في خيانتهم إياه ، وترك قضائهم الكذب على الله عامدين الإثم بقليل الكذب على الله أنه أحل ذلك لهم ، وذلك قوله عز وجل ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، فيقول على الله الكذب ، وهو يعلم ، يعنى الذى يقول منهم إذا قيل له : مالك لا تودى أمانتك : ليس علينا حرج في أموال العرب ، قد أحلها الله لنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : يعنى ادّعاءهم أنهم وجدوا في كتابهم قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

وهذا إخبار من الله عز وجل عن أدنى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته وعيده ، فقال

جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم في أموال الأيمن حرج ولا إثم ، ثم قال بلى ، ولكن من أوفى بعهده واتقى ، يعنى ولكن الذى أوفى بعهده ، وذلك وصيته إياهم ، التى أوصاهم بها فى التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به ، والهاء فى قوله ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ﴾ عائدة على اسم الله فى قوله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه ، فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به ، بما جاء به من الله من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التى حرّمها عليه ، فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله ، ونخوف عقابه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ يعنى : فإن الله يحبّ الذين يتقونه فيخافون عقابه ، ويحذرون عذابه ، فيجتنبون ما نهاهم عنه ، وحرّمه عليهم ، ويطيعونه فيما أمرهم به ، وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ يقول : اتقى الشرك ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ يقول : الذين يتقون الشرك .

وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾

﴿٧﴾ يعنى بذلك جلّ ثناؤه : إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذى عهد إليهم ، ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب ، التى أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه ، والإقرار به ، وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التى يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التى أوّتموها عليها ثمنا ، يعنى عوضا وبدلا خسيسا من عرض الدنيا وحطامها ﴿ أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ﴾ فى الآخرة يقول : فإن الذين يفعلون ذلك لاحظّ لهم فى خيرات الآخرة ، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة ، وما أعدّ الله لأهلها فيها دون غيرها . وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى فى معنى الخلاق ، ودلّلنا على أولى أقوالهم فى ذلك بالصواب بما فيه الكفاية .

وأما قوله ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ فإنه يعنى : ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر إليهم ، يقول : ولا يعطف عليهم بخير مقتا من الله لهم كقول القائل لآخر : انظر إلىّ نظر الله إليك ، بمعنى : تعطف علىّ تعطف الله عليك بخير ورحمة ، وكما يقال للرجل : لاسمع الله لك دعاءك ، يراد : لاستجاب الله لك ، والله لا يخفى عليه خافية ، وكما قال الشاعر :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ^١
 وقوله ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يعني : ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 يعني : ولهم عذاب موجه .
 واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ، ومن عني بها ؟ فقال بعضهم :
 نزلت في أحبار من أحبار اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : نزلت
 هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في أبي رافع وكنانة^٢ بن
 أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب .
 وقال آخرون : بل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ،
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَضِيَ بِهَا مَالٌ
 امْرَأِيٍّ مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » فقال الأشعث بن قيس : في والله كان ذلك كان بيني
 وبين رجل من اليهود أرض ، فجددني ، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : أَلَيْكَ بَيِّنَةٌ ؟ قلت : لا ، فقال لليهودي : احْلِفْ . قلت : يا رسول الله إِنْ حَلَفَ
 فَيَذْهَبَ مَالِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية .
 حدثنا مجاهد بن موسى قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جرير بن حازم ، عن عدى بن
 عدى ، عن رجاء بن حيوة والعُرس^٣ ، أنهما حدثاه ، عن أبيه عدى بن عميرة ، قال : كان بين امرئ القيس
 ورجل من حضرموت خصومة ، فارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال للحضرمي : بَيِّنَتُكَ وَإِلَّا
 فَيَمِينُهُ ، قال : يا رسول الله إِنْ حَلَفَ ذَهَبَ بِأَرْضِي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ
 حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةً لِيَقْتَضِيَ بِهَا حَقَّ أَخِيهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ، فقال امرؤ القيس
 يا رسول الله ، فما لمن تركها وهو يعلم أنها حق ؟ قال : الجنة ، قال : فإني أشهدك أنني قد تركتها ، قال
 جرير : فكنت مع أيوب السخيتاني حين سمعنا هذا الحديث من عدى ، فقال أيوب : إِنْ عَدِيَا قَالَ
 فِي حَدِيثِ الْعُرْسِ بْنِ عَمِيرَةَ ، : فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
 قَلِيلًا﴾ . . . إلى آخر الآية ، قال جرير : ولم أحفظ يومئذ من عدى .

(١) البيت أنشده صاحب اللسان في (سمع) غير منسوب ، نقله عن أبي زيد الأنصاري . قال : وقد تأتي سمعت بمعنى أجبت ، ومنه
 قولهم : سمع الله لمن حمده : أي أجاب حمده وتقبله . يقال : اسمع دعائي : أي أجب ، لأن غرض السائل الإجابة والقبول ، وعليه
 ما أنشده أبو زيد . . . البيت .

(٢) كذا في الدر المنثور أيضا . وفي التفسير الكبير : لبابة .

(٣) في الخلاصة : العرس بن عميرة بالفتح الكندي : صحابي روى عنه ابن أخيه عدى بن عدى .

(٤) امرؤ القيس بن غابس الكندي ، وخصمه ربيعة بن عيدان ، كما في صحيح مسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال آخرون : إن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض كانت في يده لذلك الرجل أخذها لتعززه في الجاهلية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقيم ببيتك ، قال الرجل : ليس يشهد لي أحد على الأشعث ، قال : فلك يمينه ، فقام الأشعث ليحلف ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، فنكل الأشعث وقال : إني أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق ، فرد إليه أرضه ، وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة ، مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه ، فهي لعقب ذلك الرجل بعده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ، ثم أنزل الله تصديق ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية . . . ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا ، فقال : ما حدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فحدثناه بما قال ، فقال : صدق لى أنزلت ، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر ، فاختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : شاهدك أو يمينه ، فقلت : إذا يحلف ولا يبالي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » ، ثم أنزل الله عز وجل تصديق ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية . . .

وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : أخبرني داود بن أبي هند ، عن عامر ، أن رجلا أقام سلعته أول النهار ، فلما كان آخره جاء رجل يساومه ، فحلف لقد منعها أول النهار من كذا وكذا ، ولولا المساء ما باعها به ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن مجاهد ، نحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . . . الآية ، إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أنزلهم الله بمنزلة السحرة . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أن عمران بن حصين كان يقول : من حلف على يمين فاجرة يقطع بها مال أخيه ، فليتبوا مقعده من النار ، فقال له قائل : شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : إنكم لتجدون ذلك ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . . . الآية .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن هشام ، قال : قال محمد بن عمران بن حصين : من حلف على يمين مصبورة فليتبوا بوجهه مقعده من النار ، ثم قرأ هذه الآية كلها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال :

إن اليمين الفاجرة من الكبائر ، ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عبد الله بن مسعود ، كان يقول :
كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن من الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر ، إذا فجر
فيها صاحبها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا يَلُونِ السِّنِّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : وإن من أهل الكتاب ، وهم اليهود الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، على عهده من بنى إسرائيل ، والهء والميم في قول ﴿مِنْهُمْ﴾ عائدة على أهل الكتاب الذين
كرهم في قوله ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهِ إِلَيْكَ﴾ وقوله ﴿لَفَرِيقًا﴾
يعنى : جماعة ﴿يَلُونُ﴾ : يعنى : يحرفون ﴿السِّنِّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعنى :
لتظنوا أن الذى يحرفونه لكلامهم من كتاب الله وتزيينه ، يقول الله عز وجل : وما ذلك الذى لووا به
السنتهم ، فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ، ويزعمون أن ما لووا به السنتهم من التحريف والكذب والباطل
فألحقوه فى كتاب الله من عند الله ، يقول : مما أنزله الله على أنبيائه ، وما هو من عند الله ، يقول : وما ذلك
الذى لووا به السنتهم ، فأحدثوه مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه ، ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم ،
افتراء على الله ، يقول عز وجل ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعنى بذلك : أنهم
يتعمدون قيل الكذب على الله ، والشهادة عليه بالباطل ، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه طلبا للرياسة
والحسيس من حطام الدنيا .

وبنحو ما قلنا فى معنى ﴿يَلُونُ السِّنِّتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ
لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّنِّتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ قال : يحرفونه .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السِّنِّتَهُمْ
بِالْكِتَابِ﴾ حتى بلغ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه ، وزعموا
أنه من عند الله .

(١) فى اللسان : يمين الصبر أو اليمين المصبورة : أن يجبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها . فلو حلف إنسان من غير إحلاف
ما قيل : حلف صبرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعَنُونَ أَلَسِنْتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود كانوا
يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
يَلْعَنُونَ أَلَسِنْتَهُمْ بِالكِتَابِ﴾ قال : فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم ، وذلك تحريفهم إياه عن
موضعه ، وأصل اللى : القتل والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان : إذا قتلها وقلبها ، ومنه
قول الشاعر :
لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِى هُوَ غَالِبُهُ ۱

يقال منه : لوى يده ولسانه يلوى ليا ، وما لوى ظهر فلان أحد : إذا لم يصرعه أحد ، ولم يقتل ظهره
إنسان ، وإنه لألوى بعيد المستمر : إذا كان شديد الخصومة صابرا عليها لا يغلب فيها ، قال الشاعر :
فَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَدًّا مِنْ خُصُومَةٍ لَلَوَيْتُ أَعْنَاقَ الْخُصُومِ الْمَلَاوِيَا ۲

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

❖ يعنى بذلك جل ثناؤه : وما ينبغي لأحد من البشر ، والبشر : جمع بنى آدم ، لا واحد له من لفظه ،
مثل القوم والخلق ، وقد يكون اسما لواحد ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ يقول : أن ينزل الله عليه كتابه ،
﴿وَالْحُكْمَ﴾ يعنى : ويعلمه فصل الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ يقول : ويعطيه النبوة ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا
عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من
الكتاب والحكم والنبوة ، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ،
وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمى الناس الكتاب ،
وبكونهم دارسيه

(١) هذا عجز بيت لفرعان بن الأعراف ، كما في لسان العرب في (لوى) ، صدره :

تَغَمَّدَ حَقِّي ظَنًّا لِمَا وَلَوَى يَدَى

(٢) البيت أورده صاحب اللسان في (شدا) وقال قبله : قال أبو منصور : الشدا : البقية . وأنشد ابن الأعرابي . . . البيت .
أى بقية . قال أبو بكر : الشدا : حد كل شيء يكتب بالألف . قال : والشدا من الأذى . وأنشد . . . البيت . وقال : الملاوى
جمع ملوى . قال : وهو مصدر ، أنشده الفراء : شدا بالذال ، وأنشده غيره بالذال . وأكثر الناس على أنه بالذال ، وهو الحد .
وأورده ابن برى بالذال شاهدا على قوله : الشدا : طرف من الشيء . قال : ومنه بيت المجنون . وقال ابن خالويه : الشدا : البقية ،
وأنشد هذا البيت ابن الأعرابي : شدا : إذا قوى في بدنه . وشدا : إذا أبى بقية . ويقال : للمريض إذا أشق على الموت : لم يبق منه
إلا شدا . . . والبيت لمجنون بنى عامر كما صرح به صاحب اللسان في (لوى) عن ابن برى الذى رواه بلفظ :

فَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَدًّا مِنْ خُصُومَةٍ . . . الخ

وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتدعونا إلى عبادتك كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع القرظي : حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام ، أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ، فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ، أو كما قال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي ، وَلَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي ، أَوْ كما قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴾ . . . الآية ، إلى قوله بعد ﴿ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو رافع القرظي ، فذكر نحوه . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴾ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ : مَا كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ۖ يَأْمُرُ عِبَادَهُ أَنْ يُتَّخَذُوهُ رَبًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم ، بتحريفهم كتاب الله عن موضعه ، فقال الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ﴾ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ ثُمَّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ :

يعنى جل ثناؤه بذلك : ولكن يقول لهم : كونوا ربانيين ، فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه . وأما قوله ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : حكماء علماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : حكماء علماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين ، مثله .

(١) لعل « أن » سقطت من النسخ ، أو لعل المؤلف حذفها مقدرًا لها ، على طريقة الكوفيين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ :
حكما علماء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن في قوله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ :
قال : كونوا فقهاء علماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله
﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال : فقهاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني القاسم ، عن
مجاهد ، قوله ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال : فقهاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال :
كونوا فقهاء علماء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر ، عن
أبي رزين في قوله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال : علماء حكما .

قال معمر : قال قتادة : حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدّي في قوله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أما الربانيون : فالحكما الفقهاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،
قال الربانيون : الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأخبار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
قوله ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ يقول : كونوا حكما فقهاء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن يحيى بن عقيّل في قوله
الربانيون والأخبار ، قال : الفقهاء العلماء .

حدثت عن المنجاب ، قال : ثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن
السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال : كونوا حكما فقهاء .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت
الضحّاك يقول في قوله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ يقول : كونوا فقهاء علماء .

وقال آخرون : بل هم الحكماء الأتقياء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قوله ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : حكماء أتقياء .
وقال آخرون : بل هم ولادة الناس وقادتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : الربانيون : الذين يربون الناس ولادة هذا الأمر ، يربونهم : يلونهم ، وقرأ ﴿ لَوْلَا يَتَنَاهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ قال : الربانيون : الولاة ، والأحبار : العلماء .
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان : الذي يرب الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ، ويقوم بها ، ومنه قول علقمة بن عبدة :
وَكُنْتُ امْرَأً أَفْضْتُ إِلَيْكَ رَبَابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِيعْتُ رُبُوبًا

يعني بقوله : ربتي : ولي أمري ، والقيام به قبلك من يربه ويصلحه ، فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعوني فضعت ، يقال : منه : ربّ أمرى فلان فهو يربه ربا وهو رابه ، فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل : هو ربان ، كما يقال : هو نعسان ، من قولهم : نعس ينعس ، وأكثر ما يجيء من الأسماء على فعلان ما كان من الأفعال ماضيه على فَعِلَ مثل قولهم : هوسكران وعطشان وريان ، من سكر يسكر ، وعطش يعطش ، وروى يروى ، وقد يجيء مما كان ماضيه على فَعَلَ يفعل ، نحو ما قلنا من نعس ينعس ، ورب يرب .
فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، وكان الربان ما ذكرنا ، والرباني : هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين ، يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان كذلك الحكيم التقى لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس ، على المنهاج الذى وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم ، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم ، وكانوا جميعا مستحقين أنهم ممن دخل في قوله عز وجل ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ فالربانيون إذاً ، هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ، ولذلك قال مجاهد : وهم فوق الأحبار ، لأن الأحبار هم العلماء ، والرباني : الجامع إلى العلم والفقه ، البصر بالسياسة والتدبير ، والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هُوَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ :

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بفتح التاء وتخفيف اللام ، يعني : بعلمكم الكتاب ، ودراستكم إياه وقراءتكم ، واعتلوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك ، بأن الصواب لو كان التشديد في اللام وضمّ التاء ، لكان الصواب في تدرسون بضم التاء

(١) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي ، شاعر جاهلي ، من قصيدة له مشهورة يمدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني (انظر مختار الشعر الجاهلي طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٩٤٨) وأورده صاحب اللسان في (رب) وقال قبله : والربابة والرباب : العهد والميثاق . قال علقمة بن عبدة . . . البيت كما رواه المؤلف هنا .

وتشديد الرأى ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ بضم التاء من تعلّمون وتشديد اللام ، بمعنى : بتعليمكم الناس الكتاب ، ودراسكم إياه ؛ واعتلوا لاختيارهم ذلك بأن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم ، إذ لا يعلمون إلا بعد علمهم بما يعلمون .

قالوا : ولا موصوف بأنه يعلم ، إلا وهو موصوف بأنه عالم ، قالوا : فأما الموصوف بأنه عالم ، فغير موصوف بأنه معلم غيره . قالوا : فأولى القراءتين بالصواب ، أبلغهما في مدح القوم ، وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلمون الناس الكتاب .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد أنه قرأ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ ، وبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿مخففة بنصب التاء ، وقال ابن عيينة : ما علموه حتى علموه .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام ، لأن الله عز وجل وصف القوم بأنهم أهل عماد للناس في دينهم ودنياهم ، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم ، وتربية ، يقول جل ثناؤه ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ على ما بينا قبل من معنى الرباني ، ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل إصلاح للناس ، وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتاب ربهم ، ودراسهم إياه وتلاوته ، وقد قيل : دراسهم الفقه .

وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب ، لأنه عطف على قوله ﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ ، والكتاب : هو القرآن ، فلأن تكون الدراسة معنيا بها دراسة القرآن أولى من أن تكون معنيا بها دراسة الفقه ، الذي لم يجر له ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال يحيى بن آدم : قال أبو زكريا : كان عاصم يقرأها : ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ قال : القرآن ، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ قال : الفقه .
﴿فَمَعْنَى الْآيَةِ : وَلَكِنْ يَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا أَيُّهَا النَّاسُ سَادَةَ النَّاسِ وَقَادَتِهِمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، رَبَّانِيْنَ بِتَعْلِيمِكُمْ إِيَّاهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَفَرْضٍ وَنَدْبٍ ، وَسَائِرِ مَا حَوَاهُ مِنْ مَعَانِي أُمُورِ دِينِهِمْ ، وَتِلَاوَتِكُمْ إِيَّاهُ وَدِرَاسَتِكُمُوهُ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ على

وجه الابتداء من الله بالخبر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ لَا يَأْمُرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا » واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرأها وهي ﴿ وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ ﴾ فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله ، وابتداء خبر مستأنف ، قالوا : فلما صير مكان « لن » في قراءتنا « لا » وجبت قراءته بالرفع . وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ بنصب الراء عطفا على قوله ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ ﴾ . وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ، ثم يقول للناس ولا أن يأمركم بمعنى : ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أربابا .

﴿ وَأُولَى الْقَرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ ﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴿ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِالَّذِي قَبْلَهُ ، بِتَأْوِيلِ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي سَبِّ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أتريد أن نعبدك ، فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبين أربابا ، ولكن الذي له أن يدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين ، فأما الذي ادعى من قرأ ذلك رفعا أنه في قراءة عبد الله ﴿ وَلَنْ يَأْمُرَكُمْ ﴾ استشهادا لصحة قراءته بالرفع ، فذلك خبر غير صحيح سنده ، وإنما هو خبر رواه حجاج عن هارون لا يجوز أن ذلك في قراءة عبد الله كذلك ، ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنده ، لم يكن فيه محتج حجة ، لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثته عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل نحو قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو .

﴿ فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذَا : وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، يَعْنِي بِذَلِكَ آلِهَةٌ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَمَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ جُلْ ثَنَاؤُهُ نَافِيَا عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَهُ بِذَلِكَ : أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ أَيُّهَا النَّاسُ نَبِيِّكُمْ بِجُحُودِ وَحِدَانِيَةِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، يَعْنِي بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ لَهُ مُنْقَادُونَ بِالطَّاعَةِ مُتَذَلِّلُونَ لَهُ بِالْعُبُودِيَةِ ، أَيْ إِنْ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ أَبَدًا . وَقَدْ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَى حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : وَلَا يَأْمُرُكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١﴾

(١ - ١) كذا في الأصول . لعل الأولى : يجوز أن لا يكون ذلك الخ ، وقوله « من الكتاب » لعله دليل من القراءة من الكتاب الخ .

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاهُ : واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين ، يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين ، وميثاقهم : ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم ، وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية﴾ ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ بفتح اللام من لما ، إلا أنهم اختلفوا في قراءة آتيتكم ، فقرأه بعضهم ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ على التوحيد ، وقرأه آخرون : آتيناكم ، على الجمع .

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك ، فقال بعض نحوي البصرة : اللام التي مع ما في أول الكلام لام الابتداء ، نحو قول القائل : لزيد أفضل منك ، لأن ما اسم ، والذي بعدها صلة لها ، واللام التي في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ لام القسم ، كأنه قال : والله لتؤمنن به ، يؤكد في أول الكلام وفي آخره ، كما يقال : أما والله أن لو جئتنى لكان كذا وكذا ، وقد يستغنى عنها فيؤكد في لتؤمنن به باللام في آخر الكلام ، وقد يستغنى عنها ، ويجعل خبر ما آتيتكم من كتاب وحكمة ، لتؤمنن به ، مثل لعبد الله والله لا آتينه ، قال : وإن شئت جعلت خبر ما من كتاب يريد لما آتيتكم كتاباً وحكمة ، وتكون من زاوية . وخطأ بعض نحوي الكوفيين ذلك كله ، وقال : اللام التي تدخل في أوائل الجزاء لاتجاب بما ولا «لا» فلا يقال لمن قام : لاتبعه ، ولا لمن قام : ما أحسن ، فإذا وقع في جوابها «ما» و«لا» علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى ، لأنه يوضع موضعها ما ولا ، فتكون كأولى ، وهي جواب للأولى . قال وأما قوله ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ بمعنى إسقاط «من» غلط ، لأن من التي تدخل وتخرج لاتقع مواقع الأسماء ، قال : ولا تقع في الخبر أيضاً ، إنما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء .

﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِفَتْحِ اللَّامِ بِالصَّوَابِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ﴿لَمَّا﴾ بِمَعْنَى : لِمَهُمَا ، وَأَنْ تَكُونَ «مَا» حَرْفَ جَزَاءٍ أَدْخَلَتْ عَلَيْهَا اللَّامَ ، وَصِيرَ الْفِعْلَ مَعَهَا عَلَى فِعْلِ أ ، ثُمَّ أُجِيبَتْ بِمَا تَجَابَ بِهِ الْإِيمَانُ ، فَصَارَتْ اللَّامُ الْأُولَى يَمِينًا إِذْ تَلَقَّيْتُ بِجَوَابِ الْيَمِينِ .

وقرأ ذلك آخرون : ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ بكسر اللام من لما ، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة . ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إذا قرئ كذلك : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم ، فما على هذه القراءة بمعنى : الذي عندهم . وكان تأويل الكلام : وإذا أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول : يعني : ثم إن جاءكم رسول ، يعني ذكر محمد في التوراة ، لتؤمنن به ، أي ليكونن إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره .

وقال آخرون منهم : تأويل ذلك إذا قرئ بكسر اللام من لما ، وإذا أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة ، ثم جعل قوله : لتؤمنن به من الأخذ ، أخذ الميثاق ، كما يقال في الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف . فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول : وإذا استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة ، متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه .

﴿وَأُولَى الْقَرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ﴾ وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ

بفتح اللام ، لأن الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصدق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليهم ، كان ممن آتاه كتابا ، أو ممن لم يؤته كتابا ، وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله ، بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان معلوما أن منهم من أنزل عليه الكتاب ، وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب ، كان بيّنا أن قراءة من قرأ ذلك ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ يكسر اللام ، بمعنى : من أجل الذي آتيتكم من كتاب ، لاوجه له مفهوم إلا على تأويل بعيد ، وانتزاع عميق .

ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه ، فقال بعضهم : إنما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب ، دون أنبيائهم ، واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قالوا : فإنما أمر الذين أرسلت إليهم الرسل من الأمم بالإيمان برسل الله ، ونصرتها على من خالفها . وأما الرسل فإنه لاوجه لأمرها بنصرة أحد ، لأنها المحتاجة إلى المعونة على من خالفها من كفره بنى آدم ، فأما هي فإنها لاتعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها ، قالوا : وإذا لم يكن غيرها وغير الأمم الكافرة ، فمن الذي ينصر النبي ، فيؤخذ ميثاقه بنصرته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قال : هي خطأ من الكاتب ، وهي في قراءة ابن مسعود ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ يقول : وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، وكذلك كان يقرؤها الربيع : وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، إنما هي أهل الكتاب ، قال : وكذلك كان يقرؤها أبي ابن كعب ، قال الربيع : ألا ترى أنه يقول : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يقول : لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه ، قال : هم أهل الكتاب .

وقال آخرون : بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الأنبياء دون أممها .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ أن يصدق بعضهم بعضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه

فی قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ . . . الآية ، قال : أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا ، آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد في محمد : لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ﴾ . . . الآية ، هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذ عليهم فيما بلغهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه وينصروه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . . . الآية ، قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه : ليؤمنن بمحمد ، ولينصرنه إن خرج وهو حي ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ، ولينصرنه إن خرج وهم أحياء .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور قال : سألت الحسن ، عن قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . . . الآية كلها ، قال : أخذ الله ميثاق النبيين : ليلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم ، فاجترأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها ، لأن في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التباع ، لأن الأمم هم تباع الأنبياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمه ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : ثم ذكر ما أخذ عليهم ، يعنى على أهل الكتاب ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه ، يعنى بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم ، وإقرارهم به على أنفسهم ، فقال : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد ، عن مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبیر أو عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا ، وأخذ الأنبياء على أممها ، وتباعها الميثاق بنحو الذى أخذ عليها ربها ، من تصديق

أنبياء الله ورسله بما جاءتها به ، لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها ، ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبيا أرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل ، وحججه في عبادته ، بل كلها ، وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ببحودها نبوته ، مقرر بأن من ثبتت صحة نبوته ، فعلينا الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقرر به جميعهم ، ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء ، لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين ، فسواء قال قائل : لم يأخذ ذلك منها ربها ، أو قال : لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت ، وقد نص الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ، لأنهما جميعا خبران من الله عنها ، أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرها ، فإن جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر . وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنى بذلك أهل الكتاب من قوله ﴿لَتَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ فإن ذلك غير شاهد على صحة ما قال ، لأن الأنبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض ، وتصديق بعضها بعضا ، نصرة من بعضها بعضا . ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ فقال بعضهم : الذين عنوا بذلك هم الأنبياء ، أخذت موثيقهم أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن ينصروه ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عن قاله .

وقال آخرون : هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعثه الله وبنصرته ، وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك ، وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضا عن قاله . وقال آخرون ممن قال الذين عنوا بأخذ الله ميثاقهم منهم في هذه الآية هم الأنبياء ، قوله ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ معنى به أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر . قال : أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قال : أخذ الله ميثاق النبيين : أن يصدق بعضهم بعضا ، ثم قال : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قال : فهذه الآية لأهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال : قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عبادته ، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم ، وأخذوا موثيق أهل الكتاب في كتابهم ، فيما بلغهم رسلهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه وينصروه .

وأولى الأقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية : أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل ، عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممهم إليه ، والإقرار به ، لأن ابتداء الآية خبر من الله عز وجل ، عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ، ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم ، فقال : هو كذا وهو كذا .

ولأنما قلنا إن ما أخبر الله أنه أخذ به موثيق أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياء موثيق أممها به ، لأنها

أرسلت لتدعو عباد الله إلى الدينونة ، بما أمرت بالدينونة به في أنفسها من تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل . فتأويل الآية : واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندى مصدق لما معكم لتؤمنن به ، يقول : لتصدقن ولتنصرنه . وقد قال السدى في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قوله ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ﴾ يقول لليهود : أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ذكر فى الكتاب عندكم . فتأويل ذلك على قول السدى الذى ذكرناه : واذكروا يا معشر أهل الكتاب ، إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة ، وهذا الذى قاله السدى كان تأويلا لاوجه غيره لو كان التزيل بما آتيتكم ، ولكن التزيل باللام لما آتيتكم ، وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال : أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم ، بمعنى : بما آتيتكم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ قالوا أقررنا ؟ : أى أقررتم بالميثاق الذى واثقتموني عليه من أنكم مهما أتاكم رسول من عندى ، مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ يقول : وأخذتم على ما واثقتموني عليه من الإيمان بالرسول التى تأتيتكم بتصديق ما معكم من عندى ، والقيام بنصرتهم إصرى ، يعنى عهدى ووصيتى ، وقبلتم فى ذلك منى ورضيتموه ، والأخذ : هو القبول فى هذا الموضع ، والرضا من قولهم : أخذ الوالى عليه البيعة ، بمعنى : بايعه ، وقبل ولايته ، ورضى بها . وقد بينا معنى الإصر باختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فى ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وحذفت الفاء من قوله ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ لأنه ابتداء كلام على نحو ما قد بينا فى نظائره فيما مضى . وأما قوله ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا﴾ فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر فى هذه الآية : أقررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك وبنصرتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ : يعنى بذلك جل ثناؤه ، قال الله : فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم من الإيمان بتصديق رسلى التى تأتيتكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونصرتهم على أنفسكم ، وعلى أتباعكم من الأمم إذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك . كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب فى قوله ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ يقول : فاشهدوا على أممكم بذلك ، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه : فمن أعرض عن الإيمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة ، وعن نصرتهم ، فأدبر ولم يؤمن بذلك ، ولم ينصر ، ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك ، يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه ، فأولئك هم الفاسقون : يعني بذلك أن المتولين عن الإيمان بالرسول الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذوا عليهم بذلك ، هم الفاسقون ، يعني بذلك : الخارجون من دين الله ، وطاعة ربهم .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي بن أبي طالب ، فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم ، فأولئك هم الفاسقون : هم العاصون في الكفر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال أبو جعفر : يعني الرازي ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ يقول : بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم ، فأولئك هم الفاسقون . حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن الربيع ، مثله .

وهاتان الآيتان وإن كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه شهد ، وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله ، فإنه مقصود به لإخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم ، عما لله عليهم من العهد في الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى تذكيرهم ما كان الله أخذاً على آبائهم وأسلافهم من الموائيق والعهود ، وما كانت أنبياء الله عرفهم وتقدمت إليهم في تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه ، وكذبه ، وتعريفهم ما في كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه التي ابتمهم إليهم من صفته وعلامته .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفْغَيْرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَالِيَهُ يَرْجِعُونَ ﴿٨٩﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة ، وقراء الكوفة : أفغير دين الله تبغون ، وإليه ترجعون ، على وجه الخطاب ، وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز : أفغير دين الله يبغون... وإليه يرجعون ، بالياء كليهما على وجه الخبر عن الغائب ، وقرأ ذلك بعض أهل البصرة : أفغير دين الله يبغون ، على وجه الخبر عن الغائب ، وإليه ترجعون بالتاء ، على وجه المخاطبة .

﴿وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ﴾ أفغير دين الله تبغون ﴿على وجه الخطاب﴾ وإليه ترجعون ﴿بالتاء﴾ ، لأن الآية التي قبلها خطاب لهم ، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره ، وإن كان الوجه الآخر جائزاً لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً

على الخطاب كله ، وأحيانا على وجه الخبر عن الغائب ، وأحيانا بعضه على الخطاب ، وبعضه على الغيبة ،
 فقوله ﴿تَبْغُونَ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في هذه الآية من ذلك .
 وتأويل الكلام : يا معشر أهل الكتاب ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ﴾ يقول : أغير طاعة الله
 تلتمسون وتريدون ﴿وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول : وله خضع من في السموات
 والأرض ، فخضع له بالعبودية ، وأقر له بافراد الربوبية ، وانقاد له باخلاص التوحيد والألوهية ﴿طَوْعًا
 وَكَرْهًا﴾ يقول : أسلم لله طائعا ، من كان إسلامه منهم له طائعا ، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين ،
 فإنهم أسلموا لله طائعين ، وكرها من كان منهم كارها .
 اختلف أهل التأويل في معنى إسلام الكاره الإسلام ، وصفته ، فقال بعضهم : إسلامه : إقراره بأن الله
 خالقه وربّه ، وإن أشرك معه في العبادة غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال : هو كقوله ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .
 حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية
 في قوله ﴿وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال : كل
 آدمي قد أقر على نفسه بأن الله ربّي وأنا عبده ، فمن أشرك في عبادته ، فهذا الذي أسلم كرها ، ومن أخلص
 له العبودية ، فهو الذي أسلم طوعا .

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق ، فأقر به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿وَلَهُ
 أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال : حين أخذ الميثاق .
 وقال آخرون : غنى بإسلام الكاره منهم : سجد ظله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد في قول الله عز وجل
 ﴿وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال : الطائع : المؤمن ، وكرها : ظل الكافر .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
 ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال : سجد المؤمن طائعا ، وسجد الكافر وهو كاره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ كَرَّهَا ﴾ قال : سجد المؤمن طائعا ، وسجد ظل الكافر وهو كاره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : سجد وجهه وظله طائعا ١ .

وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقاده لأمره ، وإن أنكر ألوهته بلسانه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر بن عامر ﴿ وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال : استقاد كلهم له .

وقال آخرون : عني بذلك إسلام من أسلم من الناس كرها حذر السيف على نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿ وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَّهَا ﴾ . . . الآية كلها ، فقال : أكره أقوام على الإسلام ، وجاء أقوام طائعين .

حدثني الحسن بن قزعة الباهلي ، قال : ثنا روح بن عطاء ، عن مطر الوراق في قول الله عز وجل ﴿ وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَّهَا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قال : الملائكة طوعا ، والأنصار طوعا ، وبنو سليم وعبد القيس طوعا ، والناس كلهم كرها .

وقال آخرون : معنى ذلك أن أهل الإيمان ، أسلموا طوعا ، وأن الكافر أسلم في حال المعاينة ، حين لا ينفعه إسلام كرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْتَغُونَ ﴾ . . . الآية ، فأما المؤمن فأسلم طائعا ، فنفعه ذلك ، وقبل منه ؛ وأما الكافر فأسلم كرها ، حين لا ينفعه ذلك ، ولا يقبل منه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرَّهَا ﴾ قال : أما المؤمن فأسلم طائعا ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله ، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : في عبادة الخلق لله عز وجل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله

(١) لعله : طائعا وكارها . تأمل .

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْتَغُونَ ، وَلَهُ أُسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال : عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها ، وهو قوله ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ .
 وأما قوله ﴿وَالْيَهُ تَرْجِعُونَ﴾ فإنه يعنى : وإليه يا معشر من يبتغى غير الإسلام دينا من اليهود والنصارى ، وسائر الناس ترجعون ، يقول : إليه تصيرون بعد مماتكم ، فمجازيكم بأعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، وهذا من الله عز وجل تحذير خلقه أن يرجع إليه أحد منهم ، فيصير إليه بعد وفاته على غير ملة الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ
 لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿يعنى بذلك جل ثناؤه : أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ، وإليه ترجعون ، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد ، فقل لهم : آمنا بالله ، فترك ذكر قوله ، فإن قالوا نعم ، وذكر قوله : فإن ابتغوا غير دين الله ، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ﴾ يعنى به : قل لهم يا محمد : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحدا سواه ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يقول : وقل : وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله ، فأقررنا به ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ يقول : وصدقنا أيضا بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، ﴿وَعَلَىٰ إِبْنِهِ﴾ إسماعيل وإسحاق ، وابن ابنه ﴿يَعْقُوبَ﴾ وبما أنزل على الأسباط ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر ، وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿وَمَا أُتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ يقول : وصدقنا أيضا مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي ، وبما أنزل على النبيين من عنده ، والذي أتى الله موسى وعيسى ، مما أمر الله عز وجل محمدا بتصديقهما فيه ، والإيمان به التوراة التي آتاها موسى ، والإنجيل الذي آتاها عيسى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ يقول : لانصدق بعضهم ونكذب بعضهم ، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله ، وصدقت بعضا ، ولكننا نؤمن بجميعهم ، ونصدقهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يعنى : ونحن ندين الله بالإسلام ، لاندين غيره ، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه ، ومن كل ملة غيره . ويعنى بقوله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ : ونحن له متقادون بالطاعة ، متذللون بالعبودية ، مقرّون له بالألوهة والربوبية ، وأنه لا إله غيره .

وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى ، وكرهنا إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يطلب دينا غير دين الإسلام ليدين به ، فلن يقبل الله منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، يقول : من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل ، وذكر أن أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية ، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين ، لأن من سنة الإسلام الحج ، فامتنعوا ، فأدحض الله بذلك حجّتهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال : زعم عكرمة ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ فقالت الملل : نحن المسلمون ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى الْعَالَمِينَ ﴿فَحِجَّ الْمُسْلِمُونَ﴾ ، وقعد الكفار .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا القعني ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة ، قال ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ قالت اليهود : فنحن المسلمون ، فأنزل الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحجهم ، إن لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ . . . إلى آخر الآية ، قالت اليهود : فنحن مسلمون ، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : إن لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر من أهل الملل ، فإن الله غنى عن العالمين .

وقال آخرون في هذه الآية بما حدثنا به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فأنزل الله عز وجل بعد هذا ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهمُ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكِ كُذِّبُوا وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

اختلف أهل التأويل فيمن غنى بهذه الآية ، وفيمن نزلت ، فقال بعضهم : نزلت في الحرث بن سويد الأنصاري ، وكان مسلماً ، فارتدّ بعد إسلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رجل من الأنصار أسلم ، ثم ارتدّ ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لي من توبة ؟ قال : فنزلت ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فأرسل إليه قومه ، فأسلم .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة بنحوه ، ولم يرفعه إلى ابن عباس ، إلا أنه قال : فكتب إليه قومه ، فقال : ما كذبتني قومي ، فرجع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حكيم بن جميع ، عن علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ارتدّ رجل من الأنصار ، فذكر نحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرنا حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : جاء الحرث بن سويد ، فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كفر الحرث فرجع إلى قومه ، فأنزل الله عز وجل في القرآن ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ إلى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قال : فحملها إليه رجل من قومه ، فقرأها عليه ، فقال الحرث : إنك والله ما علمت لصدوق ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك ، وإن الله عز وجل لأصدق الثلاثة ، قال : فرجع الحرث فأسلم ، فحسن إسلامه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ قال : أنزلت في الحرث بن سويد الأنصاري كفر بعد إيمانه ، فأنزل الله عز وجل في هذه الآيات ، إلى ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ثم تاب وأسلم ، فنسخها الله عنه ، فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ وجاءهم البَيِّنَاتُ قال رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه .

قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لحق بأرض الروم فتنصر ، ثم كتب إلى قومه : أرسلوا هل لي من توبة ؟ قال : فحسبت أنه آمن ثم رجع .

قال ابن جريج : قال عكرمة : نزلت في أبي عامر الراهب ، والحرث بن سويد بن الصامت ، ووحوش بن الأسلت في اثني عشر رجلا رجعوا عن الإسلام ، ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ . . . الآيات .

وقال آخرون : غنى بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ فهم أهل الكتاب عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ثم كفروا به .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ . . . الآية كلها ، قال اليهود والنصارى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في قوله ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ . . . الآية ، هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، وأقروا به ، وشهدوا أنه حق ، فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك ، فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسدا للعرب ، حين بعث من غيرهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ قال : هم أهل الكتاب ، كانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، ويستفتحون به ، فكفروا بعد إيمانهم .

قال أبو جعفر : وأشباه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن ، من أن هذه الآية معنى بها أهل الكتاب على ما قال ، غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر ، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن ، وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الإسلام ، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سيئلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات ، ثم عرف عباده سنته فيهم ، فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يبعث ، ثم كفر به بعد أن بعث ، وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد وهو حي عن إسلامه ، فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين ، وغيرهما ممن كان بمثل معناه ، بل ذلك كذلك إن شاء الله .

فتأويل الآية إذا ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ : يعني : كيف يرشد الله للصواب ، ويوفق للإيمان ، قوما جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد إيمانهم : أى بعد تصديقهم إياه ، وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه ، ﴿ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ يقول : وبعد أن أقرّوا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلقه حقا ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ : يعني : وجاءهم الحجج من عند الله ، والدلائل بوضوح ذلك ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول : والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة ، وهم الذين بدّأوا الحق إلى الباطل ، فاختاروا الكفر على الإيمان . وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الظلم ، وأنه وضع الشيء في غير موضعه بما أغنى عن إعادته ، ﴿ وَأُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ ﴾ : يعني : هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، وبعد أن شهدوا أن الرسول حق ، جزاؤهم : ثوابهم من عملهم الذى عملوه ﴿ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ : يعني أن حلّ بهم من الله الإقصاء والبعد ، ومن الملائكة والناس إلا ما يسوءهم من العقاب أجمعين ، معنى من جميعهم : لا بعض من سماه جلّ ثناؤه من الملائكة والناس ، ولكن من جميعهم . وإنما جعل ذلك جلّ ثناؤه ثواب عملهم ، لأن عملهم كان بالله كفرا . وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ : معنى : ما كثر فيها ، معنى : فى عقوبة الله ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ : لا ينقصون من العذاب شيئا فى حال من الأحوال ولا ينفسون فيه ﴿ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ : معنى : ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون ، وذلك كله : أعنى الخلود فى العقوبة فى الآخرة ، ثم استثنى جلّ ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، فقال تعالى ذكره ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ : أى الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن إيمانهم ، فراجعوا الإيمان بالله وبرسوله ، وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم ، وأصلحوا : معنى : وعملوا الصالحات من الأعمال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : معنى : فإن الله لمن فعل ذلك بعد كفره غفور : معنى : سائر عليه ذنبه الذى كان منه من الردّة ، فتارك عقوبته عليه ، وفضيخته به يوم القيامة ، غير مؤاخذه به إذا مات على التوبة منه ، رحيم متعطف عليه بالرحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ

﴿

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عنى الله عزّ وجلّ بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ بكفرهم بمحمد ﴿ لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ عند حضور الموت ، وحشر جثته بنفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا، لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ قال : اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا﴾ أولئك أعداء الله اليهود ، كفروا بالإنجيل وبعيسى ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال : ازدادوا كفرا حتى حضرهم الموت ، فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت ، قال معمر : وقال مثل ذلك عطاء الخراساني .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ وقال : هم اليهود كفروا بالإنجيل ، ثم ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأنكروه ، وكذبوا به .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد إيمانهم بأنبيائهم ﴿ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا﴾ : يعني ذنوبا ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ من ذنوبهم ، وهم على الكفر مقيمون .
ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن ربيع ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا﴾ ازدادوا ذنوبا وهم كفار ﴿فَلَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت أبا العالية ، قال : قلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها ، فهم يتوبون منها في كفرهم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان الشكري ، قال : أخبرنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكر نحوه منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سألت أبا العالية عن هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، ثُمَّ اٰزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ قال : هم اليهود والنصارى والمجوس أصابوا ذنوبا في كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولن يتوبوا من الكفر ، ألا ترى أنه يقول : ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن أبي العالية في قوله ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قال : تابوا من بعض ، ولم يتوبوا من الأصل .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ۖ قَالَ : هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون ، قال الله عز وجل : لن تقبل التوبة في الضلالة . وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم ، ثم ازدادوا كفرا ، يعني : بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون ، لن تقبل توبتهم : لن تنفعهم توبتهم الأولى ، وإيمانهم لكفرهم الآخر وموتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال : نموا على كفرهم ، قال ابن جريج : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ يقول : إيمانهم أول مرة لن ينفعهم .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ ماتوا كفارا ، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم ، وقالوا : معنى ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ : لن تقبل توبتهم عند موتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۖ أَمَا أَزْدَادُوا كُفْرًا : فأتوا وهم كفار ، وأما لن تقبل توبتهم : فعند موته إذا تاب لم تقبل توبته .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال : غنى بها اليهود ، وأن يكون تأويله : إن الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ، ومقامهم على ضلالتهم ، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم ، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله .

ولمّا قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب ، لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت ، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد . ولمّا قلنا : معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي ، لأنه جل ثناؤه قال : ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ فكان معلوما أن معنى قوله ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إنما هو معنى به : لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم ، لا من كفرهم ، لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده ، فقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ فحال أن يقول عز وجل أقبل ، ولا أقبل في شيء واحد ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان من حكم الله في عباده أنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب ، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأُصْلَحُوا﴾ فإن الله غفورٌ رحيمٌ علم أن المعنى

الذى لا تقبل التوبة منه ، غير المعنى الذى تقبل التوبة منه ، وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر ، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره ، لأن الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله ، فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح ، فإن الله كما وصف به نفسه ، غفور رحيم .

❦ فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون معنى ذلك ، كما قال من قال : فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله ، أو توبته الأولى ؟ قيل : أنكرنا ذلك لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة ، وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافرا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة ، وسائر الأحكام غيرهما ، فكان معلوما بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلة بين الموت والحياة ، يجوز أن يقال : لا يقبل الله فيها توبة الكافر ، فإذا صح أنها في حال حياته مقبولة ، ولا سبيل بعد الممات إليها ، بطل قول الذى زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل .

وأما قول من زعم أن معنى ذلك التوبة التى كانت قبل الكفر فقول لامعنى له ، لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كفر بعد إيمان ، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان ، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك ، وتأويل القرآن على ما كان موجودا في ظاهر التلاوة إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص أولى من غيره وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

وأما قوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، ثم ازدادوا كفرا ، هم الذين ضلوا سبيل الحق ، فأخطئوا منهجه ، وتركوا منتصف السبيل ، وهدى الله الذى أخبرهم عنه ، فعموا عنه ، وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى

بِهِ ۖ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ❶

❦ يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يصدقوا به ، وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يعنى : وماتوا على ذلك من جحدوا نبوته ، وجحدوا ما جاء به ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ يقول : فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة في الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته

(١) المنصف من الطريق ومن النهار ومن كل شيء : وسطه . وفي الأصل : نصف .

على كفره ، ولا جعل على العفو عنه ، ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها فرشاً ، وجزى على ترك عقوبته ، وفي العفو عنه على كفره عوضاً مما الله محلّ به من عذابه ، لأن الرشا إنما يقبلها من كان ذا حاجة إلى ما رُشى ، فأما من له الدنيا والآخرة ، فكيف يقبل الفدية ، وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه ، أو غيره . وقد بينا أن معنى الفدية : العوض والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . ثم أخبر عزّ وجلّ عما لهم عنده ، فقال : أولئك ، يعنى : هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، لهم عذاب أليم ، يقول : لهم عند الله في الآخرة عذاب موجه ، وما لهم من ناصرين ، يعنى : وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره ، فيستنقذه من الله ومن عذابه ، كما كانوا ينصرونه في الدنيا على من حاول أذاه ومكروهه .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس بن مالك ، أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُجاءُ بالكافر يومَ القيامة فيقالُ لهُ : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ ، قال : فَيُقَالُ لَقَدْ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ » ، فذلك قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن ، قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ قال : هو كل كافر ونصب قوله ذهبا على الخروج من المقدار الذي قبله ، والتفسير منه ، وهو قوله : ملّ الأرض ، كقول القائل : عندي قدر زق سمنا وقدر رطل عسلا ، فالعسل مبین به ما ذكر من المقدار ، وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه .

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نصب الذهب لاشتغال الملّ بالأرض ، ومجىء الذهب بعدها ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يجىء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب ، كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي قد شغل بفاعله ، قالوا : ونظير قوله ﴿ مِائَةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ في نصب الذهب في الكلام لي مثلك رجلا ، بمعنى : لي مثلك من الرجال ، وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل ، وأدخلت الواو في قوله ﴿ وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ محذوف من الكلام بعده ، دلّ عليه دخول الواو ، كالواو في قوله ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين ، أريناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله ﴿ وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ ، ولو لم يكن في الكلام واو ، لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هنالك متروك وكان : فلن يقبل من أحدهم ملّ الأرض ذهبا لو افتدى به .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه : لن تدركوا أيها المؤمنون البرّ ، وهو البرّ من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ، ويرجون منه ، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم جنته ، وصرف عذابه عنهم ، ولذلك قال كثير من أهل التأويل : البرّ : الجنة ، لأن برّ الربّ بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة . ذكر من قال ذلك﴾

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ قال : الجنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ قال : البرّ : الجنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أما البرّ : فالجنة . فتأويل الكلام : لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم ، حتى تنفقوا مما تحبون ، يقول : حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ يقول : لن تنالوا برّ ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ، ومما تهوون من أموالكم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن ، قوله ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ قال : من المال .

وأما قوله ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فإنه يعني به : ومهما تنفقوا من شيء فتصدقوا به من أموالكم ، فإن الله تعالى ذكره بما يتصدق به المتصدق منكم ، فينفقه مما يحب من ماله في سبيل الله ، وغير ذلك عليم ، يقول : هو ذو علم بذلك كله ، لا يعزب عنه شيء منه حتى يجازي صاحبه عليه جزاءه في الآخرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يقول : محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له .

وبنحو التأويل الذي قلنا تأول هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من جلولاء ، يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص ، فدعا بها عمر بن الخطاب ، فقال : إن الله يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ فأعنتها عمر ، وهي مثل قول الله عز وجل ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله سواء .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أو هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة : يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا صدقة ، ولو استطعت أن أجعله سرًا لم أجعله علانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجْعَلْهَا فِي فَقَرَاءِ أَهْلِكَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة : يا رسول الله ، إن الله يسألنا من أموالنا ، أشهد أني قد جعلت أرضي بأريحاء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ ، فجعلها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبدالوارث ، قال : ثنا ليث ، عن ميمون بن مهران ، أن رجلاً سأل أبا ذرٍّ أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة عماد الإسلام ، والجهاد : سنام العمل ، والصدقة شيء عجيب ، فقال : يا أبا ذرٍّ لقد تركت شيئاً هو أوثق عملي في نفسي لأراك ذكرته ، قال : ما هو ؟ قال : الصيام ، فقال قربة ، وليس هناك ، وتلا هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عمرو بن دينار ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بفرس له يقال لها «سيل» إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : تصدّق بهذه يا رسول الله ، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَدْ قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب وغيره ، أنها حين نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها ، فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أسامة بن زيد ، فكأن زيدا وجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال : أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَبِلَهَا .

(۱) في التاج : سبل بالباء بوزن سبب : اسم فرس . وفي الأصول : سيل ، بالياء .

تم الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبري ،

ويليه الجزء الرابع

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ﴿كُلِّ الطَّعَامِ﴾

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الرابع

دار الفکر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب : البناية المركزية - هاتف ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ١١ / ٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَیروت }
لَبْنَان
بَرقیاء ، فکسئی - تلکس ٤١٣٩٢ فکر FIKR 41392 LE



فهارس الجزء الرابع
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

-
- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

فهارس الجزء الرابع من جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٣	كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل . . .	١	١١٧	مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا . . .	٥٨
٩٤	فمن افترى على الله الكذب . . .	٦	١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة . . .	٦٠
٩٥	قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم . . .	٦	١١٩	ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم . . .	٦٤
٩٦	إن أول بيت وضع للناس . . .	٧	١٢٠	إن تمسكم حسنة تسؤهم . . .	٦٧
٩٧	فيه آيات بينات مقام إبراهيم . . .	١٠	١٢١	وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين . . .	٦٩
٩٨	قل يا أهل الكتاب لم تكفرون . . .	٢١	١٢٢	إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا . . .	٧٢
٩٩	قل يا أهل الكتاب لم تصدون . . .	٢٢	١٢٣	ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة . . .	٧٤
١٠٠	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا . . .	٢٤	١٢٤	إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم . . .	٧٦
١٠١	وكيف تكفرون وأنتم تنلن عليكم . . .	٢٦	١٢٥	بلى إن تصبروا وتتقوا . . .	٧٦
١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . . .	٢٧	١٢٦	وما جعله الله إلا بشري لكم . . .	٨٤
١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعا . . .	٣٠	١٢٧	ليقطع طرفا من الذين كفروا . . .	٨٥
١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . . .	٣٨	١٢٨	ليس لك من الأمر شيء . . .	٨٦
١٠٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا . . .	٣٩	١٢٩	ولله ما في السموات وما في الأرض . . .	٨٩
١٠٦	يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . . .	٣٩	١٣٠	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا . . .	٨٩
١٠٧	وأما الذين ابيضت وجوههم . . .	٣٩	١٣١	واتقوا النار التي أعدت للكافرين . . .	٩٠
١٠٨	تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق . . .	٤١	١٣٢	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون . . .	٩١
١٠٩	ولله ما في السموات وما في الأرض . . .	٤٢	١٣٣	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم . . .	٩١
١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس . . .	٤٣	١٣٤	الذين ينفقون في السراء والضراء . . .	٩٣
١١١	لن يضرّوكم إلا أذى . . .	٤٦	١٣٥	والذين إذا فعلوا فاحشة . . .	٩٤
١١٢	ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا . . .	٤٧	١٣٦	أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم . . .	٩٨
١١٣	ليسوا سواء . . .	٥١	١٣٧	قد خلت من قبلكم سنن . . .	٩٩
١١٤	يؤمنون بالله واليوم الآخر . . .	٥٦	١٣٨	هذا بيان للناس . . .	١٠٠
١١٥	وما يفعلون من خير فلن يكفروه . . .	٥٦	١٣٩	ولا تهنوا ولا تحزنوا . . .	١٠٢
١١٦	إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم . . .	٥٧	١٤٠	إن يمسسكم قرح فقد مس القوم . . .	١٠٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٤١	وليمحص الله الذين آمنوا . . .	١٠٧	١٦٩	ولا تحسبن الذين قتلوا . . .	١٧٠
١٤٢	أم حسبتم أن تدخلوا . . .	١٠٨	١٧٠	فرحين بما آتاهم الله من فضله . . .	١٧٠
١٤٣	ولقد كنتم تمنون الموت من قبل . . .	١٠٨	١٧١	يستبشرون بنعمة من الله وفضل . . .	١٧٥
١٤٤	وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله . . .	١١٠	١٧٢	الذين استجابوا لله والرسول . . .	١٧٦
١٤٥	وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله . . .	١١٤	١٧٣	الذين قال لهم الناس إن الناس . . .	١٧٨
١٤٦	وكأين من نبي قاتل معه . . .	١١٦	١٧٤	فانقلبوا بنعمة من الله وفضل . . .	١٨٢
١٤٧	وما كان قولهم إلا أن قالوا . . .	١٢٠	١٧٥	إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه . . .	١٨٣
١٤٨	فآتاهم الله ثواب الدنيا . . .	١٢٢	١٧٦	ولا يحزنك الذين يسارعون . . .	١٨٤
١٤٩	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا . . .	١٢٢	١٧٧	إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان . . .	١٨٥
١٥٠	بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . . .	١٢٣	١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا . . .	١٨٥
١٥١	سنلقى في قلوب الذين كفروا . . .	١٢٣	١٧٩	ما كان الله ليذر المؤمنين . . .	١٨٧
١٥٢	ولقد صدقكم الله وعده . . .	١٢٤	١٨٠	ولا يحسبن الذين يبخلون . . .	١٨٩
١٥٣	إذ تصعدون ولا تلوون على أحد . . .	١٣٢	١٨١	لقد سمع الله قول الذين قالوا . . .	١٩٤
١٥٤	ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة . . .	١٣٩	١٨٢	ذلك بما قدمت أيديكم . . .	١٩٤
١٥٥	إن الذين تولوا منكم . . .	١٤٤	١٨٣	الذين قالوا إن الله عهد إلينا . . .	١٩٧
١٥٦	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا . . .	١٤٦	١٨٤	فان كذبوك فقد كذب رسل . . .	١٩٨
١٥٧	ولئن قتلتكم في سبيل الله أو متم . . .	١٤٩	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت . . .	١٩٩
١٥٨	ولئن متم أو قتلتكم لإلى الله تحشرون . . .	١٥٠	١٨٦	لتبلون في أموالكم وأنفسكم . . .	٢٠٠
١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم . . .	١٥٠	١٨٧	وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا . . .	٢٠٢
١٦٠	إن ينصركم الله فلا غالب لكم . . .	١٥٣	١٨٨	لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا . . .	٢٠٥
١٦١	وما كان لنبي أن يغفل . . .	١٥٤	١٨٩	ولله ملك السموات والأرض . . .	٢٠٩
١٦٢	أفمن اتبع رضوان الله . . .	١٦١	١٩٠	إن في خلق السموات والأرض . . .	٢٠٩
١٦٣	هم درجات عند الله . . .	١٦٢	١٩١	الذين يذكرون الله قياما وقعودا . . .	٢٠٩
١٦٤	لقد من الله على المؤمنين . . .	١٦٣	١٩٢	ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته . . .	٢١١
١٦٥	أو لما أصابتكم مصيبة . . .	١٦٤	١٩٣	ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي . . .	٢١٢
١٦٦	وما أصابكم يوم التقى الجمعان . . .	١٦٧	١٩٤	ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك . . .	٢١٣
١٦٧	وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا . . .	١٦٧	١٩٥	فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع . . .	٢١٤
١٦٨	الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا . . .	١٦٩	١٩٦	لا يغرنك تقلب الذين كفروا . . .	٢١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٩٧	متاع قليل ثم مأواهم جهنم . . .	٢١٧	١٠	إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً . . .	٢٧٣
١٩٨	لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات . . .	٢١٧	١١	يوصيكم الله في أولادكم . . .	٢٧٤
١٩٩	وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله . . .	٢١٨	١٢	ولكم نصف ما ترك أزواجكم . . .	٢٨٢
٢٠٠	يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا . . .	٢٢٠	١٣	تلك حدود الله . . .	٢٨٩
القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء					
١	يا أيها الناس اتقوا ربكم . . .	٢٢٣	١٤	ومن يعص الله ورسوله . . .	٢٩١
٢	وآتوا اليتامى أموالهم . . .	٢٢٨	١٥	واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم . . .	٢٩١
٣	وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . . .	٢٣١	١٦	واللذان يأتياها منكم فآذوهما . . .	٢٩٤
٤	وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . . .	٢٤١	١٧	إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءاً . . .	٢٩٨
٥	ولا تؤتوا السفهاء أموالكم . . .	٢٤٥	١٨	وايست التوبة للذين يعملون السيئات . . .	٣٠٢
٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح . . .	٢٥١	١٩	يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم . . .	٣٠٤
٧	للرجال نصيب مما ترك الوالدان . . .	٢٦٢	٢٠	وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج . . .	٣١٣
٨	وإذا حضر القسمة أولو القربى . . .	٢٦٣	٢١	وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم . . .	٣١٤
٩	وليخش الذين لو تركوا من خلفهم . . .	٢٦٩	٢٢	ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء . . .	٣١٧
			٢٣	حرمت عليكم أمهاتكم . . .	٣١٩

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٢٧ تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » . . .	١ تأويل قوله تعالى « كل الطعام » . . . الآية .
الآية . وحقّ التقوى والإسلام .	وما كان يعقوب عليه السلام حرّمه على نفسه .
٣٠ تأويل قوله « واعتصموا بحبل الله » . والمراد	٣ الصواب في أن الذي حرّمه إسرائيل كان من
من الحبل ، والشاهد عليه من قول الأعشى .	تلقاء نفسه ، وأن التوراة لما أتت حرّم الله فيها
٣٢ معنى التفرّق ، وما ورد في تفرّق الأمم السابقة	ما شاء .
وتفرّق هذه الأمة .	٦ تأويل قوله « قل صدق الله » . . . الآية . وأن
٣٢ تأويل قوله « واذكروا نعمة الله » . . . الآية .	الدين الحقّ إخلاص العبادة لله وحده ، كما
وما كانت عليه الأوس والخزرج من العداوة	كان عليه إبراهيم عليه السلام .
وابتداء دخول الإسلام فيهم .	٨ تأويل قوله « إنّ أول بيت وضع » . . . الآية .
٣٦ تأويل قوله « وكنتم على شفا حفرة » . . . الآية	وأن البيت أول مكان وضع في الأرض للعبادة .
ومعنى الحفرة ، والشواهد عليه ، ثم بيان	١٠ تأويل قوله « فيه آيات بينات » ، وما هي الآيات
ما كانت عليه الأنصار من سوء الحظّ قبل	التي في البيت ، ومعنى الأمن .
الدخول في الإسلام .	١٥ تأويل قوله « ولله على الناس » . . . الآية .
٣٨ ما يجب على الأمة من قيام بعضهم بالأمر	ومعنى الحجّ والاستطاعة والخلاف فيها .
بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعدم	١٩ تأويل قوله تعالى « ومن كفر » . وأن الكفر
الاختلاف والتفرّق .	معناه الجحد لما ألزمه من فرض حجّ بيته .
٣٩ تأويل قوله « يوم تبيضّ وجوه » . . . الآية .	٢٢ تأويل قوله « قل يا أهل الكتاب » . وأن السبيل
وأن المراد بالذين تسودّ وجوههم طائفة من	تؤنث ، وسبب النزول .
هذه الأمة .	٢٤ تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا » .
٤٣ تأويل قوله « كنتم خير أمة » . . . الآية .	وأن المراد من الذين آمنوا الأوس والخزرج ،
والخلاف في المراد من الخير ، أهم المهاجرون ،	ومن الذين أوتوا الكتاب بعض اليهود .
أم غيرهم ؟	٢٦ تأويل قوله تعالى « وكيف تكفرون » . . . الآية
٤٦ تأويل قوله « لن يضرّوكم إلا أذى » وأن	ومعنى الاعتصام ، وما يتعلق به من الأبحاث
المراد من الأذى إسماعهم الشرك .	اللغوية ، والشواهد عليها .

الصفحة	الصفحة
٩١	٤٩ السبب الجالب للباء في قوله « إلا بجبل » ، والشاهد عليه .
٩٥	٥١ تأويل قوله « ليسوا سواء » ، وأن في الآية حذف المقابل ، والشاهد عليه .
٩٩	٥٤ آناء جمع إني ، والشاهد عليه ، وبيان الفعل الذي به يتحقق أنه قام آناء الليل .
١٠٢	٥٨ تأويل قوله « مثل ما ينفقون » ، وما يبطل النفقة من الكفر بالله .
١٠٨	٦٠ تأويل قوله « لا تتخذوا بطانة » . . . الآية . وأن السبب في نزول الآية مصافاة بعضهم أهل الكفر والنفاق .
١١٠	٦٣ إبداء البغضاء من أفواههم بأي معنى كان .
١١٦	٦٥ أل في قوله بالكتاب كله مراد بها الجنس .
١١١	٦٦ الأنامل جمع أنملة ، وهي أطراف الأصابع ، والشاهد عليه .
١١٦	٦٩ تأويل قوله « وإذ غدوت من أهلك » وذكر غزوة أحد .
١٢٠	٧٢ تأويل قوله « إذ همت طائفتان » ، وبيان الطائفتين والفشل .
١٢٤	٧٤ تأويل قوله « ولقد نصركم الله » . . . الآية ، وغزوة بدر .
١٢٧	٧٩ لادلالة في القرآن على أنهم أمدوا بثلاثة آلاف أو بخمسة آلاف من الملائكة ، وأنهم لم يمدوا يوم أحد بشيء .
١٢٨	٨٢ معنى تسويم الملائكة .
	٨٤ السبب معناها العلامة ، والشاهد عليه .
	٨٦ تأويل قوله « ليس لك من الأمر شيء » وأنه نزل لما فعل المشركون به صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ما فعلوا من شج وجهه وغير ذلك .
٩١	تأويل قوله « وسارعوا » ، وحذف المضاف في قوله « السموات » ، والشاهد عليه .
٩٥	تأويل قوله « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، ومعنى الفاحشة والظلم والإصرار .
٩٩	تأويل قوله « قد خلت من قبلكم سنن » ، ومعنى السنة ، والشاهد عليه .
١٠٢	تأويل قوله « ولا تهنوا » . . . الآية ، وإنه تعزية لأصحاب النبي على ما أصابهم يوم أحد .
١٠٨	تأويل قوله « ولقد كنتم تمنون الموت » ، وما كان يتمناه من لم يحضر غزوة بدر ، وحين حضر غزوة أحد فر .
١١٠	ذكر ما أصابهم يوم أحد من الهلع عندما قيل لهم : رسول الله قتل ، وكان ذلك من أسباب نزول قوله « وما محمد إلا رسول » .
١١١	ذكر تفصيل غزوة أحد وما تم لرسول الله وللمسلمين فيها .
١١٦	تأويل قوله « قتل معه ربيون كثير » ، والخلاف في معنى الربى ، وأن الكلام على تقدير الواو أى ومعه .
١٢٠	تأويل قوله « وما كان قولهم إلا أن قالوا » ، ومعنى الإسراف .
١٢٤	تأويل قوله « ولقد صدقكم الله وعده » ، وما تم للمؤمنين من النصر يوم أحد ، وانهمزامهم بسبب المخالفة .
١٢٧	تأويل قوله « إذ تحسونهم » وأن معنى الحسن القتل .
١٢٨	تأويل قوله « حتى إذا فشلتم » ، وما تم للمسلمين يوم أحد من الغنيمة ، ثم الهزيمة .

الصفحة	الصفحة
١٥٤	١٢٩ قوله « حتى إذا فشلتم » . . . الآية من المقدم الذى معناه التأخير ، والشاهد عليه .
١٥٨	١٣١ معنى العفو فى قوله « ولقد عفا عنكم » مع ما تم لهم من الإساءة والإضرار .
١٦٢	١٣٢ تأويل قوله « إذ تصعدون » والفرق بين الإصعاد والصعود ، وإن حصل منهم الأمران
١٦٤	١٣٤ تأويل قوله « فأثابكم » . . . الآية ، وأن الثواب يطلق على العوض ، سواء كان خيرا أو شرا ، والشواهد عليه ، وأن القوم أصابهم نعمان ، وما هما ؟
١٦٧	١٣٩ تأويل قوله « ثم أنزل عليكم من بعد الغم » الآية ، والنعاس الذى أتاهاهم وأين محله .
١٧٠	١٤١ الطائفة التى أهمتهم أنفسهم كانت منافقة ، وأن قولهم ما قالوا كان منشؤه عدم رسوخ الإيمان .
١٧٦	١٤٣ تأويل قوله « قل لو كنتم » . . . الآية ، وأن الابتلاء معناه الاختبار ، وأن ما كان مسندا إلى الله فهو على جهة مجاز الحذف .
١٧٩	١٤٤ تأويل قوله « إن الذين تولوا » ، وبعض أسماء من تولى يوم أحد ، وبيان معنى العفو .
١٨٩	١٤٦ تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا » . . . الآية ، وأن غزى جمع غاز ، والشاهد عليه .
١٩١	١٤٩ تأويل قوله « ولئن قتلتم » . . . الآية ، وأن القتل فى سبيل الله خير من الدنيا التى لأجلها يتثاقلون .
١٩٣	١٥٠ « ما » فى قوله « فبما رحمة » زائدة والشاهد عليه
١٩٤	١٥١ تأويل قوله « فاعف عنهم » . . . الآية ، وما ندب إليه النبى من الاستشارة مع ما هو عليه من التأييد .
١٩٨	
٢٠٠	

الصفحة

الصفحة

- ٢٠٥ تأويل قوله « لا تحسبن الذين يفرحون » ،
وبيان أنها نزلت في طائفة من المنافقين .
- ٢١١ إدخال النار ببعض الذنوب لا ينافي الشفاعة ،
ولا يعارض « ربنا إنك من تدخل النار فقد
أخزيته » .
- ٢١٣ هدى يتعدى باللام كما يعدى بالي ، والشاهد
عليه .
- ٢١٣ وجه سؤال إعطاء ما وهب على السنة الأنبياء
مع أنه لا بد من إعطائه .
- ٢١٨ الموت خير لكل مؤمن .
- ٢١٩ الآية قد تنزل في مخصوص ولفظها عام ،
فيراد منها العموم .
- ٢٢٢ الصواب في معنى الصبر والمصابرة والمراعاة .
- ٢٢٣ (تفسير سورة النساء) .
- ٢٢٤ المراد بالنفس : آدم ، والشاهد على أنه تطلق
النفس الواحدة على الذكر .
- ٢٢٦ الشاهد على جواز عطف الظاهر على الضمير
من غير فاصل ، ومعنى الأرحام وقطعها .
- ٢٣٠ الحُبب معناه الإثم ، والشاهد عليه .
- ٢٣١ تأويل قوله « وإن خفتم ألا تقسطوا » ... الآية
والخلاف فيها ، والصواب منه .
- ٢٣٧ الشواهد على أن مثني وما معه غير مصروفة
للعدل والتعريف .
- ٢٣٨ قوله « فانكحوا » وإن كان أمراً فإنه للدلالة
على النهي عن نكاح ما خاف الجور فيه .
- ٢٣٩ قوله « أن لاتعولوا » من العول ، بمعنى :
الجور ، لا من العيلة بمعنى الافتقار ، والشواهد
على الفرق بينهما .
- ٢٤٣ الشواهد على نقل الفعل عن النفوس إلى
أصحابها ، ونسب النفوس تمييزاً .
- ٢٤٧ الصواب في معنى السفية ، وأنه يشمل كل
مستحق للحجر .
- ٢٥٢ معنى الرشد الذي إذا تم للشخص أعطى له
ماله .
- ٢٥٤ معنى الفقر والغنى في ولاية أموال اليتامى .
- ٢٦٣ تأويل قوله « وإذا حضر القسمة » ، وأنه
محكم أو منسوخ .
- ٢٦٩ تأويل قوله « وليخش الذين » . . . الآية ،
وأن المخاطب به من حضر الموصى حين وصيته
- ٢٧٣ ما ورد من الوعيد لا كل مال اليتيم ، والشواهد
على الإصلاء .
- ٢٧٥ ما كان عليه أهل الجاهلية من توريث الكبار
دون الصغار والنساء .
- ٢٧٧ ما للأبوين من الميراث عند الإخوة ، أو الأخ
الواحد .
- ٢٧٨ المراد من الإخوة : أخوان فأكثر ، والشاهد
على جواز ذلك .
- ٢٨٠ الذين يؤخذ من التركة قبل الوصية .
- ٢٨٣ تأويل قوله « وإن كان رجل » . . . الآية ،
ومعنى الكلالة والخلاف فيه .
- ٢٨٩ تأويل قوله « تلك حدود الله » ، ومعنى
الحدود ، والصواب من الخلاف فيه .
- ٢٩١ من عصى الله ورسوله في قسمة الموارث
يخلد في النار إذا جمع إلى ذلك شكاً أو محادة .
- ٢٩١ ما كان على الزانيات من العقوبة قبل أن تفرض
الحدود .

الصفحة	الصفحة
٣١٣ ما يحرم على الرجل من المضاربة لامرأته ، لتفتدى منه ، ومعنى الإفضاء ، والشاهد عليه	٢٩٨ تأويل قوله « إنما التوبة » الآية . ومن يتقبل الله توبتهم من أهل الذنوب .
٣١٥ الميثاق الغليظ الذي يؤخذ على الزوج عند نكاحه .	٣٠٠ تأويل قوله « ثم يتوبون من قريب » ومعنى القريب في هذا الموضع ، والخلاف فيه .
٣١٧ ما كان يفعله أهل الجاهلية من إخلاف الرجل على امرأة أبيه ، وورود النهي عن ذلك .	٣٠٣ الحالة التي لا تقبل فيها التوبة
٣١٨ معنى الاستثناء في قوله « إلا ما قد سلف » ، والخلاف فيه .	٣٠٥ ما كان عليه الجاهلية من إرث الرجل امرأة قريبه ، وإبطال الشرع لذلك .
٣٢٠ ما يحرم بالنسب ، وما يحرم بالصهر .	٣١٠ الفاحشة التي إذا أتها المرأة جاز لزوجها الإضرار بها حتى تختلع منه .
	٣١٢ ما يلزم الرجل من حسن الصحبة مع امرأته .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٢٧٩	المُشَعَّفِ	٨٤	البَصَرُ	٢١٥	مُجِيبُ
١٩٠	خلافِ	١١٤	سائرُ	٢٤٤	فَصْلَيْبُ
٤٩	فَرُوقُ	٢٣٧	الدَّابِرُ	١٢٩	شَبَّوْا
٩٢	بالعَنَاقِ	٣١٤	ظَاهِرِ	١٢٩	الْحَبُّ
		٩١	قِفَارِ	٢٤٤	النُّقْبِ
		١٣٤	سُمَرَا	٢٦	نَابَا
٧٢	وَالْعَمَلُ	٦٦	الْعَشْرَا	٢٣٠	وَنَابَا
٢٣٩	يَعِيلُ	٢٣٨	عُشَارَا	٥٢	طَلَّابَا
٥٤	يَنْتَعِلُ	٤٢	وَالْفَقِيرَا		
٥٢	مُتَضَائِلُ				
٢٢٤	الْكَمَالُ	٢٣٧	خَامِسُ	٢١٣	الثَّبَّتِ
٢٣٧	حَلَالِ				
٣٧	الْهَلَالِ				
٢٧٤	صَالِي	٣٧	عَرَضِي	٢٢٨	نَوَاهِدُ
١٦٢	السُّيُولِ			١٤٨	فِي غَدِ
١٧٩	الْأَبَائِلِ	٢٤٤	ذِرَاعَا	١٨١	مُحَمَّدُ
٢٤٠ ، ٢٣٩	عَائِلِ			١٨١	كَالْعَنْجَدِ
٢٣٧	صَوَاهِلُهُ	٢٥٥	سَرَفُ	١٨١	الْأَتْلَدِ
٣٦	بَقْلُهُ	٢٧٣	مُسْكَنْفُ	١٨١	مَوْعِدِي
٣٠	حِبَالُهَا	٣٦	أَنْفُوَا	٤٩	لِصِيدِ
		٣٦	عَلْفُوَا	٢٢	مَوْعِدَا
٢٦	عُصْمُ	٢٢٦	نَقَانِفُ	١٢١	يَقُودُهَا

الجزء الرابع

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ي	٦١	تُغْنِيَنِي	٢٧	الحِلْمُ
		١٥٠	إِيَّانَا	١٠٠	وإِمَامُهَا
١٠٠	التَّاسِيَا	٢٤٤	شَجِينَا	ن	
٢٧	حِبَالِيَا	هـ		١٨٦	الْمَلَوَانِ
٦٨	رَاضِيَا	١٤٧	بِالْمُسْتَفَى	١٦٩	وَدِينِي
				١٩٨	يَمَانِي

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
١٢٨	أن رسول الله ﷺ ، بعث ناساً من الناس ...	٢٤٥	اتقوا الله في الضعيفين : ...
٧٠	أن رسول الله ﷺ راح حين صلى الجمعة ...	٣١١	اتقوا الله في النساء ...
٩٢	أن رسول الله ﷺ سئل ف قيل له : هذه الجنة ...	٢٢٧	اتقوا الله وصلوا الأرحام ...
٧١	أن رسول الله ﷺ لما سمع بنزول المشركين ...	١٢٥	اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا ...
٥	أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ ...	٥٥	احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات ليلة ...
٢٥٩	أن عم ثابت بن رفاعه ، وثابت يومئذ ...	١٦٦	اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء ...
٢٩٣	أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي ...	٢١٨	أخرجوا فصلوا على أخ لكم ...
١٧٧	إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً ...	٣٢٢	إذا نكح الرجل المرأة ...
٣٠١	إن إبليس لما رأى آدم أجوف ، قال ...	١٦٦	أسر المسلمون من المشركين سبعين ...
٢١٨	إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا ...	٨٧	أصيب النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته ...
٢١٦	إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين ...	١٦٠	أفلا جلست في بيت أبيك وأمك ...
١٦٤	إننا في جنة حصينة - يعني بذلك ...	١٥٩	أفلا يجلس أحدكم في بيته ...
٣٢	إن بني إسرائيل افترقت على إحدى ...	١٧٢	ألا أبشرك يا جابر؟ ...
١٢٧	إنكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم ...	٢٢٢	ألا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا؟ ...
٣٠٢	إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ...	٢٢٢	ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب ...
١٦٥	إنه ليس لني إذا لبس لأمته أن يضعها ...	٢٢٢	ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ...
١٥	إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة .	٤٥	ألا إنكم وفيتم سبعين أمة ...
٧١	إني قد رأيت بقرأ فأولتها خيراً ...	١٥٨	ألا عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة ...
١٦٠	إياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ...	٨٨	اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن ...
٣١١	أيها الناس إن النساء عندكم عوان ...	١٠٣	اللهم لا قوة لنا إلا بك ، وليس يعبدك ...
١٥٩	أيها الناس ، ما بالي أبعث قوماً إلى الصدقة ...	١٠٣	اللهم لا يعلون علينا .
٣٠٠	باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس ...	٤٥	أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها ...
٢٠٠	بعث النبي ﷺ أبا بكر رضوان الله عليه ...	٧٥	أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت ...
٨٢	تسوموا فإن الملائكة قد تسومت .	٥	أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ...
٢٩٤	خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكران ...	١٣٦	انطلق رسول الله ﷺ يومئذ يدعو الناس ...
٢٩٣	خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ، الثيب ...	٢٥٩	أن تأكل بالمعروف من غير أن تقي ...
٢٩٣	خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ...	١٦٦	ان شئتم قتلتموه ، وإن شئتم ...
٢٩٣	خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ...	١٦٠	أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة ...

الصفحة

مطلع الحديث

٢٠٠	لا تفتاتن عليّ بشيء حتى ترجع .
١٩١	لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل ...
٨٨، ٨٧	لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم .
٧١	لا ينبغي لني أن يلبس لأمته فيضعها ...
١٧٠	لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله ...
١٢٥	لما برز رسول الله ﷺ إلى المشركين بأحد ...
١١١	لما برز رسول الله ﷺ يوم أحد إليهم ...
٣٤	لما قدم أبو الجيش أنس بن زافع مكة ...
١٠٥	لما كان قتال أحد، وأصاب المسلمين ...
٢٠	لما نزلت آية الحج جمع رسول الله ﷺ أهل ...
١٣٦	ليس لهم أن يعلونا ...
٩٨	ما أصر من استغفروا إن عاد في اليوم ...
١٩٢	ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله ...
٩٦	ما من رجل يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ...
٩٦	ما من عبد يذنب ذنباً ثم يقوم عند ذكر ...
٧٠	ما ينبغي للنبي ﷺ إذا لبس لأمته ...
٥٤	مثل القائم على حدود الله ...
٢٨٦	مرض سعد بمكة مرضاً شديداً قال ...
١٦٠	من أخذ بغيراً بغير حقه جاء به يوم ...
٢٠	من تركه ولا يخاف عقوبته ومن حج ...
٣١٢	من حاكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً ...
٩٤	من كظم غيظاً وهو يقدر ...
١٧، ١٦	من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت ...
١٧	من ملك زاداً وراحلة فلم يحج مات ...
١٣٨	مهلاً فانما أصابكم الذي أصابكم ...
٢٠٠	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ...
٤٥	نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة ...
٢٧٣	نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر ...
٣٤	هل لكم إلى خير مما جئتم له، قالوا ...
٢٠	يا أيها الناس إن الله عز وجل كتب ...

الصفحة

مطلع الحديث

٥٥	خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر ...
٨٨	ذكر لنا أنه لما جرح جعل سالم ...
١٩٤	ذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: ...
٩٢	سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار ...
١٧١	الشهداء على بارق: نهرباب الجنة ...
١٧١	الشهداء على بارق: نهرباب الجنة ...
٨٩	صلى رسول الله ﷺ الفجر، فلما رفع رأسه ...
٢١٩	صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم ...
٢٦٠	فما كنت ضارباً منه ولدك ...
٢٦٠	قال رجل للنبي ﷺ: إن في حجري يتيماً ...
١٦	قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ...
٢٩٣	قد جعل الله لمن سبيلاً، الشيب بالثيب ...
٩٢	قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل ...
٣٤	قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف ...
٨	قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ ...
٧٨	كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب ...
٨٩	كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة ...
٣١	كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء ...
٢٩٤	كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ احمر وجهه ...
١٢٨	كونوا ههنا فردوا وجه من قدمنا ...
٧٨	كيف أسرت العباس أبا اليسر؟ ...
٨٧	كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم ...
٨٧	كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم ...
٨٧	كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم ...
٨٦	كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم ...
٨٨، ٨٧	كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ...
١٥٩	لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل ...
١٥٩	لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة ...
١٢٥	لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا ...
١٢٥، ١١١	لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ...
٦٢	لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ
قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٠﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : أنه لم يكن حرم على بني إسرائيل ، وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن شيئا من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة ، بل كان ذلك كله لهم حلالا ، إلا ما كان يعقوب حرمه على نفسه ، فإن ولده حرموه استنانا بأبيهم يعقوب ، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ، ولا تنزيل ، ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التوراة .

ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم ، هل نزل في التوراة ، أم لا ؟ فقال بعضهم : لما أنزل الله عز وجل التوراة ، حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل نزولها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قوله ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ ، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٠﴾ قالت اليهود : إنما نحرم ما حرم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرم إسرائيل العروق ، كان يأخذه عرق النسا ، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقا أبدا ، فحرمه الله عليهم ، ثم قال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : ما حرم هذا عليكم غيري ببيغيتكم ، فذلك قوله ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ .

فتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل ، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن الله حرم عليهم من ذلك ، ما كان إسرائيل حرمه على نفسه في التوراة ، ببيغيتهم على أنفسهم ، وظلمهم لها : قل يا محمد : فأتوا أيها اليهود إن أنكرتم ذلك بالتوراة ، فاتلوها إن كنتم

صادقين ، إن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة ، وأنكم إنما حرّمونه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه .
وقال آخرون : ما كان شيء من ذلك عليهم حراما ، ولا حرّمه الله عليهم في التوراة ، وإنما هو شيء حرّمه على أنفسهم اتباعا لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله ، فكذبهم الله عز وجل في إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : إن كنتم صادقين ، فأتوا بالتوراة فاتلوها ، حتى ننظر هل ذلك فيها ، أم لا ؟ ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم .
ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ إسرائيل : هو يعقوب أخذ عرق النساء ، فكان لا يثبت الليل من وجعه ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا ، وذلك قبل نزول التوراة على موسى ، فسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهود ما هذا الذي حرّم إسرائيل على نفسه ، فقالوا : نزلت التوراة بتحريم الذي حرّم إسرائيل ، فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . . . إلى قوله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وكذبوا وافتروا لم تنزل التوراة بذلك . وتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها ، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، بمعنى : لكن إسرائيل حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك ، وكأن الضحّاك وجه قوله ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ إلى الاستثناء الذي تسميه النحويون : الاستثناء المنقطع .

وقال آخرون : تأويل ذلك : كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل ، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن ذلك حرام على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده ، من غير أن يكون الله حرّمه على إسرائيل ، ولا على ولده .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فإنه حرّم على نفسه العروق ، وذلك أنه كان يشتكي عرق النساء ، فكان لا ينام الليل ، فقال : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد : وليس مكتوبا في التوراة ؛ وسأل محمد صلى الله عليه وسلم نفرا من أهل الكتاب ، فقال : ما شأن هذا حراما ؟ فقالوا هو حرام علينا من قبل الكتاب ، فقال الله عز وجل : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ . . . إلى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : أخذته : يعني إسرائيل ، عرق النساء ، فكان لا يثبت بالليل من شدة الوجع ، وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا ، وذلك قبل أن تنزل التوراة ، فقال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : نزلت

(١) لا يسكن ولا ينام .

التوراة بتحريم الذي حرّم إسرائيل على نفسه ، قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ ذَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وكذبوا ، ليس في التوراة .

❦ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة ، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم ، من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ، ولا بوحى قبل التوراة ، حتى نزلت التوراة ، فحرّم الله عليهم فيها ما شاء ، وأحلّ لهم فيها ما أحب . وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل ، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ ﴾ وإسرائيل : هو يعقوب ﴿ قُلْ ذَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يقول : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة . إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ، فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم فيها ما شاء . وأحلّ لهم ما شاء .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .
واختلف أهل التأويل في الذي كان إسرائيل حرّمه على نفسه ، فقال بعضهم : كان الذي حرّمه إسرائيل على نفسه العروق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن يوسف بن ماهك ، قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس ، فقال : إنه جعل امرأته عليه حراماً ، قال : ليست عليك بحرام ، قال : فقال الأعرابي : ولم والله يقول في كتابه ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ؟ قال : فضحك ابن عباس وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حرّم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل على القوم يحدثهم ، فقال : إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنته ، فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عرقاً ، قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، قال : سمعت يوسف ابن ماهك يحدث أن أعرابياً أتى ابن عباس ، فذكر رجلاً حرّم امرأته ، فقال : إنها ليست بحرام ، فقال الأعرابي : أرأيت قول الله عز وجل ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ فقال : إن إسرائيل كان به عرق النساء ، فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العروق من اللحم ، ولأنها ليست عليك بحرام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله ﴿ كُلُّ

الطَّعَامِ كَانَ حِيلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿١﴾ قَالَ : إِنَّ يَعْقُوبَ أَخَذَهُ وَجَعَ عِرْقِ النَّسَا ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَوْ أَقْسَمَ ، أَوْ قَالَ : لَا يَأْكُلُهُ مِنَ الدَّوَابِّ ، قَالَ : وَالْعُرُوقُ كُلُّهَا تَبِعَ لَذَلِكَ الْعِرْقُ حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ، أَنَّ الْأَنْسَاءَ أَخَذَتْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَأَسْهَرَتْهُ ، فَتَأَلَّى ١ إِنَّ اللَّهَ شَفَاهُ ، لَا يَطْعَمُ نَسَا أَبَدًا ، فَتَتَبَعَتْ بَنُوهُ الْعُرُوقَ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْرِجُونَهَا مِنَ اللَّحْمِ .

حُدِّثَتْ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ بَنَحُوهُ ، وَزَادَ فِيهِ : قَالَ : فَتَأَلَّى لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ لَا يَأْكُلُ عِرْقًا أَبَدًا ، فَجَعَلَ بَنُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَتَبِعُونَ الْعُرُوقَ ، فَيَخْرِجُونَهَا مِنَ اللَّحْمِ ، وَكَانَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ الْعُرُوقُ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ قَالَ : اشْتَكَى إِسْرَائِيلُ عِرْقَ النَّسَا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ شَفَانِي لِأَحْرَمَنِ الْعُرُوقَ ، فَحَرَّمَهَا .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ أَخَذَهُ عِرْقَ النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ وَلَهُ زَقَاءٌ ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ شَفَاهُ أَنْ لَا يَأْكُلَ الْعُرُوقَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِيلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ قَالَ سَفْيَانُ : لَهُ زَقَاءٌ : يَعْنِي صِيَاحٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى . عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا ، فَحَرَّمَ الْعُرُوقَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، مِثْلُهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِيلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ يَأْخُذُهُ عِرْقَ النَّسَا ، فَكَانَ يَبِيتُ وَلَهُ زَقَاءٌ ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ عِرْقًا . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الَّذِي كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ : لَحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى ، فَقَالُوا : إِنَّهُ عِرْقَ النَّسَا ، فَقَالَ : رَبِّ إِنْ أَحْبَبَ الطَّعَامُ إِلَى لَحُومِ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ ، فَإِنْ شَفَيْتَنِي فَإِنِّي أَحَرَّمُهَا عَلَى . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ : لَحُومُ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ . حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : ثَنَا عَبَادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِيلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ قَالَ : كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحُومَ الْإِبِلِ ، وَكَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ تَحْرِيمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ لَحُومَ الْإِبِلِ ، وَإِنَّمَا كَانَ حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ لَحُومَ الْإِبِلِ

(١) قَالَ : حَلَفَ .

قبل أن تنزل التوراة ، فقال الله ﴿ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فقال : لا تجدون في التوراة تحريم إسرائيل على نفسه إلا لحوم الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان قال : ثنا حبيب بن أبي ثابت ، قال : ثنا سعيد ، عن ابن عباس أن إسرائيل أخذ عرق النسا ، فكان يبيت بالليل له زقاء ، يعنى صياح ، قال : فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله ، يعنى لحوم الإبل ، قال : فحرّمه اليهود ، وتلا هذه الآية : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ ، قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى أن هذا قبل التوراة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ قال : حرّم العروق ولحوم الإبل ، قال : كان به عرق النسا ، فأكل من لحومها فبات بلبلة يزقو ، فحلف أن لا يأكله أبدا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد في قوله ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ قال : حرّم لحوم الأنعام .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول ابن عباس الذى رواه الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد ، عنه ، أن ذلك العروق ولحوم الإبل ، لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلها .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر ، وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم : أخبرنا أى الطعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنَشُدُّكُمْ بِالنَّذَى أَنزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ (يَعْقُوبَ) مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا ، فَطَالَ سَقَمُهُ مِنْهُ ، فَتَنَذَّرَ اللَّهُ نَذْرًا لِّئِنْ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لَحْمَانُ الْإِبِلِ ، وَأَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا ، فقالوا : اللهم نعم .

وأما قوله ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فإن معناه : قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الإبل وألبانها ، اتلوا بالتوراة فاتلوها ، يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فاتلوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم ، وقيلهم الباطل على الله من أمرهم ، أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة إن كنتم صادقين ، يقول : إن كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة ، فأتونا بها ، فاتلوا تحريم ذلك علينا منها ، وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ، لأنهم لا يجيئون بذلك أبدا على صحته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعل إعلامه إياه ذلك حجة له عليهم

(١) لفظ إلا زائد من النسخ كما يدرك من السابق واللاحق .

لأن ذلك إذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم ، فحمد صلى الله عليه وسلم وهو أئى من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده ، كان أحرى أن لا يعلمه ، فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم من أعظم الحججة عليهم بأنه نبي الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، لأن ذلك من أخبار أوائلهم ، كان من خفى علومهم ، الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلا من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول ، أو من أطلع الله على علمه ممن شاء من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمِنْ أَفْرَكٍ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾ يعنى جل ثناؤه بذلك : فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة ، وتلاوتكم إياها ، وعدمكم ما اذعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الإبل وألبانها فيها ، فأولئك هم الظالمون ، يعنى : فمن فعل ذلك منهم فأولئك ، يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك ، هم الظالمون : يعنى فهم الكافرون القائلون على الله الباطل .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن زكريا ، عن الشعبي ﴿١٤﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قال : نزلت في اليهود .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾

﴿١٥﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد : صدق الله فيما أخبرنا به من قوله ﴿١٤﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿١٤﴾ وإن الله لم يحرم على إسرائيل ، ولا على ولده العروق ، ولا لحوم الإبل وألبانها ، وأن ذلك إنما كان شيئا حرّمه إسرائيل على نفسه وولده ، بغير تحريم الله إياه عليهم في التوراة ، وفي كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة في إضاقتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم في التوراة ، المفترية على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحق ، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، يقول : فإن كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورسله ، فاتبعوا ملة إبراهيم خليل الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله من خلقه دينا ، وابتعث به أنبياءه ، وذلك الحنيفية ، يعنى الاستقامة على الإسلام وشرائعه ، دون اليهودية والنصرانية والمشركة ، وقوله ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يقول : لم يكن يشرك في عبادته أحدا من خلقه ، فكذلك أنتم أيضا أيها اليهود ، فلا تتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله ، تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربه ، وأنتم يا معشر عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أربابا ، ولا تعبدوا شيئا من دون الله ، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العبادة لربه وحده ، من غير إشراك أحد معه فيه ، فكذلك أنتم أيضا ، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحدا ، فإن جميعكم مقرّون بأن إبراهيم كان على حق وهدى مستقيما : فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه

من ملته الحنيفية ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الأحزاب ، فإنها بدع ابتدتموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق ، فإن الذي أجمعتم عليه أنه ضوَابٌ وحق من ملة إبراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي ، وسائر ذلك هو الباطل الذي لأقبله من أحد من خلقى جاءني به يوم القيامة ، وإنما قال جل ثناؤه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعنى به : وما كان من عددهم وأوليائهم ، وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم ، ونصرة بعضهم بعضا ، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم ، أو نصرائهم وأهل ولايتهم . وإنما عني جل ثناؤه بالمشركين : اليهود والنصارى ، وسائر الأديان غير الحنيفية ، قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة ، ولكنه كان حنيفا مسلما .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : إن أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين ، الذي ببكة ؛ قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عريرة ، قال : قام رجل إلى علي ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد ابن عريرة قال : سمعت عليا ، وقيل له ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هو أول بيت كان في الأرض ؟ قال : لا ، قال : فأين كان قوم نوح ، وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن وأنا أسمع ، عن قوله ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال : هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض . حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملی ، قال : ثنا ضمرة ، عن ابن شاذب ، عن مطر في قوله ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال : قد كانت قبله بيوت ، ولكنه أول بيت وضع للعبادة .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفی ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن ، قوله ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ يعبد الله فيه ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال : وضع للعبادة .

وقال آخرون : بل هو أول بيت وضع للناس . ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أول ، فقال بعضهم : خلّق قبل جميع الأرضين ، ثم دُحِيَتْ الأرضون من تحته .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة ، وكان إذ كان عرشه على الماء ، زبدة بيضاء ، فدُحِيَتْ الأرض من تحته .
حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : سمعت مجاهدا يقول : إن أول ما خلق الله الكعبة ، ثم دحى الأرض من تحته .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ كقوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .
حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين ، أما أول بيت ، فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زبدة على الأرض ، فلما خالق الله الأرض ، خلق البيت معها ، فهو أول بيت وضع في الأرض .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ للذي ببكة مباركاً ، قال : أول بيت وضعه الله عز وجل ، فطاف به آدم ومن بعده .

وقال آخرون موضع الكعبة ، موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال : أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، فطاف حوله آدم ، ومن كان بعده من المؤمنين ، حتى إذا كان زمن الطوفان زمن أغرق الله قوم نوح رفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الأرض ، فصار معموراً في السماء ، ثم إن إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك ، فبناه على أساس قديم كان قبله .
والصواب من القول في ذلك ، ما قال جل ثناؤه فيه : إن أول بيت مبارك ، وهدي وضع للناس ، للذي ببكة ، ومعنى ذلك : إن أول بيت وضع للناس : أي لعبادة الله فيه مباركاً وهدي ، يعني : بذلك ومآباً لنسك الناس ، وطواف الطائفين ، تعظيماً لله ، وإجلالاً له للذي ببكة ، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : قلت يا رسول الله ، أي مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قال : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قال : كم بينهما ؟ قال :
١

أَرْبَعُونَ سَنَةً». فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا . فأما في وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ، ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع ، وبعضه في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن ، وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ﴿لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مُبَارَكًا﴾ فإنه يعني : للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم ، وأصل البك : الزحم ، يقال منه : بك فلان فلانا : إذا زحمه وصدمه ، فهو يبك بكا ، وهم يتباكئون فيه : يعني به : يتزاحمون ويتصادمون فيه ، فكان بكة : فعلة من بك فلان فلانا : زحمه ، سميت البكة بفعل المزدحمين بها ، فإذا كانت بكة ما وصفنا ، وكان موضع ازدحام الناس حول البيت ، وكان لأطواف يجوز خارج المسجد ، كان معلوما بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد ، وأن ما كان خارج المسجد فككة لبكة ، لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التباك فيه ، وإذا كان ذلك كذلك كان بيننا بذلك فساد قول من قال بكة : اسم لبطن مكة ، ومكة : اسم للحرم .

ذكر من قال في ذلك ما قلنا : من أن بكة موضع مزدحم الناس للطواف :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك الغفاري في قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ﴾ قال : بكة : موضع البيت ، ومكة : ما سوى ذلك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن أبي جعفر ، قال : مرت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي ، وهي تطوف بالبيت ، فدفعها ، قال أبو جعفر : إنها بكة يبك بعضها بعضا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا سلمة ، عن مجاهد ، قال : إنما سميت بكة ، لأن الناس يتباكئون فيها ، الرجال والنساء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن حماد ، عن سعيد ، قال : قلت لأي شيء سميت بكة ؟ قال : لأنهم يتباكئون فيها ، قال : يعني يتزاحمون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن الأسود بن قيس ، عن أخيه ، عن ابن الزبير ، قال : إنما سميت بكة لأنهم يأتونها حجاجا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مُبَارَكًا﴾ فإن الله بك به الناس جميعا ، فيصلى النساء قدام الرجال ، ولا يصلح ببلد غيره .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : بكة : بك الناس بعضهم بعضا ، الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدي بعض ، لا يصلح ذلك إلا بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى ، قال : بكة : موضع البيت ومكة : ما حولها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أزهر ، عن غالب بن عبيد الله أنه سأل ابن شهاب عن بكة : قال : بكة : البيت والمسجد ، وسأله عن مكة : فقال ابن شهاب : مكة : الحرم كله .

حدثنا الحسين . قال : ثنا هشيم . قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ومجاهد . قالوا : بكة : بك فيها الرجال والنساء .

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي . قال : قال ضمرة بن ربيعة : بكة : المسجد . ومكة : البيوت . وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب . قال : أخبرنا يزيد . قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ قال : هي مكة . وقيل ﴿ مُبَارَكَا ﴾ لأن الطواف به مغفرة للذنوب ، فأما نصب قوله ﴿ مُبَارَكَا ﴾ فإنه على الخروج من قوله ﴿ وُضِعَ ﴾ . لأن في وضع ذكرنا من البيت هو به مشغول وهو معرفة ، ومبارك نكرة لا يصلح أن يتبعه في الإعراب . وأما على قول من قال : هو أول بيت وضع للناس على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله . فإنه نصب على الحال من قوله ﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ ، لأن معنى الكلام على قولهم : إن أول بيت وضع للناس . البيت ببكة مبارك فالبيت عندهم من صفته الذي ببكة . والذي بصلته معرفة . والمبارك نكرة . فنصب على القطع منه في قول بعضهم : وعلى الحال في قول بعضهم : وهذا في موضع نصب على العطف على قوله مبارك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَّكَرَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه قراء الأمصار ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع آية ، بمعنى : فيه علامات بينات ، وقرأ ذلك ابن عباس ﴿ فِيهِ آية بينة ﴾ يعني بها : مقام إبراهيم ، يراد بها علامة واحدة . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ وما تلك الآيات ، فقال بعضهم : مقام إبراهيم والمشعر الحرام ، ونحو ذلك :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عني ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ : مقام إبراهيم ، والمشعر . حدثنا إسحاق بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ومجاهد ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَّكَرَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ قالوا : مقام إبراهيم من الآيات البينات . وقال آخرون : الآيات البينات ﴿ مقام إبراهيم ﴾ ، ومن دخله كان آمناً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ قال : مقام إبراهيم ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

وقال آخرون : الآيات البينات : هو مقام إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ مقام إبراهيم ﴿ أَمَا الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ : مقام إبراهيم .

وأما الذين قرءوا ذلك ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾ على التوحيد ، فإنهم عنوا بالآية البينة : مقام إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ قال : قدماء في المقام آية بينة ، يقول ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ قال : هذا شيء آخر . حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾ مقام إبراهيم ﴿ قال : أثر قدميه في المقام آية بينة .

﴿ وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال : الآيات البينات منهن مقام إبراهيم ، وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما ، فيكون الكلام مراداً فيهن منهن ، فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها .

﴿ فإن قال قائل : فهذا المقام من الآيات البينات ، فما سائر الآيات التي من أجلها قيل ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ ؟ قيل : منهن : المقام ، ومنهن الحجر ، ومنهن الحطيم . وأصح القراءتين في ذلك ، قراءة من قرأ ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على الجماع ، لإجماع قراء أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها . وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل ﴿ مقام إبراهيم ﴾ فقد ذكرناه في سورة البقرة ، وبيننا أولى الأقوال بالصواب فيه هنالك ، وأنه عندنا : المقام المعروف به .

فتأويل الآية إذاً : إن أول بيت وضع للناس مباركاً ، وهدى للعالمين ، للذي ببكة ، فيه علامات بينات من قدرة الله ، وآثار خليله إبراهيم منهن أثر قدم خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الحجر الذي قام عليه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله الخير عن أن كل من جرّ في الجاهلية جريرة ثم عاد بالبيت لم يكن بها مأخوذاً .

(١) كذا في الأصول ، وكان الأولى إثبات قراءة مجاهد « آية بينة » بالإنفراد ، وربما كان تركها سهواً من الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۖ وَهَذَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَانَ الرَّجُلُ لَوْ جَرَّ كُلَّ جَرِيرَةٍ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ لَجَأَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ لَمْ يُتَنَاوَلْ ، وَلَمْ يُطْلَبْ ، فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، مَنْ سَرَقَ فِيهِ قِطْعٌ ، وَمَنْ زَنَى فِيهِ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، وَمَنْ قَتَلَ فِيهِ قَتْلًا . وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَقُولُ : إِنْ الْحَرَمَ لَا يَمْنَعُ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، لَوْ أَصَابَ حَدًّا فِي غَيْرِ الْحَرَمِ فَلَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ لَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، وَرَأَى قَتَادَةُ مَا قَالَهُ الْحَسَنُ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۖ ۖ قَالَ : كَانَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنْ سَرَقَ فِيهِ أَحَدٌ قِطْعًا ، وَإِنْ قَتَلَ فِيهِ قَتْلًا ، وَلَوْ قَدَرَ فِيهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، قال : ثنا خصيف (١) ، عن مجاهد في الرجل يقتل ، ثم يدخل الحرم ، قال : يؤخذ فيخرج من الحرم ، ثم يقام عليه الحدُّ ، يقول : القتل . حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، مثل قول مجاهد .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا هشام ، عن الحسن وعطاء في الرجل يصيب الحدَّ ، ويلجأ إلى الحرم ، يخرج من الحرم فيقام عليه الحدُّ .

فتأويل الآية على قول هؤلاء : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، والذي دخله من الناس كان آمناً بها في الجاهلية . وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يدخله يكن آمناً بها ، بمعنى الجزاء ، كمنحو قول القائل : من قام لي أكرمته : بمعنى من يقيم لي أكرمه ، وقالوا : هذا أمر كان في الجاهلية ، كان الحرم مفرع كل خائف ، وملجأ كل جان ، لأنه لم يكن يهاج به ذو جريرة ، ولا يعرض الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء ، قالوا : وكذلك هو في الإسلام ، لأن الإسلام زاده تعظيماً وتكريماً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد قال : ثنا خصيف (١) ، قال : ثنا مجاهد ، قال : قال ابن عباس : إذا أصاب الرجل الحدَّ قتل أو سرق ، فدخل الحرم لم يبايع ، ولم يؤو حتى يتبرأ ، فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحدُّ ، قال : فقلت لابن عباس : ولكني لأرى ذلك ، أرى أن يؤخذ برمته ، ثم يخرج من الحرم ، فيقام عليه الحدُّ ، فإن الحرم لا يزيده إلا شدة .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، قال : أخذ ابن الزبير سعداً مولى معاوية ، وكان في قلعة بالطائف ، فأرسل إلى ابن عباس من يشاوره فيهم ، لأنهم لنا عين ، فأرسل إليه ابن عباس : لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له ، قال : فأرسل إليه ابن الزبير : ألا نخرجهم من الحرم ؟ قال : فأرسل إليه ابن عباس : أفلا قبل أن تدخلهم الحرم ؟ زاد أبو السائب في حديثه : فأخرجهم فصالهم ، ولم يصنع إلى قول ابن عباس .

(١) خصيف بن عبد الرحمن الجزري الحضرمي مولاهم : ضبطه في القاموس بفتح الحاء ، وفي الخلاصة للخزرجي بكسرهما .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : من أحدث حدثا في غير الحرم ، ثم لجأ إلى الحرم لم يعرض له ، ولم يبايع ، ولم يكلم ، ولم يؤوحتى يخرج من الحرم فإذا خرج من الحرم أخذ ، فأقيم عليه الحد ، قال : ومن أحدث في الحرم حدثا أقيم عليه الحد . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمي ، عن ابن أبي حبيبة ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : من أحدث حدثا ، ثم استجار بالبيت فهو آمن ، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء إلى أن يخرج ، فإذا خرج أقاموا عليه الحد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، قال : لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هجته .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن عطاء أن الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحد في الحرم ، فقال له عبيد بن عمير : لا تقيم عليه الحد في الحرم ، إلا أن يكون أصابه فيه . حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مطرف ، عن عامر ، قال : إذا أصاب الحد ، ثم هرب إلى الحرم ، فقد آمن ، فإذا أصابه في الحرم أقيم عليه الحد في الحرم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي ، قال : من أصاب حدا في الحرم أقيم عليه في الحرم ، ومن أصابه خارجا من الحرم ثم دخل الحرم ، لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم ، فيقام عليه .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، وعن عبد الملك ، عن عطاء بن أبي رباح في الرجل يقتل ، ثم يدخل الحرم ، قالا : لا يبيعه أهل مكة ، ولا يشترون منه ، ولا يسقونه ولا يطعمونه ، ولا يؤوونه عدة أشياء كثيرة حتى يخرج من الحرم ، فيؤخذ بذنبه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : إن الرجل إذا أصاب حدا ثم دخل الحرم أنه لا يطعم ، ولا يسقى ، ولا يؤوى ، ولا يكلم ، ولا ينكح ، ولا يبايع ، فإذا خرج منه أقيم عليه الحد .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : إذا أحدث الرجل حدثا ، ثم دخل الحرم ، لم يؤو ، ولم يجالس ، ولم يبايع ، ولم يطعم ، ولم يسق ، حتى يخرج من الحرم .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله ﴿وَمَنْ﴾

(١) فراس بن يحيى الهمداني صاحب الشيبى : كوفي مكتب محدث ، توفي سنة تسع وعشرين ومئة : (التاج) .

دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿١٠﴾ : فلو أن رجلا قتل رجلا ، ثم أتى الكعبة فعاذ بها ، ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يكن آمنا من النار . ذكر من قال ذلك .

حدثنا علي بن مسلم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومي ، قال : ثنا زياد ابن أبي عياض ، عن يحيى بن جعدة ، في قوله ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ قال : آمنا من النار .
﴿ وَأُولَ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ ﴾ ، قول ابن الزبير ، ومجاهد والحسن ، ومن قال معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائدا به كان آمنا ما كان فيه ، ولكنه يخرج منه ، فيقام عليه الحد إن كان أصاب ما يستوجب في غيره ثم لجأ إليه ، وإن كان أصابه فيه أقيم عليه فيه . فتأويل الآية إذا : فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن يدخله من الناس مستجيرا به ، يكن آمنا مما استجار منه ما كان فيه ، حتى يخرج منه .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَا مَنَعَكَ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ فِيهِ ؟ قِيلَ : لَاتِفَاقُ جَمِيعِ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَتْ جَرِيرَتُهُ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ عَاذَ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِجَرِيرَتِهِ فِيهِ . وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ إِخْرَاجِهِ مِنْهُ لِأَخْذِهِ بِهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : صِفَةُ ذَلِكَ مَنَعُهُ الْمَعَانِي الَّتِي يَضْطَرُّ مَعَ مَنَعِهِ وَفَقَدَهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ .

وقال آخرون : لا صفة لذلك غير إخراجه منه بما أمكن إخراجه من المعاني التي توصل إلى إقامة حد الله عليه معها ، فلذلك قلنا : غير جائز إقامة الحد عليه فيه إلا بعد إخراجه منه ، فأما من أصاب الحد فيه ، فإنه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد ، فكلنا المسئلتين أصل مجمع على حكمهما على ما وصفنا .
﴿ فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَمَا دَلَالَتُكَ عَلَى أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِدِ بِالْبَيْتِ إِذَا أَتَاهُ مُسْتَجِيرًا بِهِ مِنْ جَرِيرَةِ جَرَّهَا ، أَوْ مِنْ حَدِّ أَصَابِهِ مِنَ الْحَرَمِ جَائِزٌ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ ، وَأَخْذُهُ بِالْجَرِيرَةِ ، وَقَدْ أَقَرَّرْتَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ مَنْ دَخَلَ آمِنًا ، وَمَعْنَى الْآمِنِ غَيْرُ مَعْنَى الْخَائِفِ ، فِيمَا هُمَا فِيهِ مُخْتَلِفَانِ ؟ قِيلَ : قُلْنَا ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ ، عَلَى أَنَّ إِخْرَاجَ الْعَائِدِ بِهِ مِنْ جَرِيرَةِ أَصَابِهَا ، أَوْ فَاحِشَةِ أَتَاهَا وَجِبَتْ عَلَيْهِ بِهَا عَقُوبَةٌ مِنْهُ بِبَعْضِ مَعَانِي الْإِخْرَاجِ لِأَخْذِهِ بِمَا لَزِمَهُ وَاجِبٌ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَعَهُ .

وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه ، فقال بعضهم : السبب الذي يجوز إخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيواءه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائد به فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها .

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج ، فلما كان إجماعا من الجميع ، على أن حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرّها إخراجه منه ، لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه .

ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه كان اللازم لهم وإمامهم إخراجه منه بأي معنى أمكنهم إخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجا منه إذا كان لجا إليه من خارج على ما قد بينا قبل .

وبعد : فإن الله عز وجل لم يضع حدا من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ » ، ولا خلاف بين جميع الأمة أن عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ، ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته ، حتى يخرج منه ما لزمه ، لكان أحق البقاع أن تؤدي فيه فرائض الله التي ألزمها عباده ، من قتل أو غيره ، أعظم البقاع إلى الله كحرم الله ، وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكننا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله ، لإقامة الحد لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك ورائه .

فعنى الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا : ومن دخله كان آمنا ما كان فيه ، فإذا كان ذلك كذلك ، فن لجا إليه من عقوبة لزمته عائذا به ، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه ، فحينئذ هو غير داخله ، ولا هو فيه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام الحج إليه . وقد بينا فيما مضى معنى الحج ، ودللنا على صحة ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم : هي الزاد والراحلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزاد والراحلة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار : الزاد والراحلة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي خباب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزاد والبعر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، والسبيل : أن يصح بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يحفف به .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي عبد الله البجلي ، قال : سألت سعيد بن جبیر ، عن قوله ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : قال ابن عباس : من ملك ثلثمائة درهم ، فهو السبيل إليه .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن إسحاق بن عثمان ، قال : سمعت عطاء يقول : السبيل : الزاد والراحلة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما من استطاع إليه سبيلا ، فإن ابن عباس قال : السبيل : راحلة وزاد .

حدثني المثني وأحمد بن حازم ، قالا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد ابن جبیر ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : الزاد والراحلة .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : أخبرنا الربيع بن ضبيح ، عن الحسن ، قال : الزاد والراحلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحسن ، قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقال رجل : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحو ما قالوا في ذلك ذكر الرواية بذلك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إبراهيم بن يزيد الخوزي ، قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر ، يحدث عن ابن عمر ، قال : « قام رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة » .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم الخوزي ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال في قوله عز وجل ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : السبيل إلى الحج الزاد والراحلة .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا يونس ، وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قالوا : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

حدثنا أبو عثمان المقدمي ، والمثنى بن إبراهيم ، قالا : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا هلال بن عبيد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن الحرث ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبَنَّاغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ فَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ

يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا» ، وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال له قائل ، أو رجل : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : مَنْ وَجَدَ زَادًا وَرَاحِلَةً . حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی ، قال : ثنا شاذ بن فياض البصري ، قال : ثنا هلال بن هشام ، عن أبي إسحاق الحمداني ، عن الحرث ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً فَلَمْ يَحُجَّ مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا» وذلك أن الله يقول في كتابه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . . . الآية .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة وحيد ، عن الحسن ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

وقال آخرون : السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج : الطاقة للوصول إليه .

قال : وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب ، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه ، بامتناع الطريق من العدو الحائل ، وبقلة الماء وما أشبه ذلك ؛ قالوا : فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل ، بأن يكون مستطيعا إليه السبيل ، وذلك الوصول إليه بغير مانع ، ولا حائل بينه وبينه ، وذلك قد يكون بالمشي وحده ، وإن أعوزه المركب ، وقد يكون بالمركب وغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير ، قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : على قدر القوة .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضمحاك في قوله ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : الزاد والراحلة ، فإن كان شابا صحيحا ليس له مال ، فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى حجته ، فقال له قائل : كلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت ، فقال : لو أن لبعضهم ميراثا بمكة أكان تاركه ؟ والله لا نطلق إليه ولو حبوا ، كذلك يجب عليه الحج .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : من وجد شيئا يبلغه ، فقد وجد سبيلا ، كما قال الله عز وجل ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو هاني ، قال : ثنا سهل بن عامر ، عن هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : السبيل : ما يسره الله .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن : من وجد شيئا يبلغه فقد استطاع إليه سبيلا .

وقال آخرون : السبيل إلى ذلك : الصحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمثنى بن إبراهيم ، قالوا : حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ ، قال : ثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة ، قالوا : أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : السبيل : الصحة .

وقال آخرون بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : من وجد قوة في النفقة والجسد والحملان^١ ، قال : وإن كان في جسده ما لا يستطيع الحج فليس عليه الحج ، وإن كان له قوة في مال ، كما إذا كان صحيح الجسد ، ولا يجد مالا ولا قوة ، يقولون : لا يكلف أن يمشي .

﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ﴾ ، قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ، إن ذلك على قدر الطاقة ، لأن السبيل في كلام العرب : الطريق ، فمن كان واجدا طريقا إلى الحج لآمانع له منه من زمانة ، أو عجز ، أو عدو ، أو قلة ماء في طريقه ، أو زاد ، وضعف عن المشي ، فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أدائه ، فإن لم يكن واجدا سبيلا ، أعنى بذلك : فإن لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه ، فهو ممن لا يجد إليه طريقا ، ولا يستطيعه ، لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه ، ومن كان عاجزا عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا ، أو بغير ذلك ، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل .

وإنما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها ، لأن الله عز وجل لم ينخصص إذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطعي السبيل إليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع إليه سبيلا بعموم الآية . فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بأنه الزاد والراحلة ، فإنها أخبار في أسانيدنا نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين .

واختلف القراء في قراءة الحج ، فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ ، وقرأ ذلك جماعة آخر منهم بالفتح ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ وهما لغتان معروفتان للعرب ، فالكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغة أهل العالية^٢ ، ولم نر أحدا من أهل العربية ادعى فرقا بينهما في معنى ولا غيره ، غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين ، إلا ما حدثنا به أبو هشام الرفاعي ، قال : قال حسن الجعفي : الحج مفتوح : اسم ، والحج مكسور : عمل ، وهذا قول لم أر أهل المعرفة بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه ، بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت من أنهما لغتان بمعنى واحد .

والذي نقول به في قراءة ذلك ، أن القراءتين إذ كانتا مستفيضتين في قراءة أهل الإسلام ، ولا اختلاف

(١) في اللسان : حمل الشيء بحمله حملا وحملانا ، بضم الحاء في الأخير ، وسكون الميم .

(٢) أرض بناحية المدينة ، مما يلي نجدا .

بينهما في معنى ولا غيره ، فهما قراءتان قد جاءتا مجيء الحجّة ، فبأى القراءتين أغنى بكسر الحاء من الحجّ أو فتحها قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته .

وأما «مَنْ» التي مع قوله ﴿وَمَنْ اسْتَطَاعَ﴾ فإنه في موضع خفض على الإبدال من الناس ، لأن معنى الكلام : والله على من استطاع من الناس سبيلا إلى حجّ البيت حجه ؛ فلما تقدم ذكر الناس قبل «مَنْ» بين بقوله (مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) ، الذي عليه فرض ذلك منهم ، لأن فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ :

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حجّ بيته ، فأنكره وكفر به ، فإن الله غنيّ عنه ، وعن حجه وعمله ، وعن سائر خلقه من الجنّ والإنس .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن محمد بن أبي المجالد ، قال : سمعت مقسما ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال : من زعم أنه ليس بفرض عليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن عطاء وجوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قالوا : من جحد الحجّ وكفر به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، قال : من جحد به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمران القطان ، يقول : من زعم أن الحجّ ليس عليه . حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : من أنكره ، ولا يرى أن ذلك عليه حقا ، فذلك كفر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال : من كفر بالحجّ .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : من كفر بالحجّ كفر بالله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يعلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ، وَمَنْ كَفَرَ قال : من لم يره عليه واجبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال بالحجّ . وقال آخرون : معنى ذلك : أن لا يكون معتقدا في حجه أن له الأجر عليه ، ولا أن عليه بتركه إثما ، ولا عقوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : ثنا عبد الله بن مسلم ، عن مجاهد ، في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : هو ما إن حج لم يره برآ ، وإن قعد لم يره مأثما .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : هو ما إن حج لم يره برآ ، وإن قعد لم يره مأثما .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مطر ، عن أبي داود نفع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فقام رجل من هذيل ، فقال : يا رسول الله من تركه كفر ؟ قال : مَنْ تَرَكَهُ وَلَا يَخَافُ عِقُوبَتَهُ ، وَمَنْ حَجَّ وَلَا يَرْجُو ثَوَابَهُ ، فَهُوَ ذَاكَ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ يقول : من كفر بالحج ، فلم ير حجه برآ ، ولا تركه مأثما . وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بالله واليوم الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : سأله عن قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ما هذا الكفر ؟ قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال من كفر بالله واليوم الآخر .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال : لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا ، فَأَمَنْتَ بِهِ ملة واحدة ، وهي من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ، وكفرت به خمس ملل ، قالوا : لا تؤمن به ، ولا نصلي إليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ » .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبو هاني ، قال : سئل عامر ، عن قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال : من كفر من الخلق ، فإن الله غني عنه .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال : من كفر بالله واليوم الآخر . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة مولى

ابن عباس في قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ فقالت الملل : نحن مسلمون ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فحجج المؤمنون ، وقعد الكفار .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فقراً ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ فقراً حتى بلغ ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال : من كفر بهذه الآيات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ليس كما يقولون : إذا لم يحجّ وكان غنيا ، وكانت له قوة فقد كفر بها . وقال قوم من المشركين : فإننا نكفر بها ولا نفعل ، فقال الله عز وجل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقال آخرون بما حدثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، قال : أخبرنا أبو عمر الضرير ، قال : ثنا حماد ، عن حبيب بن أبي بقية ، عن عطاء بن أبي رباح ، في قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال : من كفر بالبيت .

وقال آخرون : كفره به : تركه إياه حتى يموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما من كفر فمن وجد ما يحجّ به ثم لا يحجّ ، فهو كافر .

وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال : معنى ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ : ومن جحد فرض ذلك ، وأنكر وجوبه ، فإن الله غني عنه ، وعن حجه ، وعن العالمين جميعا .

ولنما قلنا ذلك أولى به ، لأن قوله ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بعقب قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بأن يكون خبرا عن الكافر بالحجّ ، أحقّ منه بأن يكون خبرا عن غيره ، مع أن الكافر بفرض الحجّ على من فرضه الله عليه بالله كافر ، وإن الكفر أصله الجحود ، ومن كان له جاحدا وفرضه منكرا ، فلا شك إن حجّ لم يرج بحجه برّا ، وإن تركه فلم يحجّ لم يره مأثما .

فهذه التأويلات وإن اختلفت العبارات بها فتقاربات المعاني .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْفِرُونَ بَعَايَاكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

يعني بذلك : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ، ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجحد نبوته : لم تجحدون بآيات الله . يقول : لم تجحدون

حجج الله التي آتاها محمداً في كتبكم وغيرها ، التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته حجته ، وأنتم تعلمون ، يقول : لم يتحدثون ذلك من أمره ، وأنتم تعلمون صدقه ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله ، على علم منهم ومعرفة من كفرهم .

وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله ﴾ أما آيات الله : فمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله ﴾ ، والله شهيد على ما تعملون ﴿ قال : هم اليهود والنصارى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله ﴾ لم تصدّون عن سبيل الله ﴿ يقول : لم تضلّون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان ﴾ ﴿ من آمن ﴾ يقول : من صدّق بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ﴿ تبغونها عوجاً ﴾ يعني تبغون لها عوجاً ، والهاء والألف اللتان في قوله ﴿ تبغونها ﴾ عائدتان على السبيل ، وأنها لتأنيث السبيل .

ومعنى قوله : تبغون لها عوجاً ، من قول الشاعر ، وهو سحيم عبد بن الحسحاس :

بَغَاكَ وَمَا تَبَغَّيْهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاَعَدْتَهُ أَمْسٍ مَوْعِدًا ١

يعني طلبك وما تطلبه ، يقال : ابغى كذا : يراد ابتغى لي ، فاذا أرادوا : أعنى على طلبه ، وابتغى معي ، قالوا : أبغى بفتح الألف ، وكذلك يقال : احلبنى ، بمعنى : اكفى الحلب ، وأحلبنى : أعنى عليه ، وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع ، فعلى هذا .

وأما العوج : فهو الأود والميل ، وإنما يعني بذلك الضلال عن الهدى ، يقول جل ثناؤه ﴿ لم تصدّون ﴾ عن دين الله من صدّق الله ورسوله ، تبغون دين الله اعوجاجاً عن سننه واستقامته ، وخرج الكلام على السبيل ، والمعنى لأهله ، كأن المعنى : تبغون لأهل دين الله ، ولمن هو على سبيل الحق عوجاً ، يقول : ضلّالا عن الحق وزيغاً عن الاستقامة على الهدى والمحجة ، والعوج بكسر أوله : الأود في الدين والكلام ، والعوج بفتح أوله : الميل في الحائط والقناة ، وكل شيء منتصب قائم .

وأما قوله ﴿ وأنتم شهداء ﴾ فإنه يعني : شهداء على أن الذي تصدّون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه في كتبكم ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ يقول : ليس الله بغافل عن أعمالكم التي تعملونها

(١) البيت في ديوانه (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ ص ٤١) . والرواية فيه : « إلا وجدته » ، وبغاك : طلبك ، والفاعل ضمير يعود على الموت في بيت سابق عليه .

مما لا يرضاه لعباده ، وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة ، أو يؤخر ذلك لكم ، حتى تلقوه ، فيجازيكم عليها .

وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ والآيات بعدهما إلى قوله ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ نزلت في رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ، ليراجعوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من العداوة والبغضاء ، فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ، ووبخه عليه ، ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ، وأمرهم بالاجتماع والاتلاف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الثقة ، عن زيد بن أسلم ، قال : مر شاس بن قيس ، وكان شيخا قد عسا^١ في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملائ^٢ بنى قيلة^٣ بهذه البلاد ، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتي شابا من اليهود وكان معه ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم وذكركم يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدكم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . وكان يوم بعث يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجالان من الحيين على الركب أوس بن قيطى أحد بنى حارثة بن الحرث من الأوس وجبار ابن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئت والله رددناها الآن جذعة^٣ وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة ، والظاهرة : الحرة ، فخرجوا إليها وتجاوز الناس ، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين الله الله ، أبد عتوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس ، وما صنع ، فأنزل الله في شاس بن قيس ، وما صنع ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(١) عسا الشيخ : كبر وأس ، من عسا القضيبي إذا يبس .

(٢) هى قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية . ويقال : بنت جفنة غسانية . وهى أم الأوس والخزرج .

(٣) جذعة : شابة فتية . يريد عودة الحرب قوية كما كانت .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا ۖ . . . الآية ، وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيطي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما ، الذين صنعوا ما صنعوا ، مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بِبَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ . وقيل : إنه غنى بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جماعة يهود بنى إسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات والنصارى ، وأن صدّهم عن سبيل الله كان باخبارهم من سألهم عن أمر نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، هل يجدون ذكره في كتبهم أنهم لا يجدون نعته في كتبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا﴾ كانوا إذا سألهم أحد : هل تجدون محمدا ؟ قالوا : لا ، فصدّوا عنه الناس ، وبغوا محمدا عوجا : هلاكا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : قوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول : لم تصدّون عن الإسلام ، وعن نبي الله ، من آمن بالله ، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله أن محمدا رسول الله ، وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ، ولا يجزى إلا به ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحوه . حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال : هم اليهود والنصارى ، نهاهم أن يصدّوا المسلمين عن سبيل الله ، ويريدون أن يعدلوا الناس إلى الضلالة .

فتأويل الآية على ما قاله السدي : يا معشر اليهود لم تصدّون عن محمد ، وتمنعون من اتباعه المؤمنين بكمأنكم صفتة التي تجدونها في كتبكم ، ومحمد على هذا القول : هو السبيل ، تبغونها عوجا : تبغون محمدا هلاكا . وأما سائر الروايات غيره ، والأقوال في ذلك ، فإنه نحو التأويل الذي بيناه قبل ، من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الإسلام ، وما جاء به محمد من الحق من عند الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بِبَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٥٥﴾

اختلف أهل التأويل فيمن غنى بذلك ، فقال بعضهم : غنى بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الأوس والخزرج ، وبالذين أوتوا الكتاب : شاس بن قيس اليهودي ، على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم

وقال آخرون : فيمن عني بالذين آمنوا ، مثل قول زيد بن أسلم ، غير أنهم قالوا : الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى هموا بالقتال ، ووجد اليهودي به مغمزا فيهم ثعلبة بن غنمة الأنصاري . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ قال : نزلت في ثعلبة بن غنمة الأنصاري ، كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام ، فمشى بينهم يهودي من قينقاع ، فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ يقول : إن حملتم السلاح فاقنتلتم كفرتم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ قال : كان جماع قبائل الأنصار بطنين الأوس والخزرج ، وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء وشنآن ، حتى من الله عليهم بالإسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم ، وألف بينهم بالإسلام ، قال : فبينما رجل من الأوس ، ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ، ومعهما يهودي جالس ، فلم يزل يذكرهما أيامهما ، والعداوة التي كانت بينهم ، حتى استبأ ، ثم اقتتلا ، قال : فنادى هذا قومه ، وهذا قومه ، فخرجوا بالسلاح ، وصف بعضهم لبعض ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يمشى بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ، ليسكنهم ، حتى رجعوا ، ووضعوا السلاح ، فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فتأويل الآية : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرؤا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ، إن تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ، فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به ، يضلوكم فيردوكم بعد تصديقكم رسول ربكم ، وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم كافرين ، يقول : جاحدين لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم ، فهاهم جل ثناؤه أن ينتصحوهم ، ويقبلوا منهم رأيا أو مشورة ، ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غل وغش وحسد وبغض .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ : قد تقدم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحذركم وأنباكم بضلاتهم ، فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال ، كيف تأمنون قوما كفروا بكتابهم ، وقتلوا رسلهم ، وتحيروا في دينهم ، وعجزوا عن أنفسهم ، أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦١﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدوا على أعقابكم وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، يعني : حجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه ، على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم رسوله ، حجة أخرى عليكم لله ، مع أي كتابه ، يدعوكم جميع ذلك إلى الحق ، ويبصركم الهدى والرشاد ، وينهاكم عن الغي والضلال ، يقول لهم تعالى ذكره : فما وجه عذرکم عند ربکم في جحودکم نبوة نبيکم ، وارتدادکم على أعقابکم ، ورجوعکم إلى أمر جاهليتکم ، إن أنتم راجعتم ذلك وكفرتم ، وفيه هذه الحجج الواضحة ، والآيات البينة ، على خطأ فعلکم ذلك إن فعلتموه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ ... الآية ، علمان بينان : وَجَدَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتاب الله ؛ فأما نبي الله فخصي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما كتاب الله ، فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة ، فيه حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

وأما قوله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فإنه يعني : ومن يتعلق بأسباب الله ، ويتمسك بدينه وطاعته ، فقد هدى ، يقول : فقد وفق لطريق واضح ، ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به إلى رضا الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ﴾ قال : يؤمن بالله ، وأصل العصم : المنع ، فكل مانع شيئاً ، فهو عاصمه ، والممتنع به معتصم به ، ومنه قول الفرزدق :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا مَا أَعْظَمَ الْحَدَثَانِ نَابًا

ولذلك قيل للحبل : عصام ، وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته : عصام ، ومنه قول الأعشى :

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أَطِيلُ السُّرَى وَأَخْذُ مِنْ كُلِّ حَتَّى عَصْمٌ ٢

يعني بالعصم : الأسباب ، أسباب الذمة والأمان ، يقال منه : اعتصمت بحبل من فلان ، واعتصمت حبلاً منه ، واعتصمت به واعتصمته ، وأفصح اللغتين : إدخال الباء ، كما قال عز وجل ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ وقد جاء اعتصمته ، كما قال الشاعر :

(١) البيت في ديوانه (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ ص ١١٥) مطلع قصيدة له يناقض بها جريراً . وفي اللسان (حدث) : وحدثان

الدهر وحوادثه : نوبه . وناب : أصاب ونزل .

(٢) البيت في ديوانه (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣٧) من قصيدة يمدح بها قيس بن معديكرب .

والعصم بضم الصاد : جمع عصام ، وهو الحبل للمزادة والقربة ونحوها ، والمراد به هنا : كل عهد أو موثق يعتصم به آخذه ويأمن .

إِذَا أَنْتَ جَازَيْتَ الْإِخَاءَ بِمِثْلِهِ وَأَسَيِّتَنِي ثُمَّ اعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا

فقال : اعتصمت حباليا ، ولم يدخل الباء ، وذلك نظير قولهم : تناولت الخطام ، وتناولت بالخطام ، وتعلقت به ، وتعلقته ، كما قال الشاعر :

تَعَلَّقْتُ هِنْدًا نَاشِئًا ذَاتَ مِثْرٍ وَأَنْتَ وَقَدْ فَارَقْتَ لَمْ تَدْرِ مَا الْحِلْمُ^٢

وقد بينت معنى الهدى والصراط ، وأنه معنى به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهد ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع .

وقد ذكر أن الذي نزل في سبب تحاور القبيلتين الأوس والخزرج ، كان منه قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأغرب بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية كل شهر^٣ ، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ ... إلى آخر الآيتين ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ ... إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ خافوا الله وراقبوه بطاعته ، واجتناب معاصيه ﴿ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ حق خوفه ، وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ لربكم ، مدعون له بالطاعة ، مخلصون له الألوهية ، والعبادة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال :

(١) في اللسان : (عصم) : وقوله « واعتصموا بحبل الله » : أي تمسكوا بعهد الله ، وكذلك في قوله : « ومن يعتصم بالله » : أي من يتمسك بحبله وعهده . وقول الشاعر هنا : اعتصمت بحبال ، حذف حرف الجر ، وعدى الفعل إلى المجرور فنصب ، مثل قول جرير : « تمرن الديار » . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ص ٣٢ من مخطوطة الشنقيطي ، ونسبه إلى بعضهم .

(٢) في اللسان (علق) : العلاقة : الهوى والحب اللازم للقلب . وقد علقها بالكسر علقا وعلاقة ، وعلق بها علوقا ، وتعلقها وتعلق بها ، وعلقها وعلق بها تعليقا : أحبها . والبيت من شواهد معاني القرآن للفراء من مخطوطة الشنقيطي ص ٣٢ . ونسبه إلى بعضهم . (٣) الذي في الدر المنثور : كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر الخ ، وهي واضحة ، فلعل فيما هنا تحريفا أو زيادة من النسخ .

أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمداني ، عن

عبد الله ، مثله .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن زبيد ، عن مرة بن

شراحيل الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المهال ، قال : ثنا جرير ، عن زبيد ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مسعر ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن المسعودي ، عن زبيد الأيامي ،

عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن زبيد ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا يحيى بن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ﴿اتَّقُوا اللَّهَ

حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا عمرو بن مرة ، عن الربيع بن

خيثم ، قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت مرة الهمداني

يحدث عن الربيع بن خيثم في قول الله عز وجل ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فذكر نحوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن طاوس ﴿يا أيُّها

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أن يطاع فلا يعصى .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن ، في قوله ﴿يا أيُّها

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال : حق تقاته أن يطاع فلا يعصى .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ثم تقدم إليهم ،

يعني إلى المؤمنين من الأنصار ، فقال : ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، وَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿أما حق تقاته : يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المهال ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أن يطاع فلا يعصى ، قال ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

وقال آخرون : بلي تأويل ذلك كما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ،

عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال : حقّ تقاته أن يجاهدوا في سبيل الله حقّ جهاده ، ولا يأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية ، هل هي منسوخة أم لا ؟ فقال بعضهم : هي محكمة غير منسوخة . ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ إنها لم تنسخ ، ولكن حقّ تقاته أن يجاهد في الله حقّ جهاده ، ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن طاوس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال طاوس ، قوله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يقول : إن لم تتقوه فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . وقال آخرون : هي منسوخة نسخها قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ثم أنزل التخفيف واليسر ، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه ، فقال ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر . حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿قال : نسخها هذه الآية التي في التغابن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ واسمعوا وأطيعوا﴾ وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : لما نزلت ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ثم نزل بعدها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخت هذه الآية التي في آل عمران .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿فلم يطق الناس هذا ، فنسخه الله عنهم ، فقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴿١٠١﴾ قَالَ : جاء أمر شديد ، قالوا : ومن يعرف قبر هذا أو يبلغه ، فلما عرف أنه قد اشتد ذلك عليهم ، نسخها عنهم ، وجاء بهذه الأخرى ، فقال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فتنسخها . وأما قوله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فإن تأويله كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن طاوس ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال : على الإسلام وعلى حرمة الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعا . يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به ، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله ، وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام . وأما الحبل ، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ، ولذلك سمى الأمان حبلا ، لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف ، والنجاة من الجزع والذعر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَإِذَا تَجَوَّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الْآخِرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا
ومنه قول الله عز وجل ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : الجماعة .

(١) قال في اللسان (حبل) قال أبو عبيد : أصل الحبل في كلام العرب ينصرف على وجوه ، منها العهد ، وهو الأمان . وفي حديث الجنازة : اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك . كان من عادة العرب أن يخيف بعضها بعضا في الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفرا أخذ عهدا من سيد كل قبيلة ، فيأمن به ما دام في تلك القبيلة ، حتى ينتهي إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضا ، يريد به الأمان . فهذا حبل الجوار ، أي ما دام مجاورا أرضه . أو هو من الإجارة : الأمان والنصرة . وقال الأعشى يذكر مسيرا له . . . البيت . وفي الحديث : بيننا وبين القوم حبال ، أي عهود ومواثيق . قال : والحبل في غير هذا : المواصللة . قال امرؤ القيس :

إني بحبلك واصل حبل وبريش نبلك رائش نبلي

والبيت للأعشى في قصيدته التي مطلعها « رحلت سمية غدوة أجمالها » وانظر ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٧ ، والقصيدة مدح لقيس بن معد يكرب والضمير في تجوزها عائذ على الناقة .

حدثنا المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن الشعبي ، عن عبد الله في قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : حبل الله : الجماعة . وقال آخرون : عني بذلك القرآن ، والعهد الذي عهد فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به هذا : القرآن . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : بعهد الله وأمره . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ، ينادون : يا عبد الله هلم هذا الطريق ، ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله هو كتاب الله . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عن السدي ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أما حبل الله : فكتاب الله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ : بعهد الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء : ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ : العهد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ قال : حبل الله : القرآن .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : القرآن .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كِتَابُ اللَّهِ : هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» .

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني "المثني" ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ يقول : اعتصموا بالإخلاص لله وحده .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال : الحبل : الإسلام ، وقرأ ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ : ولا تتفرّقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والالتقاء إلى أمره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أن الله عزّ وجلّ قد كره لكم الفرقة وقدّم إليكم فيها ، وحذّركموها ، ونهاكم عنها ، ورضي لكم السمع والطاعة ، والألفة والجماعة ، فارصوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ : لا تعادوا عليه ، يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا عليه إخوانا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، أن الأوزاعي حدثه أن يزيد الرقاشي ، حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ أَفْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنْ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً » ، قال : فقيل يا رسول الله ، وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يده وقال الجماعة .
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت الأوزاعي يحدث عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن ابن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قطنه المري ، عن عبد الله أنه قال : يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذي أمر به ، وإن ماتكروهن في الجماعة والطاعة ، هو خير مما تستحبون في الفرقة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن ثابت بن قطنه ، قال : سمعت ابن مسعود وهو يخطب ، وهو يقول : يا أيها الناس ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا إسماعيل بن حفص الأملی ، قال : ثنا عبد الله بن نمير أبو هشام ، قال : ثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن ثابت بن قطنه المري : قال : قال عبد الله : عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ :

(١) قوله « عن ثابت بن قطنه الخ » كذا في النسخ بزيادة لفظ « ابن » ولكن الذي في الخلاصة والقاموس أن المحدث هو ثابت قطنه وقطنه لقبه .

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ : واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

واختلف أهل العربية في قوله ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ فقال بعض نحوي البصرة في ذلك : انقطع الكلام عند قوله ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، ثم فسر بقوله ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : امسك الحائط أن يميل .

وقال بعض نحوي الكوفة : قوله ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ تابع قوله ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ غير منقطعة منها .

والصواب من القول في ذلك عندى أن قوله ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ متصل بقوله ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء : أى بشرككم يقتل بعضكم بعضا ، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله ، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضكم لبعض إخوانا ، بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ كنتم تذابحون فيها ، يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام ، فأخى به بينكم ، وألف به بينكم ، أما والله الذى لا إله إلا هو ، إن الألفة لرحمة ، وإن الفرقة لعذاب .

حدثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ : يقتل بعضكم بعضا ، ويأكل شديدكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام ، فألف به بينكم ، وجمع جمعكم عليه ، وجعلكم عليه إخوانا ، فالنعمة التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي ألفة الإسلام ، واجتماع كلمتهم عليها ، والعداوة التي كانت بينهم ، التي قال الله عز وجل ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام ، يزعم العلماء بأيام العرب ، أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يسمع يقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ، ثم إن الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فذكرهم جل ثناؤه ، إذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء ، بمعاودة بعضهم بعضا ، وقتل بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم من بعض ، وما صاروا

إليه بالإسلام ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان به ، وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخوانا .

وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا ، قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه ، قال : فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : ففعل الذي معك مثل الذي معي ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَمَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قال : مجلة لقمان : يعنى حكمة لقمان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ ، مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى هُدًى وَنُورٌ ، قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا القول حسن ، ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإن كان قومه ليقولون : قد قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل يوم بعث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل : أن محمود بن أسد أحد بني عبد الأشهل ، قال : لما قدم أبو الجحيش أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال : هَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ، قَالُوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قال : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِعَشَائِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَتَعَبَّدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَى الْكِتَابِ ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاذٍ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَّثًا : أَيُّ قَوْمٍ ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ، قَالَ : فَأَخَذَ أَبُو الْجَحِشِ أَنْسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعِمْرَى لَقَدْ جِئْنَا لَغَيْرِ هَذَا ، قَالَ : فَصَحَّتْ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاذٍ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ ، وَانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج ، قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك ، قال : فلما أراد الله إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة ، إذ لقي رهطا من الخزرج أراد الله لهم خيرا ، قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ : أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ حَتَّى أُكَلِّمَكُمُ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، قَالَ : وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يَهُودَ كَانُوا

معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء ، قالوا لهم : إن نبيا الآن مبعوث ، قد أظلم زمانه ، تتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله عز وجل ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدهم به يهود ، ولا يسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، وسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا ، وهم فيما ذكر لي ستة نفر ، قال : فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقيه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الأنصار ، فآمنوا به وصدقوه ، فأراد أن يذهب معهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن بين قومنا حربا ، وإنا نخاف إن جئت على حالك هذه أن لا يتيها الذي تريد ، فوعده العام المقبل ، وقالوا : يا رسول الله نذهب ، فلعل الله أن يصلح تلك الحرب ، قال : فذهبوا ففعلوا ، فأصلح الله عز وجل تلك الحرب ، وكانوا يرون أنها لا تصلح وهو يوم بعث ، فلقيه من العام المقبل سبعين رجلا قد آمنوا ، فأخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيباً ، فذلك حين يقول ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ ففي حرب ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، بنحوه ، وزاد فيه : فلما كان من أمر عائشة ما كان ، فتشاور ٢ الحيان ، فقال بعضهم لبعض : موعدكم الحرة ، فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآية ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ . . . الآية ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضا ، وحتى إن لهم لحينا ، يعني البكاء . وسمير الذي زعم السدي أن قوله ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ عني به حرب ، هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله :

(١) لعله قد سقط من النسخ لفظة « سمير » ، وسيأتي تصريحه بها بعد قليل .

(٢) في الدر المنثور : فتشاور ، تحريف عن تشاور .

إِنَّ سُمَيْرًا أَرَىٰ عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدَّبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفُوا

إِنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقًا بِنِي النَّجَّارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِي عَلَفُوا ۝

وقد ذكر علماء الأنصار أن مبدأ العداوة التي هيئت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي ، يقال له : الحر بن سمير ، من مزينة ، وكان حليفا لمالك بن العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك معنى قول السدي : حرب ابن ٢ سمير .

وأما قوله ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ فإنه يعني : فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق والتعاون على نصره أهل الإيمان ، والتأزر على من خالفكم من أهل الكفر ، إخوانا متصادقين لا ضغائن بينكم ، ولا تحاسد .

كما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ، وذكر لنا أن رجلا قال لابن مسعود : كيف أصبحتم ؟ قال : أصبحنا بنعمة الله إخوانا . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ :

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ : كنتم يامعشر المؤمنين من الأوس والخزرج على حرف حفرة من النار ، وإنما ذلك مثل لكفرهم الذي كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام ، يقول تعالى ذكره : وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه ، قبل أن ينعم الله عليكم بالإسلام ، فتصيروا بائنا لكم عليه إخوانا ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذي هداكم له ، وشفاه الحفرة : طرفها وحرفها ، مثل شفا الركبة والبر ، ومنه قول الراجز :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجَّاجِ سَجَلَةً ۚ نَابِتَةٌ فَوْقَ شِفَاهَا بِقَلَّةٍ ۚ

(١) البيتان لمالك بن عجلان ، مطلع قصيدة له في حرب سمير .

وأورد البيت الأول صاحب اللسان في (سمر) ، وقال سمير ، على لفظ التصغير اسم رجل ولم يذكر قائل البيت .

(٢) الذي سبق في كلام السدي : حرب سمير كما قال المؤلف .

(٣) سجلة : قال البكري في معجم ما استعجم : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، على لفظ تأنيث السجل من الدلاء : بر احتفرها

قصى بمكة ، وقال :

أَنَا قُصِيٌّ وَحَفَرْتُ سَجَلَةً ۚ تُرْوَى الْحَجَّاجُ زُغْلَةً فَزُغْلَةً ۚ

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل ، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِيٍّ سَجَلَةً ۚ تُرْوَى الْحَجَّاجُ زُغْلَةً فَزُغْلَةً ۚ

أي جرعة فجرة أو قدر ما يملأ الفم . وقد دخلت هذه البر في زيادة بناء المسجد . وشفاه : حرفها . وقال السهيلي في الروض الأنف

(١ : ١٠١) مثل قول البكري في المعجم .

يعنى فوق حرفها ، يقال : هذا شفا هذه الركبة مقصور ، وهما شفواها ، وقال ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ :
يعنى فَأَنْقَذَكُمْ مِنَ الْحُفْرَةِ ، فردّ الخبر إلى الحفرة ، وقد ابتدأ الخبر عن الشفا ، لأن الشفا من الحفرة ،
فجاز ذلك ، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية خبرا عن الحفرة ، كما قال
جرير بن عطية :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينَ أَخَذَنَ مَتْنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهِلَالِ ١

فذكر مرّ السنين ، ثم رجع إلى الخبر عن السنين ، وكما قال العجاج :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي ٢

وقد بينت العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴿ كان هذا الحى من العرب أذلّ الناس
ذلا ، وأشقاء عيشا ، وأبينه ضلالة ، وأعراه جلودا ، وأجوعه بطونا ، معكومين على رأس حجر بين
الأسدين : فارس ، والروم ، لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شىء يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقيا
ومن مات ردى فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلة يومئذ من حاضر الأرض ، كانوا فيها
أصغر حظا ، وأدقّ فيها شأننا منهم ، حتى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام ، فورثكم به الكتاب ، وأحلّ لكم
به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله
ما رأيتم ، فاشكروا نعمه ، فإن ربكم منعم يحبّ الشاكرين ، وإن أهل الشكر فى مزيد الله ، فتعالى ربنا وتبارك
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ،
قوله ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ يقول : كنتم على الكفر بالله ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : من
ذلك ، وهداكم إلى الإسلام .

(١) البيت فى ديوان جرير بشرحه لمحمد إسماعيل الصاوى (ص ٤٢٦) . وفى اللسان (سرر) السرار : آخر ليلة إذا كان
الشهر تسعا وعشرين . وسراره : ليلة ثمان وعشرين . وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . قيل : وربما استمر ليلتين
إذا تم الشهر . وإنما قال أخذن ، ولم يقل أخذ ، لأن (المر) لما أضيف إلى السنين وهو جمع مؤنث اكتسب منه التأنيث ، فأدخل
النون فى الفعل مراعاة لما فى (المر) من التأنيث المكتسب من الإضافة ، وما قيل فى هذا يقال فى الشاهد الذى بعده من قول العجاج .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز ، اختلف الرواة فى نسبتهما لقائلهما ، فقال صاحب الأغاني هما للأغلب العجلي . وقيل للعجاج ،
وهما فى زوائد ديوانه ص ٨٠ ، وقيل لهما من شوارد الرجز التى لا يعلم قائلها . وفى البيت الأول روايات : ورواية المؤلف كرواية
الكتاب لسيبويه ، وروى : « مر الليالى » فى (بخزانة الأدب ٢ : ١٦٨) . وروى : إن الليالى . ورواه الجاحظ فى البيان :
« أرى الليالى » . والشاهد فى قوله : « أسرع » ، فأنث الضمير الذى هو فاعل أسرع ، ويجب أن يكون مذكرا ، لأنه ينبغى أن
يعود إلى المبتدأ ، والمبتدأ مذكر ، وهو الطول . وإنما أنث لأنه أضاف الطول إلى الليالى ، وليس الطول شيئا غيرها ، فأخلص
الخبر الليالى دون الطول .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، يقول : كنتم على طرف النار من مات منكم أوبق في النار ، فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فاستنقذكم به من تلك الحفرة .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا حسن بن يحيى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ قال : عصبية .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله : كذلك كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيها المؤمنون من الأوس والخزرج ، من علماء اليهود ، الذى يضمرونه لكم ، وغشهم لكم ، وأمره إياكم بما أمركم به فيها ، ونهيه لكم عما نهاكم عنه ، والحال التى كنتم عليها فى جاهليتكم ، التى صرتم إليها فى إسلامكم ، يعرفكم فى كل ذلك مواقع نعمه قبلكم ، وصنائه لديكم ، فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يعنى : لتهتدوا إلى سبيل الرشاد ، وتسلکوها فلا تضلوا عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ ﴿٤١﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أُمَّةٌ﴾ يقول : جماعة ﴿يَدْعُونَ﴾ الناس ﴿إِلَى الْخَيْرِ﴾ يعنى إلى الإسلام وشرائعه التى شرعها الله لعباده ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول : يأمرؤن الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، ودينه الذى جاء به من عند الله ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ : يعنى : وينهون عن الكفر بالله ، والتكذيب بمحمد ، وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالأيدى والجوارح ، حتى ينقادوا لكم بالطاعة ، وقوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ﴾ يعنى : المنجحون عند الله ، الباقون فى جناته ونعيمه . وقد دللنا فيما مضى على معنى الإفلاح فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ههنا .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا عيسى بن عمر القارئ ، عن أبي عون الثقفى ، أنه سمع صبيحا ، قال : سمعت عثمان يقرأ : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ويستعينون الله على ما أصابهم .

حدثنى أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا ابن عينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن الزبير يقرأ ، فذكر مثله ، قراءة عثمان التى ذكرناها قبل سواء .

حدثنا يحيى بن أبى طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال : هم خاصة أصحاب رسول الله ، وهم خاصة الرواة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب ، واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه ، من بعد ما جاءهم البينات ، من حجج الله ، فيما اختلفوا فيه ، وعلموا الحق فيه ، فتعملوا خلافة ، وخالفوا أمر الله ، ونقضوا عهده وميثاقه ، جراءة على الله ، وأولئك لهم : يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا ، واختلفوا من أهل الكتاب ، من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم ، يقول جل ثناؤه : فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ، ولا تفعلوا فعلهم ، وتستنوا في دينكم بسنتهم ، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ قال : هم أهل الكتاب ، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا ، كما تفرق واختلف أهل الكتاب ، قال الله عز وجل ﴿ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ ونحو هذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالراء والخصومات في دين الله .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، وأولئك لهم عذاب عظيم ❦ قال هم اليهود والنصارى .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه . وأما قوله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فإن معناه : فأما الذين اسودت

وجوههم ، فيقال لهم : ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ وَلَا بَدَّ لَأَمَّا مِنْ جَوَابِ الْفَاءِ ، فَلَمَّا أَسْقَطَ الْجَوَابَ سَقَطَتِ الْفَاءُ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا جاز ترك ذكر فيقال للدلالة ما ذكر من الكلام عليه . وأما معنى قوله جل ثناؤه ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به ، فقال بعضهم : عني به أهل قبلتنا من المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ . . . الآية ، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون ، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « وَالَّذِي نَفْسِي بِمُحَمَّدٍ بَيِّنَةٍ ، كَلِيرِدَنَ عَلَى الْحَوْضِ مِمَّنْ صَحِبَنِي أَقْوَامٌ ، حَتَّى إِذَا رُفِعُوا إِلَى رَأْيَتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي ، فَلَيُقَالَنَّ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ » وقوله ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ ﴾ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هَؤُلَاءِ أَهْلُ طَاعَةِ اللَّهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ ، قال الله عز وجل : ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح ، عن أبي مجالد ، عن أبي أمامة ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ قال : هم الخوارج . وقال آخرون : عني بذلك كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثني ، قال : ثنا علي بن المهيم ، قال : أخبرنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسودَّ وجهه وغيرهم ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ قال : هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرأوا كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين ، يقول : أكفرتم بعد إيمانكم ، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم ، وقال في الآخرين الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنته .

وقال آخرون : بل الذين عنوا بقوله ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ : المنافقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾

وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ ۖ... الآية ، قال : هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الإيمان بألسنتهم ، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم .

❦ وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عني بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوجبون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾ قالوا بلى شهدنا ۖ وذلك أن الله جلّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما سوداء وجوهه ، والآخر بيضاء وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجوهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجوهه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عني بقوله ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ بعض الكفار دون بعض ، وقد عمّ الله جلّ ثناؤه الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المراد بذلك .

فتأويل الآية إذاً : أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم ، وتسود وجوه آخرين ؛ فأما الذين اسودّت وجوههم ، فيقال : أجمدتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه ، بأن لا تشركوا به شيئاً ، وتخلصوا له العبادة بعد إيمانكم ، يعني : بعد تصديقكم به ، ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ يقول : بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق ؛ وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه ، فلم يبدل دينه ، ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربه بالألوهية ، وأنه لا إله غيره ، ففي رحمة الله . يقول : فهم في رحمة الله ، يعني في جنته ونعيمها ، وما أعدّ الله لأهلها فيها ، هم فيها خالدون ، أي باقون فيها أبداً بغير نهاية ولا غاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

❦ يعني بقوله جلّ ثناؤه ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ :

هذه آيات الله ، وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا ، وهذه في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته ، وقوله ﴿ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ يعني : مواظ الله ، وعبره وحججه ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ نقرأها عليك ونقصها ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يعني : بالصدق واليقين ؛ وإنما يعني بقوله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمور يهود بني إسرائيل وأهل الكتاب ، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهدده وبالمبدلين دينه والناقضين عهده بعد الإقرار به ؛ ثم أخبر عز وجلّ نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه أن من عاقبه من خلقه بما أخبر أنه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه ، وتشريف منزلته لديه بتخليده في دائم نعيمه فبغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبه وأعمالهم سلفت ، جازاهم

عليها ، فقال تعالى ذكره ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني بذلك : وليس الله يأمحمد بتسويد وجوه هؤلاء ، وإذاقهم العذاب العظيم ؛ وتبييض وجوه هؤلاء ، وتنعيمه إياهم في جنته ، طالبا وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه ، إعلاما بذلك عباده ، أنه لن يصلح في حكمته بخلقه ، غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به ، وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به ، وإنذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : أنه يعاقب الذين كفروا بعد إيمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم ، وتسويد الوجوه ، ويثيب أهل الإيمان به ، الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التي عاهدوا عليها ، بما وصف أنه مثيبهم به ، من الخلود في جناته ، من غير ظلم منه لأحد الفريقين فيما فعل ، لأنه لا حاجة به إلى الظلم ، وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد إلى عزته عزّة بظلمه إياه ، وإلى سلطانه سلطانا ، وإلى ملكه ملكا ، لنقصان في بعض أسبابه ، يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام ، فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب ، وما في الدنيا والآخرة ، فلا معنى لظلمه أحدا ، فيجوز أن يظلم شيئا ، لأنه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج إلى تمام ، فيتم ذلك بظلم غيره ، تعالى الله علوا كبيرا ، ولذلك قال جل ثناؤه عقيب قوله ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله ﴿وإلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ظاهرا وقه تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : ذلك نظير قول العرب : أما زيد فذهب زيد ، وكما قال الشاعر :

لَأَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغَنَى وَالْفَقِيرَ

فأظهر في موضع الإضمار . وقال بعض نحوي الكوفة : ليس ذلك نظير هذا البيت ، لأن موضع الموت الثاني في البيت موضع كناية ، لأنه كلمة واحدة ، وليس ذلك كذلك في الآية ، لأن قوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خبر ليس من قوله ﴿وإلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في شيء ، وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى ، مكثفة كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة إلى الأخرى ، كما قال الشاعر : لأرى الموت محتاج إلى تمام الخبر عنه .

❦ وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب ، لأن كتاب الله عز وجل لا يؤخذ معانيه ، وما فيه من البيان إلى الشواذ من الكلام ، والمعاني وله في الفصيح من المنطق ، والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود .

(١) هذا البيت لعدي بن زيد العبادي وهو الصحيح ، وقيل لابنه سودة بن عدي (الجزء ١ : ١٨٣) وهو شاهد على أن وضع الظاهر مقام الضمير جائز في الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول عند سيبويه ، ولم يرتضه شراح أبياته وقالوا : إن فيه قبحا إذا كان تكريره في جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلا في ضرورة ، فإن كانت إعادته في جملتين حسن . ومعنى يسبقه : يفوته .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره : إلى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم ، والطالح والمحسن والمسيء ، فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من مكة إلى المدينة ، وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال في ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : هم الذين خرجوا معه من مكة .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال أنتم ، فكنا كلنا ، ولكن قال ﴿كُنْتُمْ﴾ في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن صنع مثل صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال عكرمة : نزلت في ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه ، قال عمر : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : تكون لأولنا ، ولا تكون لآخرنا .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال : هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها : ورأى من الناس رعة سيئة ، فقرأ هذه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ . . . الآية ، ثم قال : يا أيها الناس ، من سره أن يكون من تلك الأمة ، فليؤد شرط الله منها .

(١) الرعة بوزن العدة : الاختشام والكف عن سوء الأدب ، انظر اللسان في ورع .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يعنى وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم .
وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، إذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جل ثناؤه بها ؛ فكان تأويل ذلك عندهم : كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله أخرجوا للناس في زمانكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ يقول : على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله ، يقول : لمن أنتم بين ظهرائه ، كقوله ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : يقول : كنتم خير الناس للناس ، على هذا الشرط ، أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله ، يقول لمن بين ظهريه كقوله ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : كنتم خير الناس للناس ، تبيضون بهم في السلاسل ، تدخلونهم في الإسلام .

حدثنا عبيد بن أسباط ، قال : ثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : خير الناس للناس .

وقال آخرون : إنما قيل ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار بن الحسين ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم قال ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .
وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١٠٠﴾ قال : قد كان ما تسمع من الخير في هذه الأمة :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد بن قتادة قال : كان الحسن يقول : نحن آخرها وأكرمها على الله .
 قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ، وذلك أن يعقوب بن إبراهيم حدثني
 قال : ثنا ابن عليه ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : « أَلَا إِنَّكُمْ وَفِيَّكُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن
 أبيه ، عن جده ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
 قال : « أَنْتُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه
 وسلم قال ذات يوم ، وهو مسند ظهره إلى الكعبة : « نَحْنُ نُكَمِّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً نَحْنُ
 آخِرُهَا وَخَيْرُهَا » .

وأما قوله ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإنه يعني : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بشرائعه ،
 ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ يعني : وتنهون عن الشرك بالله ، وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه .
 كما حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن
 عباس ، قوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ يقول : تأمروهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا إله
 إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر
 والمنكر : هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر ، وأصل المعروف : كل ما كان معروفاً ففعله جميل مستحسن غير
 مستقبح في أهل الإيمان بالله ، وإنما سميت طاعة الله معروفاً ، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله ،
 وأصل المنكر ما أنكره الله ، ورأوه قبيحاً فعله ، ولذلك سميت معصية الله منكراً ، لأن أهل الإيمان بالله
 يستنكرون فعلها ، ويستعظمون ركوبها ، وقوله ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ يعني : تصدقون بالله ، فتخلصون
 له التوحيد والعبادة .

فإن سأل سائل فقال : وكيف قيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ وقد زعمت أن تأويل الآية أن هذه الأمة
 خير الأمم التي مضت ، وإنما يقال : كنتم خير أمة ، لقوم كانوا خياراً فتغيروا عما كانوا عليه ؟ قيل : إن
 معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة ، كما قيل : ﴿ وَآذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾
 وقد قال في موضع آخر : ﴿ وَآذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ فإدخال كان في مثل هذا
 وإسقاطها بمعنى واحد ، لأن الكلام معروف معناه . ولو قال أيضاً في ذلك قائل : كنتم بمعنى التمام ، كان
 تأويله : خلقتكم خير أمة ، أو وجدتم خير أمة ، كان معنى صحيحاً ، وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى

ذلك : كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس ، والقولان الأولان اللذان قلنا ، أشبه بمعنى الخبر الذي روينا قبل .

وقال آخرون معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة ، وقال : الأمة : الطريقة .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ :

يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاءهم به من عند الله ، لكان خيرا لهم عند الله في عاجل دنياهم ، وآجل آخرتهم ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ يعنى من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله ، وهم عبد الله بن سلام ، وأخوه ، وثعلبة بن سعيد وأخوه ، وأشباههم ممن آمنوا بالله ، وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعنى : الخارجون عن دينهم ، وذلك أن من دين اليهود اتباع ما في التوراة ، والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن دين النصارى اتباع ما في الإنجيل ، والتصديق به وبما في التوراة ، وفي كل الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ومبعثه ، وأنه نبي الله ، وكلتا الفرقتين ، أعني اليهود والنصارى مكذبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به الذي قال جل ثناؤه ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : ذم الله أكثر الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُواكُمْ يُؤَلَّوْكُمْ الْأَذَى بَارِئٌ لَكُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضركم يا أهل الإيمان بالله ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم ، وتكذيبهم نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أذى ، يعنى : بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم ، وإسماعكم كفرهم ، وقولهم في عيسى وأمه وعزير ، ودعائهم إياكم إلى الضلالة ، ولا يضرّونكم بذلك ، وهذا من الاستثناء المنقطع ، الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل ما اشتكى شيئا إلا خيرا ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ يقول

لن يضرّوكم إلا أذى تسمعونهم منهم .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ قال : أذى تسمعون منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ قال : إشرأفهم في عزيز وعيسى والصليب .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ . . . الآية ، قال : تسمعون منهم كذبا على الله ، يدعونكم إلى الضلالة .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يُقَاتِلْوكُمْ يُولُوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، يهزموا عنكم ، فيولوكم أدبارهم انهزاما ، فقوله ﴿يُولُوكُمْ الْأُدْبَارَ﴾ كناية عن انهزامهم ، لأن المنهزم يحول ظهره إلى جهة الطالب هربا إلى ملجأ ، وموئل يثل إليه منه ، خوفا على نفسه ، والطالب في أثره ، فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازمة ﴿ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ يعنى : ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله ، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوب كائدهم أيها المؤمنون بنصركم ، وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب . وإنما رفع قوله ﴿ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ﴾ وقد جزم قوله ﴿يُولُوكُمْ الْأُدْبَارَ﴾ على جواب الجزاء اثنا للكلام ، لأن رءوس الآيات قبلها بالنون ، فألحق هذه بها ، كما قال ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ رفعا ، وقد قال في موضع آخر ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ إذ لم يكن رأس آية .

القول في تأويل قوله تعالى :

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَاتُوا لَمْ يُقِفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِّنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ ألزموا الذلة ، والذلة : الفعلة من الذل ، وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع ﴿أَيُّهَا ثَقِفُوا﴾ يعنى : حيثما لقوا ، يقول جل ثناؤه : ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أيما كانوا من الأرض ، وبأى مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين ، إلا بجبل من الله ، وحبل من الناس .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن في قوله ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيُّهَا ثَقِفُوا﴾ ، إلا بجبل من الله وحبل من الناس ، وضرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ قال : أدركتهم هذه الأمة ، وإن الجوس . لتجبيهم الجزية .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال : أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين .

وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين ، وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده ، قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال : بعهد ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال : بعهدهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول : إلا بعهد من الله ، وعهد من الناس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، عن عثمان بن غياث ، قال عكرمة : يقول ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال : بعهد من الله ، وعهد من الناس .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول : إلا بعهد من الله ، وعهد من الناس .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول : إلا بعهد من الله ، وعهد من الناس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ فهو عهد من الله ، وعهد من الناس ، كما يقول الرجل : ذمة الله ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو الميثاق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال : بعهد من الله ، وعهد من الناس لهم ، قال ابن جريج وقال عطاء : العهد : حبل الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال : إلا بعهد وهم يهود ، قال : والحبل : العهد ، قال : وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الأنصار في العقبة : أيها الرجل إنا قاطعون فيك حبلا بيننا وبين الناس ، يقول : عهودا ، قال : واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله إلا بهذا الحبل ، الذي قال الله عز وجل ، ﴿وَقَرَأْهُمُ الْكِتَابَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستدلون ، قال الله : ﴿وَقَطَّاعَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي يهود .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ يقول : بعهد من الله ، وعهد من الناس . حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاک ، مثله . واختلف أهل العربية في المعنى الذى جلب الباء في قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فقال بعض نحوي الكوفة الذى جلب الباء في قوله ﴿بِحَبْلٍ﴾ فعل مضمر قد ترك ذكره . قال : ومعنى الكلام : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إلا أن يعتصموا بحبل من الله ، فأضمر ذلك ، واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

رَأَيْتُنِي بِحَبْلَيْنِيهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقٌ ۱
وقال : أراد : أَقْبَلْتُ بِحَبْلِيهَا ، وبقول الآخر :

حَسَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَحْنُو لِيصِيدُ ۲

فأوجب إعمال فعل مخذوف وإظهار صلته وهو متروك ، وذلك في مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دال على صحة دعواه ، لأن في قول الشاعر : رَأَيْتُنِي بِحَبْلِيهَا ، دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكا ، ففي إخباره عنها أنها رأته بحبلها إخبار منه أنها رأته ممسكا بالحبلين ، فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الإمساك ، وكانت الباء وصلة لقوله : رَأَيْتُنِي ، كما في قول القائل : أنا بالله مكثف بنفسه ، ومعرفة السامع معناه أن تكون الباء محتاجة إلى كلام يكون لها جالبا غير الذى ظهر ، وأن المعنى أنا بالله مستعين .

وقال بعض نحوي البصرة ، قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ استثناء خارج من أول الكلام ، قال : وليس ذلك بأشد من قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ .

(١) البيت لحمد بن ثور الهلالي (ديوانه طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ ص ٣٥) وروايته فيه :

فَجِثْتُ بِحَبْلِيهَا فَرَدْتُ مَخَافَةً إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فُرُوقُ

وقال شارحه في هامشه : روعاء الجنان : ذكية ، وفروق : فزعة . ورواية البيت في اللسان (فرق) والأساس (روع) :

رَأَيْتُنِي بِحَبْلِيهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فُرُوقُ

وهي كرواية المؤلف . قال في اللسان (حبل) : أراد : رَأَيْتُنِي أَقْبَلْتُ بِحَبْلِيهَا ، فأضمر أقبلت ، كما أضمر الاعتصام في الآية . يريد قوله تعالى : «إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ» أى إلا أن يعتصموا بحبل من الله . والضبير في بحبلها : راجع إلى ناقته .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن . أورده صاحب اللسان في (ختل) ، وفيه «يدنو» في موضع حيو . وقال : المختلة مشى الصياد قليلا قليلا في خفية ، لئلا يسمع حسه ، ثم جعل مثلا لكل شيء . ورى بغيره ، وستر على صاحبه . وبعد البيت بيت آخر ، وهو قوله :

قَرِيبُ الْحَمَطِ يُحْسِبُ مِنْ رَأْيِي «وَلَسْتُ مُقَيَّدًا» : أَنِي بِقَيِّدٍ

أى كبرت وضعفت مشيتي .

وفي كتاب المجاني الكبير لابن قتيبة طبع الهند ص ١٢١٤ أورد البيت مختلفا عن رواية المؤلف ونسبه لأبي الطمحان القيني ونصه :

وَقَدْ طَالَتْ بِي الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِيصِيدُ

وأورده اللسان في «أدا» كما أورده المؤلف ، مع تغيير «أحنو» بيادو ، مضارع «أدا» بمعنى ختل . يقال : أدا السبع للغزال يادو أدوا : ختله ليأكله .

وقال آخرون من نحوي الكوفة : هو استثناء متصل . والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا : أى بكل مكان ، إلا بموضع حبل من الله ، كما تقول : ضربت عليهم الذلة فى الأمكنة إلا فى هذا المكان ، وهذا أيضا طلب الحق ، فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة ، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله عز وجل ، وغير حبل من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل . فلو كان قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ استثناء متصلا ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة ، أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ، ولكن القول عندنا أن الباء فى قوله ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ أدخلت لأن الكلام الذى قبل الاستثناء مقتضى فى المعنى الباء ، وذلك أن معنى قولهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾ : ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ، ثم قال : إلا بحبل من الله ، وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس ، كما قيل ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا﴾ فالخطأ وإن كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى إلا خطأ ، فإن له قتله كذلك ، ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ ، فكذلك قوله ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ وإن كان الذى جلب الباء التى بعد إلا الفعل الذى يقتضيهما قبل إلا ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله بمعنى أن القوم إذا لقوا ، فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة بكل حال ، ولكن معناه ما بينا آنفا .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكََ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ :

يعنى تعالى ذكره : ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ : وتحملوا غضب الله ، فانصرفوا به مستحقه . وقد بينا أصل ذلك بشواهد ، ومعنى المسكنة ، وأنها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ، ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله ﴿ذَلِكََ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ذلك : أى بوؤهم الذى باءوا به من غضب الله ، وضرب الذلة عليهم ، بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله ، يقول : مما كانوا يحددون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسلى الله إليهم ، اعتداء على الله ، وجراءة عليه بالباطل ، وبغير حق استحقوا منهم القتل .

فتأويل الكلام : ألزموا الذلة بأى مكان لقوا ، إلا بذمة من الله وذمة من الناس ، وانصرفوا بغضب من

الله متحمله ، وألزموا ذلّ الفاقة ، وخشوع الفقر ، بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله ، وأدلتة وحججه ، ويقتلون أنبياءه بغير حقّ ظلما واعتداء .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربهم ، واعتدائهم أمر ربهم . وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته . فأعلم ربنا جلّ ثناؤه عباده ، ما فعل هؤلاء القوم من أهل الكتاب ، من إحلال الذلة والحزى بهم في عاجل الدنيا ، مع ما ادّخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال ، وأليم العذاب ، إذ تعدّوا حدود الله ، واستحلوا محارمه ، تذكيرا منه تعالى ذكره لهم ، وتنبيها على موضع البلاء الذي من قبله أتوا لينبؤوا ويذكروا ، وعظة منه لأمتنا ، أن لا يستنوا بسنتهم ، ويركبوا منهاجهم ، فيسلك بهم مسالكهم ، ويحلّ بهم من نعم الله ومثلاته ما أحلّ بهم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ ذَلِكْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ اجتنبوا المعصية والعدوان ، فإن بهما أهلك من أهلك قبلكم من الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

* لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ

﴿ ١١٢ ﴾

﴿ ١١٢ ﴾ يعني بقوله جلّ ثناؤه : ليسوا سواء : ليس فريقا أهل الكتاب ، أهل الإيمان منهم والكفر سواء ، يعني بذلك : أنهم غير متساوين ، يقول : ليسوا متعادلين ، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر ، وإنما قيل : ليسوا سواء ، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ، مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ثم أخبر جلّ ثناؤه عن حال الفريقين عنده ، المؤمنة منهما والكافرة ، فقال ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ : أي ليس هؤلاء سواء ، المؤمنون منهم والكافرون ، ثم ابتداء الخبر جلّ ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم ، وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ، ونخب الجنان ، ومخالفة الذلّ والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ ... الآيات الثلاث ، إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ قوله : أمة قائمة مرفوعة بقوله : من أهل الكتاب .

وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم ، أن ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ ترجمة عن سواء ، وتفسير عنه بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ، وأخرى كافرة ، وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين ، وهي الأمة القائمة ، ومثله بقول أبي ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا ۱

ولم يقل : أم غير رشد اكتفاء بقوله : أرشد من ذكر ، أم غير رشد ، وبقول الآخر :

أَزَالُ فَلَا أَدْرِي أَهَمُّ هَمِّهِمْ قَدِّمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ ۲

وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المرید أن يقول : سواء أقميت أم قعدت ، سواء أقميت حتى يقول أم قعدت ، وإنما يجوزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك ، وذلك نحو ما أبالي أو ما أدرى ، فأجازوا في ذلك ما أبالي أقميت ، وهم يريدون : ما أبالي أقميت أم قعدت ، لاكتفاء ما أبالي بواحد ، وكذلك في ما أدرى ، وأبوا الإجازة في سواء من أجل نقصانه ، وأنه غير مكتف بواحد ، فأغفلوا في توجيههم قوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على ما حكينا عنهم إلى ما وجهوه إليه مذاهبهم في العربية ، إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء ، وأخطئوا تأويل الآية ، فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتماء ، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله . وقد ذكر أن قوله ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ . . . الآيات الثلاث ، نزلت في جماعة من اليهود أسلموا ، فحسن إسلامهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه ، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا

(۱) البيت لأبي ذؤيب ، أنشده ابن هشام في المغني (۱ : ۱۰) وروايته :

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا

ورواه النيسابوري في تفسيره بهذا اللفظ :

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا

وفي تفسير القرطبي (۴ : ۱۷۶) كانت رواية الأصل : عصيت إليها القلب إلى أمرها ، وجعله مصححوه تبعا للديوان : عصاني إليها القلب إلى أمره مطيع . . .

وشرحوه بقولهم : عصاني القلب وذهب إليها ، فأنما أتبع ما يأمرني به .

وفي ديوان الهذليين (القسم الأول ص ۷۱) عصاني إليها القلب إلى أمره سميع . . .

عصاني إليها : أي خطر إليها قلبي وذهب إليها ، فأدري أرشد الذي وقعت فيه أم غي .

وفي الهامش ۷ - عبارة الأصمعي في تفسير قوله : عصاني إليها القلب : جعل لا يقبل مني ، أي ذهب إليها قلبي سفها ، وهي

أوضح في معنى العصيان ، من عبارة الشارح هنا .

(۲) البيت غير منسوب . واستشهد به المؤلف على حذف المستول عنه الثاني همزة الاستفهام التي لأحد الشيتين ، مع أن حذفه غير

مقيس ، لما يوقع فيه من لبس . ونظيره ما استشهد به النحويون على حذف المعادل ، وهو قول أبي ذؤيب « فَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا » ؟

كما في المغني لابن هشام (۱ : ۱۰ مع حاشية الأمير) تقديره : أم غي . قال ابن هشام : ولك أن تقول : لاجبة إلى تقدير

معادل في البيت ، لصحة قولك : ما أدرى : هل طلابها رشد ؟ وامتناع أن يؤتى لها بمعادل . قال الأمير : فالهمزة لطلب التصديق

كهل لا تحتاج لمعادل . والمعنى : لا أدرى جواب هذا الاستفهام .

دين آبائهم ، وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، عن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ . . . الآية ، يقول : ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ : عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية ومبشر ، وأسيد وأسد ابنا كعب .

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهل الكتاب ، وأمة محمد القائمة بحق الله ، سواء عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال : لا يستوى أهل الكتاب ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ . . . الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة . وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ عن إخبار الله بأمر مؤمنى أهل الكتاب ، وأهل الكفر منهم ، وأن قوله ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ، ووصفهم بصفهم ، على ما قاله ابن عباس وقاتدة وابن جريج ، ويعنى جل ثناؤه بقوله ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ : جماعة ثابتة على الحق . وقد دللنا على معنى الأمة فيما مضى بما أغنى عن إعادته . وأما القائمة ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناها : العادلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال : عادلة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ يقول : أمة مهتدية قائمة على أمر الله ، لم نزرع عنه وتركه كما تركه الآخرون وضيعوه .

وقال آخرون : بل معنى قائمة : مطيعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود ، كمثل هذه الأمة التي هي قائمة لله ، والقائمة : المطيعة .
 وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ، ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم ، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك ، وذلك أن معنى قوله ﴿قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة على الهدى ، وكتاب الله وفرائضه ، وشرائع دينه ، بالعدل والطاعة ، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا ، فَالْقَائِمُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ هُوَ الثَّابِتُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَاجْتَنَابِ مَا نَهَاَهُ اللَّهُ عَنْهُ» .
 فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله ، متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه ، وما سن له رسوله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ :
 يعنى بقوله ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ : يقرءون كتاب الله آناء الليل ، ويعنى بقوله ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ : ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ ، يقول : يتلون ذلك آناء الليل ، يقول : في ساعات الليل ، فيتدبرونه ويتفكرون فيه . وأما ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ : فساعات الليل ، واحدا : إني ، كما قال الشاعر :
 حُلُوٌّ وَمُرْكَعٌ طَفِ الْقِدْحِ مِرَّتَهُ فِي كُلِّ لَيْلٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ
 وقد قيل إن واحد الآناء : إني مقصور ، كما واحد الأمعاء : معى .
 واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل ، كما قلنا .

(١) البيت للمتنخل الهذلي ، وهو من شواهد الصحاح ، وذكره اللسان في (أني) مرتين مع تغيير الشطر الأول منه . شاهدنا على أن مفرد آناء الليل : إني بكسر الهزة وسكون النون ، كمي وأمعاء ، قال الهذلي المتنخل : السالك الثغر فحشا موارده . . . الخ . قال الأزهري : كذا رواه ابن الأنباري . وأنشده الجوهري . . . الخ كرواية المؤلف . ونسبه أيضا للمتنخل ؛ فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

وفي ديوان الهذليين القسم الثاني دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ ص ٣٥ ، وروايته : في كل إني خذاه الليل ينتعل :

كمطف القدح : يريد طوى كما يطوى القدح . ومرة : فتلته . وينتعل : يسرى في كل ساعة من الليل من هدايته . وإني : واحد الآناء ، وهي الساعات . ومن ذلك : «ومن آناء الليل» .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قنادة ﴿يَسْتَلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : أى ساعات الليل .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : ساعات الليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : سمعنا العرب تقول : ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : ساعات الليل .

وقال آخرون ﴿آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : جوف الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿يَسْتَلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : أما آتاء الليل : فجوف الليل .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الأخيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله ﴿يَسْتَلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ﴾ : صلاة العتمة ، هم يصلونها ، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلونها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن سليمان ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه ، فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل ، فجاء ومنا المصلى ، ومنا المضطجع ، فبشرنا وقال : إنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب ، فأنزل الله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَمَلَّوْنَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ .

حدثني يونس ، قال : ثنا : على بن معبد ، عن أبي يحيى الخراساني ، عن نصر بن طريف ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء ، يريد العتمة ، فقال : لنا ما على الأرض أحد من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة فى هذا الوقت غيركم ، قال : فنزلت ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَمَلَّوْنَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، قال :

بلغني أنها نزلت ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَمَلَّوْنَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ فيما بين المغرب والعشاء .

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، وصف هؤلاء القوم ، بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل ، وهي آناؤه ، وقد يكون تأليها في صلاة العشاء تأليها لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل ، فكلّ تال له ساعات الليل . ﴿يَسْجُدُونَ﴾ غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : عنى بذلك : تلاوة القرآن في صلاة العشاء ، لأنها صلاة لا يصلّيها أحد من أهل الكتاب ، فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

وأما قوله ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود ، لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع ، فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون ، وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة ، يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها ، فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : يصدقون بالله ، وبالبعث بعد الممات ، ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم ، وليسوا كالمشركين الذين يحسدون وحدانية الله ، ويعبدون معه غيره ، ويكذبون بالبعث بعد الممات ، وينكرون المجازاة على الأعمال والثواب والعقاب ، وقوله ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول : يأمرؤن الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاءهم به ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يقول : وينهون الناس عن الكفر بالله ، وتكذيب محمد ، وما جاءهم به من عند الله : يعنى بذلك : أنهم ليسوا كاليهود والنصارى ، الذين يأمرؤن الناس بالكفر ، وتكذيب محمد فيما جاءهم به ، وينهونهم عن المعروف من الأعمال ، وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يقول : ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم منايهم . ثم أخبر جل ثناؤه ، أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين ، لأن من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله ، لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربه ، واعتدائه في حدوده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة : وما يفعلوا من خير فلن يكفروه جميعا ، ردا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وقراءته عامة قراء المدينة والحجاز ، وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بمعنى : وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم ، وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين .

﴿وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا﴾ وما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ بالياء في الحرفين كليهما ، يعني بذلك الخبر عن الأمة القائمة ، التالية آيات الله . وإنما اخترنا ذلك ، لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم ، فالحاق هذه الآية إذ كان لادلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها ، أولى من صرفها عن معاني ما قبلها ، وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبي عمرو ابن العلاء ، قال : بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعا بالياء .

فتأويل الآية إذاً على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عمل لله فيه رضا فلن يكفروهم الله ذلك ، يعني بذلك : فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ، ويسني لهم الكرامة والجزاء .

وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهد ، وأن أصله تغطية الشيء ، فكذلك ذلك في قوله ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ : فلن يغطي على ما فعلوا من خير ، فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزل لهم الثواب فيه .

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ يقول : لن يضل عنكم .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، بمثله .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ، ويجازيهم بها ، تبشيرا منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا ، وحضا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الأخلاق التي ارتضاها لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾

وهذا وعيد من الله عز وجل للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون وأنهم قد باعوا بغضب منه ، ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله ، وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله ، يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا وَعَصَوْا﴾ يعني الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا به ، وبما جاءهم به من عند الله ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني : لن تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا ، وأولاده الذين رباهم فيها شيئا من عقوبة الله يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يوم القيامة ، ولا في الدنيا إن عجلها لهم فيها ، وإنما نخص أولاده وأمواله ، لأن أولاد الرجل أقرب أنسابه إليه ، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره ، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره ، فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيئا . ثم أخبر جل ثناؤه ، أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ : وإنما جعلهم أصحابها ، لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ، ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه ، وقرينه الذي لا يزياله ، ثم وكد ذلك بإخباره عنهم أنهم فيها خالدون ، صحبتهم إياها صلبة لا انقطاع لها ، إذا كان من الأشياء ما يفارق صاحبه في بعض الأحوال ، ويزيله في بعض الأوقات ، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي أصلوها ، ولكنها صلبة دائمة لانهاية لها ولا انقطاع ، نعوذ بالله منها ، ومما قرب منها من قول وعمل .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

فَأَهْلَكَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

﴿١١٧﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : شبه ما ينفق الذين كفروا : أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله ، فيعطيه من يعطيه على وجه القربة إلى ربه ، وهو لو وحدانية الله جاحد . ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب في أن ذلك غير نافعه مع كفره ، وأنه مضمحل عند حاجته إليه ، ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد ، أصابت هذه الرياح التي فيها البرد الشديد ، حرث قوم : يعني زرع قوم ، قد أمثلوا إدراكه ، ورجوا ريعه ، وعائدة نفعه ، ظلموا أنفسهم : يعني أصحاب الزرع ، عصوا الله ، وتعدوا حدوده ، فأهلكته ، يعني فأهلكت الرياح التي فيها الصر زرعهم ذلك ، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ، ورجاء عائدة نفعه عليهم ، يقول تعالى ذكره : فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ، ويخيب رجاءه منها ، وخرج المثل للنفقة : والمراد بالمثل : صنيع الله بالنفقة فيبين ذلك قوله ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ فهو كما قد بينا في مثله من قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وما أشبه ذلك .

فتأويل الكلام : مثل إبطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ، كمثل ريح صر ، وإنما جاز

ترك ذكر إبطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه ، وهو قوله ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ ولمعرفة السامع ذلك معناه .

واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية ، فقال بعضهم : هي النفقة المعروفة في الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال : نفقة الكافر في الدنيا . وقال آخرون : بل ذلك قوله : الذي يقوله بلسانه مما لا يصدق به بقلبه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ يَقُولُ : مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون ، فأصابه ريح فيها صرٌّ أصابته فأهلكته ، فكذلك أنفقوا فأهلكهم شركهم .

وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل . وقد تقدم بياننا تأويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع . وأما الصرٌّ ، فإنه شدة البرد ، وذلك بعصوف من الشمال في إعصار الطل والأنداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحبة .

كما حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان بن غياث ، قال : سمعت عكرمة يقول : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ قال : برد شديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ قال : برد شديد وزمهرير .

حدثنا علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي . عن ابن عباس ، قوله ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ يقول : برد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الصرٌّ : البرد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ : أي برد شديد .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في الصرٌّ : البرد الشديد .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ كَمْثَل رِيحٍ فِيهَا صِيرٌ ﴾ يقول : ريح فيها برد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِيرٌ ﴾ قال : صرّ باردة أهلكت حرّهم ، قال : والعرب تدعوها الضريب : تأتي الريح باردة فتصبح ضربيا قد أحرق الزرع ، تقول : قد ضرب الليلة أصابه ضرب تلك الصرّ التي أصابته .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا جوير ، عن الضحاك ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِيرٌ ﴾ قال : ريح فيها برد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ :

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم ، وإبطاله أجورها ظلما منه لهم ، يعنى : وضعها منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله ، بل وضع فعله ذلك في موضعه ، وفعل بهم ما هم أهله ، لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله ، وهم له بالوحدانية دائنون ولأمره متبعون ، ولرسله مصدّقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسله مكذّبون ، بعد تقدّم منه إليهم ، أنه لا يقبل عملا من عامل ، إلا مع إخلاص التوحيد له ، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاءهم به ، وتوكيده الحجج بذلك عليهم ، فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به ، وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار إليه من إحباط وافر عمله له ظلما ، بل الكافر هو الظالم نفسه لا كسابها من معصية الله ، وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم ، وأصلاها به سكير سقر .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ
الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم ، لا تتخذوا بطانة من دونكم ، يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم ، يقول : من دون أهل دينكم وملتكم ، يعنى من غير المؤمنين ، وإنما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولى بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسرارهم ، وما يطويه عن أباعده ، وكثير من أقاربه ، محلّ ما ولى جسده من ثيابه ، فهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصدقاء ، ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغشّ والخيانة ، وبغيتهم إياهم الغوائل ، فحذّرهم بذلك منهم عن مخالطهم ، فقال تعالى ذكره ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ يعنى لا يستطيعونكم شرّا من ألوت ألوا لؤا ، يقال : ما ألا فلان كذا ، أى ما استطاع ، كما قال الشاعر :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُّوْا إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِيْنِي

يعنى لا تستطيع عند الظهر إبطاراً .

و إنما يعنى جلّ ذكره بقوله ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا﴾ البطانة التى نهى المؤمنين ، عن اتخاذها من دونهم ، فقال : إن هذه البطانة لا تركم طاقتها خبالاً : أى لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال ، وأصل الخبل والخبال : الفساد ، ثم يستعمل فى معان كثيرة ، يدلّ على ذلك الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : من أصيب بخبل أو جراح .

وأما قوله ﴿وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ﴾ فإنه يعنى : ودّوا عنتكم ، يقول : يتمنون لكم العنت ، والشرّ فى دينكم وما يسوءكم ولا يسركم ، وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويصافونهم المودة بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فهاهم الله عن ذلك ، وأن يستنصحوهم فى شىء من أمورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : قال محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ، فهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ لا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا فى المنافقين من أهل المدينة ، نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يتولّوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ لا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا ودّوا ما عنيتهم نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يواخوهم : أى يتولّوهم من دون المؤمنين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ هم المنافقون .

(١) فى اللسان (ألا) : وأنشد ابن جنى فى ألوت بمعنى استطعت ، لأبي العيال الهذلى . . . البيت .

أى لاتطبق . يقال : هو يألو هذا الأمر : أى يطيقه ويقوى عليه . وفى اللسان (جهر) : وقال أبو العيال الهذلى يصف منيحة منعه إياها بدر بن عمار الهذلى . . . البيت . قال : هذا نص ابن سيده ، وأورد الأزهري عن الأصمعى ، وما عزاه لأحد ، وقال : قال يصف فرساً ، يعنى الجهراء . وقال أبو منصور : أرى هذا البيت لبعض الهذليين يصف نعجة . وقال اللحياني : كل ضعيف البصر فى الشمس أجهر . وقيل الأجهر بالنهار ، والأعشى بالليل . والعيلة : الفقر والحاجة . وقال ابن قتيبة فى المعانى الكبير (ص ١٩٠) الجهراء : التى لا تبصر فى الشمس ، يقال : كبش أجهر ونعجة جهراء . وأظهرت : إذا نظرت فى وقت الظهيرة حين ارتفاع الشمس . وفى ديوان الهذليين القسم الثانى ص ٢٦٣ : الجهراء : التى لا تبصر فى الهاجرة من الدواب والإبل : أى منحت شاة لا تبصر ، والأجهر : مثلها . لا تألو : لا تستطيع بصراً . قال : وسمعت رجلاً بمكة يقول : لا آلو كذا وكذا ، أى لا أستطيعه .

حدثت عن عمار . قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ يقول : لاتستدخلوا المنافقين ، تتولوهم دون المؤمنين .

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الأزر ابن راشد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ أَهْلِ الشَّرْكِ ، وَلَا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبِيًّا » قال : فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه ، فقال نعم ، أما قوله : لاتنقشوا في خواتيمكم عربيا ، فانه يقول : لاتنقشوا في خواتيمكم محمد ؛ وأما قوله : ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك ، فانه يعنى به المشركين ، يقول لاتستشروهم في شيء من أموركم ، قال : قال الحسن ، وتصديق ذلك في كتاب الله ، ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ أما البطانة : فهم المنافقون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ . . . الآية ، قال : لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ ﴾ . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، وقرأ قوله ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوََاهِهِمْ ﴾ . . . الآية .

واختلفوا في تأويل قوله ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ فقال بعضهم معناه : ودُّوا ما ضللتكم عن دينكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ يقول : ما ضللتكم :

وقال آخرون بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ يقول في دينكم ، يعنى : أنهم يودُّون أن تعنتوا في دينكم .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضى في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر ، والحالات التى لاتكون إلا بصور الأسماء والأفعال المستقبلية دون الماضية منها ؟ قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ حال من البطانة ، وإنما هو خبر عنهم ثان ، منقطع عن الأوّل غير متصل به .

ولمّا تأويل الكلام : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة صفتهم كذا صفتهم كذا ، فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعا من صفة شخص واحد .

وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ من صلة البطانة ، وقد وصلت بقوله ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَالًا﴾ فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته ، ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الأول ، وغير حال من البطانة ولا قطع منها القول في تأويل قوله تعالى : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم ، يعنى بالسنتهم ، والذي بدا لهم منهم بالسنتهم إقامتهم على كفرهم ، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة ، فذلك من أوكد الأسباب في معاداتهم أهل الإيمان ، لأن ذلك عداوة على الدين ، والعداوة على الدين ، العداوة التي لازوال لها إلا بانتقال أحد المتعادين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك ، فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لأهل الإيمان ، على ما هم عليه من البغضاء والعداوة .

وقد قال بعضهم : معنى قوله ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر بإطلاع بعضهم بعضا على ذلك . وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عنوا بهذه الآية : أهل النفاق ، دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول : قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول : من أفواه المنافقين ، وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لامعنى له ، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله ، والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة ، والشأن والمناصفة لهم ، فأما من لم يثبتوه معرفة أنه الذي نهى الله عز وجل عن مخالته ومباطنته ، فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان إبداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم لهم ، والتودد إليهم ، كان بينا أن الذي نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به ، فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل

(١) في الأصول : يتشوه . ولما تحريف عما أثبتناه . وفي اللسان : أثبتته : عرفه حق المعرفة .

الكتاب ، لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر فيهم على ما قد بينا ، ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب ، لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة ، من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم ، وافتراق أمصارهم ، ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب ، أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بنى إسرائيل ، والبغضاء : مصدر ، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود : قد بدا البغضاء من أفواههم ، على وجه التذكير ، وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث ، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز تذكير ماخرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه ، كما قال عز وجل ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ وكما قال ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وفي موضع آخر ، ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ وَجَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وقال من أفواههم ، وإنما بدا ما بدا من البغضاء بالسنتهم ، لأن المعنى به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : قد بدت البغضاء من أفواههم بالسنتهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بذلك : والذي تخفى صدورهم ، يعنى صدور هؤلاء الذين نههم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر ، يقول : أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ يقول : ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات ، يعنى بالآيات : العبر ، قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعتلون به من أمرهم ، إن كنتم تعقلون ، يعنى : إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه ، وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ، ومبلغ عائدته عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالَوْا آمَنَآ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمْ أَلْنَآمِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

﴿١١٩﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم ، يقول : تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم

عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، فتودونهم وتواصلونهم ، وهم لا يحبونكم ، بل ينتظرون^١ لكم العداوة والغش ، وتؤمنون بالكتاب كله . ومعنى الكتاب في هذا الموضع ، معنى الجمع ، كما يقال : أكثر الدرهم في أيدي الناس ، بمعنى الدراهم ، فكذلك قوله ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ ، إنما معناه : بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله إليكم ، وكتابهم الذي أنزل الله إليهم ، وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على عباده . يقول تعالى ذكره : فأنتم إذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها ، وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم ، كفار بذلك كله ، بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم ، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه ، أولى بعداوتكم إياهم ، وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم^٢ وبغضائكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ : أي بكتابكم وكتابهم ، وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم ، وقال ﴿ها أنتم أولاء﴾ ولم يقل : هؤلاء أنتم ، ففرق بين ها وأولاء بكناية اسم مخاطبين ، لأن العرب كذلك تفعل في هذا إذا أرادت به التقريب ، ومذهب النقصان الذي يحتاج إلى تمام الخبر ، وذلك مثل أن يقال لبعضهم : أين أنت ؟ فيجيب المقول ذلك له : ها أناذا ، فيفرق بين التنبيه وذا بمكنى اسم نفسه ، ولا يكادون يقولون : هذا أنا ، ثم يثنى ويجمع على ذلك ، وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا ، فقالوا : ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريبا ، فأما إذا كان على غير التقريب والنقصان ، قالوا : هذا هو ، وهذا أنت ، وكذلك يفعلون مع الأسماء الظاهرة ، يقولون : هذا عمرو قائما ، وإن كان هذا تقريبا ، وإنما فعلوا ذلك في المكنى مع التقريب تفرقة بين هذا إذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج إلى تمام ، وبينه وبين ما إذا كان بمعنى الاسم الصحيح ، وقوله ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ خبر للتقريب .

وفي هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين ، أعني المؤمنين والكافرين ، ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ها أنتم أولاء تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ ، وتؤمنون بالكتاب كله ﴿فوالله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوى له^٣ ويرحمه ، ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ، ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لأباد خضره . وكان مجاهد يقول : نزلت هذه الآية في المنافقين .

(١) لعله بل يبطنون ، أو يضمرون .

(٢) أي بالعداوة والبغضاء الواقعة منهم عليكم .

(٣) قوله «ويأوى له» أي يرق له ، من قولهم أوى له أوية : إذا رق له ورحمه .

حدثني بذلك محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ :

يعنى بذلك تعالى ذكره : إن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ، ووصفهم بصفتهم إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعطوهم بالسنتهم تقية ، حذرا على أنفسهم منهم ، فقالوا لهم : قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا هم خلوا فصاروا في خلأ حيث لا يراهم المؤمنون ، عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين ، واجتماع كلمتهم ، وصلاح ذات بينهم ، أناملهم : وهى أطراف أصابعهم ، تغیظا مما بهم من الموجدة عليهم ، وأسا على ظهر يسندون إليه لمكاشفتهم العداوة ، ومناجزتهم المحاربة .
وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ : إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم إلا مخافة على دمائهم وأموالهم ، فصانعوهم بذلك ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ يقول مما يجدون في قلوبهم من الغیظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون ريحا لكانوا على المؤمنين ، فهم كما نعت الله عز وجل .

حدث عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله ، إلا أنه قال : من الغیظ لكراهتهم الذى هم عليه ، ولم يقل : لو يجدون ريحا وما بعده .

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكرى ، قال : ثنا أبى ، قال : كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ قال : هم الإباضية ، والأنامل : جمع أنملة ، ويقال أنملة ، وربما جمعت أنملا ، قال الشاعر :

أودُّ كما ما بَلَّ حَلْقِي رِيْقَتِي وَمَا حَمَلَتْ كَفَّائِي أَنْمَلِي الْعَشْرَا

وهى أطراف الأصابع

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، الأنامل : أطراف الأصابع .

(١) البيت غير منسوب . والأنملة من الأصابع : العقدة . وبعضهم يقول الأنامل : رموس الأصابع . وعليه قول الأزهري : الأنملة : المفصل الذى فيه الظفر . وهى بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمها . وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام . وبعض المتأخرين من النحاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم ، فيصير تسع لغات (عن المصباح المنير) .
ولم يذكر في جمع الأنملة سوى الأنامل . وقال في اللسان (نمل) : والجمع : أنامل وأنملات ، وهى رموس الأصابع . وهو أحد ما كسر وسلم بالتاء . والظاهر أن البيت من شواهد النحويين الكوفيين ، وأنهم هم الذين صرحوا بجمع الأنملة على أنمل والله أعلم .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، بمثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَإِذَا خَلَوْا ﴾ : عَضُوا عَلَى الْأَصَابِعِ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قوله ﴿ عَضُوا عَلَى الْأَصَابِعِ ﴾ : عَضُوا عَلَى الْأَصَابِعِ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ ، إن الله عليم بذات الصدور ﴿ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم ، وأخبرتكم أنهم إذا لقوا أصحابك ، قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، موتوا بغیظكم الذي بكم على المؤمنين ، لاجتماع كلمتهم ، وائتلاف جماعتهم .

وخرج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كما هم من الغيظ على المؤمنين ، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم ، والضلالة بعد هدايتهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، اهلكوا بغیظكم ، إن الله عليم بذات الصدور ، يعنى بذلك : إن الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين ، قالوا : آمنا ، وما ينطوون لهم عليه من الغل والغم ، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء ، وبما في صدور جميع خلقه ، حافظ على جميعهم ما هو عليه منطو من خير وشر ، حتى يجازي جميعهم على ما قدم من خير وشر ، واعتقد من إيمان وكفر ، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل ونعمر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠)

﴿ ﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ : ﴿ ﴾ إن تنالوا أيها المؤمنون سرورا بظهوركم على عدوكم ، وتتابع الناس في الدخول في دينكم ، وتصديق نبيكم ، ومعاونتكم على أعدائكم ، يسؤهم ، وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم ، أو بإصابة عدو لكم منكم ، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ ، ﴿ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ : فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة ، وظهورا على عدوهم ، غاظهم ذلك وساءهم ، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافا ، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين ، سرهم ذلك ، وأعجبوا به ، وابتهجوا به ، فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدوثة وأوطأ محلته ، وأبطل حجته ، وأظهر عورته ، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم ، وفيمن بقى إلى يوم القيامة

(١) النمر ، بكسر النين ، وسكون الميم : الحقد . (اللسان : نمر : ٦ : ٣٣٥) .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ ، وَإِنْ تَضِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴿﴾ قال : هم المنافقون إذا رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهورا على عدوتهم ، غاظهم ذلك غيظا شديدا ، وساءهم ، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافا ، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين ، سرهم ذلك ، وأعجبوا به ، قال الله عز وجل ﴿وَإِنْ تَضِيبُوا وَتَتَّقُوا لَيَظُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ قال : إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ، ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافا فرحوا .

وأما قوله ﴿وَإِنْ تَضِيبُوا وَتَتَّقُوا لَيَظُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله ، واتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه ، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين ، وغير ذلك من سائر ما نهاكم ، ونتقوا ربكم ، فتخافوا التقدم بين يديه ، فيما ألزمكم ، وأوجب عليكم من حقه ، وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيئا : أى كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم ، ويعنى بكيدهم : غوائلهم التى يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحق .

واختلف القراء فى قراءة قوله ﴿لَيَظُرَّكُمْ﴾ فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين : لا يضرّكم مخففة بكسر الضاد من قول القائل : ضارنى فلان فهو يضرّنى ضيرا ، وقد حكى سماعا من العرب ما ينفعنى ، ولا يضرّنى ، فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقليل : لا يضرّكم كيدهم شيئا ، ولكنى لأعلم أحدا قرأ به ، وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة ، وعامة قراء أهل الكوفة ﴿لَيَظُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل : ضرّنى فلان فهو يضرّنى ضرا .

وأما الرفع فى قوله ﴿لَيَظُرَّكُمْ﴾ فمن وجهين : أحدهما على اتباع الراء فى حركتها ، إذ كان الأصل فيها الجزم ، ولم يمكن جزمها لتشديدتها أقرب حركات الحروف التى قبلها ، وذلك حركة الضاد ، وهى الضمة ، فألحقت بها حركة الراء لقربها منها ، كما قالوا : مدّ ياهذا . والوجه الآخر من وجهى الرفع فى ذلك : أن تكون مرفوعة على صحة ، وتكون لا بمعنى ليس ، وتكون الفاء التى هى جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها . وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وإن تصبروا وتتقوا فليس يضرّكم كيدهم شيئا ، ثم تركت الفاء من قوله ﴿لَيَظُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ ووجهت لا إلى معنى ليس ، كما قال الشاعر :

فإن كان لا يرضيك حتى تردّنى إلى قطريّ لإخالك راضيا

ولو كانت الراء محركة إلى النصب والحفض كان جائزا ، كما قيل : مدّ ياهذا ، ومدّ .

(١) البيت لسوار بن المضرب ، وكان قد هرب من الحجاج خوفا على نفسه . وهو من شواهد النحويين فى باب الفاعل (انظر المقاصد النحوية فى شرح شواهد الألفية) للعيني على هامش خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣) و (فرائد القلائد ، شرح مختصر الشواهد ص ١٥٥) وكلاهما للعيني . واستشهد به المؤلف على ترك الفاء من جواب الشرط المقرون بلا « لا إخالك » كما (فى الآية)

وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَحِيطٌ﴾ يقول جل ثناؤه : إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد ، والصدّ عن سبيله ، والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصي الله محيط بجميعه ، حافظ له لا يعزب عنه شيء منه حتى يوفيههم جزاءهم على ذلك كله ، ويذيقهم عقوبته عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾

﴿يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿: وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ آيَاهَا الْمُؤْمِنُونَ كَيْدَ هَؤُلَاءِ الْكَافَرِ مِنَ الْيَهُودِ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى طَاعَتِي ، وَاتَّبَاعِ أَمْرِ رَسُولِي ، كَمَا نَصَرْتُكُمْ يَبْدُرُ وَأَنْتُمْ أَذَلَّةٌ ، وَإِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمْ آيَاهَا الْمُؤْمِنُونَ أَمْرِي ، وَلَمْ تَصَبَرُوا عَلَى مَا كَلَفْتُكُمْ مِنْ فَرَائِضِي ، وَلَمْ تَتَّقُوا مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَخَالَفْتُمْ أَمْرِي ، وَأَمْرُ رَسُولِي ، فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ بِأَحَدٍ ، وَاذْكُرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ إِذَا غَدَا نَبِيُّكُمْ يُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَرَكَ ذِكْرَ الْخَبَرِ عَنْ أَمْرِ الْقَوْمِ إِنْ لَمْ يَصَبَرُوا عَلَى أَمْرِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ يَتَّقَوْهُ اِكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ ، إِذَا ذَكَرَ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ مِنْ صَرْفِ كَيْدِ أَعْدَائِهِمْ عَنْهُمْ ، إِنْ صَبَرُوا عَلَى أَمْرِهِ ، وَاتَّقَوْا مُحَارَمَهُ ، وَتَعَقَّبِيهِ ذَلِكَ بِتَذْكِيرِهِمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ بِأَحَدٍ ، إِذَا خَالَفَ بَعْضُهُمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَنَازَعُوا الرَّأْيَ بَيْنَهُمْ ، وَأَخْرَجَ الْحُطَّابُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ عَلَى وَجْهِ الْحُطَّابِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ بِمَعْنَاهُ الَّذِينَ نَهَاوْهُمْ أَنْ يَتَّخِذَ الْكَافَرُ مِنَ الْيَهُودِ بَطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ بَيَّنَّ إِذَا أَنْ قَوْلَهُ ، «وَإِذَا» إِنَّمَا جَرَّهَا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ وَأَوْضَحْتُ .

وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذي عنى الله عز وجل بقوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ فقال بعضهم : عنى بذلك يوم أحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ قال : مشى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجله يَبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ ذلك يوم أحد ، غدا نبى الله صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحد يَبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ فغدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحد يَبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ فهو يوم أحد .
 حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : هنا يوم أحد .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق مما نزل في يوم أحد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 وقال آخرون : غنى بذلك يوم الأحزاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ قال : يعني محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب .
 وأولى هذين القولين بالصواب ، قول من قال : غنى بذلك : يوم أحد ، لأن الله عز وجل يقول في الآية التي بعدها ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِيَا﴾ ولا خلاف بين أهل التأويل أنه غنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ، ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد دون يوم الأحزاب .
 فإن قال لنا قائل : وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما راح إلى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة في أهله بالمدينة بالناس كالذي حدثكم ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى ابن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة إلى أحد ، دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقال : « ما يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، إِذَا لَبِسَ لَأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعد لهم للقتال عند خروجه ، بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه ، وذلك أن المشركين نزلوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد بن مسلم الزهري ، ومحمد ابن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم .

(١) سلمة ، بفتح السين ، وكسر اللام . وبنو سلمة : بطن من الأنصار ، وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم (عن تاج العروس) وذكر منهم جملة من الصحابة ، منهم جابر بن عبد الله .

﴿ فَإِنْ قَالَ : وَكَيْفَ كَانَتْ تَبَوُّثُهُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ غَدَوْاً قَبْلَ خُرُوجِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ التَّبَوُّثَ اتِّخَاذُ الْمَوْضِعِ ؟ قِيلَ : كَانَتْ تَبَوُّثُهُ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ مَنَافِضَتِهِ عَدُوَّهُ عِنْدَ مَشُورَتِهِ ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالرَّأْيِ الَّذِي رَأَاهُمْ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَ بِنُزُولِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهَا أَحَدًا ، قَالَ فِيهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ عَنْ السَّدِيِّ لِأَصْحَابِهِ : أَشِيرُوا عَلَيَّ مَا أَصْنَعُ ؟ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرِجْ إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا غَلَبْنَا عَدُوَّ لَنَا أَتَانَا فِي دِيَارِنَا ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ فِينَا ؟ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ، وَلَمْ يَدْعِهِ قَطُّ قَبْلَهَا ، فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرِجْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْأَكْلَبِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجِبُهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ ، فَيَقَاتِلُوا فِي الْأَزْقَةِ ، فَأَتَاهُ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَحْرِمْنِي الْجَنَّةَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا دُخْلَنَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ : بِمَ ؟ قَالَ : بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنِّي لَا أَفِرُّ مِنَ الزَّحْفِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِدِرْعِهِ فَلَبَسَهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَقَدْ لَبَسَ السِّلَاحَ ، نَدَمُوا ، وَقَالُوا : بَلَّسْنَا صَنَعْنَا ، نَشِيرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْوَحْيُ يَأْتِيهِ ، فَقَامُوا وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : اصْنَعْ مَا رَأَيْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَنْتَبِغِي لِنِسْبِي أَنْ يَلْبَسَ لَأُمَّتِهِ فَيَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين ، قد نزلوا منزلهم من أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ بَقَرًا فَأَوْلَتْهُا خَيْرًا ، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سَيْفِي ثَلَمًا ، وَرَأَيْتُ أَتَنِي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ ، فَأَوْلَتْهُا الْمَدِينَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » . وكان رأى عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جينا عنهم وضعفنا ، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط ، إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا قط إلا أصابنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لأُمَّتِهِ ، فكانت تبوُّث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ما ذكرنا

من مشورته على أصحابه بالرأى الذى ذكرنا على ما وصفه الذين حكينا قولهم ، يقال منه : بوأت القوم منزلا ، وبوأته لهم ، فأنا أبوئهم المنزل تبوئة ، وأبوئ لهم منزلا تبوئة ، وقد ذكر أن فى قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ وذلك جائز ، كما يقال : ردفك وردف لك ، ونقدت لها صداقها ونقدتها ، كما قال الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخْصِيَهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ^١

والكلام : أستغفر الله لذنبي ، وقد حكى عن العرب سماعا : أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم إباءة ، ويقال منه : أبأت الإبل : إذا رددتها إلى المباءة ، والمباءة : المراح الذى تبيت فيه ، والمقاعد : جمع مقعد وهو المجلس . فتأويل الكلام : : واذكر إذ غدوت يا محمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرا ، وموضعا لقتال عدوهم ، وقوله ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره : والله سميع لما يقول المؤمنون لك ، فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم من قول من قال : اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة ، وقول من قال لك : لا تخرج إليهم ، وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا ، على ما قد بينا قبل ، ومما تشير به عليهم أنت يا محمد ، عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم ، وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوك ، وصدور المشيرين عليك بالمقام فى المدينة ، وغير ذلك من أمرك وأمورهم . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فى قوله ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ : أى سميع لما يقولون ، عليم بما يخفون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : والله سميع عليم حين همّت طائفتان منكم أن تفشلا ، والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا أنهم بنو سلمة وبنو حارثة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ قال بنو حارثة : كانوا نحو أحد ، وبنو سلمة نحو سلع ، وذلك يوم الخندق .

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى بما فيه الكفاية عن إعادته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾

(١) البيت من شواهد سيبويه التى لا يعرف قائلها . كذا فى خزنة الأدب للبغدادى (١ : ٤٨٦) . والشاهد فيه سقوط حرف الجر من المفعول الثانى للفعل أستغفر . قال : والأصل : أستغفر الله من ذنب . وأراد بالذنب : جميع ذنوبه التى لا يحصىها ، أى لا يعرف عددها ، والوجه : القصد والتوجه .

وفى حاشية يس على التصريح فى باب التمييز : قال الشهاب القاسمى : لقائل أن يقول : قد عدوا السنين من المعدادات ، فما المانع هنا أن قد عدت الفعل إلى مفعول آخر ، وهو « ذنبا » ؟ اه . قلت : والمراد السنين الدالة على الطلب .

تَفَشَّلَا... الآية ، وذلك يوم أحد ، والطائفتان : بنو سلمة ، وبنو حارثة : حيان من الأنصار ، هموا بأمر ، فعصمهم الله من ذلك ، قال قتادة : وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا : ما يسرنا أنما لم نهم بالذي هممنا به ، وقد أخبرنا الله أنه ولينا .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ ﴾... الآية ، وذلك يوم أحد ، فالطائفتان : بنو سلمة ، وبنو حارثة ، حيان من الأنصار ، فذكر مثل قول قتادة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا ؛ فلما رجع عبد الله ابن أبي ابن سلول في ثلثائة ، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : مانعنا قتالا ، ولئن أطعنا لترجعن معنا ، وقال ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ وهم بنو سلمة ، وبنو حارثة ، هموا بالرجوع ، حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم الله ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعائة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة : نزلت في بني سلمة من الخزرج ، وبني حارثة من الأوس ، ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ فهو بنو حارثة وبنو سلمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سامة ، عن ابن إسحاق ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ والطائفتان : بنو سامة من جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفی ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾... الآية ، قال : هما طائفتان من الأنصار هما أن يفشلا ، فعصمهم الله ، وهزم عدوهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ قال : هم بنو سلمة ، وبنو حارثة وما نحب أن لو لم تكن اهتما لقول الله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ .

حدثني أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ قال : هذا يوم أحد ، وأما قوله ﴿ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ فإنه يعني : هما أن يضعفا ، ويجبنا عن لقاء عدوئهما ، يقال منه : فشل فلان عن لقاء عدوه يفشل فشلا .

(١) قوله « أن لو لم تكن الخ » الظاهر أن لم تكونا هتا أو : وما نحب أن لو لم تكن هممنا ثم تقدم أنفا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الفشل : الجبن : وكان ههما الذي هما به من الفشل : الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه ، جبنا منهم ، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له ، وتركوا عبد الله بن أبي ابن سلول والمنافقين معه ، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ : أى الدافع عنهما ما هما به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما من غير شك أصابهما في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقنا بنبيهما صلى الله عليه وسلم يقول ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أى من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على ، وليستعن به ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأقويه على نيته .
وذكر أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقرأ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمْ﴾ ، وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك ، لأن الطائفتين وإن كانتا في لفظ اثنين ، فإنهما في معنى جماع بمنزلة الخصمين والحزبين .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٢﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وتتقوا ، لا ينصركم كيدهم شيئا ، وينصركم ربكم ، ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم ، وأنتم يومئذ أذلة : يعنى قليلون ، في غير منعة من الناس ، حتى أظهركم الله على عدوكم مع كثرة عددهم ، وقلة عددكم ، وأنتم اليوم أكثر عددا منكم حينئذ ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ، فاتقوا الله ، يقول تعالى ذكره : فاتقوا ربكم بطاعته ، واجتناب محارمه لعلكم تشكرون ، يقول : لتشكروه على ما من به عليكم من النصر على أعدائكم ، وإظهار دينكم ، ولما هداكم له من الحق الذى ضل عنه مخالفوكم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ يقول : وأنتم أقل عددا ، وأضعف قوة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون : أى فاتقون ، فإنه شكر نعمتى .
واختلف في المعنى الذى من أجله سمي بدر بدرا ، فقال بعضهم : سمي بذلك ، لأنه كان ماء لرجل يسمى بدرا ، فسمى باسم صاحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن زكريا ، عن الشعبي ، قال : كانت بدر لرجل يقال له بدر ،

فسميت به .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبي أنه قال : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ قال : كانت بدر بئرًا لرجل يقال له بدر ، فسميت به .
وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ذلك اسم سميت به البقعة كما سمي سائر البلدان بأسمائها .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحرث بن محمد ، قال : ثنا ابن سعد ، قال : ثنا محمد بن عمر الواقدي ، قال : ثنا منصور ، عن أبي الأسود ، عن زكريا ، عن الشعبي ، قال : إنما سمي بدرا لأنه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر ، وقال الحرث : قال ابن سعد : قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح ، فأنكراه ، وقالوا : فلا شيء سميت الصفراء ، ولأى شيء سميت الحمراء ، ولأى شيء سمي رابغ^(١) هذا ليس بشيء ، إنما هو اسم الموضع ، قال : وذكرنا ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري ، فقال : سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحد قط يقال له بدر ، وما هو من بلاد جهينة ، إنما هي بلاد غفار ، قال الواقدي : فهذا المعروف عندنا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة .

وأما قوله ﴿ أَذِلَّةٌ ﴾ فإنه جمع ذليل ، كما الأعزة جمع عزيز ، والألبة جمع لبيب ، وإنما سماهم الله عز وجل أذلة لقلة عددهم ، لأنهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر ، وعدوهم ما بين التسعمائة إلى الألف ، على ما قد بينا فيما مضى ، فجعلهم لقلة عددهم أذلة .
وينحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ، فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وبدر : ماء بين مكة والمدينة ، التقى عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم والمشركون ، وكان أول قتال قاتله نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : « أَنْتُمْ الْيَوْمَ بَعْدَ أَصْحَابِ طَالُوتَ يَوْمَ لَقِيَ جَالُوتَ ، فَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ أَلْفٌ ، أَوْ رَأَاهُقُوا ذَلِكَ » .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ، فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ قال : يقول : وأنتم أذلة قليل ، وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمائة .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو قول قتادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أقل عددا وأضعف قوة .

(١) الصفراء ، والحمراء ، ورابغ : أعلام أماكن في جزيرة العرب . انظر معجم البلدان لياقوت . ومعجم ما استمعتم الليكري .

وأما قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ فإن تأويله كالذى قد بينت كما حدثنا ابن حميد ، قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ : أى فاتقوني ، فإنه شكر نعمي .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٧٢﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٧٣﴾

(١٧٥)

❦ يعنى تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك : ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ ؟ وذلك يوم بدر . ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم ، في أى يوم وعدوا ذلك ؟ فقال بعضهم : إن الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته إن أتاهم العدو من فؤورهم ، فلم يأتوهم ، ولم يمدّوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن الفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : حدث المسلمون أن كرز بن جابر الحارثي يمدّ المشركين ، قال : فشق ذلك على المسلمين ، ف قيل لهم : ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فؤورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ﴿١٧٣﴾ قال : فبلغت كرزاً الهزيمة ا فرجع ، ولم يمدّهم بالخمسة .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : لما كان يوم بدر ، بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : ﴿وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ : يعنى كرزاً وأصحابه ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال : فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة ، فلم يمدّهم ، ولم تنزل الخمسة ، وأمدوا بعد ذلك بألف ، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ . . . الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : حدث المسلمون أن كرز بن

(١) فى الدر المنثور : فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمدّ المشركين ولم يمدّ المسلمون بالخمسة ويؤيده ما بعده اهـ .

جابر المحاربي ، يريد أن يمدّ المشركين ببدر ، قال : فشقّ ذلك على المسلمين ، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿الَّذِينَ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾ ... إلى قوله ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال : فبلغته هزيمة المشركين فلم يمدّ أصحابه ، ولم يمدّوا بالخمسة .

وقال آخرون : كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر ، فصبر المؤمنون واتفقوا الله ، فأمدّهم بملائكته على ما وعدهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن ، ومعى بصرى لأخبرتكم بالشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لأشك ولا أتمارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق ، وثنى عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا أنه قال بعد إذ ذهب بصره : لو كنت معكم اليوم ببدر ، ومعى بصرى ، لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لأشك ولا أتمارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس أن ابن عباس ، قال : ثنى رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أضعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب ، قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حممة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ، قال : فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فأت مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وثنى الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحرث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني ، وكان شهد بدرا ، قال : إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد : ثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت غلاما للعباس ابن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكمّ إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهب يحدّو الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قریش ، كبته الله

وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوة وعونة ، قال : وكنت رجلا ضعيفا ، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنني لجالس فيها أنحت القداح ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجله بشرّ ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبوسفیان بن الحرث بن عبدالمطلب ، قد قدم ، قال : قال أبو لهب : هلم إلى يا ابن أخي ، فعندك الخبر ، قال : فجلس إليه ، والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم ، ففتحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وإيم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما يليق لها شيء ، ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلا مجموعا ، وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسرْتَ العباسَ أبا اليسر ؟ قال : يا رسول الله ، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿الَّذِينَ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ أمدوا بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ وذلك يوم بدر ، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة . حدثت عن عمار ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن الربيع ، بنحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله ﴿يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فإنهم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم مسوّمين حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن مجاهد ، قال : لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر .

وقال آخرون : إن الله عز وجل إنما وعدهم يوم بدر أن يمدّهم إن صبروا عند طاعته ، وجهاد أعدائه واتفقوا باجتناب محارمه ، أن يمدّهم في حروبهم كلها ، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب ، فأمدّهم حين حاصروا قريظة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سليمان بن زيد أبو آدم الحاربي ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كنا محاصري قريظة والنضير لما شاء الله أن نحاصرهم ، فلم يفتح علينا ، فرجعنا ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يغسل رأسه ، إذ جاءه جبريل صلى الله

(١) أي ما يقف لها ولا يثبت .

عليه وسلم ، فقال : يا محمد وضعت أسلحتكم ، ولم تضع الملائكة أوزارها ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة ، فلف بها رأسه ولم يغسله ، ثم نادى 'غينا ، فقمنا كالزمعين الانعباً بالسير شيئا ، حتى أتينا قريظة والنضير ، فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة ، وفتح الله لنا فتحا يسيرا ، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل .

وقال آخرون بنحو هذا المعنى ، غير أنهم قالوا : لم يصبر القوم ، ولم يتقوا ، ولم يمدوا بشيء في أحد . ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، سمعه يقول : ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا ﴾ قال : يوم بدر قال : فلم يصبروا ولم يتقوا ، فلم يمدوا يوم أحد ، ولو مدوا لم يهزموا يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت عكرمة يقول : لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد ، أو قال : إلا بملك واحد ، أبو جعفر يشك .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : سمعت عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ كان هذا موعدا من الله يوم أحد ، عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ، ففرّ المسلمون يوم أحد ، وولوا مدبرين ، فلم يمدّهم الله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا ﴾ ... الآية كلها قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ينظرون المشركين : يا رسول الله أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ ، وإنما أمدكم يوم بدر بألف ، قال : فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا ، قال : بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ... الآية كلها .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف ، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم ، واتقوا الله ، ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ، ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يمدوا بهم . وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدّهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدّهم . وقد يجوز أن يكون لم يمدّهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبر عندنا صحّ من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف ، وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به ، ولا خبر به كذلك ، فنسلم لأحد الفريقين قوله ، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة

(١) الزمع : الدهش ، والخرق من خوف وجزع ، وقد يراد السرعة في الأمر .

وذلك قوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ فأما في يوم أحد ، فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا ، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ، وينال منهم ما نيل منهم .

✽ فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره ، وقد بينا معنى الإمداد فيما مضى ، والممدد ، ومعنى الصبر والتقوى .

وأما قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : معنى قوله : ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ : من وجههم هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان بن غياث ، عن عكرمة ، قال : ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال : من وجههم هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من وجههم هذا . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن بن علي ، قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ : من وجههم هذا .

حدثت عن عمار بن الحسن ، عن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من وجههم هذا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من وجههم هذا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من سفرهم هذا ، ويقال : يعنى عن غير ابن عباس ، بل هو من غضبهم هذا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا وقال آخرون : معنى ذلك : من غضبهم هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة في قوله ﴿وَيَا تُوكُّم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة قال : فورهم ذلك كان يوم أحد ، غضبوا اليوم بدر مما لقوا .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك بن مغول ، قال : سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول : ﴿مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من غضبهم هذا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال : غضب لهم ، يعني الكفار ، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة ، وذلك يوم أحد .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال : من غضبهم هذا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك في قوله ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول : من وجههم وغضبهم .

وأصل الفور : ابتداء الأمر يوجد فيه ، ثم يوصل بآخر ، يقال منه : فارت القدر فهي تفور فوراً وفوراناً : إذا ما ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل ؛ ومضيت إلى فلان من فوري ذلك ، يراد به : من وجهي الذي ابتدأت فيه .

فالذي قال في هذه الآية : معنى قوله ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ : من وجههم هذا ، قصد إلى أن تأويله : ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر ، من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين .

وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا ، فإنما عنوا أن تأويل ذلك : ويأتيكم كفار قريش وتبائعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلهم الذين قتلوا يوم بدر بها ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾ ، وكذلك من اختلاف تأويلهم في معنى قوله ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ اختلف أهل التأويل في إمداد الله المؤمنين بأحد بملائكته ، فقال بعضهم : لم يمدوا بهم ، لأن المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم ، ولم يتقوا الله عز وجل بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوته في الموضع الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ، ولكنهم أخلوا به طلباً للغنائم ، فقتل من المسلمين ، ونال المشركون منهم ما نالوا ، وإنما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم إمدادهم بهم إن صبروا واتقوا الله .

وأما الذين قالوا : كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر ، فإن بعضهم قالوا : لم يأت كرز وأصحابه إخوانهم من المشركين مدداً لهم ببدر ، ولم يمد الله المؤمنين بملائكته ، لأن الله عز وجل إنما وعدهم أن يمدهم بملائكته إن أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ، ولم يأتهم المدد .

وأما الذين قالوا : إن الله تعالى ذكره أمد المؤمنين بالملائكة يوم بدر ، فإنهم اعتلوا بقول الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ قال : فالألف منهم قد أتاهم مدداً ، وإنما الوعد الذي كانت فيه الشروط فيما زاد على الألف ، فأما الألف فقد كانوا أمدوا به ، لأن الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك ، ولن يخلف الله وعده .

واختلف القراء في قراءة قوله ﴿مُسْتَوِّينَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة ﴿مُسْتَوِّينَ﴾

بفتح الواو ، بمعنى أن الله سَوَّمَهَا ؛ وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو ، بمعنى أن الملائكة سَوَّمَت لِنَفْسِهَا .

❦ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأهل التأويل منهم ، ومن التابعين بعدهم ، بأن الملائكة هي التي سَوَّمَت أنفسها من غير إضافة تسويمها إلى الله عز وجل ، أو إلى غيره من خلقه .

ولا معنى لقول من قال : إنما كان يختار الكسر في قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ لو كان في البشر ، فأما الملائكة فوصفهم غير ذلك ظنا منه بأن الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها إن كانوا ذلك في البشر وذلك أنه غير مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر من تسويم أنفسهم ، فسوموا أنفسهم بحق الذي سَوَّم البشر طلبا منها بذلك طاعة ربها ، فأضيف تسويمها أنفسها إليها ، وإن كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه ، وهي إذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسها تقربا منها إلى ربها ، كان أبلغ في مدحها لاختيارها طاعة الله من أن تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها .

ذكر الأخبار بما ذكرنا من إضافة من أضاف التسويم إلى الملائكة دون إضافة ذلك إلى غيرهم ، على نحو ما قلنا فيه :

حدثني يعقوب ، قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن عوف ، عن عمير بن إسحاق ، قال : إن أول ما كان الصوف ليومئذ ، يعني يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَوَّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَت^(۱) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مختار بن غسان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن الزبير بن المنذر ، عن جده أبي أسيد ، وكان بدريا ، فكان يقول : لو أن بصرى معي ثم ذهبتم معي إلى أحد ، لأخبركم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة في عمام صفر قد طرحوها بين أكتافهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ يقول : معلمين ، مجزوزة أذنان خيلهم ونواصيها ، فيها الصوف أو العهن ، وذلك التسويم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال : مجزوزة أذنانها وأعرافها ، فيها الصوف أو العهن ، فذلك التسويم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ ذكر لنا أن سيماهم يومئذ الصوف بنواصي خيلهم وأذنانها ، وأنهم على خيل بلق .

(۱) كذا في الدر المنثور ، وفي اللسان : سوموا فإن الملائكة سومت . وهو الأقرب للوارد في الآية ، وإن كان الذي في الأصل مصيحا في نفسه ، فلمله رواية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال : كان سيماها صوفا في نواصيها .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، أنه كان يقول : ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال : كانت خيولهم مجزوزة الأعراف ، معلمة نواصيها وأذناها بالصوف والعهن .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، كانوا يومئذ على خيل بلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، وبعض أشياخنا ، عن الحسن ، نحو حديث معمر ، عن قتادة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ : معلمين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فإنهم أتوا محمدا النبي صلى الله عليه وسلم ، مسوِّمين بالصوف ، فسوِّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيولهم على سيماهم بالصوف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عباد بن حمزة ، قال : نزلت الملائكة في سماء الزبير ، عليهم عمام صفر ، وكانت عمامة الزبير صفراء .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال : بالصوف في نواصيها وأذناها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق ، عليهم عمام صفر ، وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء .

حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا هشام ابن عروة ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر ، فاعتم بها ، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبي الله صلى الله عليه وسلم معتمين بعمائم صفر .

فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه « تَسَوِّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوِّمَتْ » وقول أبي أسيد : خرجت الملائكة في عمام صفر قد طرحوها بين أكتافهم ، وقول من قال منهم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ : معلمين ، ينبي جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك ، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها ، على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى .

وأما الذين قرعوا ذلك مسوِّمين بالفتح ، فإنهم أراهم تأولوا في ذلك ما حدثنا به حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان بن غياث ، عن عكرمة ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ يقول : عليهم سماء القتال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ يقول : عليهم سماء القتال ، وذلك يوم بدر ، أمدَّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ،

يقول : عليهم سيما القتال ، فقالوا : كان سيما القتال عليهم ، لأنهم كانوا تسوموا بسيما فيضاف إليهم التسويم ، فمن أجل ذلك قرءوا ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بمعنى أن الله تعالى أضاف التسويم إلى من سومهم تلك السيام ، والسيما : العلامة ، يقال : هي سيما حسنة ، وسيمياء حسنة ، كما قال الشاعر :

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يافِعاً لَهُ سِيَمَاءٌ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ

يعنى بذلك علامة من حسن ، فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره ، قيل : سوم نفسه ، فهو يسومها تسويماً .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

❦ يعنى تعالى ذكره : وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم إلا بشري لكم ، يعنى بشرى يبشركم بها ، ولتطمئن قلوبكم به ، يقول : وكى تطمئن بوعده الذى وعدكم من ذلك قلوبكم ، فتسكن إليه ، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم ، وقلة عددكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ : يعنى وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لامن قبل المدد الذى يأتيكم من الملائكة ، يقول : فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ، فإن نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه معكم من ملائكته خمسة آلاف ، فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوكم ، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة أخرى ، فاتقوا الله واصبروا على جهاده عدوكم ، فإن الله ناصركم عليهم . كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ يقول : إنما جعلهم ليستبشروا بهم ، وليطمئنوا إليهم ، ولم يقاتلوا معهم يومئذ ، يعنى يوم أحد ، قال مجاهد : ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى بسلطاني وقدرتي ، وذلك أنى أعرف الحكمة التى لا إلى أحد من خلقى .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم .

(١) البيت فى اللسان (سوم) ، ونسبه لأسد بن عتقاء الفزارى ، يمدح ابن عمه عيلة حين قاسمه ماله البيت . وبعده :

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ وَفِي جِيدِهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ

له سيمياء لاتشق على البصر : أى يفرح به من ينظر إليه ، قال ابن برى وحكى على بن حمزة (الكسائى) أن أبا ريش قال : لا يروى بيت ابن عتقاء الفزارى : « غلام رماه الله بالحسن يافعا » إلا أعمى البصيرة ، لأن الحسن مولود ، وإنما هو : « رماه الله بالخير يافعا » . قال : حكاه أبو ريش عن أبي زيد . قلت : والسيما والسيما : يكونان مقصورين ومدودين .

وأما معنى قوله ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فإنه جل ثناؤه يعني : العزيز في انتقامه من أهل الكفر بأيدي أوليائه من أهل طاعته ، الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر ، وغير ذلك من أموره ، يقول : فأبشروا أيها المؤمنون بتدبيرى لكم على أعدائكم ، ونصرى إياكم عليهم إن أنتم أطعتمونى فيما أمرتكم به ، وصبرتم لجهاد عدوى وعدوكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد نصركم الله بيدر ، ليقطع طرفا من الذين كفروا ، ويعنى بالطرف : الطائفة والنفر ، يقول تعالى ذكره : ولقد نصركم الله بيدر كما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانية ربهم ، ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فقطع الله يوم بدر طرفا من الكفار ، وقتل صناديدهم ورؤساءهم ، وقادتهم فى الشر . حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحوه .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . . . الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر ، قطع الله طائفة منهم ، وبقيت طائفة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفا من الذين كفروا ، وقال : إنما عنى بذلك من قتل بأحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذكر الله قتلى المشركين ، يعنى بأحد ، وكانوا ثمانية عشر رجلا ، فقال : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم ذكر الشهداء فقال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ . . . الآية . وأما قوله ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ فإنه يعنى بذلك أو يخزيهم بالخيبة بما رجوا من الظفر بكم وقد قيل : إن معنى قوله : ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ : أو يصرعهم لوجوههم ، ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول : كَبَتَهُ الله لوجهه ، بمعنى صرعه الله .

فتأويل الكلام : ولقد نصركم الله بيدر ، ليهلك فريقا من الكفار بالسيف ، أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر ، فينقلبوا خائبين ، يقول : فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيئا مما رجوا أن ينالوه منكم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ أَوْ يَكْتُوبَتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾
أويردّهم خائبين ، أو يرجع من بقى منهم خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ أَوْ يَكْتُوبَتُهُمْ ﴾ يقول : يخزيهم
فينقلبوا خائبين .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿ يعني بذلك تعالى ذكره : ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ،
فإنهم ظالمون ، ليس لك من الأمر شيء ، فقوله ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ منصوب عطفاً على قوله ﴿ أَوْ
يَكْتُوبَتُهُمْ ﴾ وقد يحتمل أن يكون تأويله : ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم ، فيكون نصب
يتوب بمعنى أو التي هي في معنى حتى ، والقول الأول أولى بالصواب ، لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد
سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم ، وبعد ذلك ، وتأويل قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ :
ليس إليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري ، وتنتهي فيهم إلى طاعتي ، وإنما أمرهم إلى والقضاء
فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم ، وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني ، وخالف
أمرى ، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم الميرة ، وإما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل
الكفر بي .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم :
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ : أي ليس
لك من الحكم في شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتي ، فإن شئت فعلت ،
أو أعذبهم بذنوبهم ، فإنهم ظالمون : أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي ، وذكر أن الله عز وجل إنما
أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين ، قال كالآيس
لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَسَوْا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ » .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا حميد ، قال : قال أنس : قال النبي
صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، وشج ، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول : « كَيْفَ
يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا نَبِيِّهِمْ بِالدِّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ » فأنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ
الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .
حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته ، وكسرت ربايعته : « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا
هَذَا بِنَبِيِّهِمْ » فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ،
فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

حدثني يعقوب عن ابن علية ، قال : ثنا ابن عون ، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوم أحد : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أَدْمَوْا وَجْهَهُ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » فنزلت
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه ذلك .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم أحد ، وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ، وأصيب بعض ربايعته ، فقال
وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ نَبِيِّهِمْ بِالْدَمِ وَهُوَ
يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » فأنزل الله عز وجل : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ،
أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن مطر ، عن قتادة ، قال
أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت ربايعته ، وفرق حاجبه ، فوقع وعليه درعان والدم
يسيل ، فرّ به سالم مولى أبي حذيفة ، فأجلسه ، ومسح عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : « كَيْفَ يَقُومُ
فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ » فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ
شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ . . .
الآية ، قال : قال الربيع بن أنس : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ، وأصابت ربايعته ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو
عليهم ، فقال : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أَدْمَوْا وَجْهَهُ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ يَدْعُوْنَهُ
إِلَى الشَّيْطَانِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى ، وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى الضَّلَالَةِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ،
وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى النَّارِ » فهم أن يدعو عليهم ، فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ،
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الدعاء عليهم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن في قوله ﴿لَيْسَ لَكَ

مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ ﴿١٠٠﴾ . . . الآية كلها ، فقال : جاء أبوسفیان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر ، فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا ، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله أنها قد خالطت غضبا : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ نَبِيِّهِمْ بِالدِّمِّ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ » فقال الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ۖ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۖ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد ، أصابها عتبة بن أبي وقاص ، وشجه في وجهه ، وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا بِنَبِيِّهِمْ هَذَا » فأنزل الله عز وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ۖ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۖ ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، وعن عثمان الجذري ، عن مقسم أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ، ووثا وجهه ، فقال : « اللَّهُمَّ لَا تُحِلِّ عَليَّهِ الْحَوْلَ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا » قال : فما حال عليه الحول حتى مات كافرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه ، وكسرت رباعيته . قال ابن جريج : ذكر لنا أنه لما جرح ، جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ نَبِيِّهِمْ بِالدِّمِّ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ؟ » فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۖ ﴾ .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عز وجل : ليس الأمر إليك فيهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحرث ، قال : ثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۖ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۖ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ۖ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ۖ ﴾ قال : وهداهم الله للإسلام

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أحمد بن سفيان ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ السَّعْنُ أبا سَفْيَانَ ، اللَّهُمَّ السَّعْنُ الْحَارِثُ »

(۱) الوث : وصم يصيب اللحم ، ولا يبلغ العظم ، فيرم . أو أن يصيب العظم وصم لا يبلغ الكسر .

Marfat.com

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ﴾ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا فِي إِسْلَامِكُمْ ، بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمْ لَهُ ، كَمَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ ، وَكَانَ أَكْلُهُمْ ذَلِكَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَكُونُ لَهُ عَلَى الرَّجُلِ مَالٌ إِلَى أَجَلٍ ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ طَلَبَهُ مِنْ صَاحِبِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ : أَخْرِ عَنِّي دِينَكَ ، وَأَزِيدْكَ عَلَى مَالِكَ ، فَيَفْعَلَانِ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ هُوَ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ، فَهَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِسْلَامِهِمْ عَنْهُ . كَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ ، قَالَ : ثَنَا مِثْلُ ، قَالَ : ثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : كَانَتْ ثَقِيفٌ تَدَايِنُ فِي بَنِي الْمُغِيرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ ، قَالُوا : نَزِيدُكُمْ وَتَوَخَّرُونَ ، فَنَزَلَتْ : ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ : أَيُّ لَا تَأْكُلُوا فِي الْإِسْلَامِ إِذْ هَدَاكُمْ لَهُ ، مَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ إِذْ أَنْتُمْ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ قَالَ : رَبَا الْجَاهِلِيَّةِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ زَيْدٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ قَالَ : كَانَ أَبِي يَقُولُ : إِنَّمَا كَانَ الرِّبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّضْعِيفِ وَفِي السَّنِّ ، يَكُونُ لِلرَّجُلِ فَضْلٌ دِينَ ، فَيَأْتِيهِ إِذَا حَلَّ الْأَجَلُ ، فَيَقُولُ لَهُ : تَقْضِيْنِي أَوْ تَزِيدْنِي ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَقْضِيهِ قَضَى ، وَإِلَّا حَوَّلَهُ إِلَى السَّنِّ الَّتِي فَوْقَ ذَلِكَ إِنْ كَانَتْ ابْنَةُ مَخَاضٍ ، يَجْعَلُهَا ابْنَةُ لَبُونٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ حَقَّةً ، ثُمَّ جَذْعَةً ، ثُمَّ رِبَاعِيًا ، ثُمَّ هَكَذَا إِلَى فَوْقَ ، وَفِي الْعَيْنِ يَأْتِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَضْعَفُهُ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَضْعَفُهُ أَيْضًا ، فَتَكُونُ مِائَةً فَيَجْعَلُهَا إِلَى قَابِلِ مِائَتَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَعْلُهَا أَرْبَعِمِائَةٍ ، يَضْعَفُهَا لَهُ كُلِّ سَنَةٍ ، أَوْ يَقْضِيهِ ، قَالَ : فَهَذَا قَوْلُهُ ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي : وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا تَأْكُلُوهُ ، وَفِي غَيْرِهِ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ ، أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَطِيعُوهُ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ، يَقُولُ : لَتَنْجَحُوا فَتَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ ، وَتَدْرِكُوا مَا رَغِبْتُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَالْخُلُودُ فِي جَنَانِهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : أَيُّ فَاطِيعُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَنْجُوا مِمَّا حَذَّرَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ ، وَتَدْرِكُوا مَا رَغِبْتُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ : وَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ النَّارَ أَنْ تَصْلُوهَا بِأَكْلِكُمْ الرِّبَا بَعْدَ نَهْيِ إِيَّاكُمْ عَنْهُ الَّتِي أَعَدَّتْهَا لِمَنْ كَفَرَ بِكُمْ ، فَتَدْخُلُوا مَدَاحِلَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِمُخْلَافِكُمْ أَمْرِي ، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتِي .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ التي جعلت دارا لمن كفر بي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿يعني بذلك جل ثناؤه : وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء ، وفيما أمركم به الرسول ، يقول : وأطيعوا الرسول أيضا كذلك لعلكم ترحمون ، يقول : لترحوا فلا تعذبوا . وقد قيل : إن ذلك معاتبه من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد ، فأخلوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معاتبه للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذي أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره ، يعني في يوم أحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

يعني تعالى ذكره بقوله : وسارعوا : وبادروا وسابقوا إلى مغفرة من ربكم ، يعني : إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته ، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها ، وجنة عرضها السموات والأرض يعني : وسارعوا أيضا إلى جنة عرضها السموات والأرض ؛ ذكر أن معنى ذلك : وجنة عرضها كعرض السموات السبع ، والأرضين السبع ، إذا ضم بعضها إلى بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال : قال ابن عباس : تقرن السموات السبع والأرضون السبع ، كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض ، فذلك عرض الجنة ، وإنما قيل ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فوصف عرضها بالسموات والأرضين . والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والأرض تشبيها به في السعة والعظم ، كما قيل : ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ إِلَّا بِعَشُوكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني إلا كبعث نفس واحدة وكما قال الشاعر :

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ يَجْتُوبُ سِلِّي نَعَامٌ قَاقٌ فِي بِلَدٍ قِفَارٍ

أي عذير نعام ، وكما قال الآخر :

(١) البيت في اللسان (سل) ولم ينسبه . قال : والعذير : الحال . ونسلي اسم موضع بالأهواز كثير النمر . قال . . . البيت . والقفار : جمع القفر : الحال من البناء والشجر والساكن . جمعه لاتساع نواحيه وتعددتها ، كأنها مواضع مختلفة . وفي (قاق) : قاق النعام : صوت ، قال النابغة . . . البيت . أراد عذير نعام ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، ومعناه : كأن حالهم في الهزيمة حال نعام تغدو مذعورة . وهذا البيت نسبته ابن بري لشقيق بن جزة بن رباح الباهلي .

حَسِبْتُ بُغَامَ رِحْلَتِي عَنَّا وَمَا هِيَ وَيَسْبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ ١

يريد صوت عناق ، وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : هذه الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال : هَذَا النَّهَارُ إِذَا جَاءَ ، أَيْنَ اللَّيْلُ ؟ .

ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن سعيد ابن أبي راشد ، عن يعلى بن مرة ، قال : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد أقعد ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلا عن يساره ، قال : قلت من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية ، فإذا هو : إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سُبْحَانَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ ؟ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، أن ناسا من اليهود سألو عمر بن الخطاب ، عن جنة عرضها السموات والأرض ، أين النار ؟ قال : رأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار ؟ فقالوا : اللهم نزعنا ١ مثله من التوراة .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق ابن شهاب أن عمرأتاه ثلاثة نفر من أهل نجران ، فسألوه وعنده أصحابه ، فقالوا : رأيتم قوله ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فأين النار ؟ فأحجم الناس ، فقال عمر : رأيتم إذا جاء الليل ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟ فقالوا : نزعنا ٢ مثلها من التوراة .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر ، بنحوه في الثلاثة الرهط الذين أتوا عمر ، فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، بمثل حديث قيس بن مسلم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر ، فقال : تقولون : جنة عرضها السموات والأرض أين تكون النار ؟ فقال له عمر : رأيتم النهار إذا جاء ، أين يكون الليل ؟ رأيتم الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ فقال : إنه لمثلها في التوراة ، فقال له صاحبه : لم أخبرته ؟ فقال له صاحبه : دعه إنه بكل موقن . حدثني أحمد بن حازم ، قال : أخبرنا أبو نعيم ، قال : ثنا جعفر بن برقان ، قال : ثنا يزيد الأصم ، أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس ، فقال : تقولون جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال ابن عباس : رأيتم الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟

(١) البيت في اللسان (بغم) قال : وبغام الناقة : صوت لاتفصح به ، ومنه قول ذي الخرق . . . البيت . وأورده أيضا في (عنى) قال : والعناق : الأنثى من المعز ، أنشد ابن الأعرابي لقريط يصف الذئب . . . البيت نفسه ، وبعده بيت آخر وهو :

فلو أني رميتك من قريب لعاقك عن دعاء الذئب عاق

(٢) الذي في نهاية ابن الأثير : لقد نزعنا بمثل ما في التوراة ، أي جنت بما يشبهها .

وأما قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فإنه يعني : إن الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرضين السبع أعدّها الله للمتقين ، الذين اتقوا الله ، فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم ، فلم يتعدّوا حدوده ، ولم يقصروا في واجب حقه عليهم فيضيعوه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿يُنْفِقُونَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أعدت الجنة التي عرضها السموات والأرض للمتقين ، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله ، إما في صرفه على محتاج ، وإما في تقوية مضجع على النهوض للجهاد في سبيل الله .

وأما قوله ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾ فإنه يعني : في حال السرور بكثرة المال ، ورخاء العيش ؛ والسراء : مصدر من قولهم سرّني هذا الأمر مسرة وسرورا ؛ والضراء : مصدر من قولهم : قد ضرّ فلان فهو يضرّ إذا أصابه الضرّ ، وذلك إذا أصابه الضيق والجهد في عيشه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ يقول : في العسر واليسر . فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه ، وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة ، وفي حال الضيق والشدة في سبيله .

وقوله ﴿وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ﴾ يعني : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه ، يقال منه : كظم فلان غيظه : إذا تجرّعه ، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكائها من غاظها وانتصارها ممن ظلمها ، وأصل ذلك من كظم القربة . يقال منه : كظمت القربة : إذا ملأها ماء . وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئا غما وحزنا ، ومنه قول الله عز وجل ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يعني ممتلي من الحزن . ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء ، ومنه قيل : أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه ، والغيظ : مصدر من قول القائل : غاظني فلان فهو يغيطني غيظا ، وذلك إذا أحفظه وأغضبه .

وأما قوله ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فإنه يعني : والصابحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم ، وهم على الانتقام منهم قادرين ، فتاركوها لهم .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فإنه يعني : فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدّ للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض ، والعاملون بها هم المحسنون ، وإحسانهم هو عملهم بها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾... الآية ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿أَيُّ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ ، وَأَنَا أَحَبُّ مِنْ عَمَلٍ بِهِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَافِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿: قَوْمٌ أَنْفَقُوا فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالْجَهْدِ وَالرِّخَاءِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَغْلِبَ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ فَلْيَفْعَلْ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَنَعِمْتَ وَاللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ الْجُرْعَةَ تَجَرَّعَهَا مِنْ صَبْرٍ وَأَنْتَ مَغِيظٌ وَأَنْتَ مَظْلُومٌ .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محرز أبو رجاء ، عن الحسن ، قال : يقال يوم القيامة : ليقم من كان له على الله أجر ، فما يقوم إلا إنسان عفا ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام ، يقال له : عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة في قوله ﴿وَالْكَافِينَ الْغَيْظَ﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَازِهِ مَلَأَهُ اللَّهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَالْكَافِينَ الْغَيْظَ﴾... إلى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، فالكاظمين الغيظ كقوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ : يغضبون في الأمر لو وقعوا به كان حراما فيغفرون ويعفون ، يلتمسون بذلك وجه الله ؛ ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ كقوله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾... إلى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾ يقول : لاتقسموا على أن لاتعطوهم من النفقة شيئا واعفوا واصفحوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ فَاعْلَوْا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

﴿يعني بقوله جل ثناؤه﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴿: أن الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين ، المنفقين في السراء والضراء ، والذين إذا فعلوا فاحشة ، وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني ، قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَافِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴿...﴾ إِلَى أَجْرِ الْعَامِلِينَ ﴿﴾ فَقَالَ : إِنْ هَذَيْنِ النَّعْتَيْنِ لَنَعْتَ رَجُلًا وَاحِدًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ قال : هذان ذنبان : الفاحشة ذنب ، وظلموا أنفسهم ذنب . أما الفاحشة فهي صفة لمتروك .

ومعنى الكلام : والذين إذا فعلوا فعلة فاحشة ، ومعنى الفاحشة : الفعل القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه ، وأصل الفحش القبح ، والخروج عن الحد والمقدار في كل شيء ، ومنه قيل للطويل المفرط الطول : إنه لفاحش الطول ، يراد به : قبيح الطول ، خارج عن المقدار المستحسن ؛ ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد : كلام فاحش ، وقيل للمتكلم به : أفحش في كلامه : إذا نطق بفحش ؛ وقيل : إن الفاحشة في هذا الموضع معنى بها الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا حبان ، قال : ثنا حماد ، عن ثابت ، عن جابر ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ قال : زنى القوم ورب الكعبة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ أما الفاحشة : فالزنا .

وقوله ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يعني به : فعلوا بأنفسهم غير الذي كان ينبغي لهم أن يفعلوا بها ، والذي فعلوا من ذلك ركوبهم من معصية الله ، ما أوجبوا لها به عقوبته .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ قال : الظلم من الفاحشة ، والفاحشة من الظلم .

وقوله ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ يعني بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ يقول : فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحة لهم عن العقوبة عليها ﴿ وَمَنْ يَغْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ يقول : وهل يغفر الذنوب : أي يعفو عن ركبها فيسترها عايه إلا الله ؟ ﴿ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ يقول : ولم يقيموا على ذنوبهم التي أتوها ، ومعصيتهم التي ركبوها ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يقول : لم يقيموا على ذنوبهم عاندين للمقام عليها ، وهم يعلمون أن الله قد تقدم بالهي عنها ، وأوعد عايتها العقوبة من ركبها . وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويسرها أمنا مما كانت بنو إسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء في ذنوبها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح أنهم قالوا : يا نبي الله ، بنو إسرائيل أكرم على الله منا ، كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه : اجدع أذنك ، اجدع أنفك ، افعل ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزلت :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ... إلى قوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ ؟ فَقَرَأُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عمر بن خليفة العبدى ، قال : ثنا على بن زيد بن جدعان ، قال : قال ابن مسعود : كانت بنو إسرائيل إذا أذنبوا ، أصبح مكتوباً على بابهم الذنب وكفارته ، فأعطينا خيراً من ذلك هذه الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البناني ، قال : لما نزلت ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بكى إبليس فرعاً من هذه الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا جعفر بن سامان ، عن ثابت البناني ، قال : بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكى .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي ، قال : سمعت علي بن ربيعة ، يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء ، عن علي ، قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، نفعتني الله بما شاء أن ينفعتني ، فحدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ما من عبد ، قال شعبة : وأحسبه قال مسلم ، يذنب دنبا ثم يتوضأ ، ثم يصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب . وقال شعبة : وقرأ إحدى هاتين الآيتين : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن مسعر وسفيان ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن علي بن ربيعة الوالبي ، عن أسماء بن الحكم الفزاري ، عن علي بن أبي طالب ، قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني عنه غيره ، استحلقتة ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ يَذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، قَالَ أَحَدُهُمَا : رَكَعَتَيْنِ وَقَالَ الْآخَرُ : ثُمَّ يُصَلِّي وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ» .

حدثنا الزبير بن بكار ، قال : ثنى سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أخيه ، عن جده عن علي ابن أبي طالب أنه قال : ما حدثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سألته أن يقسم لي بالله هو سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر ، فإنه كان لا يكذب ، قال علي رضي الله عنه : فحدثني أبو بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ يَذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ إِلَّا غَفَرَهُ اللَّهُ لَهُ» .

(۱) كذا في النسخ ، ولعله سقط من قلم الناسخ لفظ : إلا غفر له ، كما هو في الروايات بعده .

وأما قوله ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فإنه كما بينا تأويله ، وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ : أى إن أتوا فاحشة ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بمعصية ذكروا نهي الله عنها ، وما حرم الله عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو .

وأما قوله ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فإن اسم الله مرفوع ، ولا جحد قبله ، وإنما يرفع ما بعد إلا باتباعه ما قبله إذا كان نكرة ومع جحد ، كقول القائل : ما في الدار أحد إلا أخوك ؛ فأما إذا قيل : قام القوم إلا أباك ، فإن وجه الكلام في الأب النصب ومن بصلته في قوله ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ معرفة فإن ذلك إنما جاء رفعا ، لأن معنى الكلام : وهل يغفر الذنوب أحد ، أو ما يغفر الذنوب أحد إلا الله ، فرفع ما بعد إلا من الله على تأويل الكلام ، لأعلى لفظه .

وأما قوله ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويل الإصرار ، ومعنى هذه الكلمة : فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ، ولم يقيموا عليه ، ولكنهم تابوا واستغفروا ، كما وصفهم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإياكم والإصرار ، وإنما هلك المصرون الماضون قدما ، لا ينهاتهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ، ولا يتوبون من ذنب أصابوه ، حتى أتاهم الموت وهم على ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال : قدما قدما في معاصي الله ، لا ينهاتهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : أى لم يقيموا على معصيتي ، كفعل من أشرك بي فيما عملوا به من كفر بي . وقال آخرون : معنى ذلك : لم يواقعوا الذنب إذا هموا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ قال : إتيان العبد ذنبا إصرارا حتى يتوب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ قال : لم يواقعوا .

وقال آخرون : معنى الإصرار : السكوت على الذنب ، وترك الاستغفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : أما يصروا : فيسكتوا ولا يستغفروا .
 ﴿وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدَنَا ، قَوْلٌ مِنْ قَالَ الْإِصْرَارُ : الْإِقَامَةُ عَلَى الذَّنْبِ عَامِدًا ، أَوْ تَرَكَ التَّوْبَةَ مِنْهُ وَلَا مَعْنَى لِقَوْلٍ مِنْ قَالَ : الْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ : هُوَ مَوَاقَعَتُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَدَحَ بِتَرْكِ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ مَوَاقِعَ الذَّنْبِ ، فَقَالَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ﴾ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ؛ وَلَوْ كَانَ الْمَوَاقِعُ الذَّنْبِ مَصْرًا بِمَوَاقَعَتِهِ إِيَّاهُ ، لَمْ يَكُنْ لِلْإِسْتِغْفَارِ وَجْهٌ مَفْهُومٌ ، لِأَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ الذَّنْبِ إِنَّمَا هُوَ التَّوْبَةُ مِنْهُ وَالنَّدَمُ ، وَلَا يَعْرِفُ لِلْإِسْتِغْفَارِ مِنْ ذَنْبٍ لَمْ يَوَاقَعَهُ صَاحِبُهُ وَجْهٌ . وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَصْرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » .

حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن عثمان بن واقد ، عن أبي نصيرة ، عن مولى لأبي بكر ، عن أبي بكر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مواقع الذَّنْبِ مَصْرًا ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ « مَا أَصْرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » مَعْنَى ، لِأَنَّ مَوَاقِعَ الذَّنْبِ ، إِذَا كَانَتْ هِيَ الْإِصْرَارُ ، فَلَا يَزِيلُ الْأَسْمَ الَّذِي لَزِمَهُ مَعْنَى غَيْرِهِ ، كَمَا لَا يَزِيلُ عَنِ الزَّانِي أَسْمَ زَانٍ ، وَعَنِ الْقَاتِلِ أَسْمَ قَاتِلٍ تَوْبَتَهُ مِنْهُ ، وَلَا مَعْنَى غَيْرَهَا ، وَقَدْ أَبَانَ هَذَا الْخَبَرُ أَنَّ الْمُسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِهِ غَيْرَ مَصْرٍ عَلَيْهِ ، فَعُلُومٌ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِصْرَارَ غَيْرَ الْمَوَاقِعَةِ ، وَأَنَّهُ الْمَقَامُ عَلَيْهِ عَلَى مَا قُلْنَا قَبْلَ .
 واختلف أهل التأويل في تأويل قولهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فقال بعضهم : معناه : وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : فيعلمون أنهم قد أذنبوا ، ثم أقاموا فلم يستغفروا .
 وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يعلمون أن الذي أتوا معصية الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال : يعلمون بما حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِي .

قال أبو جعفر : وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَزَاءُ تَجَرُّي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٦٦﴾

﴿يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ : أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ ، جَزَاؤُهُمْ ، يَعْنِي ثَوَابُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنَّهُمْ عَمَلُوهَا ، مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، يَقُولُ : عَفُو لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَنْ عَقُوبَتِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، وَلَهُمْ عَلَى مَا أَطَاعُوا اللَّهَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ بِالْحَسَنِ مِنْهَا جَنَّاتٌ ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَقُولُ : تَجْرَى خِلَالِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ ، وَفِي أَسْفَلِهَا جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ ، خَالِدِينَ فِيهَا : يَعْنِي دَائِمِي الْمَقَامِ فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الَّتِي وَصَفَهَا ، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ : يَعْنِي وَنِعْمَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ لِلَّهِ الْجَنَّاتُ الَّتِي وَصَفَهَا .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ : أَيِ ثَوَابِ الْمُطِيعِينَ .
القول في تأويل قوله تعالى :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٣٧)

﴿يَعْنِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنْهُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ ، مِنْ نَحْوِ قَوْمِ عَادَ وَثَمُودَ ، وَقَوْمِ هُودَ ، وَقَوْمِ لُوطَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَلَاَفِ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ سُنَنٌ ، يَعْنِي مِثَالُ سِيرِهَا فِيهِمْ وَفِيمَنْ كَذَّبُوا بِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ ، بِإِمْهَالٍ أَهْلَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ ، وَاسْتَدْرَاجِي إِيَّاهُمْ ، حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَلْتَهُ لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَحَلَّتْ بِهِمْ عَقُوبَتِي ، وَنَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ نَقْمَتِي ، فَفَرَكْتُهُمْ لَمَنْ بَعْدَهُمْ أَمْثَالًا وَعِبْرًا ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ يَقُولُ : فَسِيرُوا أَيُّهَا الظَّالِمُونَ أَنْ إِدَالَتِي مِنْ أَدَلَّتْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَغَيْرِ اسْتَدْرَاجٍ مِنْ لَمَنْ أَشْرَكَ بِي ، وَكَفَرُ بِرِسَالِي ، وَخَالَفَ أَمْرِي فِي دِيَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ الَّذِي عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِرِسُولِي ، وَالْجَاهِدُونَ وَحْدَانِيَّتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَائِي ، وَمَا الَّذِي آلَ إِلَيْهِ عَنْ خِلَافِهِمْ أَمْرِي ، وَإِنْكَارِهِمْ وَحْدَانِيَّتِي ، فَتَعَلَّمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ إِدَالَتِي مِنْ أَدَلَّتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ بِأَحَدٍ ، إِنَّمَا هِيَ اسْتَدْرَاجٌ وَإِمْهَالٌ ، لِيَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ الَّذِي أَجَلْتُ لَهُمْ ، ثُمَّ إِذَا أَنْ يَثُولَ حَالَهُمْ إِلَى مِثْلِ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالِ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَلَفُوا قَبْلَهُمْ مِنْ تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَنْبِئُوا إِلَى طَاعَتِي وَاتِّبَاعِ رِسُولِي .
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبَادٌ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فَقَالَ : أَلَمْ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَتَنْظُرُوا كَيْفَ عَذَّبَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ ، وَقَوْمَ لُوطَ ، وَقَوْمَ صَالِحَ ، وَالْأُمَمَ الَّتِي عَذَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ يقول : في الكفار والمؤمنين ، والخير والشر .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ في المؤمنين والكفار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، يعني بالمسلمين يوم أحد ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم ، وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وما هو صانع بهم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿ أَى قَدْ مَضَتْ مَنى وقائع نعمة في أهل التكذيب لرسلى والشرك فى عاد وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، فسيروا فى الأرض تروا مثلات قد مضت فيهم ، ولمن كان على مثل ما هم عليه مثل ذلك منى ، وإن أمكنت لهم : أى لئلا يظنوا أن نعمتى انقطعت عن عدوهم وعدوى للدولة التى أدلتها عليكم بها لأبتليكم بذلك ، لأعلم ما عندكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ فسيروا في الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿ يقول : متعهم في الدنيا قليلا ، ثم صيرهم إلى النار ، وأما السنن ، فإنها جمع سنة ، والسنة : هى المثال المتبع ، والإمام الموتم به ، يقال منه : سن فلان فينا سنة حسنة ، وسن سنة سيئة : إذا عمل عملا اتبع عليه من خير وشر ، ومنه قول أبيد ابن ربيعة :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
وقول سليمان بن قته :

وَأَنَّ الْأُكُلَ بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكَرَامِ التَّاسِيَا
وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ قال : أمثال .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى الذى أشير إليه بهذا ، فقال بعضهم : غنى بقوله هذا : القرآن .

(١) البيت للبيد بن ربيعة ، رواه الزوزنى والتبريزى في معلقته . والمعشر : الجماعة . وسنت لهم آباؤهم : علمتهم طريق كسب المعال . والسنة : الطريق والأمر الواضح . والإمام : القدوة والمثال يقتدى به .

(٢) البيت لسليمان بن قته العدوى . والطف : موضع قرب الكوفة ، سمى طفا لأنه طرف البر بما يلي الفرات . وهناك الموضع المعروف بكر بلاء ، الذى قتل فيه الحسين بن على رضى الله عنهما . وتأسوا من المؤاساة وهى المشاركة ، لامن التأسى بمعنى التصبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال ثنا : عباد ، عن الحسن في قوله ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ قال : هذا القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ وهو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة ، وهدى وموعظة للمتقين خصوصا .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال في قوله ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج في قوله ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصة .

وقال آخرون : إنما أشير بقوله هذا إلى قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ثم قال : هذا الذي عرفتمكم يا معشر أصحاب محمد بيان للناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بذلك .

﴿ وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب ﴾ قول من قال : قوله هذا إشارة إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده ، وحضهم على لزوم طاعته ، والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم ، لأن قوله هذا إشارة إلى حاضر ، إما مرئي ، وإما مسموع ، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة . فمعنى الكلام : هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه ، بيان للناس ، يعنى بالبيان : الشرح والتفسير .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ أى هذا تفسير للناس إن قبلوه .

حدثنا أحمد بن حازم والمثنى ، قالا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ قال : من العمى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الشعبي ، مثله . وأما قوله ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ فإنه يعنى بالهدى : الدلالة على سبيل الحق ، ومنهج الدين ، وبالموعظة : التذكير للصواب والرشاد .

كما حدثنا أحمد بن حازم والمثنى ، قالا : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي : ﴿ وَهُدًى ﴾ قال : من الضلالة ، ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ من الجهل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن بيان ، عن الشعبي مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : أى لمن أطاعنى وعرف أمرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾

و هذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد ، قال : ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد ، يعنى : ولا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح ، عن جهاد عدوكم وحربهم ، من قول القائل : وهن فلان فى هذا الأمر فهو يهن وهنا ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ : ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ ، فإنكم أنتم الأعلون ، يعنى الظاهرون عليهم ، ولكم العقبي فى الظفر والنصرة عليهم ، يقول : إن كنتم مؤمنين ، يقول : إن كنتم مصدق نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم ، وفيما ينبئكم من الخبر عما يثول إليه أمركم وأمرهم . كما حدثنا المثني ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : كثر فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح ، حتى خلع إلى كل امرئ منهم اليأس ، فأنزل الله عز وجل القرآن ، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية فقال ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ : يعزى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويحثهم على قتال عدوهم ، وينهاهم عن العجز والوهن فى طلب عدوهم فى سبيل الله .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، قال : ثنا عباد ، عن الحسن ، فى قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال : يأمر محمدا يقول : ولا تهنوا أن تمضوا فى سبيل الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ : ولا تضعفوا .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ يقول : ولا تضعفوا .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ قال ابن جريج : ولا تضعفوا فى أمر عدوكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال : انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ، فقالوا : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فنعى بعضهم بعضا ، وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فكانوا فى هم وحزن ، فبينما هم كذلك ، إذ علا خالد بن الوليد الجبل بنخيل

المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب ؛ فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرجوا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ ، وَلَيْسَ يَعْصِدُكَ بِهَذِهِ الْبَلَدَةُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ » . قال : وثاب نفر من المسلمين رماة ، فصعدوا ، فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون الجبل ، فذلك قوله ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ أي لا تضعفوا ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ ولا تأسوا على ما أصابكم ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ لَا يَعْزِلُونَ عَلَيْنَا » فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُرَكَاءَ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ كلاهما بفتح القاف ، بمعنى : إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد ، فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله ؛ وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ ١ .

وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ بفتح القاف في الحرفين لإجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح ، فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح ، وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد ، والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا .

ذكر من قال : إن القرح : الجراح والقتل

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ قال : جراح وقتل .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، في قوله ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ قال : إن يقتلوا منكم يوم أحد ، فقد قتلتم منهم يوم بدر .

(١) أي بضم القاف فيهما ، ولعله سقط هنا من قلم الناسخ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ والقرح : الجراحة ، وذاكم يوم أحد ، فشا في أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة ، فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم ، وأن الذي أصابكم عقوبة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ قال : ذلك يوم أحد ، فشا في المسلمين الجراح ، وفشا فيهم القتل ، فذلك قوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ يقول : إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله ، يعزى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل على القتال .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ والقرح : هي الجراحات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي جراح ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ : أي جراح مثلها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نام المسلمون وبهم الكلوم ، يعني يوم أحد ، قال عكرمة : وفيهم أنزلت : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ وتلك الأيام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت : ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ كما تألمون ، وتترجون من الله ما لا يرجون .
وأما تأويل قوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ فإنه إن يصبكم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ : إن يصبكم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ :

يعني تعالى ذكره : وتلك الأيام نداولها بين الناس ، أيام بدر وأحد ، ويعني بقوله ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : نجعلها دولا بين الناس مصرفة ، ويعني بالناس : المسلمين والمشركين ، وذلك أن الله عز وجل أдал المسلمين من المشركين ببدر ، فقتلوا منهم سبعين ، وأسروا سبعين ، وأдал المشركين من المسلمين بأحد ، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم ، يقال منه : أдал الله فلانا من فلان فهو يديله منه إدالة إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المداال منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال : جعل الله الأيام دولا ، أдал الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : إنه والله لولا الدول ما أودى المؤمنون ، ولكن قد يدال للكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فأظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر ، وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد . وقد يدال الكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب ، وأما من ابتلى منهم من المسلمين يوم أحد ، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : يوما لكم ، ويوما عليكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس ﴿نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال : أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإنه كان يوم أحد بيوم بدر ، قتل المؤمنون يوم أحد ، اتخذ الله منهم شهداء ، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين ، فجعل له الدولة عليهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما كان قتال أحد ، وأصاب المسلمين ما أصاب ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان ، فقال : يا محمد ، يا محمد ، ألا تخرج ، ألا تخرج ، الحرب سجال ، يوم لنا ، ويوم لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه ، فقالوا : لاسواء لاسواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ، فقال أبو سفيان : لنا عزى ، ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مَرَلَانَا وَلَا مَوَلَى لَكُمْ ، فقال أبو سفيان : اعل هبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أَعْلَى وَأَجَلُّ ، فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدنا بدر الصغرى ، قال عكرمة : وفيهم أنزلت : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر . قال : ثنا ابن المبارك . عن ابن جريج . عن ابن عباس ، في قوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : فإنه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : أي نصرفها للناس بالبلاء والتحصيل .

حدثني إبراهيم بن عبد الله ، قال : أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ابن عون ، عن محمد بن قول الله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال : يعنى الأمراء .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ :

يعنى بذلك تعالى ذكره : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله : ليعلم متصلا بما قبله ، وكان : وتلك الأيام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا ، ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبرا مطلوبا للام التي في قوله : وليعلم ، متعلقة به .

﴿إِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ معرفة ، وأنت لاتستجيز في الكلام : قد سألت فعلمت عبد الله ، وأنت تريد : علمت شخصه ، إلا أن تريد : علمت صفته وما هو ؟ قيل : إن ذلك إنما جاز مع الدين ، لأن في اثنين تأويل من وأى ، وكذلك جائز مثله في الألف واللام ، كما قال تعالى ذكره ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ، وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿لأن في الألف واللام من تأويل أى ، ومن مثل الذي في الذي ، ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أى . جاز كما يقال : سألت لأعلم عبد الله من عمرو ، ويراد بذلك : لأعرف هذا من هذا .

فتأويل الكلام : وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم : نداول بين الناس ، فاستغنى بقوله ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ عن ذكر قوله ﴿مِنَ الَّذِينَ نافقوا﴾ لدلالة الكلام عليه إذ كان في قوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تأويل أى على ما وصفنا : فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ، كما قال جل ثناؤه ﴿لِيَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ غير أن الألف واللام والذي وبين . إذا وضعت مع العلم موضع أى نصبت بوقوع العلم عليه . كما قيل : وليعلمن الكاذبين ، فأما أى فإنها ترفع . وأما قوله ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فإنه يعنى : وليعلم الله الذين آمنوا . وليتخذ منكم شهداء : أى ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها ، والشهداء جمع شهيد .

كما حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة . حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال : فإن المسلمين كانوا يسألون ربهم : ربنا أرنا يوما كيوم بدر ، نقاتل فيه المشركين ، وننبئك فيه خيرا ، ونلتبس فيه الشهادة . فلقوا المشركين يوم أُحُد . فاتخذ منهم شهداء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فكرم الله أوليائه بالشهادة بأيدي عدوهم ، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴿١٠٧﴾ قال : قال ابن عباس : كانوا يسألون الشهادة ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ منهم شهداء .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿١٠٧﴾ كان المسلمون يسألون ربهم أن يرهم يوما كيوم بدر ، يبلون فيه خيرا ، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق ، فلقى المسلمون يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل ، فقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ . . . الآية .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه يعني به : الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ : أى المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة ، وقلوبهم مصرة على المعصية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٨﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بإدالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان من المنافق .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، في قوله ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال : ليبتلى .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن ، قوله ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال : ليحص الله المؤمن حتى يصدق .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول : يبتلى المؤمنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال : يبتليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ فكان تمحيضا للمؤمنين ، ومحقا للكافرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صبرهم وبقيتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَلْيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قال : يمحَق من محَق في الدنيا ، وكان بقية من يمحَق في الآخرة في النار .
وأما قوله ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ فإنه يعنى به : أنه ينقصهم ويفنيهم ، يقال منه : محَق فلان هذا الطعام : إذا نقصه أو أفناه ، يمحقه محققا ، ومنه قيل لمحاق القمر : محاق ، وذلك نقصانه وفناؤه .
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ قال : ينقصهم .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ قال : يمحَق الكافر حتى يكذبه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ : أى يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به منكم .
القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿يعنى بذلك جل ثناؤه : أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد ، وظننتم أن تدخلوا الجنة ، وتنالوا كرامة ربكم ، وشرف المنازل عنده ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ يقول : ولما يتبين لعبادى المؤمنين ، المجاهد منكم فى سبيل الله ، على ما أمره به ، وقد بينت معنى قوله ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ : وليعلم الله ، وما أشبه ذلك بأدلتة ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته ، وقوله ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ يعنى : الصابرين عند البأس على ما ينالهم فى ذات الله من جرح وألم ومكروه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ وتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ونصب ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ على الصرف ، والصرف أن يجتمع فعلا بى بعض حروف النسق ، وفى أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق ، فينصب الذى بعد حرف العطف على الصرف ، لأنه مصروف عن معنى الأول ، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام ، وذلك كقولهم : لا يسعنى شىء ويضيق عنك ، لأن لا التى مع يسعنى لا يحسن إعادتها مع قوله : ويضيق عنك ، فلذلك نصب ، والقراء فى هذا الحرف على النصب . وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ فيكسر الميم من يعلم ، لأنه كان ينوى جزمها على العطف به ، على قوله ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١١٠﴾

﴿يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعنى أسباب الموت ، وذلك ائقتال ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ فقد رأيتم ما كنتم تمنونه ، والهاء فى قوله رأيتموه ، عائدة

(١) هذا التوجيه النحوى كله مستمد من كلام الفراء فى كتابه «معانى القرآن» . (انظر مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) ص ٧١ .

على الموت ، ومعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر : أى بقرب منكم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ على وجه التوكيد للكلام ، كما يقال : رأيته عيانا ، ورأيته بعينى ، وسمعتة بأذنى ، وإنما قيل : ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ لأن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدر ، كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر ، فيبطلوا الله من أنفسهم خيرا ، وينالوا من الأجر ، مثل ما نال أهل بدر ؛ فلما كان يوم أحد فر بعضهم وصبر بعضهم ، حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك ، فعاتب الله من فر منهم ، فقال ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ . . . الآية ، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم .

ذكر الأخبار بما ذكرنا من ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قال : غاب رجال عن بدر ، فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه ، فيصيبوا من الخير والأجر ، مثل ما أصاب أهل بدر ؛ فلما كان يوم أحد ولي من ولي ، فعاتبهم الله ، أو فعابهم ، أو فعتبهم على ذلك ، شك أبو عاصم . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه ، إلا أنه قال : فعاتبهم الله على ذلك ، ولم يشك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ : أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر ، والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر ، فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا ، فسبق إليهم القتال حتى كان في ناحية المدينة يوم أحد ، فقال الله عز وجل كما تسمعون ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ حتى بلغ ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ قال : كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوه ، فلما لقوهم يوم أحد ولوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : إن أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالا ، فيقاتلوا ، فسبق إليهم القتال ، حتى كان بناحية المدينة يوم أحد ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ . . . الآية .

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا هود ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن ،

فابتلوا بذلك ، فلا والله ما كلهم صدق ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرًا ، فلما رأوا فضيلة أهل بدر ، قالوا : اللهم إنا نسألك أن ترينا يوما كيوم بدر ، نبليك فيه خيرا ، فرأوا أحدا ، فقال لهم : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : أي لقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعني الذين حملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم إلى عدوهم لما فاتهم من الحضور في اليوم الذي كان قبله ببدر ، رغبة في الشهادة التي قد فاتتهم به ، يقول ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال ، قد حل بينكم وبينهم ، وأنتم تنظرون إليهم ، فصددتم عنهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قِيلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

يعني تعالى ذكره بذلك : وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه داعيا إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه ، يقول جل ثناؤه : فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما هو فيما الله به صانع من قبضه إليه ، عند انقضاء مدة أجله كسائر مدة رسله إلى خلقه الذين مضوا قبله ، وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم ، ثم قال لأصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد : إن محمدا قتل ، ومقبحا إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهمزمه عنهم ، أفائن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله ، أو قتله عدوكم ، انقلبتم على أعقابكم ، يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدا بالدعاء إليه ، ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الإيمان به ، وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد إليه ، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ يعني بذلك : ومن يرتدد منكم عن دينه ، ويرجع كافرا بعد إيمانه ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ يقول : فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ، ولا يدخل بذلك نقص في ملكه ، بل نفسه يضر بردته ، وحظ نفسه ينقص بكفره . ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ يقول : وسيثيب الله من شكره على توفيقه ، وهدايته إياه لدينه بنبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إن هو مات أو قتل واستقامته على منهاجه ، وتمسكه بدينه وملته بعده . كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن هاشم ، قال : أخبرنا سيف بن عمرو ، عن

أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي في قوله ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ : الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه ، فكان علي رضي الله عنه يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين ، وأمين أحباء الله ، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن العلاء بن بدر ، قال : إن أبا بكر أمين الشاكرين وتلا هذه الآية ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ : أي من أطاعه وعمل بأمره ، وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ : ذاكم يوم أحد حين أصابهم القرع والقتل ، ثم تنازعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك ، فقال أناس : لو كان نبيا ما قتل . وقال أناس من عليّة أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم ، حتى يفتح الله لكم ، أو تلحقوا به ، فقال الله عز وجل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ، أفائين مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟ يقول : إن مات نبيكم ، أو قتل ، ارتددتم كفارا بعد إيمانكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه ، وزاد فيه : قال الربيع : وذكر لنا والله أعلم أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار ، وهو يتشحط في دمه ، فقال : يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أفائين مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟ يقول : ارتددتم كفارا بعد إيمانكم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن الفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : «لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد إليهم ، يعني إلى المشركين ، أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ، وقال : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإننا لن نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ، ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين ، فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فهزموا أبا سفيان ، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد ، وهو على خيل المشركين قدم ، فرمته الرماة فانقمع ، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالد قلة الرماح ، صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما

رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم ، فأتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته ، وشججه في وجهه ، فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فاجتمع إليه ثلاثون رجلا ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم يده فيبست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلان النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ ، فقال : يا كَذَّابُ أين تفرّ ، فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جنب الدرع ، فجرح جرحا خفيفا ، فوقع ينحور خوران الثور ، فاحتملوه وقالوا : ليس بك جراحة ، قال : أليس قال : لأقتلنك ، لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ، ولم يلبث إلا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ، فنأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ، يا قوم إن محمدا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعترز إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه ، فقال : أنا رسول الله ، ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابه الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل للذين قالوا : إن محمدا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ، أفأئین مات أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهَ الشَّاكِرِينَ ﴿

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ قال : يرتد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه .
وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، أن رجلا من المهاجرين ، مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه ، فقال : يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عبد النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال

من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قد قتل محمد رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ، واستقبل القوم فقاتل حتى قتل ، وبه سمى أنس بن مالك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ألا إن محمدا قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ألقى في أفواه المسلمين يوم أحد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتِلَ ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة ، والناس يفرّون ، ورجل قائم على الطريق يسألهم : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل كلما مرّوا عليه يسألهم ، فيقولون : والله ما ندرى ما فعل ، فقال : والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل لنعطينهم بأيدينا ، إنهم لعشائرتنا وإخواننا ، وقالوا : إن محمدا إن كان حيا لم يهزم ، ولكنه قد قتل ، فرخصوا في الفرار حينئذ ، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . . . الآية .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان . قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . . . الآية : ناس من أهل الارتياح والمرض والنفاق ، قالوا يوم فرّ الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وشجّ فوق حاجبه ، وكسرت رباعيته : قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول ، فذلك قوله ﴿ أَفَأَنْتُمْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ أَفَأَنْتُمْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ ؟ قال : ما بينكم وبين أن تدعو الإسلام ، وتنقلبوا على أعقابكم ، إلا أن يموت محمد ، أو يقتل ، فسوف يكون أحد هذين ، فسوف يموت ، أو يقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ إلى قوله ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أي لقول الناس قتل محمد ، وإنهزمهم عند ذلك وانصرفهم عن عدوهم ، أي أفائن مات نبيكم ، أو قتل ، رجعت عن دينكم كفارا ، كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله ، وما قد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم عنى أنه ميت ومفارقكم ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ : أي يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ : أي لن ينقص ذلك من عزّ الله ، ولا ملكه ، ولا سلطانه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال أهل المرض والارتباب والنفاق ، حين فر الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم : قد قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول ، فنزلت هذه الآية .

ومعنى الكلام : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفنتقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، فجعل الاستفهام في حرف الجزاء ، ومعناه أن يكون في جوابه [خبر] ١ وكذلك كل استفهام دخل على جزاء ، فعناه أن يكون في جوابه [خبر] ١ لأن الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك ، ومعناه الرفع لمحبيته بعد الجزاء ، كما قال الشاعر :

حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تَدَلَّجَ اللَّيْلُ لَا يَزُلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بَيْتِي سَائِرُ ٢

فمعنى لا يزل رفع ، ولكنه جزم لمحبيته بعد الجزاء فصار كالجواب ، ومثله ﴿أَفَأَنْتُمْ مُتَّ فَهَمُ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿وَكَيْفَ تَقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون ؛ وقيل : أفائن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم ، وكذلك لو كان مكان انقلبتم تنقلبوا جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل ، وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله : انقلبتم ، اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام ، وأن الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه . وقد كان بعض القراء يختار في قوله ﴿أَيُّدَا كُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَثْنًا لِمَسْعُوثُونَ﴾ ترك إعادة الاستفهام مع أثنا ، اكتفاء بالاستفهام في قوله ﴿أَيُّدَا كُنَّا تُرَابًا﴾ ، ويستشهد على صحة وجه ذلك باجتماع القراء على تركهم إعادة الاستفهام مع قوله : انقلبتم ، اكتفاء بالاستفهام في قوله : أفائن مات ، إذا كان دالا على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه ، وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن ، وسنأتي على الصواب من القول في ذلك إن شاء الله ، إذا انتهينا إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا

يعنى تعالى ذكره بذلك : وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذى جعله الله غاية لحياته وبقائه ، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذى كتبه الله له ، وأذن له بالموت ، فحينئذ يموت ، فأما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ، ولا بحيلة محتال .

(١) زيادة عن معاني القرآن للفراء ص ٧١ من مصورة جامعه القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ وقد أورد المؤلف أكثر كلامه بنصه .

(٢) البيت من شواهد التحوين : أوردته الفراء في معاني القرآن عن القاسم بن معن عن العرب ، ولم ينسبه لأحد ، واستشهد به على جزم لا يزل في ضرورة الشعر بجعله جواب الشرط ، وكان القياس أن يرفع ، ويجعل جوابا للقسم ، فيكون جواب الشرط محذوفا مدلولا عليه بجواب القسم . وقال ابن عصفور : وليس حلفت فيه قسما ، كما ذهب إليه الفراء ، بل هو خبر محض ، غير مراد به معنى القسم ، لأن القسم إذا تقدم على الشرط بنى الجواب عليه ، ولم يبن على الشرط .

وتدلج : تسر الليل كله . وأراد بالبيت جماعة من أقاربه . يقول : إن سافرت بالليل أرسلت جماعة من أهلى يسرون أمامك يخفرونك إلى أن تصل إلى مأمنك (انظر الخزانة ٤ : ٥٤٠ - ٥٤١) .

ورواه ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ص ٨٠٥ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٩ هـ هكذا :

وقلت له إن تدلج الليل لا تنزل أمامك بيت من بيوتى عاتر

وفسره بقوله : أى بيت هجاء سائر . ونسبه للرأى .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ : أى أن لمحمد أجلا هو بالغه إذا أذن الله له في ذلك كان .
وقد قيل : إن معنى ذلك : وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله .

وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ ، فقال بعض نحوي البصرة : هو توكيد ، ونصبه على كتب الله كتابا مؤجلا ، قال : وكذلك كل شيء في القرآن من قوله حقا ، إنما هو أحق ذلك حقا ، وكذلك «وعد الله» ورحمة من ربك ، وصنع الله الذي أتقن كل شيء ، وكتاب الله عليكم ، إنما هو صنع الله هكذا صنعا ، فهكذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا ، فإنه كثير .
وقال بعض نحوي الكوفة في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ معناه : كتب الله آجال النفوس ، ثم قيل : كتابا مؤجلا ، فأخرج قوله : كتابا مؤجلا ، نصبا من المعنى الذي في الكلام ، إذ كان قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قد أدّى عن معناه كتب ، قال : وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك ، فهو على هذا النحو .

وقال آخرون منهم : قول القائل : زيد قائم حقا بمعنى أقول : زيد قائم حقا ، لأن كل كلام قول ، فأدّى المقول عن القول ، ثم خرج ما بعده منه ، كما تقول : أقول قولاً حقا ، وكذلك ظنا وبقينا ، وكذلك وعد الله ، وما أشبهه .

والصواب من القول في ذلك عندي ، أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذي قبله ، لأن في كل ما قبل المصادر التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام ، معاني ألفاظ المصادر وإن خالفها في اللفظ ، فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجِّى الشَّاكِرِينَ

﴿١٢٥﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : من يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة ، لمن ابتغى بعمله ما عنده نؤته منها ، يقول : نعطه منها ، يعنى : من الدنيا ، يعنى : أنه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته ، ثم لانصيب له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه ، وطلب ما عنده في الآخرة ، ومن يرد ثواب الآخرة ؛ يقول : ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة ، يعنى ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة ، نؤته منها ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الآخرة ؛ والمعنى : من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة فخرج الكلام على الدنيا والآخرة ، والمعنى ما فيهما .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ : أى فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة ،

نؤته ما قسم له منها من رزق ، ولا حظ له في الآخرة ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه .

وأما قوله : ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ يقول : وسأثيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه بطاعته إياي وانتهائه إلى أمري ، وتجنبه محارمي في الآخرة ، مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم إياي . وقال ابن إسحاق في ذلك بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ أي ذلك جزاء الشاكرين ، يعني بذلك : إعطاء الله إياه ما وعده في الآخرة مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم : وكأيّن بهمز الألف وتشديد الياء ، وقرأه آخرون : بمدّ الألف وتخفيف الياء ، وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ، ولغتان معروفتان لاختلاف في معناهما ، فبأيّ القراءتين قرأ ذلك قارئ فحسب ، لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب ، ومعناه : وكم من نبيّ . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ ؛ فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة قتل بضم القاف ، وقرأه جماعة أخرى بفتح القاف وبالألف ، وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة ، فأما من قرأ قاتل ، فإنه اختار ذلك لأنه قال : لو قتلوا لم يكن لقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ وجه معروف ، لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهينوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ؛ وأما الذين قرءوا ذلك : قتل ، فإنهم قالوا : إنما عني بالقتل النبيّ ، وبعض من معه من الربين دون جميعهم ، وإنما نفى الوهن والضعف عن بقى من الربين ممن لم يقتل .

❖ وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بضم القاف ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية ، والآيات التي قبلها من قوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَدَخَّلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ الذين انهزموا يوم أُحُد ، وتركوا القتال ، أو سمعوا الصائح يصيح : إن محمداً قد قتل ، فعذبهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال ، فقال : أفائن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم ، وانقلبتم على أعقابكم ، ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم وقال لهم : هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم ، يفعلونه إذا قتل نبيهم من المضى على منهاج نبيهم ، والقتال على دينه أعداء دين الله ، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم

ولم تهنوا ولم تضعفوا ، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر ، من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم ، ولكنهم صبروا لأعدائهم ، حتى حكم الله بينهم وبينهم ، وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأول .
وأما الرَبِّيُّونَ ، فانهم مرفوعون بقوله : معه ، لا بقوله : قتل .

وإنما تأويل الكلام : وكائن من نبي قتل ومعه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وفي الكلام إضمار واو ، لأنها واو تدل على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها ، وذلك كقول القائل في الكلام : قتل الأمير معه جيش عظيم ، بمعنى : قتل ومعه جيش عظيم .

وأما الرَبِّيُّونَ ، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه ، فقال بعض نحويي البصرة : هم الذين يعبدون الرب واحدهم ربي . وقال بعض نحويي الكوفة : لو كانوا منسوبين إلى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ، ولكنه العلماء والألوف ، والريون عندنا : الجماعة الكثيرة ، واحدهم ربي ، وهم جماعة .
واختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم مثل ما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله :
الريون : الألوف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري وابن عيينة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عن حدثه ، عن ابن عباس في قوله ﴿رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال : جموع كثيرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ﴿قَاتِلْ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال : جموع .

حدثني حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ﴿وَكَائِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال : الألوف .

وقال آخرون بما حدثني به سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ﴿وَكَائِنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال : علماء كثير .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن في قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : فقهاء علماء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية . عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : الجموع الكثيرة . قال يعقوب : وكذلك قرأها إسماعيل ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ يقول : جموع كثيرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : علماء كثيرة . وقال قتادة : جموع كثيرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عينة ، عن عمرو ، عن عكرمة في قوله ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : جموع كثيرة .

حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : جموع كثيرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ يقول : جموع كثيرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ يقول : جموع كثيرة قتل نبينهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حبان ، والمبارك عن الحسن في قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال جعفر : علماء صبروا . وقال ابن المبارك : أتقياء صبروا .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ : يني الجموع الكثيرة قتل نبينهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ يقول : جموع كثيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : وكاين من نبي أصابه القتل ، ومعه جماعات .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ الربيون : الجموع الكثيرة . وقال آخرون : الربيون : الأتباع .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ قال : الربيون : الأتباع ، والربانيون : الولاة ، والربيون : الرعية ، وبهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه ، حين صاح الشيطان إن محمدا قد قتل ، قال : كانت الهزيمة عند صياحه في سنية صاح : أيها الناس إن محمدا رسول الله قد قتل ، فارجعوا إلى عشائركم يؤمنوكم . القول في تأويل قوله ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ :

يعنى بقوله تعالى ذكره ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله ، ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ، ولا نكلوا عن جهادهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ يقول : وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ يعنى : وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ، ومداهنتهم فيه ، خيفة منهم ، ولكن مضوا قدما على بصائرهم ، ومنهاج نبيهم ، صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله ، واتباعا لتزيله ووحيه ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ يقول : والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته . وطاعة رسوله ، في جهاد عدوه ، لا من فشل ففر عن عدوه ، ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات . ولا من دخله وهن عن عدوه ، وضعف لفقد نبيه .

وبنحو ما قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ يقول : ما عجزوا . وما تضعفوا لقتل نبيهم . وما استكانوا . يقول : ما ارتدوا عن نصرتهم . ولا عن دينهم . بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه . عن الربيع في قوله ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ يقول : ما عجزوا . وما ضعفوا لقتل نبيهم . وما استكانوا ، يقول : وما ارتدوا عن نصرتهم ، قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله .

حدثنا محمد بن الحسين . قال : ثنا أحمد بن الفضل . قال : ثنا أسباط . عن السدي ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ : فاهزن الربيون لما أصابهم في سبيل الله ، من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ يقول : ما ضعفوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَقَتْلِ النَّبِيِّ ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ يَقُولُ : مَا ذُلُّوا حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا، وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .
 حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ لَفَقْدَ نَبِيِّهِمْ ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عَنْ عَدُوِّهِمْ ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ عَنْ اللَّهِ ، وَعَنْ دِينِهِمْ ، وَذَلِكَ الصَّبْرُ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ .
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ قَالَ : تَخَشَعُوا .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ﴿وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ قَالَ : مَا اسْتَكْبَرُوا لِعَدُوِّهِمْ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

❦ يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ : وَمَا كَانَ قَوْلَ الرِّبِيِّينَ ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ الرِّبِيِّينَ ، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ يعنى مَا كَانَ لَهُمْ قَوْلٌ سِوَى هَذَا الْقَوْلِ ، إِذْ قَتَلَ نَبِيِّهِمْ ، وَقَوْلُهُ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يَقُولُ : لَمْ يَعْتَصِمُوا إِذْ قَتَلَ نَبِيَّهُمْ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ، وَمَجَاهِدَةُ عَدُوِّهِمْ ، وَبِمَسْئَلَةِ رَبِّهِمُ الْمَغْفِرَةَ وَالنَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

وَمَعْنَى الْكَلَامِ : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ؛ وَأَمَّا الْإِسْرَافُ : فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي الشَّيْءِ ، يُقَالُ مِنْهُ : أَسْرَفَ فُلَانٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِذَا تَجَاوَزَ مِقْدَارَهُ فَأَفْرَطَ ، وَمَعْنَاهُ هَهُنَا : اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الصَّغَارَ مِنْهَا ، وَمَا أَسْرَفْنَا فِيهِ مِنْهَا ، فَتَخَطَّيْنَا إِلَى الْعِظَامِ ، وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ : اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، الصَّغَائِرَ مِنْهَا وَالْكِبَائِرَ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ قَالَ : خَطَايَانَا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ ثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ ، قَالَ : ثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ : خَطَايَانَا وَظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا .

حَدَّثَ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلْيَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ يَعْنِي : الْخَطَايَا الْكِبَارَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو تَمِيمَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ سَلْيَانَ ، عَنْ الضَّحَّاكَ بْنِ مَزَاحِمٍ ، قَالَ : الْكِبَائِرُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿وَأَسْرَأَفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾ قال : خطايانا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿وَأَسْرَأَفْنَا فِي أَمْرِنَا﴾ يقول : خطايانا .

وأما قوله ﴿وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾ فإنه يقول : اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرّ منهم ، ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يقول : وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ، ونبوة نبيك ، وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد ، وتركوا قتالهم ، وتأديب لهم ، يقول الله عز وجل : هلا فعلتم إذ قتل لكم : قتل نبيكم ، كما فعل هؤلاء الربيون ، الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء ، إذ قتل أنبياءهم ، فصبرتم لعدوكم صبرهم ، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم ، فتحاولوا الارتداد على أعقابكم ، كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم ، وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا ، فینصرکم الله عليهم كما نصرنا ، فإن الله يحب من صبر لأمره وعلى جهاد عدوه ، فيعطيه النصر والظفر على عدوه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَسْرَأَفْنَا فِي أَمْرِنَا ، وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا ، وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ : أى فقولوا كما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروا كما استغفروا ، وامضوا على دينكم ، كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ، وقد قتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم .

﴿وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي هِيَ الْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ النصب لإجماع قراء الأمصار على ذلك نقلا مستفيضا وراثه عن الحجة ، وإنما اختير النصب في القول ، لأن «إلا أن» لا تكون إلا معرفة ، فكانت أولى بأن تكون هي الاسم دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ، ولذلك اختير النصب في كل اسم ولى كان إذا كان بعده أن الخفيفة ، كقوله ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ فأما إذا كان الذى يلى كان اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب في الذى ولى كان ، فإن جعلت الذى ولى ، كان هو الاسم رفعته ونصبت الذى بعده ، وإن جعلت الذى ولى كان هو الخبر نصبته ، ورفعت الذى بعده ، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى﴾ إن جعلت «العاقبة» الاسم رفعته ، وجعلت السوآى هي الخبر منصوبة ، وإن جعلت «العاقبة» الخبر نصبت ، فقلت : وكان عاقبة الذين أساءوا السوآى ، وجعلت السوآى هي الاسم ، فكانت مرفوعة ، وكما قال الشاعر :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مَا كَانَ دَاءُهَا بِهِلَانٍ إِلَّا الْخِزْيُ مِمَّنْ يَتَقَوَّدُهَا ١

(١) البيت أورده المؤلف غفلا ولم ينسبه ، ويجوز في داءها الرفع والنصب ، وكذا فيما بعد إلا ، على ما أوضحه المؤلف المحقق .

وروى أيضا : ما كان داؤها بشلان إلا الخزي ، نصبا ورفعا ، على ما قد بينت ، ولو فعل مثل ذلك مع «أن» كان جائزا ، غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره : فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم ، وعلى جهاد عدوهم ، والاستعانة بالله في أمورهم ، واقتنائهم مناهج إمامهم ، على ما أبلوا في الله ثواب الدنيا ، يعنى : جزاء في الدنيا ، وذلك النصر على عدوهم ، وعدو الله ، والظفر والفتح عليهم ، والتمكين لهم في البلاد ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ يعنى : وخير جزاء الآخرة ، على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة ، وذلك الجنة ونعيمها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ : أى والله لا تاهم الله الفتح والظهور والتمكين ، والنصر على عدوهم في الدنيا ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ يقول : حسن الثواب في الآخرة : هى الجنة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ ثم ذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ قال : النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ قال : رضوان الله ورحمته . حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ : حسن الظهور على عدوهم ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ : الجنة ، وما أعد فيها ، وقوله ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره ، فعل الله ذلك بإحسانهم ، فإنه يحب المحسنين ، وهم الذين يفعلون مثل الذى وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ

فَنَقِلُبُوا خَسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، فى وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ، أن تطيعوا الذين كفروا ، يعنى : الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، فيما يأمرونكم به ، وفيما ينهونكم عنه ، فتقبلوا رأيهم فى ذلك ، وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول: يحملوكم على الردة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام ﴿فَتَنَقَّلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين، يعني: هالكين، قد خسرتم أنفسكم، وضللتكم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم، ينهي بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم، وينتصحوهم في أديانهم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي عن دينكم، فتذهب دنياكم وآخرتكم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن جريج: يقول: لانتصحووا اليهود والنصارى على دينكم، ولا تصدقوهم بشيء في دينكم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول: إن تطيعوا أبا سفيان يردوكم كفارا.

القول في تأويل قوله تعالى:

بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره: أن الله مسددكم أيها المؤمنون، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا. وإنما قيل ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ لأن قوله ﴿إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ ينهي لهم عن طاعتهم، فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا، فيردوكم على أعقابكم، ثم ابتداء الخبر، فقال: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ فأطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر، ولذلك رفع اسم الله، ولو كان منصوبا على معنى: بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا، كان وجها صحيحا، ويعني بقوله ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾: وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ لامن فررتهم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله، فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم، فاعتصموا وإياه، فاستنصروا دون غيره ممن يبغىكم الغوائل، ويرصدكم بالمكارة.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ﴾ إن كان ما تقولون بالسنتكم صدقا في قلوبكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: أي فاعتصموا به ولا تستنصروا غيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : سياتى الله أيها المؤمنون فى قلوب الذين كفروا برهم ، وجمحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم بأحد الرعب : وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله ، يعنى بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام ، وطاعتهم الشيطان التى لم أجعل لهم بها حجة ، وهى السلطان التى أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم ، وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم ، والفالج عليهم ما استقاموا على عهده ، وتمسكوا بطاعته ، ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم إليه ، فقال جل ثناؤه ﴿وَمَا وَاهُمْ النَّارُ﴾ يعنى : و مرجعهم الذى يرجعون إليه يوم القيامة النار ﴿وَبِئْسَ مَشْوَى الظَّالِمِينَ﴾ يقول : وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿سَنُلْقِيْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَشْوَى الظَّالِمِينَ﴾ إني سألتى فى قلوب الذين كفروا الرعب الذى به كنت أنصركم عليهم ، بما أشركوا بي ، ما لم أجعل لهم به حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ، ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى ، وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة ، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم ، إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشرير تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فقذف الله عز وجل فى قلوبهم الرعب ، فانهزموا ، فلقوا أعرابيا ، فجعلوا له جعلًا ، وقالوا له : إن لقيت محمدًا فأخبره بما قد جمعنا لهم ، فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك ، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما قذف فى قلبه من الرعب ، فقال ﴿سَنُلْقِيْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُّرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾

يعنى بقوله تعالى ذكره : ولقد صدقكم الله أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحد وعده الذى وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والوعد الذى كان وعدهم على لسانه بأحد

قوله للرماة : « اثْبُتُوا مَكَانَكُمْ وَلَا تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ ، فَإِنَّا لَنْ نَزَالَ غَالِبِينَ مَا ثَبَّسْتُمْ مَكَانَكُمْ » ، وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره . كالذى حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأُحد ، أمر الرماة ، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ، وقال : « لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ ، فَإِنَّا لَنْ نَزَالَ غَالِبِينَ مَا ثَبَّسْتُمْ مَكَانَكُمْ » وأمر عليهم عبد الله بن جبيرة أخا خوات بن جبير ، ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ، فقام إليه علي بن أبي طالب ، فقال : والذي نفسي بيده ، لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار ، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه على ، فقطع رجله فسقط ، فأنكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يا ابن عم ، فتركه ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعلي أصحابه : مامنك أن تجهز عليه ؟ قال : إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ، ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين ، فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فهزموا أباسفيان ، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد ، وهو على خيل المشركين حمل ، فرمته الرماة ، فانقمع ، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لانترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عامتهم ، فلحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالد قلة الرماة ، صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، تنادوا ، فشدوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لما كان يوم أُحد ، ولقينا المشركين ، أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا بازاء الرماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبيرة أخا خوات بن جبير ، وقال لهم : « لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِنَّ فَلَا تَبْرَحُوا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا » فلما التقى القوم ، هزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن ، وبدت خلاخلهن ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ، قال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلا .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ فان أباسفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتى نزل أٌحدا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن في الناس ، فاجتمعوا ، وأمر

على الخيل الزبير بن العوام ، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش ، يقال له مصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجر ، وبعث حمزة بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى أودنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحوا حتى أودنكم ، وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد ، فهزمه ومن معه ، كما قال ﴿ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ ﴾ ، حتى إذا فُشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ ، وَأَنَّهُ مَعَهُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ، أن محمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ، ذكر أن كلهم قد حدثت ببعضها ، وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث ، فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا تقاتلوا حتى تأمر بالقتال ، وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترعى زروع بني قيلة ، ولما تضارب وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو في سبعمائة رجل ، وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوها على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذ معلم بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فائت مكانك ، لا تؤتين من قبلك ، فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، واقتتلوا حتى حيت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين ، فأنزله عز وجل نصره ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام هند بنت عتبة وصواحبها ، مشمرت هوازم ، مادون إحداهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أديبارنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قُتل ، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن هزمنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في قوله ﴿ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ : أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم .

(١) الخدام : جمع خدمة ، وهي المخلخال . وقد تسمى الساق خدمة حملا على المخلخال ، لكونها في موضعها ، والجمع : خدام وخدام .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ ، وذلك يوم أحد ، قال لهم : « إِنَّكُمْ سَتَنظَاهَرُونَ فَلَا تَأْخُذُوا مَا أَصَبْتُمْ مِنْ غَنَائِمِهِمْ شَيْئًا حَتَّى تَفْرُغُوا » فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا في الغنائم ، ونسوا عهده الذي عهده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بذلك : ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما وعدكم من النصر ، على عدوكم بأحد ، حين تحسبونهم ، يعنى : حين تقتلونهم ، يقال منه : حسه يحسه حسا : إذا قتله .

كما حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي ، قال : ثنا يعقوب بن عيسى ، قال : ثنا عبد العزيز ابن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف في قوله ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ قال : الحس : القتل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ ﴾ قال : القتل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ قال : تقتلونهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ ﴾ أى قتلا بأذنه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ ﴾ يقول : إذا تقتلونهم .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ والحس القتل حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ يقول : تقتلونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ ﴾ بالسيوف : أى بالقتل .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ يعنى : القتل .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ يقول : تقتلونهم .

وأما قوله ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ فإنه يعنى : بحكمى وقضائى لكم بذلك ، وتسليطى إياكم عليهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ إِذْ تَحْسَوْنَهُمْ ﴾ بإذني وتسليطي أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ : حتى إذا جبنتم ، وضعفتم ﴿ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ بقول : واختلفتم في أمر الله . يقول : وعصيتم وخالفتم نبيكم ، فركتم أمره ، وما عهد إليكم ، وإنما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب بأحد ، بإزاء خالد بن الوليد ، ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم .

وأما قوله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ فانه يعنى بذلك : من بعد الذى أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين ، وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم ، التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها ، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم .

وبنحو الذى قلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل ، وقد مضى ذكر بعض من قال ، وسند ذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ أى اختلفتم في الأمر ﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ وذاكم يوم أحد ، عهد إليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بأمر ، ففسدوا العهد ، وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عليهم عدوهم بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث ناسا من الناس ، يعنى : يوم أحد ، فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُونُوا ههنا فَرُدُّوا وَجْهَ مَنْ قَدِمَنَا ، وَكُونُوا حَرَسًا لَنَا مِنْ قِبَلِ ظُهُورِنَا » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه ، اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء مصعدات في الجبل ، ورأوا الغنائم ، قالوا : انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوا الغنيمة قبل أن تسبقوا إليها ، وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا ، فذلك قوله ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ للذين أرادوا الغنيمة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ للذين قالوا : نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت مكاننا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول ﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ كانوا أقدر رأوا الفتح والغنيمة :

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ حتى إذا فشلتكم ﴾ يقول : جبنتم عن عدوكم ﴿ وتنازعتم في الأمر ﴾ يقول : اختلفتم وعصيتم ﴿ من بعد ما أراكُم ما تحبون ﴾ وذلك يوم أحد ، قال لهم : إنكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيئا ، حتى تفرغوا ، فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ، ووقعوا في الغنائم ، ونسوا عهده الذي عهد له إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به ، فانصرف عليهم عدوهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ حتى إذا فشلتكم ﴾ قال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشل : الجبن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ حتى إذا فشلتكم ﴾ وتنازعتم في الأمر وعصيتكم من بعد ما أراكُم ما تحبون من الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ حتى إذا فشلتكم ﴾ : أي تخاذلتم ﴿ وتنازعتم في الأمر ﴾ أي اختلفتم في أمري ﴿ وعصيتكم ﴾ : أي تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما عهد إليكم ، يعني : الرماة ﴿ من بعد ما أراكُم ما تحبون ﴾ أي الفتح لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن ﴿ من بعد ما أراكُم ما تحبون ﴾ يعني : من الفتح ، وقيل : معنى قوله ﴿ حتى إذا فشلتكم ﴾ وتنازعتم في الأمر وعصيتكم من بعد ما أراكُم ما تحبون ما تخاذلتم في الأمر فشلتكم وعصيتكم من بعد ما أراكُم ما تحبون أنه من المقدم الذي معناه التأخير ، وإن الواو دخلت في ذلك ، ومعناها : السقوط كما قلنا في ﴿ فلما أسلما وتلَّهُ للجبين ونادىناه ﴾ معناه : نادىناه ، وهذا مقول في حتى إذا وفي لما ، ومنه قول الله عز وجل ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ ثم قال ﴿ واقتراب الوعد الحق ﴾ ومعناه : اقرب ، وكما قال الشاعر :

حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم أبناءكم شسبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا إن اللثيم العاجز الحبأ

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ : الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أحد لحيل المشركين ، ولحقوا بمعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ يعني بذلك : الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا أمره ، محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم ، والدار الآخرة .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ منكم من يريد الدنيا ،

(١) البيتان في اللسان غير منسوبين إلى قائلهما (قمل) قال : وقمل القوم : كثروا ، قال . . . البيت . الواو في : وقلبم زائدة ، وهو جواب إذا ، كما قال المؤلف . وقملت بطونكم : كثرت قبائلكم ، بهذا فسر أبو العالية . وقمل الرجل : سمن بعد هزال . وكلام المؤلف في الآية من أول قوله حتى إلى آخر البيت من كتاب معاني القرآن للفراء ، كما في الصفحة ٧٢ من مصورة الجامعة رقم ٥٩ . ٢٤ .

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿فَالَّذِينَ انْطَلَقُوا يَرِيدُونَ الْغَنِيمَةَ﴾ هُمْ أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ بَقُوا ، وَقَالُوا :
لَا نَخَافُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادُوا الْآخِرَةَ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول
في قوله ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ هُمْ أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ بَقُوا ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ لَا يَبْرَحُوا
مَكَانَهُمْ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُمْ ، فَلَمَّا لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَمِنْهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ،
هَزَمَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمَةُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هَزَمَ الْمُشْرِكِينَ ، انْطَلَقَ بَعْضُهُمْ
وَهُمْ يَتَنَادُونَ : الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ لَا تَفْتِكُمْ ، وَثَبَتَ بَعْضُهُمْ مَكَانَهُمْ ، وَقَالُوا : لَا نَرِيْمُ مَوْضِعَنَا حَتَّى يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ
اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي ذَلِكَ نَزَلَ ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾
فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ : مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا
حَتَّى كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس :
لَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ الرَّمَاةُ : أَدْرَكُوا النَّاسَ وَنَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْبِقُوكم إِلَى
الْغَنَائِمِ ، فَتَكُونُ لَهُمْ دُونَكُمْ ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نَرِيْمُ حَتَّى يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَتْ ﴿مِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَا عَلِمْنَا أَنَّ أَحَدًا
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن ﴿مِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْزُونَ الْغَنَائِمَ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ .
حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العبقرى ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي
عن عبد خير ، قال : قال عبد الله : مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ
الدُّنْيَا ، حَتَّى نَزَلَ فِيْنَا يَوْمَ أُحُدٍ ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن عبد خير ، قال : قال ابن مسعود :
مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَحَدًا يَرِيدُ الدُّنْيَا حَتَّى قَالَ اللَّهُ مَا قَالَ .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال عبد الله بن مسعود لما رآهم
وَقَعُوا فِي الْغَنَائِمِ : مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِيدُ الدُّنْيَا ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قال : كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ : مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَرِيدُ
الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ أى الذين أرادوا النّهب رغبة في الدنيا ، وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : أى الذين جاهدوا في الله لم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، رغبة في رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم ، وفي أنفسكم من هزيمتكم إياهم ، وظهوركم عليهم ، فردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسول ، ومخالفتكم طاعته ، وإيثاركهم الدنيا على الآخرة ، عقوبة لكم على ما فعلتم ، ليبتليكم ، يقول : ليختبركم ، فيتميز المنافق منكم من المخلص ، الصادق في إيمانه منكم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن في قوله ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ قال : صرف القوم عنهم ، فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر ، وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وكان يمسح الدم عن وجهه ، ويقول « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ » فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ . . . الآية ، فقالوا : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ إلى قوله ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ : أى صرفكم عنهم ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ :

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ : ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتاركون طاعته ، فيما تقدم إليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه عنكم ، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم ، وصرف وجوهكم عنهم إذ لم يستأصل جمعكم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ، في قوله ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ قال : قال الحسن وصفق بيديه : وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون ، وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وشجّ في وجهه ؟ قال : ثم يقول : قال الله عز وجل : قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم ، قال : ثم يقول الحسن : هؤلاء مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وفى سبيل الله غضاب الله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شئء فصنعوه ، فوالله ما تركوا حتى نغموا بهذا الغم ، فأفسق الفاسقين اليوم يتجرأ على كل كبيرة ، ويركب كل داهية ، ويسحب عليها ثيابه ، ويزعم أن لا بأس عليه ، فسوف يعلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ قال : لم يستأصلكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ : ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتكم من معصية نبيكم ، ولكن عدت بفضلى عليكم .

وأما قوله ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنه يعنى : والله ذو طول على أهل الإيمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم ، فإن عاقبهم على بعض ذلك ، فذو إحسان إليهم بجميل أياديه عندهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول : وكذلك من الله على المؤمنين أن عاقبهم ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، لما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم لما فيهم من الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا
يَغِيْمُ لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٧﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصلكم ، إهلاكا منه جمعكم بذنوبكم ، وهربكم ، إذ تصعدون ، ولا تلوون على أحد .

واختلفت القراءة فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصرى : ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ بضم التاء وكسر العين ، وبه القراءة عندنا لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ، واستنكارهم ما خالفه . وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ بفتح التاء والعين .

حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن يونس ابن عبيد ، عن الحسن : فأما الذين قرءوا ﴿تَصْعَدُونَ﴾ بضم التاء وكسر العين ، فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا فى الوادى هاربين ، وذكروا أن ذلك فى قراءة أبى : إذ تصعدون فى الوادى .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قالوا : الهرب

في مستوى الأرض ، وبطون الأودية والشعاب ، إصعاد لا صعود ، قالوا : وإنما يكون الصعود على الجبال والسهال والدرج ، لأن معنى الصعود : الارتقاء والارتفاع على الشيء علواً ، قالوا : فأما الأخذ في مستوى الأرض والهبوط ، فإنما هو إصعاد ، كما يقال : أصدنا من مكة ، إذا ابتدأت في السفر منها والخروج ، وأصدنا من الكوفة إلى خراسان ، بمعنى خرجنا منها سفراً إليها ، وابتدأنا منها الخروج إليها ، قالوا : وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بأن القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَلَا تَلَوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ ذاك يوم أُحُدٍ أصدوا في الوادي فراراً ، ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أضرهم ، قال : إلى عباد الله ، إلى عباد الله . وأما الحسن في أنه ذهب في قراءته ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ ﴾ بفتح التاء والعين إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل ، وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما شد المشركون على المسلمين بأُحُدٍ فهزموهم ، دخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فذكر الله صعودهم على الجبل ، ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم إياهم ، فقال ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : انمازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يصعدون في الجبل ، والرسول يدعوهم في أضرهم . حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ قال : صعدوا في أُحُدٍ فراراً .

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ ﴾ بضم التاء وكسر العين ، بمعنى السبق والهرب في مستوى الأرض ، أو في المهابط ، لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة ، ففي إجماعها على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية ، تأويل من قال : أصدوا في الوادي ، ومضوا فيه ، دون قول من قال : صعدوا على الجبل .

وأما قوله ﴿ وَلَا تَلَوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ فإنه يعني : ولا تعطفون على أحد منكم ، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي ، ويعني بقوله ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أضرهم ، يعني أنه يناديكم من خلفكم : إلى عباد الله ، إلى عباد الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ : إلى عباد الله ارجعوا ، إلى عباد الله ارجعوا .
حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ :
رأوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم : إلى عباد الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أنبهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال ﴿إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تَلَؤُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه .
القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْبَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ يعنى : فجازاكم بفراركم عن نبيكم ، وفشلكم عن عدوكم ، ومعصيتكم ربكم غما بغم ، يقول : غما على غم ، وسمى العقوبة التى عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم ، حتى نال منهم ما نال ثوابا إذ كان ذلك من عملهم الذى سخطه ، ولم يرضه منهم ، فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كالمعوض من شىء من العمل ، خيرا كان أو شرا ، أو العوض الذى بذله رجل لرجل ، أو يد سلفت له إليه ، فإنه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ، ونظير ذلك قول الشاعر :

أَخَافُ زِيَادًا أَنْ يَكُونُ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحَدَّرَجَةً سُمْرًا

فجعل العطاء العقوبة ، وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه : لأجازينك على فعلك ، ولأثيبنك ثوابك .

وأما قوله ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ فإنه قيل : غما بغم ، معناه : غما على غم ، كما قيل ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ بمعنى : ولأصلبنكم على جذوع النخل ، وإنما جاز ذلك ، لأن معنى قول القائل : أثابك الله عما على غم : جزاك الله غما بعد غم يقدمه ، فكان كذلك معنى : فأثابكم غما بغم ، لأن معناه : فجازاكم الله غما بعقب غم يقدمه ، وهو نظير قول القائل : نزلت ببني فلان ، ونزلت على بني فلان ، وضربته بالسيف ، وعلى السيف .

واختلف أهل التأويل في الغم الذى أثيب القوم على الغم ، وما كان نعمهم الأول والثانى ، فقال بعضهم :

(١) البيت فى اللسان (حدرج) ونسبه إلى الفرزدق . قال : يعنى بالأداهم : القيود . وبالمحدرجة : السياط . وسوط محدرج :

منار شديد الفتل . وفى ديوانه طبعة الصاوى (٢٢٧ : ١) : « فلما خشيت أن يكون ... الخ » والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن ص ٧٢

أما الغمّ الأوّل ، فكان ما تحدّث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قُتِل . وأما الغمّ الآخر ، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ كانوا تحدّثوا يومئذ أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أصيب ، وكان الغمّ الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابهم ؛ قال : وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الأنصار ، وأربعة من المهاجرين ، وقوله ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ يقول : ما فاتكم من غنيمة القوم ، ولا ما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراحات .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال : فرّة بعد فرّة : الأولى : حين سمعوا الصوت أن محمدا قد قُتِل ؛ والثانية : حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين ، حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ، ثم انحازوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يصعدون في الجبل ، والرسول يدعوهم في أصرّاهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : نحوه . وقال آخرون : بل غمّهم الأوّل . كان قتل من قُتِل منهم ، وجرح من جرح منهم ؛ والغمّ الثاني : كان من سماعهم صوت القاتل : قتل محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال : الغمّ الأوّل : الجراح والقتل ؛ والغمّ الثاني : حين سمعوا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِل ، فأنسأهم الغمّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول : ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال : الغمّ الأوّل : الجراح والقتل ؛ والغمّ الآخر : حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فأنسأهم الغمّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة ، وذلك حين يقول الله ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ .

وقال آخرون : بل الغمّ الأوّل ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة ؛ والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشعب ، وذلك أن أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب ، وهرب المسلمون ، جاء حتى أشرف عليهم ، وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب أحد الذي كانوا ولوا إليه عند الهزيمة ، فخافوا أن يضطلمهم أبو سفيان وأصحابه .

ذكر الخبر بذلك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه ، وضع رجلهما في قوسه ، فأراد أن يرميه ، فقال : أنا رسولُ الله ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا ، وفرح رسول الله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ؛ فلما نظروا إليه ، نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ كَلِمٌ أَنْ يَعْلُونَا ، اللَّهُمَّ إِنْ تُقْتَلْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبِدُ » ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم بيوم بدر ؛ وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر ؛ قال أبو سفيان : لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : قل الله مؤلانا ولا مؤلى لَكُمْ ، فقال أبو سفيان : فيكم محمد ؟ قالوا : نعم ، قال : أما إنها قد كانت فيكم مثله ، ما أمرت بها ، ولا نهيت عنها ، ولا سرتنى ، ولا ساءتني ، فذكر الله إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ الغم الأول : ما فاتهم من الغنيمة والفتح ؛ والغم الثاني : إشراف العدو عليهم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ، ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون ، فشغلهم أبو سفيان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى ابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى ابن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد ، قالوا : كان المسلمون في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا : ثلث قتل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ، وقد بلغت الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، وحتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدت^(۱) بالحجارة حتى وقع لشقه ، وأصيبت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص ، وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواءه حتى قتل ، وكان الذى أصابه ابن قميثة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك أخو بنى سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهرا^(۲) تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى رسول الله أن أنصت ؛ فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب معه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة

(۱) دث بالحجارة ، مبنيا للمفعول : رمى بها . (۲) تزهرا : تلمعان لبياضهما . (انظر اللسان) .

وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصامت في رهط من المسلمين ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْدُبُنِي كَلِمٌ أَنْ يَغْلُونَا » فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين ، حتى أهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدّن ، فظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض ، فلم يستطع ، جلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها ، ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت ، فقال : إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعل هبل : أي ظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : قُمْ فَأَجِبْهُ فَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لَاسَوَاءٌ ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ ، وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ ، فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائْتِهِ فَاَنْظُرْ مَا شَأْنُهُ - فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميئة ، وأشار لقول ابن قميئة لهم : إني قتلت محمدا ، ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثله ، والله ما رضيت ، ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ : أي كربا بعد كرب قتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وما وقع في أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت بذلك الكرب عنكم ، والله خبير بما تعملون ، وكان الذي فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم ، فهان الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال ابن جريج : قال مجاهد : أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم في أصحابهم الذين قتلوا ، فلما توجهوا في الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب ، فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا ، فأصابهم حزن في ذلك أيضا أنسأهم حزنهم في أصحابهم ، فذلك قوله ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ قال ابن جريج : قوله ﴿ عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ يقول : على ما فاتكم من غنائم القوم ، ولا ما أصابكم في أنفسكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن

كثير ، عن عبيد بن عمير ، قال : جاء أبو سفيان بن حرب ، ومن معه ، حتى وقف بالشعب ، ثم نادى :
 أفي القوم ابن أبي كبشة ؟ فسكتوا ، فقال أبو سفيان : قتل ورب الكعبة ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة
 فسكتوا ، فقال : قتل ورب الكعبة ، ثم قال : أفي القوم عمر بن الخطاب ؟ فسكتوا ، فقال : قتل ورب
 الكعبة ، ثم قال أبو سفيان : اعل هبل ، يوم بيوم بدر ، وحنظلة بحنظلة ، وأنتم واجدون في القوم مثلاً
 لم يكن عن رأى سراتنا وخيارنا ، ولم نكرهه حين رأيناه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب :
 قُمْ فَنَادَ فَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ ، نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وهأنذا
 لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ، قتلتنا في الجنة ، وقتلناكم في النار .
 وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي .
 عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تُلْهُوْنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾
 فرجعوا فقالوا : والله لنأتينهم ، ثم لنتقتلهم ، قد خرجوا منا ٣ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مَهْلًا فَأَتَمَّا أَصَابَكُمْ الَّذِي أَصَابَكُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْكُمْ عَصَيْتُمُْونِي » . فبينما هم كذلك : إذ
 أتاهم القوم ، قد أنسوا ، وقد اخترطوا سيوفهم ، فكان غم الهزيمة وغمهم حين أتوهم ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا
 عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من القتل ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من الجراحة ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا ﴾
 . . . الآية ، وهو يوم أحد .

﴿ وَأُولَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالُ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلٍ مِنْ قَالَ : مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
 بجرمان الله إياكم غنيمة المشركين ، والظفر بهم ، والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد
 الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم ، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غم
 ظنكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل ، وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم .

والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه ، قوله ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ وَلَا
 مَا أَصَابَكُمْ ﴾ والفائت لا شك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول إليه من غيرهم ، إما من ظهور عليهم
 بغايتهم ، وإما من غنيمة يختارونها ، وإن قوله ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ هو ما أصابهم إما في أبدانهم ، وإما
 في إخوانهم . فإذا كان ذلك كذلك ، فعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين ، لأن الله عز وجل أخبر
 عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه أثابهم غما بغم ، لئلا يحزنهم ما نالهم من
 الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم ، ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم . وهو الغم الأول على ما قد بيناه قبل .
 وأما قوله ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ فإن تأويله : على ما قد بينت من أنه
 لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تدركوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور ، وحيازة
 غنائمهم ، ولما أصابكم في أنفسكم من جرح من جرح ، وقتل من قتل من إخوانكم .
 وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التي اختلفوا فيه .

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأصنام ، فعبد الشجرى . شبهوا
 النبي به في مخالفة قومه في الدين (التاج) .

(٢) قوله « قد خرجوا منا » سقطت هذه الجملة من رواية الدر المشور ، وهي أوضح .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ قال : على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الهزيمة . وأما قوله ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ بما تعملون ، فإنه يعني جل ثناؤه : والله بالذي تعملون أيها المؤمنون من إصعادكم في الوادي هرباً من عدوكم ، وإنهزامكم منهم ، وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم ، وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم ، وما أصابكم في أنفسكم ، ذو خبرة وعلم ، وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، أو يعفو عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿يُغْشَى﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله أمانة ، وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين ، دون أهل النفاق والشك ، ثم بين جل ثناؤه عن الأمانة التي أنزلها عليهم ماهي ؟ فقال : نعاساً ، بنصب النعاس على الإبدال من الأمانة .

ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله ﴿يَغْشَى﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء : يغشى ؛ وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث : تغشى بالتاء ، وذهب الذين قرءوا ذلك بالتذكير إلى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الأمانة ، فذكره بتذكير النعاس ، وذهب الذين قرءوا ذلك بالتأنيث إلى أن الأمانة هي التي تغشاهم ، فأنشوه لتأنيث الأمانة .

﴿وَالصُّوَابُ﴾ من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره ، لأن الأمانة في هذا الموضع هي النعاس ، والنعاس : هو الأمانة ، وسواء ذلك ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته ، وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ - و- أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّيِّ تَمْتَنِي - وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطُ﴾ .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ﴾ وما كان السبب الذي من أجله افرقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افرقتنا فيه من صفتهما ، فأمنت إحداهما بنفسها حتى نعست ، وأهمت الأخرى نفسها حتى ظنت بالله غير الحق

ظنّ الجاهلية؟ قيل: كان سبب ذلك فيما ذكر لنا، كما حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط، عن السدي، أن المشركين انصرفوا يوم أُحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين، فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا من قابل، فقال لهم: نعم، فتخوَّف المسلمون أن ينزلوا المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، فقال: انظر فإن رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم، فإن القوم ذاهبون، وإن رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم، فإن القوم ينزلون المدينة، فاتقوا الله واصبروا، ووطنهم على القتال؛ فلما أبصرهم الرسول تعدوا على الأثقال سراعاً عجالاً، نادى بأعلى صوته بذهابهم؛ فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فناموا، وبقي أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم، فقال الله جلّ وعزّ يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم إن كانوا ركبوا الأثقال فإنهم منطلقون، فناموا ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُفُّمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: أمهم يومئذ بنعاس غشاهم، وإنما ينعس من يأمن ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة، قال: كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أُحد أمنة، حتى سقط من يدي مراراً.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة، قال: رفعت رأسي يوم أُحد، فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا تحت حجفته يميل من النعاس.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالوا: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: كنت فيمن صبّ عليه النعاس يوم أُحد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس، قال: كان السيف يسقط من يدي ثم آخذه من النعاس.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، ذكر لنا والله أعلم، عن أنس أن أبا طلحة حدثهم أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه ويسقط، والطائفة الأخرى: المنافقون، ليس لهم همة إلا أنفسهم ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾... الآية كلها.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا ضرار بن صرد، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد ابن عبد العزيز، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن أبيه قال: سألت عبد الرحمن

ابن عوف ، عن قول الله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ قال : ألقى علينا النوم يوم أحد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ . . . الآية ، وذاك يوم أحد ، كانوا يومئذ فريقين ؛ فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، نحوه . حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ قال : ألقى عليهم النعاس ، فكان ذلك أمنة لهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، قال : قال عبد الله : النعاس في القتال أمنة ، والنعاس في الصلاة من الشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ قال : أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ قال : ألقى الله عليهم النعاس ، فكان أمنة لهم ، وذكر أن أبا طلحة قال : ألقى على النعاس يومئذ ، فكنت أنعس حتى يسقط سيني من يدي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن إدريس ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، وهشام بن عروة بن الزبير أنهما قالا : لقد رفعنا رءوسنا يوم أحد ، فجعلنا ننظر ، فما منهم من أحد إلا وهو يميل بجانب حجفته ، قال : وتلا هذه الآية ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهتمت أنفسهم ، يقول : هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم ، فهم من حذر القتل على أنفسهم ، وخوف المنية عليها في شغل ، قد طار عن أعينهم الكرى ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله ، شكوا في أمر الله ، وتكذبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ، ومعل عليه أهل الكفر به ، يقولون : هل لنا من الأمر شيء . كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : والطائفة الأخرى : المنافقون ، ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبن قوم وأرعبه ، وأخذله للحق ، يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة ، إنما هم أهل شك وريبة في أمر الله ، يقولون ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : والطائفة الأخرى : المنافقون ليس لهم همة إلا أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون : ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا﴾ قال الله عز وجل ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قال : أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، وأما قوله ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ فإنه يعني أهل الشرك . كالذي حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ قال : ظن أهل الشرك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ قال : ظن أهل الشرك .

وفي رفع قوله ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ وجهان : أحدهما أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ ، والآخر بقوله ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ولو كانت منصوبة كان جائزا ، وكانت الواو في قوله ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ ظرفا للفعل ، بمعنى : وأهمت طائفة أنفسهم ، كما قال ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا﴾ :

يعنى بذلك : الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم ، يقولون : ليس لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، ولو كان لنا من الأمر شيء ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم ، قال : وهل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المنافقين إن الأمر كله لله ، يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ، ثم عاد إلى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين ، فقال ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يقول : يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبشرون لك ، ثم أظهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم ، والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد ، فقال مخبرا عن قلوبهم الكفر ، وإعلانهم النفاق بينهم ، يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ، يعنى بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون : لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ، ما خرجنا إليهم ، ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قُتلوا فيه بأحد ، وذكر أن ممن قال هذا القول معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : والله إني لأسمع قول معتب بن قشير أخى بنى عم و ابن عوف والنعمان يغشاني ما أسمع إلا كالحلم حين قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنى أبي ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، بمثله .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ بنصب الكل على وجه النعت للأمر والصفة له ، وقرأه بعض قراء أهل البصرة ﴿ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ برفع الكل على توجيه الكل إلى أنه اسم ، وقوله لله خبره ، كقول القائل : إن الأمر بعضه لعبد الله . وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل ، والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكل لإجماع أكثر القراء عليه ، من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية ، ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء ، لكانت سواء عندى القراءة بأى ذلك قرئ ، لاتفاق معانى ذلك بأى وجهيه قرئ . القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ . وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ . وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين : لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين ، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم ، وتكتمونه من شرككم في دينكم ، لبرز الذين كتب عليهم القتل ، يقول : لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ، ويخرج من بيته إليه ، حتى يصرع في الموضع الذى كتب عليه أن يصرع فيه .

وأما قوله ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ : فانه يعنى به : وليبتلى الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم . ويعنى بقوله ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ : وليختبر الله الذى في صدوركم من الشك . فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم . من المؤمنين .

وقد دللنا فيما مضى على أن معانى نظائر قوله ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ - وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾ وما أشبه ذلك ، وإن كان في ظاهر الكلام مضافا إلى الله الوصف به ، فراد به أولياؤه وأهل طاعته ، وأن معنى ذلك : وليختبر أولياء الله ، وأهل طاعته ، الذى في صدوركم من الشك والمرض ، فيعرفوكم من أهل الإخلاص واليقين ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ يقول : وليبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية ، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ يقول : والله ذو علم بالذى

في صدور خلقه من خير وشر وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم ، سرائرها وعلائقها ، وهو لجميع ذلك حافظ ، حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن إسحاق يقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر الله تلاومهم ، يعني : تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم ، لأخرج الذين كتب عليهم القتل إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ، أي لا يخفى عليه شيء مما في صدورهم مما استخفوا به منكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحرث بن مسلم ، عن بحر السقاء ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : سئل عن قوله ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ قال : كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله ، وليس كل من يقاتل يقتل ، ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه : إن الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وانهزموا عنهم ، وقوله ﴿ تَوَلَّوْا ﴾ : تفعلوا ، من قولهم : ولي فلان ظهره ، وقوله ﴿ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ﴾ يعني : يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأُحد ، ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ : أي إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان ، وقوله استزل : استفعل ، من الزلة ، والزلة : هي الخطيئة ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ يعني : ببعض ما عملوا من الذنوب ، ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ يقول : ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم ، فصفح لهم عنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ يعني به : مغط على ذنوب من آمن به ، واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته إياهم عليها ﴿ حَلِيمٌ ﴾ يعني : أنه ذو أناة ، لا يعجل على من عصاه ، وخالف أمره بالنقمة .
ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها كل من ولي الدبر عن المشركين بأُحد .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، قال : خطب عمر يوم الجمعة ، فقرأ آل عمران ، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها ، فلما انتهى إلى قوله ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ﴾ قال : لما كان يوم أُحد هزمناهم ، ففررت حتى ضعفت

الجبل ، فلقد رأيتني أنزو كأنتي أروى ، والناس يقولون : قتل محمد ، فقلت : لأجد أحدا يقول : قتل محمد إلا قتلته ، حتى اجتمعنا على الجبل ، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ . . . الآية كلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ . . . الآية ، وذلك يوم أحد ، ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال ، وعن نبي الله يومئذ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه ، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك ، وعفا عنهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ . . . الآية ، فذكر نحو قول قتادة ، وقال آخرون : بل عني بذلك خاص ممن ولي الدبر يومئذ ، قالوا : وإنما عني به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا ، فدخلوا المدينة ، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ . . . الآية .

وقال آخرون : بل نزل ذلك في رجال بأعيانهم معروفين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ قال : نزلت في رافع بن المعلى وغيره من الأنصار وأبي حذيفة بن عتبة ، ورجل آخر ، قال ابن جريج : وقوله ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، إذ لم يعاقبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فرّ عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان رجلاً من الأنصار ، حتى بلغوا الجلب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا به ثلاثاً ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ . . . الآية ، والذين استزلهم الشيطان : عثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن عثمان الأنصاريان ، ثم الزرقيان .

(١) منسوبان إلى بني زريق وهم خلق من الأنصار ، والنسبة إليهم : زريق ، كجبهني (تاج العروس) .

وأما قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فإن معناه : ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان ، أن يعاقبهم ، بتوليهم عن عدوهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يقول : ولقد عفا الله عنهم إذ لم يعاقبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله في توليهم يوم أُحُدٍ ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فلا أدرى أذلك العفو عن تلك العصاة ، أم عفو عن المسلمين كلهم . وقد بينا تأويل قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ
أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاء به محمد من عند الله ، لا تكونوا كمن كفر بالله ورسوله ، فجمحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال لإخوانه من أهل الكفر إذا ضربوا في الأرض ، فخرجوا من بلادهم سفرا في تجارة ، أو كانوا غزى ، يقول : أو كان خروجهم من بلادهم غزاة ، فهلكوا فماتوا في سفرهم ، أو قتلوا في غزوهم ، لو كانوا عندنا ما ماتوا ، وما قتلوا ، يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار ، أنهم يقولون لمن غزا منهم ، فقتل ، أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله ، أو تجارة : لو لم يكونوا خرجوا من عندنا ، وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا ، وما قتلوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ يعني : أنهم يقولون ذلك ، كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم ونحما ، ويجهلون أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده . وقد قيل : إن الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله ، هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ . . . الآية . قال : هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . في قوله ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى يقول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول .

حدثني المثنى . قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون في ذلك : هم جميع المنافقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم . . . الآية : أي لا تكونوا كالمنافقين الذين يهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله ، والضرب في الأرض في طاعة الله ، وطاعة رسوله ، ويقولون : إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا ، وما قتلوا .

وأما قوله ﴿إذا ضربتوا في الأرض﴾ فإنه اختلِف في تأويله ، فقال بعضهم : هو السفر في التجارة ، والسير في الأرض لطلب المعيشة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إذا ضربتوا في الأرض﴾ وهي التجارة .

وقال آخرون : بل هو السير في طاعة الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿إذا ضربتوا في الأرض﴾ : الضرب في الأرض في طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وأصل الضرب في الأرض : الإبعاد فيها سيرا .

وأما قوله ﴿أو كانوا غزى﴾ فإنه يعنى : أوكانوا غزاة في سبيل الله ، والغزى : جمع غاز ، جمع على فُعَل كما يجمع شاهد : شُهَد ، وقائل : قُوَل . وقد ينشد بيت رؤبة :

فاليوم قد تنهنهني تنهنهني وأول حلسم ليس بالمُسْفَه

وقول "إلا ده فلا ده ا

وقولهم "إلا ده فلا ده

وينشد أيضا :

وإنما قيل : ﴿لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم﴾ إذا ضربتوا في الأرض أو كانوا

غزى بإصحاب ما ضى الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه إلا المستقبل ، فقيل : وقالوا لإخوانهم ثم قيل : إذا ضربوا . وإنما يقال في الكلام : أكرمتك إذ زرتني ، ولا يقال : أكرمتك إذا زرتني ، لأن القول الذي في قوله ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ وإن كان في لفظ الماضي فإنه بمعنى المستقبل ، وذلك أن العرب قذهب بالذين مذهب الجزاء ، وتعاملها في ذلك معاملة من وما ، لتقارب معاني ذلك في كثير من الأشياء ، وإن جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان صحيحا

(١) الأبيات في ديوان رؤبة طبع ليبسج (٢ : ١٦٦) وفي اللسان (دهده) الأول والثالث منها . قال : وقولهم : إلا ده فلا ده ، معناه : إن لم يكن هذا الأمر الآن ، فلا يكون بعد الآن ، ولا يدري ما أصله ؟ قال الجوهري : وإني لأظنها فارسية ؛ يقول : إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبدا . والقول جمع قائل ، مثل راع وركع . وفي حديث الكاهن إلا ده فلا ده (بإسكان الهاء فيهما) هذا مثل من أمثال العرب قديم ، معناه : إن لم تنله الآن لم تنله أبدا . وقيل أصله فارسي معرب ، أي إن لم تعط الآن لم تعط أبدا . وأول الحلسم : رجوعه .

في الكلام فصيحاً ، أن يقال للرجل : أكرم من أكرمك ، وأكرم كل رجل أكرمك ، فيكون الكلام خارجاً بلفظ الماضي مع مَنْ وكل مجهول ، ومعناه الاستقبال ، إذ كان الموصوف بالفعل غير موقت ، وكان الذين في قوله ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَاخُوتَانَاهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ غير موقتين ، أجريت مجرى مَنْ ، وما في ترجمتها التي تذهب مذهب الجزاء وإخراج صلاتها بألفاظ الماضي من الأفعال ، وهي بمعنى الاستقبال ، كما قال الشاعر في ما :

وإني لَا تِيَكُكُمْ تَشْكُرُ مَا مَضَى من الأمرِ واستِيجابَ ما كان في غَدٍ ١

فقال : ما كان في غد ، وهو يريد : ما يكون في غد ، ولو كان أراد الماضي لقال : ما كان في أمس ، ولم يجوز له أن يقول : ما كان في غد ، ولو كان الذي موقتا ، لم يجوز أن يقال : ذلك خطأ أن يقال لك : من هذا الذي أكرمك إذا زرته ؟ لأن الذي ههنا موقت ، فقد خرج من معنى الجزاء ، ولو لم يكن في الكلام هذا ، لكان جائزاً فصيحاً ، لأن الذي يصير حينئذ مجهولاً غير موقت ، ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فردّ يصدون على كفروا ، لأن الذين غير موقته ، فقوله ﴿ كَفَرُوا ﴾ وإن كان في لفظ ماض ، فعناه الاستقبال ، وكذلك قوله ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، وقوله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ معناه : إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدرُوا عليهم ، وإلا من يتوب ويؤمن ، ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير ، والعلة في كل ذلك واحدة . وأما قوله ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فانه يعني بذلك : حزناً في قلوبهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ قال : يحزنهم قولهم لا ينفعهم شيئاً .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

لقلّة اليقين برهم جلّ ثناؤه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ : والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء ، والمميت من يشاء كلما شاء دون غيره من سائر خلقه ، وهذا من الله عزّ وجلّ ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوّه ، والصبر على قتالهم ، وإخراج هيبتهم من صدورهم وإن قلّ عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله ، وإعلام منه لهم أن الإمامة والإحياء بيده ، وأنه لن يموت أحد ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذي كتب له ، ونهى منه لهم إذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم ، أو قتل من قتل منهم

(١) البيت في اللسان (شكر) أنشده أبو علي (ولعله الفارسي) . قال : أي تشكر ماضى ، وأراد ما يكون في غد ، فوضع

الماضى (ما كان) موضع الآتى ، كما قال المؤلف . ورواية اللسان « في الغد » في مكان « في غد » .

وأنشده الفراء في معاني القرآن (ص ٨٣ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) ، وعنه أخذ المؤلف .

في حرب المشركين ، ثم قال جل ثناؤه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول : إن الله يرى ما تعملون من خير وشر ، فاتقوه أيها المؤمنون ، فانه محص ذلك كله ، حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ : أي يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)

﴿فَخَاطَبَ جَلْ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَهُمْ : لَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي شَكٍّ مِنْ أَنْ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَأَنْ إِلَيْهِ الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ ، كَمَا شَكَّ الْمُنَافِقُونَ فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَى يَقِينٍ مِنْكُمْ بِأَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فِي حَرْبٍ ، وَلَا يَمُوتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مِنْ بَلْغِ أَجَلِهِ وَحَانَتْ وَفَاتِهِ ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى جِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ مَوْتَائِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَتْلًا فِي اللَّهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا يَجْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَطَامِهَا ، وَرَغِيدِ عَيْشِهَا الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ يَتَثَقَلُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَيَتَأَخَّرُونَ عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ : أي إن الموت كائن لا بد منه ، فموت في سبيل الله ، أو قتل خير لو علموا ، فأيقنوا مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة في الآخرة ؛ وإنما قال الله عز وجل ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وابتدأ الكلام : ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لأن في قوله ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ معنى جواز للجزاء ، وذلك أنه وعد خرج مخرج الخبر .

فتأويل الكلام : ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ، ليغفرن الله لكم وليرحمنكم ، فدل على ذلك بقوله ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا ، وما يجمعون فيها .

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنه إن قيل : كيف يكون ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً﴾ جوابا لقوله ﴿وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾ فإن القول فيه أن يقال فيه ١ : كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم ، فذكر لهم رحمة من الله ومغفرة ، إذ كان ذلك في السبيل ، فقال ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً﴾ يقول لذلك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون ، ودخلت اللام في قوله ﴿لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ لدخولها في قوله : ولئن ، كما قيل : ﴿وَلَيْن نَّصْرُوهُمْ لَيُؤْلِنَ الْأُدْبَارَ﴾ .

(١) قوله أن يقال فيه ... إلى آخر العبارة ، كذا في الأصول .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَهِ اللَّهِ تَحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون ، فإن إلى الله مرجعكم ومحشركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، فأثروا ما يقربكم من الله ، ويوجب لكم رضاه ، ويقربكم من الجنة ، من الجهاد في سبيل الله ، والعمل بطاعته على الركون إلى الدنيا ، وما تجمعون فيها من حطامها الذي هو غير باق لكم ، بل هو زائل عنكم ، وعلى ترك طاعة الله والجهاد ، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم ، ويوجب لكم سخطه ، ويقربكم من النار . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أى ذلك كان ﴿لَإِلَهِ اللَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد وما رغبتكم الله فيه منه أثر عندكم منها ، وأدخلت اللام في قوله ﴿لَإِلَهِ اللَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ لدخولها في قوله ولئن ، ولو كانت اللام مؤخره ، إلى قوله : تحشرون ، لأحدثت النون الثقيلة فيه ، كما تقول في الكلام : لئن أحسنت إلى لأحسنن إليك ، بنون مثقلة ، فكان كذلك قوله : ولئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله ، ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة ١ أدخلت في الصفة ، وسلمت تحشرون ، فلم تدخلها النون الثقيلة ، كما تقول في الكلام : لئن أحسنت إلى لإليك أحسن ، بغير نون مثقلة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ : فبرحمة من الله ، وما صلة ، وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ ، بَعُوضَةٌ فَنَّا فَوْقَهَا والعرب تجعل « ما » صلة في المعرفة والنكرة ، كما قال ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ والمعنى : فينقضهم ميثاقهم ، وهذا في المعرفة ، وقال في النكرة ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ والمعنى : عن قليل ، وربما جعلت اسما وهي في مذهب صلة ، فيرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ، وينخفض على إتيان الصلة ما قبلها ، كما قال الشاعر :
فَكَفَى بَيْنَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّسَبِ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا ٢

إذا جعلت غير صلة رفعت بإضمار هو ، وإن خفضت أتبعته من فأعربته ، فذلك حكمه على ما وصفنا مع

(١) المراد بالصفة : حرف الجر ، وهو اصطلاح نحوي الكوفة ، ويميل إليهم المؤلف ، لأنه كان معجبا بالفراء من أئمتهم .
(٢) هذا البيت من شواهد النجوين (الخزائن ٢ : ٥٤٥) وهو شاهد على أن (من) نكرة موصوفة بمفرد ، وهو قوله (غيرنا) وقد تكون موصولة حذف صدر صلتها . وجعل المؤلف (ما) نظيرة (من) في البيت من بعض الوجوه واستشهد به الفراء في معاني القرآن ص ٧٤ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٧٥ . ٢٤ واقتبس المؤلف كلامه . وقائله : حسان ، أو كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة

النكرات ، فأما إذا كانت الصلة معرفة ، كان الفصح من الكلام الإتيان ، كما قيل ، فبما نقضهم ميثاقهم ، والرفع جائز في العربية ١ .

وبنحو ما قلنا في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ قال جماعة من أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ يقول : فبرحمة من الله لنت لهم .

وأما قوله ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يعني بالفظ : الجاني ، وبالغليظ القلب : القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رأفة ، وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم ، كما وصفه الله بالمؤمنين رءوف رحيم .

فتأويل الكلام : فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك ، وبمن آمن بك من أصحابك ، لنت لهم لتباعدك وأصحابك فسهلت لهم خلافتك ، وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمة ، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به ، وأغلظت عليه ، لتركك ففارقك ، ولم يتبعك ، ولا ما بعث به من الرحمة ، ولكن الله رحيمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لنت لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ : إى والله ، لطهره الله من الفظاظة والغلظة ، وجعله قريبا رحما بالمؤمنين رءوفا . وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة « ليس بفظ ولا غليظ ولا صنوب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح » .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال : ذكر لينه لهم ، وصبره عليهم لضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه في كل ما خالفوا فيه ، مما افترض عليهم من طاعة نبيهم .

وأما قوله ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يعني : لتفرقوا عنك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قوله ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال : انصرفوا عنك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أى لتركوك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، وَشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ : فتجاوز يا محمد عن تباعدك وأصحابك من المؤمنين بك ،

(١) عبارة الفراء في معاني القرآن : فإذا كانت الصلة معرفة آثروا الرفع ، من ذلك : « فبما نقضهم » لم يقرأ أحد برفع ولم نسمعه . ولو قيل جاز .

وبما جئت به من عندى ، ما نالك من أذاهم ، ومكروه فى نفسك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم ، واستحقوا عليه عقوبة منه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ : أى فتجاوز عنهم ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوب من قارف من أهل الإيمان منهم .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم ، وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه ؟ فقال بعضهم : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فى الأمر بمشاورة أصحابه فى مكاييد الحرب ، وعند لقاء العدو ، تطييبا منه بذلك أنفسهم ، وتألفا لهم على دينهم ، وليروا أنه يسمع منهم ، ويستعين بهم ، وإن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه ، وتقويمه أسبابه عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فى الأمر ، فإذا عزمت فتشركل على الله ، إن الله يحب المتشركين ﴿أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور ، وهو يأتيه وحى السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم ، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضا ، وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فى الأمر ، قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور ، وهو يأتيه الوحى من السماء لأنه أطيب لأنفسهم . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فى الأمر : أى لترىهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنيا تؤلفهم بذلك على دينهم .

وقال آخرون : بل أمره بذلك فى ذلك ، وإن كان له رأى ، وأصوب الأمور فى التدبير لما علم فى المشورة تعالى ذكره من الفضل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم ، قوله ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ فى الأمر ، قال : ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة ، إلا لما علم فيها من الفضل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن إياس بن دغفل ، عن الحسن : ما شاور قوم قط ، إلا هدوا لأرشد أمورهم .

وقال آخرون : إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه ، مع إغنائه بتقويمه إياه ، وتدبيره أسبابه عن آرائهم ، ليتبعه المؤمنون من بعده ، فيما حزبهم من أمر دينهم ، ويستنوا بسنته فى ذلك ، ويحتذوا المثال الذى رآوه يفعل فى حياته من مشاورته فى أموره مع المنزلة التى هو بها من الله أصحابه وتباعه فى الأمر ، ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم ، فيتشاوروا بينهم ، ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملوهم ، لأن المؤمنين إذا

تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك ، لم يخلهم الله عز وجل من لطفه ، وتوفيقه للصواب من الرأي ، والقول فيه ؛ قالوا : وذلك نظير قوله عز وجل الذي مدح به أهل الإيمان ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ﴾ . ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري ، قال : قال سفيان بن عيينة في قوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ قال : هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أثر .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه ، فيما حزه من أمر عدوه ، ومكايد حربه ، تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان ، وتعريفا منه أمته ما في الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها ، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم ، فيتشاوروا فيما بينهم ، كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله ؛ فأما النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزه من الأمور بوجه أو إلهامه إياه صواب ذلك ؛ وأما أمته ، فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصديق وتأخ للحق وإرادة جميعهم للصواب : من غير ميل إلى هوى ، ولا حيد عن هدى ، فالله مسددهم وموفقهم .

وأما قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فإنه يعني : فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك ، وتسديدنا لك ، فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك ، فامض لما أمرناك به ، على ما أمرناك به ، وافق ذلك آراء أصحابك ، وما أشاروا به عليك ، أو خالفها ، وتوكل فيما تأتي من أمورك ، وتدع ، وتحاول ، أو تزاوّل على ربك فثق به في كل ذلك ، وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم ، فإن الله يحب المتوكلين ، وهم الراضون بقضائه ، والمستسلمون لحكمه فيهم ، وافق ذلك منهم هوى ، أو خالفه . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ فإذا عزم : أي على أمر جاءك مني ، أو أمر من دينك في جهاد عدوك ، لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ، وتوكل على الله : أي ارض به من العباد ، إن الله يحب المتوكلين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ، ويستقيم على أمر الله ، ويتوكل على الله . حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ . . . الآية ، أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾

﴿يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِذَلِكَ : إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، عَلَى مَنْ نَآوَأْتُمْ وَعَادَاكُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَالْكَافِرِينَ بِهِ ، فَلَا غَالِبَ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ ، يَقُولُ : فَلَنْ يَغْلِبَكُمْ مَعَ نَصْرِهِ إِيَّاكُمْ أَحَدٌ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا مَنْ خَلَقَهُ ، فَلَا تَهَابُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ لِقَلَّةِ عِدَدِكُمْ ، وَكَثْرَةِ عِدَدِهِمْ ، مَا كُنْتُمْ عَلَى أَمْرِهِ ، وَاسْتَقَمْتُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَكُمْ وَالظَّفَرَ دُونَهُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ؟ يَعْنِي : إِنْ يَخْذُلْكُمْ رَبُّكُمْ ، بِخِلَافِكُمْ أَمْرِهِ ، وَتَرْكِكُمْ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ، فَيَكِلْكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ، يَقُولُ : فَأَيُّسُوا مِنْ نَصْرَةِ النَّاسِ ، فَانْكُمْ لَا تَجِدُونَ أَمْرًا مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَنْ خَذَلَكُمْ ، يَقُولُ : فَلَا تَتْرَكُوا أَمْرِي ، وَطَاعَتِي وَطَاعَةَ رَسُولِي ، فَهَلِكُوا بِخِذْلَانِي إِيَّاكُمْ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسْتَوِ كُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يَعْنِي : وَلَكِنْ عَلَى رَبِّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَتَوَكَّلُوا دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ ، وَبِهِ فَارْضُوا مِنْ جَمِيعِ مَنْ دُونِهِ ، وَلِقَضَائِهِ فَاسْتَسْلِمُوا ، وَجَاهِدُوا فِيهِ أَعْدَاءَهُ ، يَكْفِكُمْ بِعَوْنِهِ ، وَيَمْدِدْكُمْ بِنَصْرِهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسْتَوِ كُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ : أَيْ إِنْ يَنْصُرْكَ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، لَنْ يَضُرَّكَ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَكَ ، وَإِنْ يَخْذَلَكَ ، فَلَنْ يَنْصُرَكَ النَّاسُ ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ : أَيْ لَا تَتْرَكْ أَمْرِي لِلنَّاسِ ، وَارْفُضْ النَّاسَ لِأَمْرِي ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَسْتَوِ كُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ بمعنى : أَنْ يَخُونُ أَصْحَابَهُ ، فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ أَعْدَائِهِمْ ، وَاحْتَجَّ بَعْضُ قَارِئِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي قُطَيْفَةِ فَقَدَتْ مِنْ مَغَانِمِ الْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا ، وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ رَوَايَاتٍ . فَهِيَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَّارِبِ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، قَالَ : ثَنَا خَصِيفٌ ، قَالَ : ثَنَا مَقْسَمٌ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ نَزَلَتْ فِي قُطَيْفَةِ حِمْرَاءِ فَقَدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ أَخَذَهَا ، قَالَ : فَأَكْثَرُوا فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الشَّوَّارِبِ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ ، قَالَ : ثَنَا خَصِيفٌ ، قَالَ : سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ :

كيف تقرأ هذه الآية : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أو يُغْلَّ ؟ قال : لا ، بل يَغُلَّ ، فقد كان النبي والله يَغُلَّ ويقتل .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قال : كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر ، فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فلعن النبي أخذها ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قال سعيد : بل والله إن النبي ليغُلَّ ويقتل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خلاد ، عن زهير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا زهير ، قال : ثنا خصيف ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ قالوا : يغُلَّ ، قال قال عكرمة أو غيره ، عن ابن عباس ، قال : كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزل الله هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا قرعة بن سويد الباهلي ، عن حميد الأعرج ، عن سعيد بن جبير ، قال : نزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة .

حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن سليمان الأعمش ، قال : كان ابن مسعود يقرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ فقال ابن عباس : بلى ، ويقتل ، قال : فذكر ابن عباس : أنه إنما كانت في قطيفة ، قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غلبها يوم بدر ، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك ، بفتح الياء وضم الغين : إنما نزلت هذه الآية في طلائع ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ، ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقسم للطلائع ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ ، وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع ، مثل ما قسم لغيرهم ، ويعرفه الواجب عليه من الحكم ، فيما أفاء الله عليه من الغنائم ، وأنه ليس له أن يخص بشيء منها أحدا ممن شهد الواقعة ، أو ممن كان ردها لهم في غزوهم دون أحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يقول : ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ، ويترك طائفة ، ويجور في القسم ، ولكن يقسم بالعدل ، ويأخذ فيه بأمر

الله ، ويحكم فيه بما أنزل الله ، يقول : ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه ، فإذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، استنوا به .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، أنه كان يقرأ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ قال : أن يعطى بعضا ، ويترك بعضا ، إذا أصاب مغنا .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبط ، عن الضحاك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع ، فغم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقسم للطلائع ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ يقول : ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ، ويترك طائفة ، ولكن يعدل ، ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل ، ويحكم فيه بما أنزل الله .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ قال : ما كان له إذا أصاب مغنا أن يقسم لبعض أصحابه ، ويدع بعضا ، ولكن يقسم بينهم بالسوية .

وقال آخرون : ممن قرأ ذلك بفتح الياء وضم الغين : إنما أنزل ذلك تعريفا للناس أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يتكلم من وحى الله شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ ، وَمِنْ يَغُلُّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ : أى ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ، ولارغبة ، ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة .
﴿ فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك : ما ينبغي لنبي أن يكون غالا ، بمعنى : أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أمهم ، يقال منه : غل الرجل فهو يغل ، إذا خان ، غلولا ، ويقال أيضا منه : أغل الرجل فهو يغل إغلا ، كما قال شريح : ليس على المستعير غير المغل ضمان ، يعنى : غير الحائن ؛ ويقال منه : أغل الجازر : إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد .
وبما قلنا في ذلك ، جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ يقول : ما كان ينبغي له أن يخون ، فكما لا ينبغي له أن يخون ، فلا تخونوا .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ قال : أن يخون .

وقرأ ذلك آخرون : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين ، وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة .

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبي أن يغله أصحابه ، ثم أسقط الأصحاب ، فبقى الفعل غير مسمى فاعله ؛ وتأويله : وما كان لنبي أن يخان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه كان يقرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ قال عوف : قال الحسن : أن يخان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ يقول : وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غل طوائف من أصحابه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ قال : أن يغله أصحابه .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ قال الربيع بن أنس ، يقول : ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه ، قال : ذكر لنا - والله أعلم - أن هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غل طوائف من أصحابه .

وقال آخرون منهم : معنى ذلك : وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق ، وكان متأول ذلك كذلك وجهوا قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ إلى أنه مراد به يغلل ، ثم خففت العين من يُفَعَّلُ فصارت يفعل ، كما قرأ من قرأ قوله ﴿فَانْتَهُمُ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ بتأول يكذبونك .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبيا من غل . وإنما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ أهل الغلول ، فقال : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . . . الآية ، والتي بعدها ، فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول ، الدليل الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول ، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَّ﴾ لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول ، لعقب ذلك بالوعيد على التهمة ، وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بالوعيد على الغلول ، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين ، أنه إنما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم ، لأن ذلك جرم عظيم ، والأنبياء لا تأتي مثله .

فإن قال قائل من قرأ ذلك كذلك فأولى منه ، وما كان لنبي أن يخونه أصحابه أن ذلك كما ذكرت ، ولم

(١) قوله « فأولى منه » . لعله لأمره : وما كان . . . الخ .

يعقب الله قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُفَ﴾ إلا بالوعيد على الغلول ، ولكنه إنما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ ﴿يَغْلُفَ﴾ بضم الياء وفتح الغين ، لأن معنى ذلك : وما كان للنبي أن يغله أصحابه ، فيخونوه في الغنائم ؛ قيل له : أفكان لهم أن يغلوا غير النبي صلى الله عليه وسلم فيخونوه ، حتى خصوا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن قالوا : نعم ، خرجوا من قول أهل الإسلام ، لأن الله لم يبيح خيانة أحد في قول أحد من أهل الإسلام قط .

❦ وإن قال قائل : لم يكن ذلك لهم في نبي ولا غيره ؟ قيل : فما وجه خصوصهم إذا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود ، بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما ، وما يلزم المؤمن من أداء الأمانة إليهما ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من أن الله عز وجل نهي بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ، ناهيا بذلك عباده عن الغلول ، وأمرهم بالاستئذان بمنهاج نبيهم ، كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية ، ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه ، فقال ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . . . الآيتين معا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ :
يعنى بذلك تعالى ذكره : ومن يخن من غنائم المسلمين شيئا ، وفيهم ، وغير ذلك ، يأت به يوم القيامة في المحشر .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد أبي حيان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قام خطيبا ، فوعظ وذكر ، ثم قال : « أَلَا عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ » ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَشِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حَمَحَمَةٌ » ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَشِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَشِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَقْرَةٌ لَهَا خُوَارٌ » ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَشِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ » ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَشِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبي حيان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل هذا ، زاد فيه : « عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ » ، لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمُ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ » .

(١) قوله من رواية عطية : لم يتقدم ذكر هذا الراوى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : ثنا أبو حيان ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما ، فذكر الغلول ، فعظمه وعظم أمره ، فقال : «لَا أُلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ» ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي » ثم ذكر نحو حديث أبي كريب ، عن عبد الرحمن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حفص بن بشر ، عن يعقوب القمي ، قال : ثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ شَاةً لَهَا رُغَاءٌ» ، يُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَغْتُكَ ؛ وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ جَمَلًا لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَغْتُكَ ؛ وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ فَرَسًا لَهُ حَمَمَةٌ ، يُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَغْتُكَ ؛ وَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ قِسْمًا مِنْ أَدَمٍ يُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَغْتُكَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن عبد الله بن ذكوان ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي حميد ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ، فجاء بسوادا كثير ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه ؛ فلما أتوه ، جعل يقول : هذا لي ، وهذا لكم ؛ قال : فقالوا : من أين لك هذا ؟ قال : أهدى إلي ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بذلك ، فخرج فخطب ، فقال : «أَيُّهَا النَّاسُ» ، ما بالي أبعث قوما إلى الصدقة ، فَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ بِالسَّوَادِ الْكَثِيرِ ، فَذَا بَعَثْتُ مَنْ يَقْبِضُهُ قَالَ : هَذَا لِي ، وَهَذَا لَكُمْ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا أَفْلَا أُهْدِيَ لَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ بَعَثْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَعَمِلَ شَيْئًا ، جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ يَحْمِلُهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةٌ تَخُورُ ، أَوْ شَاةٌ تَشْغُو » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبد بن سليمان ، عن هشام بن هرو ، عن أبيه ، عن أبي حميد الساعدي ، قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد ، يقال له ابن التلية على صدقات بني سليم ؛ فلما جاء قال : هذا لكم ، وهذا هدية أهديت لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَفْلَا يَجْلِسُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ فَتَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ» ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْكُمْ عَلَى أُمُورٍ مِمَّا وَلَا تَنِي اللَّهُ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : هَذَا الَّذِي لَكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أَهْدَيْتَ إِلَيَّ ، أَفْلَا يَجْلِسُ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَتَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى

(١) قال النووي في شرح مسلم : أي بأشياء كثيرة ، وأشخاص بارزة من حيوان وغيره . والسواد : يقع على كل شخص . اهـ

على عُنُقِهِ ، فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا جَاءَ رَجُلٌ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُورٌ ، أَوْ شَاةٌ تَشْغُو ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَقَالَ : أَلَا هَلْ بَلَغْتُ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحيم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبي حميد ، حدثه بمثل هذا الحديث ، قال : « أَفَلَا جَلَسْتُ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ ؟ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطِيهِ ، ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ » قَالَ أَبُو حَمِيد : بِصَرَعَيْنِ ، وَسَمِعَ أُذُنِي .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الجرث أن موسى بن جبير ، حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري ، حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه ، أنه تذاكر هو وعمر يومًا الصدقة ، فقال : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة ، من غل منها بعيرًا أو شاة ، فانه يحمله يوم القيامة ؟ قال عبد الله بن أنيس : بلى .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث سعد بن عبادَةَ مَصْدَقًا ، فَقَالَ : « إِيَّاكَ يَا سَعْدُ أَنْ تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ ، قَالَ : لَا آخِذَهُ وَلَا أَجِيءُ بِهِ ، فَأَعْفَاه .

حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد ، قال : ثنا الربيع بن روح ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا عبيد الله ابن عمر بن حفص ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه استعمل سعد بن عبادَةَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِيَّاكَ يَا سَعْدُ أَنْ تَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْمِلُ عَلَى عُنُقِكَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، فَقَالَ سَعْدُ : فَإِنْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ ذَلِكَ لَكَائِنْ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ سَعْدُ : قَدْ عَلِمْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَسْأَلُ فَأَعْطَى ، فَأَعْفَى ، فَأَعْفَاه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حبان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن الحرث ، قال : ثنا جدي عبيد ابن أبي عبيد ، وكان أول مولود بالمدينة ، قال : استعملت على صدقة دوس ، فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه ، فسلم ، فخرجت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : كيف أنت والبعير ، كيف أنت والبقرة كيف أنت والغنم ؟ ثم قال : سمعت حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَخَذَ بَعِيرًا بِغَيْرِ حَقِّهِ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ رُغَاءٌ ، وَمَنْ أَخَذَ بَقْرَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا خُورٌ ، وَمَنْ أَخَذَ شَاةً بِغَيْرِ حَقِّهَا جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ لَهَا ثُغَاءٌ ، فَإِيَّاكَ وَالْبَقَرَ فَإِنَّهَا أَحَدُ قُرُونَا ، وَأَشَدُّ أَظْلَافًا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد ، عن عبد الرحمن بن الحرث ، عن جده عبيد بن أبي عبيد ، قال : استعملت على صدقة دوس ، فلما قضيت العمل قدمت ، فجاءني أبو هريرة فسلم عليّ ، فقال : أخبرني كيف أنت والإبل ، ثم ذكر نحو حديثه عن زيد ، إلا أنه قال : « جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُنُقِهِ لَهُ رُغَاءٌ » .

(١) في صحيح مسلم : عفرق إبطيه . وفسرها النووي بالبياض غير الخالص .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا غنم مغنا ، بعث مناديا : ألا لا يغللن رجل مخيطا فما دونه ، ألا لا يغللن رجل بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء ، ألا لا يغللن رجل فرسا ، فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حممة .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ :
يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ : ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص ما استحقته واستوجبه من ذلك ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يقول : لا يفعل بهم إلا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدى عليهم ، فينقصوا عما استحقوه .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ، ولا معتدى عليه .
القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك في قوله ﴿ أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ قال : من لم يغل ، كمن باء بسخط من الله ، كمن غل .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى سفیان بن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، عن الضحاك قوله ﴿ أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ قال : من أدّى الخمس كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب سخطا من الله .
وقال آخرون في ذلك بما حدثني به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ على ما أحب الناس وسخطوا ، كمن باء بسخط من الله لرضا الناس وسخطهم ، يقول : أفمن كان على طاعتي ، فتوابه الجنة ورضوان من ربه ، كمن باء بسخط من الله ، فاستوجب غضبه ، وكان مأواه جهنم وبئس المصير ، أسواء المثالن : أى فاعرفوا .

وأولى التأويلين بتأويل الآية عندى ، قول الضحاك بن مزاحم ، لأن ذلك عقيب وعيد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ، ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده ، أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه ، والعاصى له في ذلك : أى أنهما لا يستويان ولا تستوى حالتاهما عنده ، لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه : الجنة ، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه : النار . فعنى قوله ﴿ أَفَمِنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ كمن باء بسخط من الله : إذا : أفمن ترك الغلول ، وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك ، وفي غيره مما أمره به ونهاه

من فرائضه ، متبعا في كل ذلك رضا الله ، ومجتنبا بسخطه ، كمن بآء بسخط من الله : يعنى : كمن انصرف متحملا بسخط الله وغضبه ، فاستحق بذلك سكنى جهنم ، يقول : ليسا سواء . وأما قوله ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فإنه يعنى : وبئس المصير الذى يصير إليه ، ويثوب إليه من بآء بسخط من الله جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِنَمَا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

يعنى تعالى ذكره بذلك : أن من اتبع رضوان الله ، ومن بآء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله ، فلمن اتبع رضوان الله ، الكرامة والثواب الجزيل ، ولمن بآء بسخط من الله ، المهانة والعقاب الأليم . كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرِنَمَا يَعْمَلُونَ﴾ : أى لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار ، إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول : بأعمالهم .

وقال آخرون : معنى ذلك لهم درجات عند الله ، يعنى : لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال : هى كقوله لهم درجات عند الله . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول : لهم درجات عند الله ، وقيل قوله ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ كقول القائل : هم طبقات ، كما قال ابن هرمة :
إِنْ حُمَّ الْمَنُونُ يَكُونُ قَوْمٌ لِرَيْبِ الدَّهْرِ أَمْ دَرَجَ السُّيُولِ
وأما قوله ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِنَمَا يَعْمَلُونَ﴾ فإنه يعنى : والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته ، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء ، يحصى على الفريقين جميعا أعمالهم ، حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّهُ بِصِيرِنَمَا يَعْمَلُونَ﴾ يقول : إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

(١) البيت من شواهد النحويين (الخزائن ١ : ٢٠٣ - ٢٠٤) وهو منسوب لإبراهيم بن هرمة من الخلع من قيس عيلان . وروايته فيها مختلفة شيئا عن رواية المؤلف :

أَنْصَبُ لِلْمَنْسِيَةِ تَتَعَتَّرُ بِهِمْ رَجَالِي أَمْ هُمْ دَرَجَ السُّيُولِ

يبكى قومه لكثرة من فقد منهم . والنصب بالضم : الشيء المنسوب . ودرج السُّيُولِ : الموضع الذى يمر به السيل ، فيزل من موضع إلى موضع حتى يستقر . والدرج : الطريق . يقول : قومي كانوا غرضا للمنية فأهلكهم ، أم كانوا فى مر السيل فاجترفهم ؟ وأنشده فى اللسان كرواية الخزائن نقلا عن سيبويه . قال ودرج السيل ومدرجه : منحدره وطريقه فى معاطف الأودية . وقالوا : هو درج السيل ، وإن شئت رفعت .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

﴿يَعْنِي﴾ بذلك : لقد تطول الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا ، حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم ، نبيا من أهل لسانهم ، ولم يجعله من غير أهل لسانهم ، فلا يفقهوا عنه ما يقول ، يتلو عليهم آياته ، يقول : اقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله ﴿ويزكّيهم﴾ يعني : يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه ، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ يعني : ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه ، ويبين لهم تأويله ومعانيه ، والحكمة ، ويعني بالحكمة : السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيانه لهم ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يعني : إن كانوا من قبل أن يمن الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته ، لفى ضلال مبين ، يقول : في جهالة جهلاء ، وفي حيرة عن الهدى عمياء ، لا يعرفون حقا ، ولا يطلون باطلا . وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى ، وأنه الأخذ على غير هدى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، والمبين : الذي يبين لمن تأمله بعقله ، وتدبره بفهمه ، أنه على غير استقامة ، ولا هدى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة ، جعله الله رحمة لهم ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم . قوله ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الحكمة : السنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : ليس والله كما تقول أهل حروراء : محنة غالبية من أخطأها أهرىق دمه ، ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلمهم ، وإلى قوم لا أدب لهم فأدبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ : أي لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم ، يتلو عليكم آياته ، ويزكيكم فيما أخذتم ، وفيما علمتم ، ويعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه ، لتستكثروا من طاعته ، وتجتنبوا ما ينهض منكم من معصيته ، فتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدرکوا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي في عمياء من الجاهلية . لا تعرفون حسنة ، ولا تستغيثون من سيئة ، صم عن الحق ، عمى عن الهدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٥﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك : أو حين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة ، وهى القتل الذين قتلوا منهم يوم أحد ، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد ، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرا ، ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يقول : قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من المشركين مثلى هذه المصيبة التى أصابوا هم منكم ، وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر ، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين ، وأسروا سبعين ، ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ يعنى : قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد : أنى هذا : من أى وجه هذا ، ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا ، ونحن مسلمون ، وهم مشركون ، وفيما نبي الله صلى الله عليه وسلم ، يأتيه الوحي من السماء ، وعدونا أهل كفر بالله وشرك ؟ قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول : قل لهم : أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم ، بخلافكم أمرى ، وترككم طاعتى ، لا من عند غيركم ، ولا من قبل أحد سواكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول : إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير ، يعنى : ذو قدرة .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بعد إجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا فى ذلك من التأويل ، فقال بعضهم : تأويل ذلك : قل هو من عند أنفسكم ، بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوكم والإصهار لهم ، حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ، ويصيروا بين أطامكم ، فأبيتهم ذلك عليه ، وقلتم : اخرج بنا إليهم حتى نُصحر لهم ، فنقاتلهم خارج المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ ، قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ؟ أَصَابُوا يَوْمَ أُحُدٍ ، قتل منهم سبعون يومئذ ، وأصابوا مثليها يوم بدر ، قتلوا من المشركين سبعين ، وأسروا سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أُحُد حين قدم أبو سفيان والمشركون ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إِنَّا فِي جُنَّةٍ حَصِينَةٍ - يعنى بذلك : المدينة - فَدَعُوا الْقَوْمَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْنَا نُقَاتِلَهُمْ » فقال ناس له من أصحابه من الأنصار : يا نبي الله : إنا نكره أن نقتل فى طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع فى الغزو فى الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع فيه ، فابرز بنا إلى القوم ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لأمته ، فتلاوم القوم ، فقالوا عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر ، وعرضتم بغيره ، اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم : أمرنا لأمرك تبع ، فأنى

حمزة فقال له : يا نبي الله إن القوم قد تلاوموا ، وقالوا : أمرنا لأمرك تبع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ لَأُمَّتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُنَاجِرَ ، وَإِنَّهُ سَتَكُونُ فِيكُمْ مُصِيبَةٌ » ، قالوا : يا نبي الله خاصة ، أو عامة ، قال : سَتَرَوْنَهَا .

ذكر لنا ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن بقرا تنحر ، فتأولها قتلا في أصحابه ، ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم ، فكان قتل عمه حمزة ، قُتِلَ يومئذ ، وكان يقال له أسد الله ، ورأى أن كبشا أغبر ، فتأول له كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ ، وكان معه لواء المشركين .

حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه ، غير أنه قال ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ يقول : مثلي ما أصيب منكم ﴿ قُلْتُمْ أَأَنْتَ هَذَا ﴾ ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿ يقول : بما عصيتم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة ، وكانوا قد أصابوا مثلها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا ، فقال الله عز وجل ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ ، قُلْتُمْ أَأَنْتَ هَذَا ﴿ إذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله ، وهؤلاء مشركون ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ ، قُلْتُمْ أَأَنْتَ هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿ قالوا : فإنما أصابنا هذا ، لأننا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى ، وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فمن قتل منا كان شهيدا ، ومن بقي منا كان مطهرا ، رضي الله عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن وابن جريج ، قالوا : معصيتهم أنه قال لهم : لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين ، يعني بأحد ، وقتل منهم سبعون إنسانا ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا ، وقتلوا سبعين ﴿ قُلْتُمْ أَأَنْتَ هَذَا ﴾ : أى من أين هذا ؟ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إنكم عصيتم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(١) الذي في السير : ورأيت أني مردف كيشا ، فلعل فيه سقطا أو زيادة من النسخ .

قوله ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ يقول: إنكم أصبتم من المشركين يوم بدر ، مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم ، فقال ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ ، قلتم أأنى هذا ، قل هو من عند أنفسكم :
 أى إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم ، فبذنوبكم ، قد أصبتم مثلها قتلا من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر ، قتلى وأسرى ، ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إنكم أحلتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة ، أو عفو قدير .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ . . . الآية ، يعنى بذلك : أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر ، مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد .

وقال بعضهم : بل تأويل ذلك : قل هو من عند أنفسكم بإسارتكم المشركين يوم بدر ، وأخذكم منهم الفداء ، وترككم قتلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين ، وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اخْتَارُوا أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ، فَتَشَقُّوْا بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعُونَ أَوْ تَقْتُلُوهُمْ» فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ، ويقتل منا سبعون ، قال : فأخذوا الفدية منهم ، وقتلوا منهم سبعين ؛ قال عبيدة : وطلبوا الخيرتين كلتيهما .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة أنه قال في أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ» ، واستشهد منكم بغيرهم ، قالوا : بل نأخذ الفداء فنستمتع به ، ويستشهد منا بعدتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إسماعيل ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني ؛ وحدثني حجاج عن جرير ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني ، عن علي ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين ، أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم .
 قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشاثرنا وإخواننا ، لا بل نأخذ فداءهم فنقتوي به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ، فليس في ذلك ما نكره ، قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْادَفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك : والذي أصابكم يوم التقى الجمعان ، وهو يوم أحد حين التقى جمع المسلمين والمشركون ، ويعنى بالذى أصابهم : ما نال من القتل من قتل منهم ، ومن الجراح من جرح منهم ، فبإذن الله يقول ، فهو بإذن الله كان ، يعنى : بقضائه وقدره فيكم ، وأجاب ما بالفاء ، لأن ما حرف جزاء ، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ بمعنى : وليعلم الله المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا ، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد ، ليميز أهل الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم ، لا يخفى عليهم أمر الفريقين . وقد بينا تأويل قوله ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما مضى ، وما وجه ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أى ما أصابكم حين التقيتم أئمة وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتم وعدى ، ليميز بين المنافقين والمؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا منكم : أى ليظهرُوا ما فيهم .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْادَفَعُوا ، قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بذلك : عبد الله بن أبى سلول المناق ، وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، حين سار نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم ، فقال لهم المسلمون : تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ، ولكننا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال ، فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه ، وأبدوا بالسننهم بقولهم ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ﴾ غير ما كانوا يكتُمونه ويخفونه ، من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل الإيمان به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ

وغيرهم من علمائنا كلهم ، قد حدثت ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى : حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلاث الناس ، فقال أطاعهم ، فخرج وعصاني ، والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ؛ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال ؛ فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ يعنى : عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ، الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقوله ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ ﴾ يقول : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكن لا نظن أن يكون قتال ، فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل : ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِثٌ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ وليس في قلوبهم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ : أى يخفون .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى : يوم أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتح إن صبروا ؛ فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثائة ، فتبعهم أبو جابر السلمى يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ، ولئن أطعنا لترجعن معنا ... قال اذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول ، وقول عبد الله بن جابر بن أبي عبد الله الأنصارى حين دعاهم ، فقالوا : ما نعلم قتالا ، ولئن أطعتمونا لترجعن معنا ، فقال الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا : لو أطاعونا ما قتلوا ، قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج قال : قال ابن جريج : قال عكرمة ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ، قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾ قال : لو نعلم أنا واجدون معكم قتالا ، لو نعلم مكان قتال لا تتبعناكم .

واختلفوا في تأويل قوله ﴿ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ يقال بعضهم : معناه : أو كثروا ، فانكم إذا كثرتم دفعتم القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ يقول : أو كثروا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ قال : بكثرتكم العدو إن لم يكن قتال .

(١) الظاهر أن قوله « قال » هو أول رد أبي جابر السلمى على كلام المنافقين ، وحذف بقية كلامه اكتفاء بذكره في الحديث الذى قبله ، وهو بمعناه .

وقال آخرون : معنى ذلك : أورا بطوا إن لم تقاتلوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسماعيل بن حفص الآملي وعلي بن سهل الرملي ، قالا : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا عتبة بن ضمرة ، قال : سمعت أبا عون الأنصاري في قوله ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾ قال : رابطوا . وأما قوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ فإنه يعني به : والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ ﴾ بما يضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه ، فيسترونه ، من العداوة والشئان ، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ، ولا دافعوا عنهم ، وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك ، مطلع عليه ، ومحصيه عليهم ، حتى يهلك أستارهم في عاجل الدنيا ، فيفضحهم به ، ويصلبهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْهَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

يعني تعالى ذكره بذلك : وليعلم الله الذين نافقوا ، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا ، فوضع الذين نصب على الإبدال من الذين نافقوا ، وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله ﴿ يَكْتُمُونَ ﴾ من ذكر الذين نافقوا ، فمعنى الآية : وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأحد يوم أحد ، فقتلوا هنالك من عشائهم وقومهم ، وقعدوا ، يعني : وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع إخوانهم وعشائهم في سبيل الله : لو أطاعونا ، يعني : لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائنا ما قتلوا ، يعني : ما قتلوا هنالك ، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين : فادفعوا ، يعني : فادفعوا من قول القائل : درأت عن فلان القتل ، بمعنى : دفعت عنه ، أدروا درعا ، ومنه قول الشاعر :

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي ١

يقول تعالى ذكره : قل لهم : فادفعوا إن كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم : لو أطاعنا إخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم ، وقتلهم أبا سفيان ، ومن معه من قريش ، ما قتلوا هنالك بالسيف ، ولكانوا أحياء بقعودهم معكم ، وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهود جهاد أعداء الله معه الموت ، فإنكم قد قعدتم عن حربهم ، وقد تخلفتم عن جهادهم ، وأنتم لا محالة ميتون .

(١) أنشد البيت في اللسان (درأ) ونسبه للمثقب العبدى . قال : ويقال : درأت له وسادة : إذا بسطتها . ودرأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ، ثم أبركته عليه ، لتشده به . وقد درأت فلانا الوضين على البعير وداريته . وأنشده في وضن ، وقال عن الجوهري : الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب ، والتصدير للرحل . والحزام للسر ، وإذا كان مضفورا من سيور مضاعفا عريضا فهو وضين . واجمع : وضن . ودينه : عادته ودينه . وأنشد بيت المثقب شاهدا عليه . يقول : تقول هذه الناقة إذا شددتها بحزامها : هذه عادته معي ، لا يزال يتبعني ولا يرحني .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ الَّذِينَ أُصِيبُوا
مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ : ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ . . . الآية : أَيْ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَرَصًا عَلَى الْبَقَاءِ
فِي الدُّنْيَا ، وَفِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ هَذَا الْقَوْلَ ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾
حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ . . . الآية ، ذَكَرَ لَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثَنَا أَحَدٌ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطٌ ، عَنْ السَّيِّدِ ، قَالَ : هُمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
الَّذِي قَعَدَ ، وَقَالَ لِإِخْوَانِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ : ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾
. . . الآية ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ .
حَدَّثَ عَنْ عِمَارٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
وَقَعَدُوا﴾ . . . الآية ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾

يعنى تعالى ذكره ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ : وَلَا تَظَنَّ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ : وَلَا تَظَنَّ ، وَقَوْلُهُ ﴿الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي : الَّذِينَ قُتِلُوا بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَاتًا ، يَقُولُ
وَلَا تَحْسَبْنَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَمْوَاتًا ، لَا يَحْسُونَ شَيْئًا ، وَلَا يَلْتَذَنُونَ ، وَلَا يَتَنَعَّمُونَ ، فَانْهَمُ أَحْيَاءٌ عِنْدِي ، مُتَنَعِّمُونَ
فِي رِزْقِي ، فَرِحُونَ بِمَا آتَيْتَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي وَفَضْلِي ، وَحُبُّوتِهِمْ بِهِ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِي وَعَطَائِي .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : ثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ
الْمَكِّيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ ،
جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا ،
وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ؛ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ .

وَحَسَنَ مَقِيلِهِمْ ، قالوا : يَا لَيْتَ إِيحْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا لِثَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : جميعا ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق بن الأجدع ، قال : سألنا عبد الله بن مسعود ، عن هذه الآيات ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . الآية ، قال : أما إنا قد سألنا عنها ، فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله إليهم اطلاعة ، فيقول : يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ ، فيقولون : رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أُعْطِينَا الْجَنَّةَ ، نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ يَطْلُعُ فيقول : يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ ؟ فيقولون : رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أُعْطِينَا الْجَنَّةَ ، نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا ، إِلَّا أَنَا نَخْتَارُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا ، ثُمَّ تَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا ، فَتَقَاتِلَ فِيكَ حَتَّى نَقْتُلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى .

حدثنا الحسن بن يحيى العبدى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : سألنا عبد الله ، عن هذه الآية ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : إني قد قضيت أن لا ترجعوا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، قال : سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ، ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد ، قال : أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر ، في قناديل تحت العرش ، تروح في الجنة حيث شاءت ، ثم ترجع إلى قناديلها ، فيطلع إليها ربها ، فيقول : ماذا تريدون ، فيقولون : نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحيم بن سليمان ، وعبد بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحرث بن فضيل ، عن محمود بن لييد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ : نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ » وقال عبدة « فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » .

حدثنا أبو كريب ، وأنبأنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الحرث بن فضيل ، عن محمود بن لييد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله ، إلا أنه قال : « فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ » وقال : يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ فِيهَا .

حدثنا ابن وكيع ، وأنبأنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الحرث بن فضيل ، عن محمود بن لييد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني الحرث بن الفضيل الأنصاري

عن محمود بن لبید الأنصاری ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشَّهْدَاءُ عَلَى بَارِقٍ : نَهْرٌ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضِرَاءَ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أيضا ، يعني : إسماعيل بن عياش ، عن ابن إسحاق ، عن الحرث بن الفضيل ، عن محمود بن لبید ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني بعض أصحابي ، عن عبد الله ابن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ ، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّ أَبَاكَ حَيِّثُ أُصِيبَ بِأُحَدٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ أَفْعَلَ بِكَ ، قَالَ : يَا رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ ، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قُتِلُوا يوم أُحُد ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ الْقُرْآنِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهْدَاءِ تَعَارَفَ فِي طَيْرٍ بَيْضٍ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ مَسَاكِنَهُمُ السُّدْرَةُ . حَدَّثَتْ عَنْ عِمَارٍ ، وَأَنْبَاءُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ حَوْه ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : تَعَارَفَ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ وَبَيْضٍ ، وَزَادَ فِيهِ أَيْضًا ، وَذَكَرَ لَنَا عَنْ بَعْضِهِمْ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ قَالَ : هُمْ قَتْلَى بَدْرٍ وَأُحُدٍ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخزومة قال : قالوا : يَا رَبِّ أَلَا رَسُولٌ لَنَا يُخْبِرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا بِمَا أُعْطِينَا ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا رَسُولُكُمْ ، فَأَمْرُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ... الْآيَتَيْنِ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن مرة ، عن مسروق ، قال : سألنا عبد الله عن هذه الآيات ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ قَالَ : أَرْوَاحُ الشَّهْدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ كَطَيْرٍ خَضِرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مَعْلُوقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، قَالَ : فَاطْلَعُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ إِطْلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدُكُمْ ، قَالُوا : رَبَّنَا أَلَسْنَا نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شِئْنَا ، ثُمَّ اطْلَعُ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدُكُمْ ، قَالُوا : تَعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا ، فَتَقَاتِلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ . حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ عَيْنَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الثَّالِثَةِ حِينَ قَالَ لَهُمْ : هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدُكُمْ ، قَالُوا : تَقْرَأُ نَبِيْنَا عِنَّا السَّلَامَ ، وَتُخْبِرُهُ أَنْ قَدْ رَضِينَا وَرَضَى عَنَّا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في ثواب الجنة ، ويهون عليهم القتل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ : أي قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون في روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قال : كان المسلمون يسألون ربهم أن يرهم يوما كيوم بدر ، يبلون فيه خيرا ، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون فيه الجنة ، والحياة في الرزق ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله ، فقال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ . . . الآية .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذكر الشهداء ، فقال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ زعم أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة ، تبيت في القناديل ، فاذا سرحن نادى مناد ماذا تريدون ، ماذا تشتهون ؟ فيقولون : ربنا نحن فيما اشتيت أنفسنا ، فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون ، وماذا تريدون ؟ فيقولون : نحن فيما اشتيت أنفسنا ؛ فيسئلون الثالثة فيقولون ما قالوا ، ولكننا نحب أن تردّ أرواحنا في أجسادنا لما يرون من فضل الثواب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عباد ، قال : ثنا إبراهيم بن معمر ، عن الحسن ، قال : مازال ابن آدم يتحمد حتى صار حيا ما يموت ، ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا عمر بن يونس ، قال : ثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : ثنى أنس ابن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ، قال : لا أدرى أربعين ، أو سبعين ، قال : وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء قعدوا فيه ، ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ، فقال أراه أبو ملحان الأنصارى : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حيا منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله ، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح ، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ، فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة ، فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه ، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل ، قال : قال إسحاق : حدثني أنس بن مالك ، أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه

زمانا ، وأنزل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

حدثنا يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوا ربهم ، فأكرمهم ، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب ، قالوا : يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا ، فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم ، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، فهذا النبأ الذي بلغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء ، وفي نصب قوله ﴿ فَرِحِينَ ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون منصوبا على الخروج من قوله ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، والآخر من قوله ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ ولو كان رفعا بالرد على قوله : بل أحياء فرحون كان جائزا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ :

يعنى بذلك تعالى ذكره : ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم ، من جهاد أعداء الله مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم ، صاروا من كرامة الله ، إلى مثل الذى صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ، لاخوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، يعنى بذلك : لاخوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ، ونكد عيشها ، للخفض الذى صاروا إليه ، والدعة والزلفة ، ونصب أن لا بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ . . . الآية ، يقول لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل ، والنعيم الذى أعطاهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ . . . الآية ، قال يقول : إخواننا يقتلون كما قتلنا ، يلحقون فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، ذكر لنا عن بعضهم في قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ قال : هم

قتلى بدر وأُجد ، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم ، وأدخلهم الجنة ، جعلت أرواحهم في طير خضر ترعى في الجنة ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش ؛ فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة ، قالوا : ليت إخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه ، فاذا شهدوا قتالا تعجلوا إلى ما نحن فيه ، فقال الله تعالى : إني منزل على نبيكم ، ومخير إخوانكم بالذي أنتم فيه ، ففرحوا به واستبشروا ، وقالوا : يخبر الله نبيكم وإخوانكم بالذي أنتم فيه ، فاذا شهدوا قتالا أتوكم ، قال فذلك قوله : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ... إلى قوله ﴿ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ : أي ويسرّون بلحق من لحق بهم من إخوانهم ، على ما مضوا عليه من جهادهم ، لشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم ، وأذهب الله عنهم الخوف والحزن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ قال : هم إخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم ﴿ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، فإن الشهيد يوثى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله ، فيقال : يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، فيستبشر حين يقدم عليه ، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

يقول جل ثناؤه ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون ﴿ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ يعني بما خباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ يقول : وبما أسبغ عليهم من الفضل ، وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وجهاد أعدائه ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ ... الآية ، لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

واختلف القراء في قراءة قوله ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقرأ ذلك بعضهم بفتح الألف من «أن» بمعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، وبكسر الألف على الاستئناف ، واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها في قراءة عبد الله ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ ، والله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ قالوا : فذلك دليل على أن قوله ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ ﴾ مستأنف غير متصل بالأول .

ومعنى قوله ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه ، وعمل بما جاءه من عند الله .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف ، لإجماع الحجة من القراء على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

❖ يعنى بذلك جل ثناؤه : وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، المستجيبين لله والرسول ، من بعد ما أصابهم الجراح والكلام ؛ وإنما عني الله تعالى ذكره بذلك ، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان ، ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد ، وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ، ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم .

كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى حسان بن عبد الله ، عن عكرمة ، قال : كان يوم أحد السبت للنصف من شوال ؛ فلما كان الغد من يوم أحد ، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة ، لارجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلفت على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوههم عن عدوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد ابن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا ، قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخي ، فرجعنا جريحين ؛ فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي ، أو قال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا منه ، فكنت إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى إلى

(١) عقبة : شوطا النهاية لابن الأثير .

حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثا : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فقال الله تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ : أي الجراح ، وهم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ . . . الآية ، وذلك يوم أُحد بعد القتل والجراح ، وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ألا عصابة تشدّ لأمر الله تطلب عدوها ، فانه أنكى للعدو ، وأبعد للسمع ، فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : انطلق أبو سفيان منصرفا من أُحد حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم ندموا ، وقالوا : بثما صنعتم إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ، ارجعوا واستأصلوهم ، فقفذ الله في قلوبهم الرعب ، فهزموا ، فأخبر الله رسوله ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، ثم رجعوا من حمراء الأسد ، فأنزل الله جل ثناؤه فيهم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن الله جلّ وعزّ قذف في قلب أبي سفيان الرعب ، يعني : يوم أُحد بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أبا سُفْيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرَفًا وَقَدْ رَجَعَ وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ » وكانت وقعة أُحد في شوال ، وكان التجار يقدمون المدينة في ذى القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وأنهم قدموا بعد وقعة أُحد ، وكان أصاب المؤمنين القرع ، واشتكوا ذلك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ، ويتبعوا ما كانوا متبعين ، وقال : إنما يرتحلون الآن ، فيأتون الحج ولا يقدرّون على مثلها حتى عام مقبل ، فجاء الشيطان فخوّف أوليائه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم ، فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد لأحضض الناس ، فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة ابن الجراح في سبعين رجلا ، فساروا في طلب أبي سفيان ، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء ، فأنزل الله تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبو سعيد ، عن هشام بن عروة ،

عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت لعبد الله بن الزبير : يا ابن أخي ، أما والله إن أباك وجدك ، تعنى : أبا بكر والزبير ، ممن قال الله تعالى فيهم ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أن أباسفيان ابن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أُحد قال المسلمون للنبى صلى الله عليه وسلم : إنهم عامدون إلى المدينة ، فقال : إن ركبوا الخيل وتركوا الأثقال فأتهم عامدون إلى المدينة ، وإن جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها ، فركبوا الأثقال ، فرعبهم الله ، ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة ، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا ، فنزلت ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قالت لى عائشة : إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، تعنى : أبا بكر والزبير .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول ، فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ إذا اتقى الله فخافه ، فأدّى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما ، وذلك الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم ، على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٦﴾

يعنى تعالى ذكره : وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم ، والذين في موضع خفض مردود على المؤمنين ، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الأول هم قوم فيما ذكر لنا ، كان أبوسفيان سألهم أن يشبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أُحد إلى حمراء الأسد ، والناس الثانى : هم أبوسفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأُحد ، يعنى بقوله ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ : قد جمعوا الرجال للقائكم ، والكرة إليكم لحربكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ يقول : فاحذروهم ، واتقوا لقاءهم ، فانه لا طاقة لكم بهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ يقول : فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبى سفيان وأصحابه من المشركين يقينا إلى يقينهم ، وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم ، ولم يشكهم ذلك عن وجههم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه ، وقالوا ثقة بالله ، وتوكلا عليه ، إذ خوفهم من خوفهم أباسفيان وأصحابه من المشركين ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ يعنى بقوله : حسبنا الله : كفانا الله ، يعنى : يكفيننا الله ، ونعم الوكيل ، يقول : ونعم المولى لمن وليه وكفله ، وإنما وصف تعالى نفسه بذلك

لأن الوكيل في كلام العرب : هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره ؛ فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله ، ووثقوا به ، وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك ، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة ، فقال : ونعم الوكيل الله تعالى لهم .

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ** فقال بعضهم : قيل ذلك لهم في وجههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد إلى حمراء الأسد في طلب أبي سفيان ، ومن معه من المشركين . ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ، ومن قائله :

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : مر به ، يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الأسد ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشرکهم عيبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمة صفقتهم معه ، لا يخفون عليه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : والله يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله كان أعفأك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا في أحد أصحابه وقادتهم وأشرفهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم ؛ فلما رأى أبو سفيان معبدا ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فهم من الحق عليكم بشيء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال : فإني أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تَهْدُ مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي
تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ
فَظَلَّتْ عَدَوًا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً
فَقُلْتُ وَيْلُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٍ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ تَنَابِلَةَ
إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلِ
لَمَّا سَمَوْا بِرئيسٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ
إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجِيلِ
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أُنْذِرْتُ بِالْقِيلِ

(١) الأبيات في سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ١٠٩ طبعة الحلبي . وتهدي : تسقط لؤلؤ ما سمعت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق . والأبابل : الجماعات . وتردي : تسرع . والتنايلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذي لا رمح معه . وقيل : الذي لا ترس معه . وقيل : الذي لا يثبت على السرج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . والعدو : مشي سريع . وسماوا : علوا وارتفعوا . وابن حرب : أبو سفيان . وتغطمت : اهتزت وارتجت . ومنه يقال : بحر غطاطط : إذا علت أمواجه . والبطحاء : السهل من الأرض . والجيل : الصنف من الناس . والبسل : الحرام ، وأهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . والضاحية : البارزة للشمس . والإربة هنا : العقل وهي بكسر الهمزة . والوخش : رذالة الناس وأخسائهم . يكون للمفرد وغيره بلفظ واحد والتنايل : جمع تنبلة ، وهي القطعة من الخيل . والقييل : القول ، أو هو اسم المصدر .

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ؛ ومرّ به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها ، وأُحمَلُ لكم إبلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه ، فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل ببقيتهم ، فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فقال الله ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ والناس الذين قال لهم ما قالوا : النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، إن أبا سفيان رمن معه راجعون إليكم ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ لَمَّا نَجَّاهُمْ مِنَ الْيَدِ الْمُنْفَرَةِ ﴾ . . . الآية .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما ندموا ، يعنى : أبا سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : ارجعوا فاستأصلوهم ، فخذف الله في قلوبهم الرعب ، فهزموا ، فلقوا أعرابيا ، فجعلوا له جعلا : إن لقيت محمدا وأصحابه ، فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ، فأخبر الله جل ثناؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فلقوا الأعرابي في الطريق ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ثم رجعوا من حمراء الأسد ، فأنزل الله تعالى فيهم ، وفي الأعرابي الذي لقيهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم ، وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حبال ، فقال : إن لكم على رضاكم إن أنتم رددتم عنى محمدا ومن معه ، إن أنتم وجدتموه في طلي ، وأخبرتموه أني قد جمعت له جموعا كثيرة ، فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا له : يا محمد إنا نخبرك أن أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة ، وأنه مقبل إلى المدينة ، وإن شئت أن ترجع فافعل ، ولم يزد ذلك ومن معه إلا يقينا ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعدما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم ، حتى كانوا بذي الحليفة ، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم ، فيقولون لهم : هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس ، فقالوا ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

وقال آخرون: بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدر الصغرى وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبي سفيان وأصحابه ، للموعد الذى كان واعدته الالتقاء بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ قال هذا أبو سفيان ، قال لمحمد : موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا ، فوافقوا السوق فيها ، وابتاعوا ، فذلك قوله تبارك وتعالى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾ وهى غزوة بدر الصغرى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، وزاد فيه : وهى بدر الصغرى ، قال ابن جريج : لما عمده النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان ، فجعلوا يلقون المشركين ، ويسألونهم عن قريش ، فيقولون ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يكيدونهم بذلك ، يريدون أن يربوهم ، فيقول المؤمنون ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ حتى قدموا بدرا ، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال : وقدم رحل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه الصلاة والسلام وقال في ذلك :

نَفَرْتُ قَلُوصِي عَنْ خِيُولِ مُحَمَّدٍ وَعَجْجُوهُ مَنَشُورَةً كَالْعَنْجَدِ
وَاتَّخَذْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي^١

قال أبو جعفر : هكذا أنشدنا القاسم ، وهو خطأ ، وإنما هو :

قَدْ نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجْجُوهُ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَدِ
تَهْوَى عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَتْلَدِ قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الْغَدِ^٢

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كانت بدر متجرا في الجاهلية ، فخرج ناس من المسلمين يريدونه ، ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، فأتوهم فلم يلقوا أحدا ، فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ .

(١) هذا الرجز لمعبد بن أبي معبد الخزاعي . وهذه الرواية بحرفة ، وسيروها المؤلف بعد على وجهها ، كما في سيرة ابن هشام ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ٢ : ٢٢١ .

(٢) هكذا رويت أبيات معبد بن أبي معبد الخزاعي في سيرة ابن هشام (٢ : ٢٢١) والعنجد : حب الزبيب . ويقال : هو الزبيب الأسود . تهوى : تسرع . الدين : الدأب والعادة . الأتلد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة . وضجنان بالفتح وقد يحرك : جبل بناحية تهامة أو على برية من مكة . والأبيات قالها معبد الخزاعي حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم مقيما في غزوة بدر الآخرة ينتظر قدوم أبي سفيان ، وقد رأى ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرع به .

قال ابن يحيى ، قال عبد الرزاق ، قال ابن عيينة : وأخبرني زكريا عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار ، فقال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ .
 ﴿وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلٍ مِنْ قَالَ : إِنَّ الَّذِي قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَانْخَشَوْهُمْ ، كَانَ فِي حَالِ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ فِي أَثَرِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ مَنْصَرَفِهِمْ عَنْ أُحُدٍ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِنَّمَا مَدَحَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ بِقِيلِهِمْ ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَانْخَشَوْهُمْ ، بَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ نَالَهُمْ مِنَ الْقُرُوحِ وَالْكُلُومِ ، بِقَوْلِهِ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الصِّفَةُ إِلَّا صِفَةً مِنْ تَبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَرَحَى أَصْحَابِهِ بِأُحُدٍ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، وَأَمَّا قَوْلُ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ إِلَى غَزْوَةِ بَدْرِ الصَّغْرَى ، فَانَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ جَرِيحٌ ، إِلَّا جَرِيحٌ قَدْ تَقَادَمَ انْدِمَالُ جَرَحِهِ ، وَبَرَأَ كَلِمُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّمَا خَرَجَ إِلَى بَدْرِ الْخُرْجَةِ الثَّانِيَةِ إِلَيْهَا لِمَوْعِدِ أَبِي سَفْيَانَ الَّذِي كَانَ وَاَعَدَهُ لِلِقَاءِ بِهَا بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ ، وَخُرُوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَغَزْوَةِ بَدْرِ الصَّغْرَى إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ذَلِكَ وَقْعَةٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِيهَا حَرْبٌ جَرَحَ فِيهَا أَصْحَابَهُ ، وَلَكِنْ قَدْ كَانَ قَتْلٌ فِي وَقْعَةِ الرَّجِيعِ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ لَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ غَزْوَةَ بَدْرِ الصَّغْرَى ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ الرَّجِيعِ فِيمَا بَيْنَ وَقْعَةِ أُحُدٍ ، وَغَزْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَدْرِ الصَّغْرَى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٢)

﴿يَعْنِي جَلَّ ثَنَاهُ بِقَوْلِهِ﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴿فَانصَرَفَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ مِنْ وَجْهِهِمْ الَّذِي تَوَجَّهُوا فِيهِ ، وَهُوَ سِيرُهُمْ فِي أَثَرِ عَدُوِّهِمْ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ﴾ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴿يَعْنِي : بِعَافِيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَلْقُوا بِهَا عَدُوًّا﴾ وَفَضْلٍ ﴿يَعْنِي : أَصَابُوا فِيهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ بِتِجَارَتِهِمْ الَّتِي اتَّجَرُوا بِهَا ، وَالْأَجْرَ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ﴾ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴿يَعْنِي : لَمْ يَنْلَهُمْ بِهَا مَكْرُوهٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَلَا أَذًى ،﴾ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴿يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ أَرْضَوْا اللَّهَ بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ ، وَاتَّبَعَهُمْ رَسُولُهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ اتِّبَاعِ أَثَرِ الْعَدُوِّ وَطَاعَتِهِمْ﴾ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿يَعْنِي : وَاللَّهُ ذُو إِحْسَانٍ وَطُولٍ عَلَيْهِمْ بِصَرْفِ عَدُوِّهِمُ الَّذِي كَانُوا قَدْ هَمُّوا بِالْكَرَّةِ إِلَيْهِمْ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ بِنِعْمِهِ ، عَظِيمٍ عِنْدَ مَنْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال : والفضل : ما أصابوا من التجارة والأجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : وافقوا السوق فابتاعوا ، وذلك قوله ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال : الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر . قال ابن جريج : ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل ، أصابوا عفوه وعزته ، لا ينازعهم فيه أحد ، قال : وقوله ﴿لَمْ يَمَسَّ سَمُوءُ﴾ قال : قتل ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ قال : طاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف عنهم من لقاء عدوهم .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أطاعوا الله ، وابتغوا حاجتهم ، ولم يؤذهم أحد ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ لَمْ يَمَسَّ سَمُوءُ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني : حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى بدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر ، فأصابوا تجارة فذلك قول الله ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ لَمْ يَمَسَّ سَمُوءُ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ أما النعمة : فهي العافية ، وأما الفضل : فالتجارة ، والسوء : القتل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمُ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

يعني بذلك تعالى ذكره : إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون : إن الناس قد جمعوا لكم ، فخوفوكم بجمع عدوكم ، ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش ، لترهبوهم ، وتجنبوا عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوف والله المؤمن بالكافر ، ويرهب المؤمن بالكافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال : يخوف المؤمنين بالكفار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يقول : الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ :

أى أولئك الرهط ، يعنى : النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا ، وما ألقى الشيطان على أفواههم ، يخوف أوليائه : أى يرهبكم بأوليائه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا على بن معبد ، عن عتاب بن بشير ، مولى قريش ، عن سالم الأفطس ، فى قوله ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ قال : يخوفكم بأوليائه . وقال آخرون : معنى ذلك : إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون فى أنفسكم فتخافونه . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذكر أمر المشركين وعظمتهم فى أعين المنافقين فقال ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ يعظم أوليائه فى صدوركم فتخافونهم . فان قال قائل : وكيف قيل ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ وهل يخوف الشيطان أوليائه ؟ قيل : إن كان معناه يخوفكم بأوليائه يخوف أوليائه قيل ذلك نظير قوله ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ بمعنى : لينذركم بأسه الشديد ، وذلك أن البأس لا ينذر ، وإنما ينذره ٢ . وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى ذلك : : يخوف الناس أوليائه ، كقول القائل هو يعطى الدراهم ، ويكسو الثياب ، بمعنى : هو يعطى الناس الدراهم ، ويكسوهم الثياب ، فحذف ذلك للاستغناء عنه ، وليس الذى شبه ذلك بمشبهه ، لأن الدراهم فى قول القائل : هو يعطى الدراهم معلوم أن المعطى هى الدراهم ، وليس كذلك الأولياء فى قوله ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ مخوفين ، بل التخويف من الأولياء لغيرهم ، فلذلك افترقا . القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ :

يقول : فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ، ولا يعظمن عليكم أمرهم ، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياى ، ما أطعتمونى ، واتبعتم أمرى ، وإنى متكفل لكم بالنصر والظفر ، ولكن خافون ، واتقوا أن تعصونى ، وتخالفوا أمرى ، فهلكوا إن كنتم مؤمنين ، يقول : ولكن خافونى دون المشركين ، ودون جميع خلقى أن تخالفوا أمرى إن كنتم مصدقى رسولى ، وما جاءكم به من عندى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يُضْرُّوا وَاللَّهُ شَتَّىٰ عَارِضٌ لَا يُجْعَلُ لَهُمْ حِطًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

يقول جل ثناؤه : ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون فى الكفر ، مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق ، فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم فى الكفر شيئا ، كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعتهم ، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارته .

(١) فى عبارة المؤلف شىء من التكرار فى الجمل أورثها غموضا .

(٢) هذا التخريج الذى ارتضاه المؤلف هو من كلام الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٧٤) قال : ومثل ذلك قوله « لينذر يوم التلاق » معناه : لينذركم يوم التلاق ، وقوله « لينذر بأسا شديدا » المعنى : لينذركم بأسا شديدا ، البأس لا ينذر ، إنما ينذر به .

كما حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ : يعني : هم المنافقون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ : أي المنافقون .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ : يعني بذلك جل ثناؤه : يريد الله أن لا يجعل هؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبا في ثواب الآخرة ، فلذلك خذلهم ، فسارعوا فيه ، ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة ، لهم عذاب عظيم في الآخرة ، وذلك عذاب النار .

وقال ابن إسحاق في ذلك بما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ : أن يحبط أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ أَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

يعني بذلك جل ثناؤه : المنافقين الذين تقدم إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ، أن لا يحزنه مسارعهم إلى الكفر ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم ، فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه ، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله ، عوضا من الإيمان ، لن يضرّوا الله بكفرهم وارتدادهم ، عن إيمانهم شيئا ، بل إنما يضرّون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به .

وإنما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَقَى الْجَمْعَانِ فَبَإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلى هذه الآية عباده المؤمنين على إخلاص اليقين ، والانقطاع إليه في أمورهم ، والرضا به ناصرا وحده دون غيره من سائر خلقه ، ورغب بها في جهاد أعدائه ، وأعداء دينه ، وشجع بها قلوبهم ، وأعلمهم أن من وليه بنصره فلن يخذل ، ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحاده ، وأن من خذله ، فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ، ولو كثرت أعوانه أو نصرأؤه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ : أي المنافقين ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ : أي موجه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هم المنافقون .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَالَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾

﴿يَعْنِي بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا يَظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، أَنْ إِمْلَأَنَا لَهُمْ خَيْرَ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَيَعْنِي بِالْإِمْلَاءِ : الإِطَالَةَ فِي الْعُمُرِ ، وَالْإِنْشَاءَ فِي الْأَجْلِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿وَأَهْجُرُنِي مَلِكِيًّا﴾ : أَيْ حِينَا طَوِيلًا ؛ وَمِنْهُ قِيلَ : عَشْتُ طَوِيلًا ، وَتَمَلَّيْتُ حِينًا ، وَالْمَلَا نَفْسَهُ : الدَّهْرَ ، وَالْمُلُوانَ : اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ تَمِيمِ بْنِ مِقْبَلٍ :

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَيْلَى الْمُلُوانِ ۱

يَعْنِي بِالْمُلُوانِ : اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بِالْيَاءِ ، وَفَتَحَ الْأَلْفَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي وَصَفْتُ مِنْ تَأْوِيلِهِ . وَقَرَأَهُ آخَرُونَ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بِالتَّاءِ وَ﴿أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيْضًا بِفَتْحِ الْأَلْفِ مِنْ أَنْتُمْ ، بِمَعْنَى : وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ فَتَحْتُ الْأَلْفَ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ إِذَا قُرِئَ بِالتَّاءِ ، فَقَدْ أَعْمَلْتُ تَحْسَبَنَّ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَإِذَا أَعْمَلْتُهَا فِي ذَلِكَ لَمْ يَجْزِ لَهَا أَنْ تَقَعَ عَلَى أَنْتُمْ لِأَنَّ «أَنْتُمْ» إِنَّمَا يَعْمَلُ فِيهَا عَامِلٌ يَعْمَلُ فِي شَيْئَيْنِ نَصْبًا ؟ قِيلَ : أَمَّا الصُّوَابُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَوَجْهُ الْكَلَامِ الْمَعْرُوفِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ كَسْرُ إِذَا قُرِئَتْ تَحْسَبَنَّ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّ تَحْسَبَنَّ إِذَا قُرِئَتْ بِالتَّاءِ ، فَانْهَاقَتْ نَصْبًا الَّذِينَ كَفَرُوا . فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعْمَلَ وَقَدْ نَصَبْتَ اسْمًا فِي أَنْ ، وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّاءِ فِي تَحْسَبَنَّ ، وَفَتَحَ الْأَلْفَ مِنْ أَنْتُمْ ، إِنَّمَا أَرَادَ تَكْرِيرَ تَحْسَبَنَّ عَلَى أَنْتُمْ ، كَأَنَّهُ قَصَدَ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَا تَحْسَبَنَّ أَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ بِتَأْوِيلِ : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ؟ وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَجْهًا جَائِزًا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، فَوَجْهٌ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْنَا قَبْلَ .

﴿وَالصُّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْيَاءِ مِنْ يَحْسَبَنَّ . وَبِفَتْحِ الْأَلْفِ مِنْ أَنْتُمْ ، عَلَى مَعْنَى الْحِسَابِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا دُونَ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ يَعْمَلُ فِي أَنْتُمْ نَصْبًا ، لِأَنَّ يَحْسَبَنَّ حِينَئِذٍ لَمْ يَشْغَلْ بِشَيْءٍ عَمَلٌ فِيهِ ، وَهِيَ تَطْلُبُ مَنْصُوبِينَ . وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْقِرَاءَةِ عَلَى فَتْحِ الْأَلْفِ مِنْ أَنْتُمْ الْأُولَى ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ الصَّحِيحَةَ فِي يَحْسَبَنَّ بِالْيَاءِ لَمَّا وَصَفْنَا ؛ وَأَمَّا أَلْفُ إِنَّمَا الثَّانِيَةِ فَالْكَسْرُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِاجْمَاعٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ .

(۱) الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ النُّحَوِيِّينَ (الْخَزَانَةُ ۳ : ۲۷۵) عَلَى أَنَّ السَّبْعَانَ يَجْرُورُ بِالْحَرَكَةِ عَلَى النَّوْنِ مَعَ لَزُومِ الْأَلْفِ . وَالسَّبْعَانُ : جَبَلٌ قَبْلَ الْفُلْجِ ، فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ . وَالشُّطْرُ الْأَوَّلُ وَهُوَ مِنَ الْمَطْلَعِ فِي قَصِيدَةِ تَمِيمِ بْنِ أَبِي مِقْبَلٍ ، وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِي مَخْضَرٌ وَجَاءَ أَيْضًا صَدْرُ الْمَطْلَعِ فِي قَصِيدَةِ لُشَاعِرٍ نَجَاحِيٍّ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ كَمَا قَالَ الْخَصْرِيُّ فِي زَهْرِ الْأَدَابِ ، وَيَا قُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ، وَالْمَطْلَعُ بِتَمَامِهِ وَهُوَ :

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ عَفَيْتُ حِجَّاجًا يَبْعُدِي وَهْنٌ ثَمَّانِي

وَأَمْلَ : الْحُجَّاجُ وَدَابُّ . وَالْمُلُوانُ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، أَوْ الْغَدَاةُ وَالْعَشَى . يَتَأَسَفُ عَلَى دِيَارِ قَوْمِهِ هَذَا الْمَكَانِ ، وَيُخْبِرُ أَنَّ الْمُلُوانَ وَهِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَبْلِيَاها وَدَرَسَا .

وتأويل قوله ﴿إِنَّمَا تُنْمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ : إنما تؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثماً ، يقول : يكتسبوا المعاصي ، فزداد آثامهم وتكثر ، ولهم عذاب مهين ، يقول : وهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة .
وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الأثر .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود ، قال : قال عبد الله : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها ، وقرأ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا يُنْمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ ، إِنَّمَا تُنْمَلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وقرأ : ﴿نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، وما عند الله خير للأبرار .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَمَنُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

يعنى بقوله ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق ، فلا يعرف هذا من هذا حتى يميز الخبيث من الطيب ، يعنى بذلك : حتى يميز الخبيث ، وهو المنافق المستسر للكفر ، من الطيب ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان بالحن والاعتبار ، كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليه .

واختلف أهل التأويل في الخبيث الذى عنى الله بهذه الآية ، فقال بعضهم فيه مثل قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال : ميز بينهم يوم أحد ، المنافق من المؤمن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال ابن جريج : يقول : ليبين الصادق بإيمانه من الكاذب . قال ابن جريج : قال مجاهد : يوم أحد ميز بعضهم عن بعض ، المنافق عن المؤمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ : أى المنافق .

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ يعنى : الكفار . يقول : لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ : يميز بينهم في الجهاد والهجرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ قال : حتى يميز الفاجر من المؤمن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ حتى يميز الخبيث من الطيب ﴿ قَالُوا : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا ، فليخبرنا بمن يؤمن بالله ، ومن يكفر ، فأنزل الله ﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ حتى يميز الخبيث من الطيب ﴿ : حتى يخرج المؤمن من الكافر .

والتأويل الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين ، وهذه في سياقها . فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ، ولكن الله اجتباه ، فجعله رسولا .

وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ بعلمه .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ : وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده ، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ، ولكنه يميز بينهم بالحن والابتلاء ، كما ميز بينهم بالبأساء يوم أُحد ، وجهاد عدوه ، وما أشبه ذلك من صنوف الحن ، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم ، غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء ، فيصطفيه ، فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحية ذلك إليه ورسالته .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال : يخلصهم لنفسه .

ولما قلنا : هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، وابتدأوها خبر من الله تعالى ذكره . أنه غير تارك عباده ، يعنى بغير محن ، حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم ، وأهل نفاقهم ، ثم عقب ذلك بقوله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ ، فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق ، وكفر الكافر ،

دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم إلا بالذي ذكر أنه مميز به نعمتهم إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه .
 القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوُفَّيْتُمْ فَأَمِنُوا فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ :
 يعني بذلك جل ثناؤه بقوله ﴿ وَإِنْ تَوُفَّيْتُمْ ﴾ : وإن تصدقوا من اجتبائه من رسله بعلمي ، وأطلعته على المنافقين منكم ، وتتقوا ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيما نهاكم عنه ، ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : فلكم بذلك من إيمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم .
 كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوُفَّيْتُمْ فَأَمِنُوا ﴾ : أي ترجعوا وتوبوا ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٩﴾

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بالياء من يحسبن ، وقرأته جماعة آخر : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالتاء .
 ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفة : معنى ذلك : لا يحسبن البخلون البخل هو خيرا لهم ، فاكتفى بذكر يبخلون من البخل ، كما تقول : قدم فلان فسررت به ، وأنت تريد فسررت بقدمه ، وهو عماد . وقال بعض نحوي أهل البصرة : إنما أراد بقوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، لا يحسبن البخل هو خيرا لهم ، فألقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل ، لأنه قد ذكر الحسبان ، وذكر ما آتاهم الله من فضله ، فأضمرهما إذ ذكرهما ، قال : وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا ، قال ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ ولم يقل : ومن أنفق من بعد الفتح ، لأنه لما قال ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾ كان فيه دليل على أنه قد عناهم .
 وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ، أن من في قوله ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ في معنى جمع . ومعنى الكلام : لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم ، فكيف من أنفق من بعد الفتح ، فالأول مكتف ، وقال في قوله ﴿ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، محذوف ، غير أنه لم يحذف إلا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف ، لأن هو عائد البخل ، وخيرا لهم عائد الأسماء ، فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله : يبخلون ، من البخل ، قال : وهذا إذا قرئ بالتاء ، فالبخل قبل الذين ، وإذا قرئ بالياء ، فالبخل بعد الذين ، وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل ، كما قال الشاعر :

(١) في العبارة غموض ، ولعله قد كشفه قوله بعد : « وقال بعض . . . الخ » ، ففيه بيان وتوضيح .

إِذَا نُهِىَ السَّفِيهُ جَرَىٰ إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهَ إِلَىٰ خِلَافٍ

كأنه قال : جرى إلى السفه ، فاكتفى عن السفه بالسفيه ، كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل .
﴿ وَأُولَى الْقَرَاءَتِينَ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي ، قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بِالنَّاءِ بِتَأْوِيلٍ : وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ بَخِلَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ، ثُمَّ تَرَكَ ذِكْرَ الْبَخْلِ : إِذْ كَانَ فِي قَوْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُرَادٌ فِي الْكَلَامِ ، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وإنما قلنا قراءة ذلك بالناء أولى بالصواب من قراءته بالياء ، لأن المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر ، فإذا قرئ قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله ﴿ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ﴾ خبراً عنه ، وإذا قرئ ذلك بالناء كان قوله ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ اسماً له ، قد أدنى عن معنى البخل الذى هو اسم المحسبة المتروك ، وكان قوله ﴿ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ﴾ خبراً لها ، فكان جارياً مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح ، فلذلك اخترنا القراءة بالناء فى ذلك على ما بيناه ، وإن كانت القراءة بالياء غير خطأ ، ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب .

وأما تأويل الآية الذى هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة فى ذلك : وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ ، بَخِلَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ الَّذِى فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الزُّكُوتِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ عِنْدَهُ فِي الْآخِرَةِ .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ : هم الذين آتاهم الله من فضله ، فبخلوا أن ينفقوها فى سبيل الله ، ولم يؤدوا زكاتها .

وقال آخرون : بل غنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله فى التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . . . إلى ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعنى بذلك : أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال : هم يهود ، إلى قوله ﴿ وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ ﴾ وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الأول وهو أنه معنى بالبخل فى هذا الموضع : منع الزكاة لتظاهر

(١) البيت من شواهد النحويين (الخزانة ٢ : ٣٨٣) ومعاني القرآن للفراء ، عند قوله تعالى « ولكن البر من آمن » على أن الضمير فى إليه : راجع على المصدر المدلول عليه بالوصف ، أى إلى السفه . ومثله قوله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ » . فهو كناية عن البخل . وله نظائر كثيرة فى القرآن وكلام العرب . وروى : « إذا زجر » فى مكان « إذا نهى » . وانظره أيضاً فى معاني القرآن للفراء عند هذه الآية ص ٧٥ من نسخة الجامعة المصورة رقم ٢٤٠٥٩ .

الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال : البخيل الذي منع حق الله منه أنه يصير ثعبانا في عنقه ، ولقول الله عقيب هذه الآية ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقير .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ : سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا في أعناقهم ، كهيئة الأطواق المعروفة .

كالذي حدثني الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن أبي قزعة ، عن أبي مالك العبدى ، قال : ما من عبد يأتيه ذورحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه إلا أخرج له الذي بخل به عليه شجاعا أقرع ، قال : وقرأ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ... إلى آخر الآية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي قزعة ، عن رجل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «مَنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي ذَا رَحِمِهِ فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ ، فَيَبْخُلُ بِهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَخْرَجَ لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ حَتَّى يُطَوَّقَهُ» .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو معاوية محمد بن نخازم ، قال : ثنا داود ، عن أبي قزعة حजर بن بيان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي ذَا رَحِمِهِ فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَيَبْخُلُ بِهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَخْرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ مِنَ النَّارِ يَتَلَمَّظُ حَتَّى يُطَوَّقَهُ» ، ثم قرأ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ . انتهى إلى قوله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

حدثني زياد بن عبيد الله المرى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي ، قال : ثنا عبد الله بن بكر السهمي ، وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد ، واللفظ ليعقوب جميعا ، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لَا يَأْتِي رَجُلٌ مَوْلَاهُ فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلٍ مَالٍ عِنْدَهُ فَيَمْنَعُهُ إِيَّاهُ إِلَّا دَعَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا يَتَلَمَّظُ فَضْلَهُ الَّذِي مَنَعَ» .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال : ثعبان ينقر رأس أحدهم ، يقول : أنا مالك الذي بخلت به .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت

أبا وائل يحدث أنه سمع عبد الله ، قال في هذه الآية ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال :
شجاع يلتوى برأس أحدهم .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، قال : ثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، بمثله ، إلا أنهما قالا : قال شجاع أسود .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : يجيء ماله يوم القيامة ثعبانا ، فينقر رأسه فيقول : أنا مالك الذي بخلت به ، فينطوي على عنقه .

حُدِّثَ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ ، قَالَ : ثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعْيَنَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُشَلَّ - لَهُ شُجَاعٌ أَقْرَعٌ يَطْوِقُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغِضُونَكَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ أَلَهُمْ... ﴾ الْآيَةُ » .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : أما ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ فإنه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه ، فيأخذ بعنقه ، فيتبعه حتى يقذفه في النار .
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم ، عن أبي وائل ، قال : هو الرجل الذي يرزقه الله مالا ، فيمنع قرابته الحق الذي جعل الله لهم في ماله ، فيجعل حية فيطوقها ، فيقول : مالى ولك ، فيقول : أنا مالك .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق ، قال : سألت ابن مسعود عن قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : يطوَّقون شجاعا أقرع ، ينهش رأسه .

وقال آخرون : معنى ذلك ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فيجعل في أعناقهم طوقاً من نار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ؑ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؕ قال : طوقا من النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال
 في هذه الآية ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : طوقا من نار .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ قال : طوقا من نار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : طوق من نار .

وقال آخرون : معنى ذلك : سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أخبار اليهود ما كتموا من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ، قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ألم تسمع أنه قال : يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، يعني : أهل الكتاب ، يقول : يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان .

وقال آخرون : معنى ذلك : سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قال : سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به ، إلى قوله ﴿ وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة .

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدئ قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ ﴾ للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد أعلم بما عني الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه الصلاة والسلام .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ :
يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه الحي الذي لا يموت ، والباقي بعد فناء جميع خلقه .

فإن قال قائل : فما معنى قوله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ والميراث المعروف : هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ، والله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده ؟ قيل : إن معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء ، وإعلام خلقه أنه كتب عليهم الفناء ، وذلك أن ملك الممالك إنما يصير ميراثا بعد وفاته ، فإنما قال جل ثناؤه ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إعلاما بذلك منه عباده أن أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم ، وأنه لا أحد إلا وهو فان سواء ، فإنه الذي إذا هلك جميع خلقه ، فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره .

ولأنما معنى الآية : لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، بعد ما يملكون ، وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيئا ، وصار لله ميراثه ، وميراث غيره من خلقه ، ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم

اللہ من فضل ، وغیرہم من سائر خلقہ ، ذو خبرہ وعلم ، محیط بذلك کلمہ ، حتی یجازی کلامہم علی قدر استحقاقہ ، المحسن بالإحسان ، والمسیء علی ما یرى تعالی ذکرہ .

القول فی تأویل قوله تعالی :

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَالِمٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ذکر ان هذه الآية وآيات بعدها نزلت فی بعض اليهود ، الذين كانوا علی عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذکر الآثار بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أنه حدثه ، عن ابن عباس ، قال : دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس ، فوجد من يهودنا سا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص ، كان من علماءهم وأخبارهم ، ومعه خبر يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص : ويحك يا فنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، قال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنيا عنا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ، زعم أن الله فقير ، وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب ﴿لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٢﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن

عكرمة مولى ابن عباس ، قال : دخل أبو بكر ، فذكر نحوه ، غير أنه قال : وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغني ، ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد ، لقيه أبو بكر فكلمه ، فقال له : يا فنحاص ، اتق الله وآمن وصدق ، وأقرض الله قرضا حسنا ، فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا فقير ، يستقرضنا أموالنا ، وما يستقرض إلا الفقير من الغني ، إن كان ما تقول حقا ، فإن الله إذا لفقر ، فأنزل الله عز وجل هذا ، فقال أبو بكر : فلولا هذنة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني مرثد لقتلته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : صك أبو بكر رجلا منهم الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني وهم يهود .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، قال الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، لم يستقرضنا وهو غني ؟ قال شبل : بلغني أنه فنحاص اليهودي ، وهو الذي قال : إن الله ثالث ثلاثة ، ويد الله مغلولة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثت عن عطاء ، عن الحسن ، قال : لما نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قالت اليهود : إن ربكم يستقرض منكم ، فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن الحسن البصري ، قال : لما نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال : عجبت اليهود فقالت : إن الله فقير يستقرض ، فنزلت ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ذكر لنا أنها نزلت في حي بن أخطب لما أنزل الله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال : يستقرضنا ربنا ، إنما يستقرض الفقير الغني .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قالت اليهود : إنما يستقرض الفقير من الغني ، قال : فأنزل الله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قال : هؤلاء اليهود .

﴿فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذَا : لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ إِلَيْنَا ، وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ عَنْهُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا مِنَ الْإِفْكَ وَالْفَرِيَةِ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَنَقْتُلُهُمْ أَنْبِيَاءَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ :﴾

واختلفت القراءة في قراءة قوله ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمْ﴾ فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق : سنكتب ما قالوا بالنون ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، بنصب القتل ، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين : ﴿سَيَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمْ﴾ الأنبياء بغير حق بالياء من سيكتب ، وبضمها ورفع القتل على مذهب ما لم يسم فاعله ، اعتبارا بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله : ونقول ذوقوا ، يذكر أنها في قراءة عبد الله ، ويقال : فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التي تنسب إلى عبد الله ، وخالف الحجة من قراءة الإسلام ، وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ ﴿سَيَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمْ﴾ الأنبياء على وجه ما لم يسم فاعله ، أن يقرأ : ويقال ، لأن قوله : ونقول عطف على قوله : سنكتب . فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرأ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله ، أو على مذهب ما يسمى فاعله ، فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله ، والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألباه على ذلك ، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ بالنون ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ بالنصب لقوله : ونقول ، ولو كانت القراءة في ﴿سَيَكْتُبُ﴾ بالياء وضمها ، لقليل : ويقال ، على ما قد بينا .
فإن قال قائل : كيف قيل ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ الأنبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التي رويت ، أن الذين عنوا بقوله ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الأنبياء ، لأنهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما قيل ذلك لأن الذين عني الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء ، وكانوا منهم ، وعلى مناهجهم ، من استحلال ذلك واستجازته ، فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على مناهجه وطريقته إلى جميعهم ، إذ كانوا أهل ملة واحدة ، ونحلة واحدة ، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ ، وأن الله ليس بظلام للعبيد .

يعنى بذلك جل ثناؤه : ونقول للقائلين بأن الله فقير ونحن أغنياء ، القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة : ذوقوا عذاب الحريق ، يعنى بذلك : عذاب نار محرقة ملتبة ، والنار اسم جامع للملته منها وغير الملته ، وإنما الحريق صفة لها ، يراد أنها محرقة ، كما قيل ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ يعنى : مؤلم ، ووجيع ، يعنى : موجع .

وأما قوله ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ : أى قولنا لهم يوم القيامة : ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم ، واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا ، وبأن الله عدل لا يجر ، فيعاقب عبدا له بغير استحقاق منه العقوبة ، ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ، ويوفى كل عامل جزاء ما عمل ، فجازى الذين قال لهم

يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم ، فأخبر عنهم أنهم قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ، بما جازاهم به من عذاب الحريق ، بما اكتسبوا من الآثام ، واجترحوا من السيئات ، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإذار ، فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقهم عذاب الحريق ظلماً ولا واضعاً عقوبته في غير أهلها ، وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحداً من خلقه ، ولكنه العادل بينهم ، والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه ﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ ﴿ وقوله ﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ﴿ في موضع خفض رداً على قوله ﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴿ ويعنى بقوله : قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول : أوصانا وتقدم إلينا في كتبه ، وعلى ألسن أنبيائه ، أن لا نؤمن لرسول ، يقول : أن لا نصدق رسولا فيما يقول إنه جاء به من عند الله ، من أمر ونهى وغير ذلك ، حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، يقول : حتى يجيئنا بقربان ، وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة ، وهو مصدر مثل العدوان والحسران من قولك : قربت قربانا ، وإنما قال : تأكله النار ، لأن أكل النار ما قرّبه أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له ، ودلالة على صدق المقرب فيما ادّعى أنه محقّ فيما نازع أو قال .

كما حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ كان الرجل يتصدق ، فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : بقربان تأكله النار ، كان الرجل إذا تصدق بصدقة ، فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء ، فنزلت على القربان فأكلته ، فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يعني : بالحجج الدالة على صدق نبوتهم ، وحقيقة قولهم ﴿ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ ﴾ يعني : وبالذي ادّعيتم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه ، والإقرار بنبوته من أكل النار قربانه إذا قرب لله دلالة على صدقه ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يقول له : قل لهم : قد جاءكم الرسل الذين كانوا من قبلي بالذي زعمتم أنه حجة لهم عليكم ، فقتلتموهم ، فلم تقتلتموهم وأنتم مقرّون بأن الذي جاءوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم إن كنتم صادقين في أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته .

ولنما أعلم الله عباده بهذه الآية ، أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لن يفرّوا ، وأن يكونوا في كذبهم على الله ، وافترائهم على ربهم ، وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا محقا ، وجحودهم نبوته ، وهم يحدونه مكتوبا عندهم في عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه ، مفروضة طاعته إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها ، والأدلة التي أبان صدقهم بها ، افتراء على الله ، واستخفافا بحقوقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ

﴿١٨٤﴾

وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل ، يقول الله تعالى له : لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا : إن الله فقير ، وقالوا : إن الله عهد إلينا أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، وافترائهم على ربهم اغترارا بامهال الله إياهم ، ولا يعظمن عليك تكذيبهم إياك ، وادّعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم ، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك ، كذبوا على الله ، فقد كذبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر ، والأدلة الباهرة العقل ، والآيات المعجزة الخلق ، وذلك هو البينات . وأما الزبر : فإنه جمع زبور : وهو الكتاب ، وكل كتاب فهو زبور ، ومنه قول امرئ القيس :

لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيْبٍ يَمَانِي ١

ويعنى بالكتاب : التوراة والإنجيل ، وذلك أن اليهود كذبت عيسى وما جاء به ، وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدلت عهده إليهم فيه ، وأن النصارى جحدت ما في الإنجيل من نعته ، وغيرت ما أمرهم به في أمره .

وأما قوله ﴿الْمُنِيرِ﴾ فإنه يعنى : الذى ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه ، وإنما هو من النور والإضاءة ، يقال : قد أنار لك هذا الأمر ، بمعنى : أضاء لك وتبين ، فهو ينير لإنارة ، والشئ المنير . وقد حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿فإن كذبوك فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ قال : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿فإن كذبوك فَقَدْ

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي ، طبعة الحلبي ص ٧٠) والطلل : ما شخص من آثار الديار . وشجاني : حزني . والزبور : الكتاب . والعسيب : جريدة النخل التي جرد عنها الخوص ، وكان أهل اليمن يكتبون قبل الإسلام المهود ونحوها في العسيب ، وكتب المسلمون أيضا القرآن أول الأمر في العسيب ، وفي اللخاف ، وهي حجارة بيض عريضة رقيقة ، وفي الأكتاف ، وهي عظام ألواح الحيوان . يقول سائلا متجاهلا أو متحيرا : لمن هذا الطلل الذي حين أبصرته شجاني وحزني ، وقد أصبح كخط كتاب يكتبه الرجل اليماني في عسيب النخلة .

كَذَّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ ۖ قَالَ : يَعْزِي نَبِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا الْحَرْفُ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ ، وَالزُّبُرِ بغير بَاءٍ ، وَهُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَبِالزُّبُرِ بِالباءِ مِثْلَ الَّذِي فِي سُورَةِ فَاطِرٍ .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٤٥﴾

يعني بذلك تعالى ذكره ، أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله ، الذين وصف صفتهم ، وأخبر عن جرائعهم على ربهم ، ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ، و مرجع جميعهم إليه ، لأنه قد حتم الموت على جميعهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا يحزنك تكذيب من كذَّبَكَ يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم ، وافتراء من افترى عليّ ، فقد كذَّبَ قبلك رسل جاءوا من الآيات والحجج من أرسلوا إليه بمثل الذي جئت من أرسلت إليه ، فلك فيهم أسوة تتعزى بهم ، ومصير من كذَّبَكَ ، وافترى عليّ وغيرهم ، و مرجعهم إليّ ، فأوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَلَنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني أجور أعمالكم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ﴿فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾ يقول : فمن نحى عن النار وأبعد منها ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ يقول : فقد نجا وظفر بحاجته ، يقال منه : فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة : إذا ظفر بها .

ولنما معنى ذلك : فمن نحى عن النار فأبعد منها ، وأدخل الجنة ، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يقول : وما لذات الدنيا وشهواتها ، وما فيها من زينتها وزخارفها ، إلا متاع الغرور ، يقول : إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل ، الذي لاحقيقة له عند الامتحان ، ولا صحة له عند الاختبار ، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره ، يقول تعالى ذكره : لا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها ، فإنما أنتم منها في غرور تمتعون ، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون .

وقد روى في تأويل ذلك ما حدثني به المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ قال : كزاد الراعي ، تزوده الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق ، أو الشيء يشرب عليه اللبن ، فكأن ابن سابط ذهب في تأويله هذا إلى أن معنى الآية : وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل ، لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره .

وهذا التأويل وإن كان وجها من وجوه التأويل ، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا ، لأن الغرور إنما هو الخداع في كلام العرب ، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة ، لأن الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور ، وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو

منه في غرور ، والغرور مصدر من قول القائل : غرني فلان ، فهو يغرنى غرورا بضم الغين ، وأما إذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغري ابن آدم ، حتى يدخله من معصية الله فيها يستوجب به عقوبته .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحيم ، قالوا : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَوْضِعُ سَوَاطِئِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَأَقْرَبُ وَإِنْ شِئْتُمْ » وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

(١٨٦)

يعنى بذلك تعالى ذكره ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم ، يعنى : وبهلاك الأقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ، ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعنى : من اليهود ، وقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وقولهم ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وما أشبه ذلك من افتراءهم على الله ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعنى النصارى ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ والأذى من اليهود ما ذكرنا ، ومن النصارى قولهم : المسيح ابن الله ، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ يقول : وإن تصبروا لأمر الله الذى أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتلقوا ، يقول : وتلقوا الله فيما أمركم ونهاكم ، فتعملوا في ذلك بطاعته ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يقول ، فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به ، وقيل إن ذلك كله نزل في فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع .

كالذى حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة في قوله ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ ، وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴿قال : نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي أبي بكر رضوان الله عليه ، وفي فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله إلى فنحاص يستمده ، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبي بكر ، لا تفتاتن على بشيء حتى ترجع ، فجاء أبو بكر ، وهو منوشح بالسيف ، فأعطاه الكتاب ، فلما قرأه قال : قد احتاج ربكم أن نعمده ، فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ، ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَفْتَاتَنَّ عَلَى بَشِيءٍ حَتَّى تَرْجِعَ » فكف ونزلت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغِضُونَكَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ وما بين الآيتين إلى قوله ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ نزلت هذه الآيات في بنى قينقاع ، إلى قوله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴿قال ابن جريج يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال ﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾

وَأَنْفُسِكُمْ ۖ قَالَ : أَعْلَمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ سَيَبْتَلِيهِمْ ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ صَبَرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتُْوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يَعْنِي : الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْمَعُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَوْلَهُمْ : عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ ، وَمِنَ النَّصَارَى : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَنْصَبُونَ لَهُمُ الْحَرْبَ ، وَيَسْمَعُونَ إِشْرَاكَهُمْ ، فَقَالَ اللَّهُ ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ يَقُولُ : مِنَ الْقُوَّةِ مِمَّا عَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمْرَهُمْ بِهِ .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَشَبَّهُ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتُْوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۖ قَالَ : هُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، وَكَانَ يَحْرُضُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فِي شَعْرِهِ ، وَيَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ خَمْسَةُ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ، وَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَبْسٍ فَأَتَوْهُ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ قَوْمَهُ بِالْعَوَالِي ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ ذَعَرُ مِنْهُمْ ، فَأَنْكَرَ شَأْنَهُمْ ، وَقَالُوا : جِئْنَاكَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : فليَدْنِ إِلَى بَعْضِكُمْ ، فليَحْدِثْنِي بِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : جِئْنَاكَ لِنَبِيعَكَ أَدْرَاعًا عِنْدَنَا لِنَسْتَفِقَ بِهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ لَقَدْ جَهَدْتُمْ مِنْذُ نَزَلَ بِكُمْ هَذَا الرَّجُلُ ، فَوَاعَدُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُ عِشَاءً حِينَ هَذَا عَنْهُمْ النَّاسُ فَأَتَوْهُ ، فَنَادَوْهُ ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : مَا طَرَقَكَ هَؤُلَاءُ سَاعَتِهِمْ هَذِهِ لَشَيْءٍ مِمَّا تَحِبُّ ، قَالَ : إِنَّهُمْ حَدَّثُونِي بِحَدِيثِهِمْ وَشَأْنِهِمْ ، قَالَ مُعَمَّرٌ : فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهَا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَكَلَّمَهُمْ ، فَقَالَ : أَتْرَهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَبِيعَهُمْ تَمْرًا ، قَالَ : فَقَالُوا إِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ تَعِيرَ أَبْنَاءُنَا فَيُقَالَ هَذَا رَهِينَةٌ وَسَقَى ، وَهَذَا رَهِينَةٌ وَسَقَيْنَ ، فَقَالَ : أَتْرَهَنُونِي نِسَاءَكُمْ ، قَالُوا : أَنْتِ أَجَلُ النَّاسِ ، وَلَا نَأْمَنُكَ ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَمْتَنِعُ مِنْكَ بِلِحْمَالِكَ وَلَكِنَّا نَرَهْنُكَ سِلَاحَنَا ، فَقَدْ عَلِمْتَ حَاجَتَنَا إِلَى السِّلَاحِ الْيَوْمَ ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِسِلَاحِكُمْ ، وَاحْتَمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، قَالُوا : فَانْزِلْ إِلَيْنَا نَأْخُذْ عَلَيْكَ ، وَتَأْخُذْ عَلَيْنَا ، فَذَهَبَ يَنْزِلُ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ : أَرْسَلْ إِلَى أَمْثَلِهِمْ مِنْ قَوْمِكَ يَكُونُوا مَعَكَ ، قَالَ : لَوْ وَجَدَنِي هَؤُلَاءُ نَائِمًا مَا أَيقِظُونِي ، قَالَتْ : فَكَلَّمَهُمْ مِنْ فَوْقِ الْبَيْتِ ، فَأَبَى عَلَيْهَا ، فَزَلَّ إِلَيْهِمْ يَفْجَحُ رِيحُهُ ، قَالُوا : مَا هَذِهِ الرِّيحُ يَا فُلَانُ ؟ قَالَ : هَذَا عَطَرُ أُمِّ فُلَانِ امْرَأَتِهِ ، فَدَنَا إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ يَشُمُّ رَائِحَتَهُ ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتُلُوا عَدُوَّ اللَّهِ ، فَطَعَنَهُ أَبُو عَبْسٍ فِي خَاصِرَتِهِ ، وَعَلَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ بِالسَّيْفِ ، فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ رَجَعُوا ، فَأَصْبَحَتِ الْيَهُودُ مَذْعُورِينَ ، فَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : قَتَلَ سَيِّدُنَا غِيلَةً ، فَذَكَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنِيعَهُ ، وَمَا كَانَ يَحْضُرُ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْرُضُ فِي قِتَالِهِمْ ، وَيُؤْذِيهِمْ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ صُلْحًا ، فَقَالَ : فَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ مَعَ عَلِيِّ رَضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره : واذكر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذ أخذ الله ميثاقهم ، ليبين للناس أمرك الذى أخذ ميثاقهم على بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وأنت لله رسول مرسل بالحق ، ولا يكتُمونه ، فنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، يقول : فتركوا أمر الله وضيعوه ، ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك ، فكتُموا أمرك ، وكذبوا بك ، واشتروا به ثمنا قليلا يقول : وابتاعوا بكتبانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتُموه من أمر نبوتك ، عوضا منه ، خسيسا قليلا من عرض الدنيا ، ثم ذمّ جلّ ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك ، فقال : فبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ .

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها اليهود خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أنه حدثه ، عن ابن عباس ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾ إلى قوله ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى : فنحاص وأشيع وأشباههما من الأخبار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كان أمرهم أن يتبعوا النبي الأُمّي الذى يؤمن بالله وكلماته ، وقال : اتبعوه لعلكم تهتدون فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ عاهدكم على ذلك ، فقال حين بعث محمدا : صدّقوه وتلقون الذى أحببتم عندي .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ . . . الآية ، قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبينه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا يكتُمونه ، فنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، واشتروا به ثمنا قليلا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين ، قال : سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ . . . الآية ، قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبينه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا يكتُمونه ، فنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، واشتروا به ثمنا قليلا .

أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿فَقَامَ رَجُلٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أَهْلِ الْكِتَابِ يَهُودَ ، ﴿لَسِبْتُمْ أَنْتُمْ لِلنَّاسِ﴾ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَسِبْتُمْ أَنْتُمْ لِلنَّاسِ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴿﴾ قَالَ : وَكَانَ فِيهِ إِنْ الْإِسْلَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي افترضه على عباده ، وَإِنْ مُحَمَّدًا يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .
وَقَالَ آخَرُونَ : عَنِ بَذَلِك كُلِّ مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا بِأَمْرِ الدِّينِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَسِبْتُمْ أَنْتُمْ لِلنَّاسِ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿﴾ . . . الْآيَةُ ، هَذَا مِيثَاقُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَمَنْ عِلْمٌ شَيْئًا فَلْيَعْلَمْهُ وَإِيَّاكُمْ ، وَكَيْفَ الْعِلْمِ ، فَإِنْ كَتَمَ الْعِلْمَ هَلَكَةً ، وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ رَجُلٌ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، فَيُخْرِجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ ، فَيَكُونُ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ، كَانَ يَقَالُ : مِثْلُ عِلْمٍ لَا يَقَالُ بِهِ : كَمِثْلِ كَنْزٍ لَا يَنْفَقُ مِنْهُ ؛ وَمِثْلُ حِكْمَةٍ لَا تَخْرُجُ كَمِثْلِ صَنْمٍ قَائِمٍ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ . وَكَانَ يَقَالُ : طَوْبِي لِعَالَمٍ نَاطِقٍ ، وَطَوْبِي لِمُسْتَمْعٍ وَاعٍ ، هَذَا رَجُلٌ عِلْمًا فَعْلَمَهُ وَبَذَلَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَرَجُلٌ سَمِعَ خَيْرًا فَحَفِظَهُ وَوَعَاهُ ، وَانْتَفَعَ بِهِ .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : جاء رجل إلى قوم في المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال : إِنْ أَخَاكُمْ كَعْبًا يَفَرِّقُكُمْ السَّلَامَ ، وَيُبَشِّرُكُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ لَيْسَتْ فِيكُمْ ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَسِبْتُمْ أَنْتُمْ لِلنَّاسِ﴾ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴿﴾ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : وَأَنْتَ فَأَقْرَأَهُ السَّلَامَ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ وَهُوَ يَهُودِيٌّ .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة بنحوه ، عن عبد الله وكعب .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى قَوْمِهِمْ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنى يحيى بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إِنْ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ يَقْرَءُونَ ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قَالَ : مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَى قَوْمِهِمْ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد ، قال : قلت لابن عباس : إِنْ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ يَقْرَءُونَ ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ، وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴿﴾ قَالَ : فَقَالَ : أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى قَوْمِهِمْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿لَسِبْتُمْ أَنْتُمْ لِلنَّاسِ﴾ فَانْهَ كَمَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، قَالَ :

ثنى أبي ، قال : ثنا محمد بن ذكوان ، قال : ثنا أبو نعام السعدي ، قال : كان الحسن يفسر قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ ليتكلمن بالحق وليصدقن بالعمل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم ﴿لَتُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ بالتاء ، وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه الخطاب ، بمعنى : قال لهم : لتبيننن للناس ولا تكتمونن ؛ وقرأ ذلك آخرون : ﴿لَيُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ بالياء جميعا على وجه الخبر عن الغائب ، لأنهم في وقت إخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم ، كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب . والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفي المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك ، غير أن الأمر في ذلك ، وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إلى أن أقرأ بها ﴿لَيُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾ بالياء جميعا استدلالا بقوله ﴿فَنَسَبَدُوهُ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله ﴿فَنَسَبَدُوهُ﴾ حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ، ومثال واحد ، ولو كان الأول بمعنى الخطاب لكان أن يقال : فنبدتموه وراء ظهوركم ، أولى من أن يقال : فنبدوه وراء ظهورهم .

وأما قوله ﴿فَنَسَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق ، وتركهم العمل به . وقد بينا المعنى الذي من أجله قبل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي ، عن الشعبي في قوله ﴿فَنَسَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال : إنهم قد كانوا يقرءونه إنما نبذوا العمل به . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿فَنَسَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال : نبذوا الميثاق .

حدثني محمد بن سنان ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا مالك بن مغول ، قال : نبئت عن الشعبي في هذه الآية ﴿فَنَسَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال : قذفوه بين أيديهم ، وتركوا العمل به . وأما قوله ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فإن معناه ما قلنا من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق ، وتحريفهم الكتاب .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أخذوا طمعا ، وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله ﴿فَبَيْتُسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ يقول : فبئس الشراء يشترون في تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَبَيِّنْ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال : تبديل اليهود التوراة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عني بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو ، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي ، قالا : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رجلا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو ، تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ ، وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴿١﴾ قال : هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : لو قد خرجت لخرجنا معك ، فإذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ، ويفرحون بذلك ، ويرون أنها حيلة احتالوا بها .

وقال آخرون : عني بذلك قوم من أئمة اليهود كانوا يفرحون بإضلالهم الناس ، ونسبة الناس إليهم إلى العلم . . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني : فنحاصا وأشيع وأشباههما من الأئمة الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول لهم الناس علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى ولا خير ، ويحبون أن يقول لهم الناس : قد فعلوا .

حدثنا ابن كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك ، إلا أنه قال : وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى .

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم أهل صلاة وصيام .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، يقول في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد جمع الله كلمتنا ، ولم يخالف أحد منا أحدا أنه نبي ، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا ، بل هم أهل كفر وشرك ، واقتراء على الله ، قال الله ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، في قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا قال : قالت اليهود : أمر بعضكم بعضا ، فكتب بعضهم إلى بعض أن محمدا ليس بنبي ، فاجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ، ففعلوا وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كنتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كنتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه ، وكانوا يزكون أنفسهم ، فيقولون : نحن أهل الصيام وأهل الصلاة ، وأهل الزكاة ، ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله فيهم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ أحبوا أن يحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم ، وليسوا كذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين ، قال : سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ قال سعيد بن جبير : بكتانهم محمدا ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ قال : هو قولهم : نحن على دين إبراهيم عليه السلام .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا : هم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب ، فحكموا بغير الحق ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك ، وأحبوا أن

يحمدوا بما لم يفعلوا ، فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل الله ، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ، ويصومون ، ويصلون ، ويطيعون الله ، فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ كفروا بالله ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ من الصلاة والصوم ، فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّاهُمْ بِمَقَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ، ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ قال : يهود فرحوا بأعجاب الناس بتبديلهم الكتاب ، وحمدهم إياهم عليه ، ولا تملك يهود ذلك .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ قال : اليهود يفرحون بما آتى الله إبراهيم عليه السلام .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى العطار ، عن سعيد بن جبیر ، قال : هم اليهود ، فرحوا بما أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكتموه ، ففرحوا بكتماهم ذلك إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن أبي وقاص أخبره أن مروان قال لرافع : اذهب يرافع إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كل امرئ منا فرح بما آتى ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذيا ، ليعذ بنا الله أجمعين ، فقال ابن عباس : مالكم ول هذه ، إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألهم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتماهم إياه ، ثم قال ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن أنس ، أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بن الحكم قال لبوابه : يا رافع اذهب إلى

ابن عباس ، فقل له : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا ، لنعذبن جميعا ، فقال ابن عباس : مالكم ولهذه الآية ، إنما أنزلت في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ﴾ إلى قوله ﴿أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه ، فاستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتابهم إياه ما سألهم عنه . وقال آخرون : بل عني بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد ، والله عالم منهم بخلاف ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود خبير أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم : فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به ، وأنهم متابعوه وهم متمسكون بضلالتهم ، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا ، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : إن أهل خبير أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقالوا : إنا على رأيكم وهيئتكم ، وإنا لكم ردة ، فأكذبهم الله ، فقال ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ . . . الآيتين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فقال : إن كعبا يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن هذه الآية لم تنزل فيكم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ قال : أخبروه أنها نزلت وهو يهودى .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ . . . الآية ، قول من قال : عني بذلك : أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ، ليبين للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يكتُمونه ، لأن قوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ . . . الآية في سياق الخبر عنهم ، وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتابهم الناس أمرك ، وأنت لى رسول مرسل بالحق ، وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم ، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك ، وبيان أمرك للناس ، وأن لا يكتُموا ذلك ، وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك ، يفرحون بمعصيتهم لإيادى فى ذلك ، ومخالفتهم أمرى ، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم ، واتباع لوجيه ، وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه ، وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ، ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم ، لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب

أليم ، وقوله ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعدّه لأعدائه في الدنيا من الحسف والمسح والرجف والقتل ، وما أشبه ذلك من عقاب الله ، ولا هم ببعيد منه . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ قال : بمنجاة من العذاب .

﴿ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول : ولهم عذاب في الآخرة أيضا مؤلم ، مع الذي لهم في الدنيا معجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

﴿ وَهَذَا تَكْذِيبٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَكْذَبًا لَهُمْ : اللَّهُ مُلْكُ جَمِيعِ مَا حَوَتْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، فَكَيْفَ يَكُونُ أَيُّهَا الْمَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ مِنْ كَانَ مُلْكُ ذَلِكَ لَهُ فَقِيرًا ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى تَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ لِقَائِلِي ذَلِكَ ، وَلِكُلِّ مَكْذِبٍ بِهِ ، وَمُفْتَرٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَرَادَ وَأَحَبَّ ، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّلَ بِحِلْمِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، فَقَالَ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يَعْنِي : مِنْ إِهْلَاكِ قَائِلِ ذَلِكَ ، وَتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِ لَهُمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾

﴿ وَهَذَا احْتِجَاجٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَلَى قَائِلِ ذَلِكَ ، وَعَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ بِأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ الْمَصْرِفُ الْأَشْيَاءِ ، وَالْمُسَخِّرُ مَا أَحَبَّ ، وَإِنْ الْإِغْنَاءُ وَالْإِفْقَارُ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : تَدَبَّرُوا أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَبَرُوا فِيمَا أَنْشَأْتُمْ فَخَلَقْتُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَعَاشِكُمْ وَأَقْوَاتِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ ، وَفِيمَا عَقَبَتْ بَيْنَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَجَعَلْتُمَا يَخْتَلِفَانِ ، وَيَعْتَقِبَانِ عَلَيْكُمْ ، تَتَصَرَّفُونَ فِي هَذَا لِمَعَاشِكُمْ ، وَتَسْكُنُونَ فِي هَذَا رَاحَةً لِأَجْسَادِكُمْ ، مَعْتَبِرٌ وَمَذْكَرٌ ، وَآيَاتٌ وَعِظَاتٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا لُبٍّ وَعَقْلٍ ، يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ نَسَبَنِي إِلَى أُنَى فَقِيرٍ وَهُوَ غَنِيٌّ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ، فَإِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ بِيَدِي ، أَقْلَبُهُ وَأَصْرِفُهُ ، وَلَوْ أَبْطَلْتُ ذَلِكَ لَهْلَكْتُمْ ، فَكَيْفَ يَنْسَبُ فَقْرِي إِلَى مَنْ كَانَ كُلُّ مَا بِهِ عَيْشٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ ، أَمْ كَيْفَ يَكُونُ غَنِيًّا مَنْ كَانَ رِزْقُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ ، إِذَا شَاءَ رِزْقَهُ ، وَإِذَا شَاءَ حَرَمَهُ ، فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

وقوله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾ من نعت أولي الأبواب ، والذين في موضع خفض ردا على قوله : لأولي الأبواب .

﴿ وَمَعْنَى الْآيَةِ : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ، الذَّاكِرِينَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : قِيَامًا فِي صَلَاتِهِمْ ، وَقُعُودًا فِي تَشْهَدِهِمْ ، وَفِي غَيْرِ صَلَاتِهِمْ ، وَعَلَى جُنُوبِهِمْ نِيَامًا . ﴾

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾ . . . الآية ، قال : هو ذكر الله في الصلاة ، وفي غير الصلاة ، وقراءة القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم ، فاذا ذكره وأنت على جنبك يسرا من الله وتخفيفا . ﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ ﴿ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ فَعُطِفَ بَعْلَى ، وَهِيَ صِفَةٌ عَلَى الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَهِيَ اسْمَانِ ؟ قِيلَ : لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ فِي مَعْنَى الْاسْمِ ، وَمَعْنَاهُ : وَنِيَامًا أَوْ مُضْطَجِعِينَ عَلَى جُنُوبِهِمْ فَحَسَنَ عُطِفَ ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى ، كَمَا قِيلَ ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ فَعُطِفَ بِقَوْلِهِ ﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ عَلَى قَوْلِهِ ﴿ لِجَنبِهِ ﴾ ، لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : لِجَنبِهِ مُضْطَجِعًا ، فَعُطِفَ بِالْقَاعِدِ وَالْقَائِمِ عَلَى مَعْنَاهُ ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ .

وأما قوله ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثل شيء ، ومن هو مالك كل شيء ورازقه ، وخالق كل شيء ومدبره ، من هو على كل شيء قدير ، ويبيده الإغناء والإفقار ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ :
يعني بذلك تعالى ذكره : ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، قائلين ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ فترك ذكر قائلين ، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه ، وقوله ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ يقول : لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ، ولم تخلق له إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة ، وإنما قال : ما خلقت هذا باطلا ، ولم يقل : ما خلقت هذه ، ولا هؤلاء ، لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السموات والأرض ، يدل على ذلك قوله ﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ورغبتهم إلى ربهم في أن يقيهم عذاب الجحيم ، ولو كان المعنى بقوله ﴿ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ السموات والأرض ، لما كان لقوله عقيب ذلك ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ معنى مفهوم ، لأن السموات والأرض أدلة على بارئها ، لا على الثواب والعقاب ، وإنما الدليل على الثواب والعقاب : الأمر والنهي ، وإنما وصف جل ثناؤه أولى الألباب الذين ذكرهم في هذه الآية ، أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيين ، قالوا : يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانه ، يعني : تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا ، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر ، بلجنة أو نار ، ثم فزعوا إلى ربهم بالمسئلة أن يجيرهم من عذاب النار ، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره ، فيكونوا من أهل جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيتهم ، قال : ولا يخزى مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عذب بالنار بعض العذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حفص الجبيري ومحمد بن بشار ، قال : أخبرنا المؤمل ، أخبرنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس ، في قوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ قال : من تخلد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن ابن المسيب ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ قال : هي خاصة لمن لا يخرج منها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا قبيصة بن مروان ، عن الأشعث الحملي ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد أ رأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو ؟ قال : نعم حق ، قال : قلت يا أبا سعيد أ رأيت قول الله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ يريدون أن يخرجوا من النار ، وما هم بخارجين منها ، قال : فقال لي : إنك والله لا تستطيع على شيء إن للنار أهلا لا يخرجون منها ، كما قال الله ، قال : قلت يا أبا سعيد : فيمن دخلوا ثم خرجوا ، قال : كان أصابوا ذنوبا في الدنيا ، فأخذهم الله بها فأدخلهم بها ، ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ قال : هو من يخلد فيها .

وقال آخرون : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار من يخلد فيها وغير يخلد فيها ، فقد أخزى بالعذاب

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا الحرث بن مسلم ، عن يحيى بن عمرو بن دينار ، قال : قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة ، فأنهيت إليه أنا وعطاء ، فقلت ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ قال : وما إخزاؤه حين أحرقه بالنار ، وإن دون ذلك لخزيا .

وأولى القولين بالصواب عندى قول جابر : إن من أدخل النار فقد أخزى بدخوله إياها ، وإن أخرج منها ، وذلك أن الخزي إنما هو هتك ستر الخزي وفضيحته ، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه ، فقد فضحه بعقابه إياه ، وذلك هو الخزي .

وأما قوله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يقول : وما لمن خالف أمر الله فعصاه من ذى نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه ، أو ينقله من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكْفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّفْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٢﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل المنادي الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية ، فقال بعضهم : المنادي في هذا الموضع القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عتبة ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ قال : و الكتاب ليس كلهم لقي النبي صلى الله عليه وسلم . حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا منصور بن حكيم ، عن خارجة ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، في قوله ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ قال : ليس كل الناس سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنادي : القرآن . وقال آخرون : بل هو محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ قال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأولى القولين في ذلك بالصواب قول محمد بن كعب ، وهو أن يكون المنادي القرآن ، لأن كثيرا من وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عاينه ، فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن ، وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن ، إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ . وينحو ذلك حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَتَوَقَّفْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ سمعوا دعوة من الله فأجابوها ، فأحسنوا الإجابة فيها ، وصبروا عليها ، ينبئكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال ، وعن مؤمن الجن كيف قال ، فأما مؤمن الجن ، فقال : ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَكِنْ نَشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ ؛ وأما مؤمن الإنس ، فقال : ﴿ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ . . . الآية .

وقيل : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ يعني : ينادي إلى الإيمان ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ بمعنى : هداانا إلى هذا ، وكما قال الراجز :
أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ
بمعنى : أوحى إليها ، ومنه قوله ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾

وقيل : يحتمل أن يكون معناه : إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا لِلْإِيمَانِ ينادي أن آمنوا بربكم .
﴿ فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ إِذَا : رَبَّنَا سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ يَقُولُ إِلَى التَّصَدِيقِ بِكَ ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِكَ ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِكَ وَطَاعَتِهِ ، فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ ، وَنَهَانَا عَنْهُ ، مِمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمَّا رَبَّنَا ، يَقُولُ : فَصَدَقْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّنَا ، فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، يَقُولُ : فَاسْتَرِ عَلَيْنَا خَطَايَانَا ، وَلَا تَفْضَحْنَا بِهَا فِي الْقِيَامَةِ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ ، بِعَقُوبَتِكَ إِيَّانَا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ كَفَرْنَا عَنْهَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَامْحُهَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ إِيَّانَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : وَاقْبُضْنَا إِلَيْكَ إِذَا قَبَضْتَنَا إِلَيْكَ فِي عِدَادِ الْأَبْرَارِ ، وَاحْشُرْنَا مَحْشَرَهُمْ وَمَعَهُمْ ، وَالْأَبْرَارَ جَمْعُ بَرٍّ ، وَهُمْ الَّذِينَ بَرُّوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ وَخِدْمَتِهِمْ لَهُ ، حَتَّى أَرْضَوْهُ فَرْضَى عَنْهُمْ .
القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا وَعَدْتَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩﴾

﴿ إِن قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَمَا وَجْهُ مُسْئَلَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَبَّهُمْ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزُ وَعْدِهِ ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ إِخْلَافٌ مَوْعِدٍ ؟ قِيلَ : اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْبَحْثِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ قَوْلُ خَرَجٍ مَخْرَجِ الْمُسْئَلَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ ، قَالُوا : وَإِنَّمَا تَأْوِيلُ الْكَلَامِ : رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ، لِتَوْتِينَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالُوا : وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ قَالُوا : إِنْ تَوَفَّيْتَنَا مَعَ الْأَبْرَارِ فَانْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا لِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ، وَأَنْ مَا وَعَدَ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ لَيْسَ يُعْطِيهِ بِالْدَّعَاءِ ، وَلَكِنَّهُ تَفْضِيلُ بَايَاتِهِ ، ثُمَّ يَنْجِزُهُ .

وقال آخرون : بل ذلك قول من قائله على معنى المسئلة والدعاء لله ، بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رُسُلِهِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اسْتَحَقُّوا مَنْزِلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مُسْئَلَةً لِرَبِّهِمْ أَنْ لَا يَخْلِفَ وَعْدَهُ ، قَالُوا : وَلَوْ كَانَ الْقَوْمُ إِنَّمَا سَأَلُوا رَبَّهُمْ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ مَا وَعَدَ الْأَبْرَارَ ، لَكَانُوا قَدْ زَكَّوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَشَهِدُوا لَهَا أَنَّهُمْ مَنِ قَدْ اسْتَوْجِبَ كَرَامَةَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ ، قَالُوا : وَلَيْسَ ذَلِكَ صِفَةً أَهْلِ الْفَضْلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة ، والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ، وإِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَيُعْجَلُ ذَلِكَ لَهُمْ ،

(١) البيت للعجاج أنشده اللسان (وحى) . وهو في ديوانه طبع ليسج ص ه ، وروايته فيهما (وحى) بدون همز قبل الواو .
والضمير في لها : راجع إلى الأرض في البيت قبله ، يريد أوحى إليها . يريد : أمرها . وقال ابن بري : ووحى : بمعنى كتب .

قالوا : ومحال أن يكون القوم مع وصف الله إياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد ، فيرغبوا إلى الله جل ثناؤه في ذلك ، ولكنهم كانوا وعدوا النصر ، ولم يوقت لهم في تعجيل ذلك لهم ، لما في تعجيله من سرور الظفر وراحة الجسد .

والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندى : أن هذه الصفة ، صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره ، مفارقا لأهل الشرك بالله ، إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا ، فانك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجل حربهم ، ولنا الظفر عليهم ، يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى ، وهو قوله ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ، وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا ﴾ . . . الآيات بعدها ، وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم في شيء ، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال : افعل بنا يا رب كذا وكذا ، بمعنى : افعل بنا لكذا الذي ، ولو جاز ذلك ، لحاز أن يقول القائل الآخر : أقبل إلى وكلمني ، بمعنى : أقبل إلى لتكلمني ، وذلك غير موجود في الكلام ، ولا معروف جوازه ، وكذلك أيضا غير معروف في الكلام : آتنا ما وعدتنا ، بمعنى : اجعلنا ممن آتيتك ذلك وإن كان كل من أعطى شيئا سنيا فقد صير نظيرا لمن كان مثله في المعنى الذي أعطيه ، ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك ، وإن كان قد يؤول معناه إليه .

فتأويل الكلام إذا : ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك ، إنك تعلى كلمتك كلمة الحق ، بتأييدنا على من كفر بك ، وحادك ، وعبد غيرك ، وعجل لنا ذلك ، فانا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، فتفضحنا بذنوبنا التي سلكت منا ، ولكن كفرها عنا ، واغفرها لنا .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ قال : يستنجز موعود الله على رسله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَآتِيَهُمْ جَنَّتُهُمْ وَلَا دُخْلَهُمْ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ

يعني تعالى ذكره : فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم ، بأنني لأضيع عمل عامل منكم عملا خيرا ذكرا كان العامل أو أنثى ، وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تذكر الرجال في الهجرة ولا تذكر ، فنزلت ﴿ أَنِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ۖ ﴾ الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : قالت أم سلمة : يا رسول الله لأسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ۖ ﴾ .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله لأسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ، فأنزل الله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ ﴾ وقيل : فاستجاب لهم ، بمعنى : فأجابهم ، كما قال الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ ۝

بمعنى : فلم يجبه عند ذاك مجيب .

وأدخلت من في قوله ﴿ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ۖ ﴾ على الترجمة والتفسير عن قوله منكم ، بمعنى : لأضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث ، وليست من هذه بالتي يجوز إسقاطها ، وحذفها من الكلام في الجحد لأنها دخلت بمعنى : لا يصلح الكلام إلا به . وزعم بعض نحوي البصرة أنها دخلت في هذا الموضع ، كما تدخل في قولهم : قد كان من حديث قال : ومن ههنا أحسن ، لأن النهي قد دخل في قوله : لأضيع . وأنكر ذلك بعض نحوي الكوفة وقال : لا تدخل « من » وتخرج إلا في موضع الجحد ، وقال : قوله ﴿ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ ۖ ﴾ لم يدركه الجحد ، لأنك لا تقول : لأضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل ، ولا لأنه لم ينله الجحد ، ولكن « من » مفسرة .

وأما قوله ﴿ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ ﴾ فإنه يعني : بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما

(١) البيت من مثنى لكعب بن سعد الغنوي ، رواها القائل في أماليه رثي بها أخاه . والداعي هنا : السائل . ويجيب : أي يرد الجواب . وقوله « فلم يستجبه » : أورده ابن قتيبة في الأفعال التي تتعدى تارة بنفسها ، وتارة باللام في أدب الكاتب . قال يقال : استجبتك واستجبت لك . وقال شارحه ابن السيد : كذلك يعقوب ومن كتبه نقل ابن قتيبة ؛ وقد يمكن أن يريد : فلم يجبه ، ويدل عليه أنه قال مجيب ، ولم يقل : مستجيب ، فيكون الشاعر أجرى استفعل مجرى أفعل ، مثل استوقد بمعنى أوقد . وأورده صاحب الكشف عند قوله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم » على أن الاستجابة تتعدى بنفسها ، كما في البيت ، وباللام كما في الآية ، واستجاب له أكثر شيوعا . عن (خزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٧٥) .

وقعودا وعلى جنوبهم ، من بعض ، في النصرة والمسئلة والدين ، وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل ، على حكم أحدكم في أنى لأضيق عمل ذكر منكم ولا أنى .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا ، وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي ، وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ، لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَا دُخْلَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه : فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله ، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله ، والتصديق برسوله ، وأخرجوا من ديارهم ، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة ، وأودوا في سبيل ، يعنى : وأودوا في طاعتهم ربهم ، وعبادتهم إياه ، مخلصين له الدين ، وذلك هو سبيل الله الذى آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها ، وقتلوا ، يعنى : وقتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، يعنى : لأمحونها عنهم ، ولأنفضلن عليهم بعفوى ورحمتى ، ولأغفرنهم لهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ثوابا ، يعنى : جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله ، من عند الله : يعنى : من قبل الله لهم ؛ والله عنده حسن الثواب ، يعنى : أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه ، وذلك ما لا يبلغه وصف واصل ، لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحرث أن أبا عشانة المعافى ، حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إن أول ثلثة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين ، الذين تقي بهم المكاره ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقف حتى يموت وهى في صدره ، وإن الله يدعوى يوم القيامة الجنة ، فتأتى بزخرفها وزينتها ، فيقول : أين عبادى الذين قاتلوا في سبيلى وقتلوا ، وأودوا في سبيلى ، وجاهدوا في سبيلى ، ادخلوا الجنة ، فيدخلونها بخير عذاب ، ولا حساب ، وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ، ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ، فيقول الرب جل ثناؤه : هؤلاء عبادى الذين قاتلوا في سبيلى ، وأودوا في سبيلى ، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » .

واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ فقرأه بعضهم : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين ، وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بتشديد قتلوا ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين ، وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض ، وقتلا بعد قتل ؛ وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ بالتخفيف ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ بمعنى : أن بعضهم قتل ، وقاتل من بقى منهم .
والقراءة التى لا أستجيز أن أعدوها لإحدى هاتين القراءتين ، وهى ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف ،

(١) فى الخلاصة للخزرجى ، فى باب الكنى : أبو عشانة : حى بن يؤمن .

﴿وَقَتِلُوا﴾ بالتخفيف ﴿وَقَاتَلُوا﴾ لأنها القراءة المنقولة نقل ورائة، وما عداها فشاذ ، وبأى هاتين القراءتين التي ذكرت أنى لأستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ فصيب في ذلك الصواب من القراءة ، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراءة الإسلام مع اتفاق معنيهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

﴿يَغُرَّنَّ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد ، يعني : تصرفهم في الأرض وضربهم فيها .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول : ضربهم في البلاد ، فهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد ، وإمهال الله إياهم مع شركهم وجحودهم نعمه ، وعبادتهم غيره ، وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى به غيره من أتباعه وأصحابه ، كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ، ولكن كان بأمر الله صادعا ، وإلى الحق داعيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ والله ما غروا نبي الله ، ولا وكل إليهم شيئا من أمر الله ، حتى قبضه الله على ذلك . وأما قوله ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ فإنه يعني : أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يمتعون بها قليلا ، حتى يبلغوا آجالهم ، فتخترمهم منياتهم ، ثم مأواهم جهنم بعد مماتهم ، والمأوى : المصير الذى يأوون إليه يوم القيامة ، فيصيرون فيه ، ويعنى بقوله ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وبئس الفراش والمضجع جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ ﴿١٩٨﴾

﴿يَغُرَّنَّ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ : لكن الذين اتقوا الله بطاعته ، واتباع مرضاته ، فى العمل بما أمرهم به ، واجتناب ما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ يعني : بساتين ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خالدين فيها يقول : باقين فيها أبدا ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني : إنزالا من الله إياهم فيها أنزلهموها ، ونصب «نُزُلًا» على التفسير ، من قوله : لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كما يقال : لك عند الله جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا ، وكما يقال : هو لك صدقة ، وهو لك هبة ، وقوله ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني : من قبل الله ، ومن كرامة الله إياهم ، وعطاياه لهم ، وقوله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾

لِلْأَبْرَارِ ﴿١٠٦﴾ يقول : وما عند الله من الحياة والكرامة ، وحسن المآب خير للأبرار ، مما يتقلب فيه الذين كفروا فإن الذي يتقلبون فيه زائل فان ، وهو قليل من المتاع خسيس ، وما عند الله خير من كرامته للأبرار ، وهم أهل طاعته ، باق غير فان ولا زائل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله ﴿١٠٦﴾ وما عند الله خير للأبرار ﴿١٠٦﴾ قال : لمن يطيع الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن خيثمة عن الأسود . عن عبد الله ، قال : مامن نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها ، ثم قرأ عبد الله ﴿١٠٦﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٠٦﴾ وقرأ هذه الآية ﴿١٠٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَّا نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴿١٠٦﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن فرج بن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي الدرداء أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني ، فإن الله يقول : ﴿١٠٦﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٠٦﴾ ويقول : ﴿١٠٦﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَّا نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ لِيَبْزِدُوا إِثْمًا ﴿١٠٦﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ
لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايِلِهِمْ آلَهُ شَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٧﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها أصحمة النجاشي ، وفيه أنزلت . ذكر من قال ذلك

حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اخْرُجُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِي لَكُمْ ، فصلينا بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : هَذَا النَّجَاشِيُّ أَصْحَمَةُ ، فقال المنافقون : انظروا هذا يصلي على علي بن أبي طالب ، فأنزل الله ﴿١٠٧﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴿١٠٧﴾ »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ أَخَاكُمْ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ ، قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ؟ قال : فنزلت ﴿١٠٧﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ . وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴿١٠٧﴾ قال قتادة : فقالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله ﴿١٠٧﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ ﴿١٠٧﴾ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿١٠٧﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا به ، قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشي ، وصلى عليه حين بلغه موته قال لأصحابه : « صَلُّوا عَلَى أَخِي لَكُمْ قَدْ مَاتَ بِغَيْرِ بِلَادِكُمْ » ، فقال أناس من أهل النفاق : يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿٢﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ، خَاشِعِينَ لِلَّهِ ، لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ قال : نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واسم النجاشي أصحمة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : قال عبد الرزاق ، وقال ابن عيينة : اسم النجاشي بالعربية عطية حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي ، طعن في ذلك المنافقون ، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ، ومن معه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت ، يعنى هذه الآية ، في عبد الله بن سلام ، ومن معه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ . . . الآية كلها ، قال : هؤلاء يهود ، وقال آخرون : بل عنى بذلك : مسلمة أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ، وهم مسلمة أهل الكتاب . وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد ، وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ : أهل الكتاب جميعا ، فلم يخص منهم النصارى دون اليهود ، ولا اليهود دون النصارى ، وإنما أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله ، وكلا الفريقين ، أعنى اليهود والنصارى من أهل الكتاب .

فإن قال قائل : فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره أنها نزلت في النجاشي وأصحابه ؟ قيل : ذلك خبر في إسناده نظر ، ولو كان صحيحا لاشك فيه ، لم يكن لما قلنا في معنى الآية خلاف ، وذلك

أن جابرا ومن قال بقوله إنما قالوا : نزلت في النجاشي ، وقد نزل الآية في الشيء . ثم يعم بها كل من كان في معناه : فالآية ، وإن كانت نزلت في النجاشي . فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي ، حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاءهم به من عند الله . بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك ، من اتباع أمر الله ، فيما أمر به عباده في الكتابين : التوراة والإنجيل . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وإن من أهل الكتاب التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله ، فيقرّ بوحدانيته ، وما أنزل إليكم أيها المؤمنون ، يقول : وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه ، على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل إليهم ، يعني : وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب ، وذلك التوراة والإنجيل والزبور ، خاشعين لله ، يعني : خاضعين لله بالطاعة ، مستكينين له بها متذللين .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد في قوله ﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ قال : الخاشع : المتذل لله الخائف ، ونصب قوله ﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ على الحال من قوله ﴿ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ وهو حال من «ما» في يؤمن من ذكر من لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا ، يقول : لا يجرّفون ما أنزل إليهم في كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه ، لعرض من الدنيا خسيس ، يعطونه على ذلك التبديل ، وابتغاء الرياسة على الجهال ، ولكن ينقادون للحق ، فيعملون بما أمرهم الله به ، فيما أنزل إليهم من كتبه ، وينتهون عما نهاهم عنه فيها . ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم القول في تأويل قوله ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ : يعني بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم أجرهم ، هؤلاء الذين يؤمنون بالله ، وما أنزل إليكم ، وما أنزل إليهم ، لهم أجرهم عند ربهم ، يعني : لهم عوض أعمالهم التي عملوها ، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم ، يعني : مذخور ذلك لهم لديه ، حتى يصيروا إليه في القيامة ، فيوفيهم ذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ وسرعة حسابه تعالى ذكره ، أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها ، وبعد ما عملوها ، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك ، فيقع في الإحصاء إبطاء ، فلذلك قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥٥﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : اصبروا على دينكم ، وصابروا الكفار ورابطوهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن

الحسن أنه سمعه يقول في قول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يدعو له لشدة ولا رخاء ، ولا سراء ولا ضراء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يرابطوا المشركين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ : أي اصبروا على طاعة الله ، وصابروا أهل الضلالة ، ورابطوا في سبيل الله ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ يقول : صابروا المشركين ، ورابطوا في سبيل الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ﴿اصْبِرُوا﴾ على الطاعة ، ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله ، ﴿وَرَابِطُوا﴾ في سبيل الله .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال : اصبروا على ما أمرتم به ، وصابروا العدو ورابطوهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : اصبروا على دينكم ، وصابروا وعدى إياكم على طاعتكم لى ، ورابطوا أعداءكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أنه كان يقول في هذه الآية ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ يقول : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذي وعدتكم ، ورابطوا عدوتى وعدوكم ، حتى يترك دينه لدينكم .

وقال آخرون : معنى ذلك : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ورابطوهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد ابن أسلم في قوله ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ، ورابطوا على عدوكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا مطرف بن عبد الله المزي ، قال : ثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب ، فذكر له جموعا من الروم ، وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله يقول في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وقال آخرون : معنى ﴿وَرَابِطُوا﴾ : أي رابطوا على الصلوات : أي انتظروها واحدة بعد واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا داود بن صالح ، قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ قال : قلت لا ، قال : إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبد الله بن سعيد المقبري ، عن جدّه ، عن شرحبيل عن عليّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَكْفِّرُ اللَّهُ بِهِ الذُّنُوبَ وَالْحَطَايَا : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ » .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، قال : ثنا يحيى بن زيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ ؟ قَالَ : قُلْنَا بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَكَثْرَةُ الْحَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ لَكُمْ الرَّبَاطُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَحُطُّ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْحَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ لَكُمْ الرَّبَاطُ فَذَلِكَ لَكُمْ الرَّبَاطُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

﴿ وَأُولَى التَّأْوِيلَاتِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ ، وَطَاعَةِ رَبِّكُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْصُصْ مِنْ مَعَانِي الصَّبْرِ عَلَى الدِّينِ وَالطَّاعَةِ شَيْئًا فَيَجُوزُ إِخْرَاجُهُ مِنْ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّهُ غَنَى بِقَوْلِهِ ﴿ اصْبِرُوا ﴾ الْأَمْرَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِي طَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ ، صَعْبٌ وَشَدِيدٌ ، وَسَهْلٌ وَخَفِيفٌ ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ يَعْنِي : وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

﴿ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أُولَى بِالصَّوَابِ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي الْمَفَاعَلَةِ ، أَنْ تَكُونَ مِنْ فَرِيقَيْنِ ، أَوْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا ، وَلَا تَكُونَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَّا قَلِيلًا فِي أَحْرَفٍ مَعْدُودَةٍ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَمْرُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَصَابِرُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ ، حَتَّى يَظْفِرَهُمُ اللَّهُ بِهِمْ ، وَيَعْلَى كَلِمَتُهُ ، وَيَخْزَى أَعْدَاءُهُمْ ، وَإِلَّا يَكُنْ عَدُوَّهُمْ أَصْبَرَ مِنْهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ مَعْنَاهُ : وَرَابِطُوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَعْدَاءَ دِينِكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَرَى أَنَّ أَصْلَ الرَّبَاطِ : ارْتِبَاطُ الْخَيْلِ لِلْعَدُوِّ ، كَمَا ارْتَبَطَ عَدُوَّهُمْ لَهُمْ خَيْلُهُمْ ، ثُمَّ

استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر ، يدفع عن وراءه من أرادته من أعدائهم بسوء ، ويحمي عنهم من بينه وبينهم ، ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها ، أو ذا رجلة لا مركب له .
 وإنما قلنا : معنى ﴿وَرَابِطُوا﴾ : ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم ، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط ، وإنما توجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي ، حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ :
 يعني بذلك تعالى ذكره : واتقوا الله أيها المؤمنون ، واحذروه أن تخالفوا أمره ، وتتقدموا نهيه ، لعلكم تفلحون ، يقول : لتفلحوا فتبقوا في نعيم الأبد ، وتنجحوا في طلباتكم عنده .
 كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني .
 آخر تفسير سورة آل عمران .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَكِّيَّةٌ
 وَأَيُّهَا السِّبْغَةُ وَسَبْغُونَ وَمَا نَزَلَتْ

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ : احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم ، وفيما نهاكم ، فيحل بكم من عقوبته ما لا قبيل لكم به ، ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد ، وعرف عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة ، ومنبهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة ، وأن بعضهم من بعض ، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على

أخيه ، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة ، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض ، وإن بعد التلاقى في النسب إلى الأب الجامع بينهم ، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى ، وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ، ليتناصفوا ، ولا يتظالموا ، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف ، على ما ألزمه الله له ، فقال ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعنى من آدم .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما خلقكم من نفس واحدة : فمن آدم صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعنى : آدم صلى الله عليه وسلم .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال : آدم ، ونظير قوله ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والمعنى به رجل قول الشاعر :
أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتُهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الْكَمَالُ ۝

فقال : ولده أخرى ، وهو يريد الرجل ، فأنت للفظ الخليفة ، وقال تعالى ذكره ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ لتأنيث النفس والمعنى ، من رجل واحد ، ولو قيل من نفس واحد ، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه : وخلق منها زوجها ، وخلق من النفس الواحدة زوجها : يعنى بالزوج الثاني لها ، وهو فيما قال أهل التأويل : امرأتها ، حواء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال : حواء من قصيرى آدم وهو نائم ، فاستيقظ فقال : أنا بالنبطية امرأة .

حدثنا المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعنى

حواء خلقت من آدم ، من ضلع من أضلاعه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : أخبرنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال :

أسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج ، يسكن إليها فنام نومة ، فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعده ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلى

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمه ، عن ابن إسحاق ، قال : ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما

(١) البيت أنشده في اللسان (خلف) وقال : الخليفة : السلطان الأعظم ، وقد يؤنث ، وأنشد الفراء . . . البيت : قال : ولده

أخرى لتأنيث اسم الخليفة ، والوجه أن يكون ولده آخر وقد تقدم الكلام على هذا البيت في ص ٢٤٨ ج ٣

بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانه ، وآدم نائم لم يهب من نومته ، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه ، تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشفت عنه السنة ، وهب من نومته رآها إلى جنبه ، فقال فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَنَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ جعل من آدم حواء .

وأما قوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ فإنه يعني ونشر منهما يعني من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قد رآهم كما قال جل ثناؤه ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يقال منه : بث الله الخلق وأبهم . وبنحوه الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ وبث : خلق .

• القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ :

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتشديد ، بمعنى : تتساءلون ، ثم أدغم إحدى التاءين في السين ، فجعلهما سينا مشددة . وقرأه بعض قراء الكوفة ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتخفيف على مثال تفاعلون ، وهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان ، أعنى التخفيف ، والتشديد في قوله ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ ، وبأى ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه ، لأن معنى ذلك بأى وجهيه قرئ غير مختلف .

وأما تأويله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها الناس ، الذي إذا سأل بعضكم بعضاً سأل به ، فقال السائل للمسئول : أسألك بالله ، وأنشدك بالله ، وأعزم عليك بالله ، وما أشبه ذلك ، يقول تعالى ذكره : فكما تعظمون أيها الناس ربكم بالسنتكم ، حتى تروا أن من أعطاكم عهده فأخفركموه ، فقد أتى عظيماً ، فكذلك فعظموه بطاعتكم إياه فيما أمركم ، واجتنابكم ما نهاكم عنه ، واحذروا عقابه من مخالفتكم إياه فيما أمركم به ، أو نهاكم عنه .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قال : يقول : اتقوا الله الذي تعاهدون ، وتعاهدون به .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ يقول : اتقوا الله الذي به تعاهدون وتعاهدون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن أنس ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنا حمّاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قال : تعاطفون به .

وأما قوله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : واتقوا الله الذي إذا سألتهم بينكم ، قال السائل للمسئول : أسألك به وبالرحم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ يقول : اتقوا الله الذي تعاطفون به والأرحام ، يقول الرجل يسأل بالله وبالرحم حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو كقول الرجل : أسألك بالله ، أسألك بالرحم ، يعني قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : يقول : أسألك بالله وبالرحم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، هو كقول الرجل : أسألك بالرحم . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : يقول : أسألك بالله وبالرحم .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن منصور أو مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : هو قول الرجل : أسألك بالله والرحم .

حدثني المثني ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : هو قول الرجل ؛ أنشدك بالله والرحم ، قال محمد : وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض عطفًا بالأرحام على الهاء التي في قوله به ، كأنه أراد : واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام ، فعطف بظاهر على مكني مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لأنها لاتنسق بظاهر على مكني في الخفض ، إلا في ضرورة شعر ، وذلك لضيق الشعر ؛ وأما الكلام فلا شيء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق ، والردى في الإعراب منه ، ومما جاء في الشعر من ردّ ظاهر على مكني في حال الخفض قول الشاعر :

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ ١

فعطف الكعب ، وهو ظاهر على الهاء والألف في قوله « بينها » ، وهي مكنية .

(١) البيت من شواهد النحويين ، أنشده القراء ولم يميزه إلى أحد ، وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : هو لمسكين الدارمي ، أورد بعضه الميبي في المقاصد النحوية (هامش خزنة الأدب ، ٤ : ١٦٤ - ١٦٦) قال الميبي : والغوط بضم الغين : جمع غائط ، وهو المطنن من الأرض . والنفانف : بنون وفامين : جمع نفنف ، وهي المفازة . قلت : يريد بعد ما بين السيف وكعب صاحبه . ويروي : « وما بينها والكعب مهوى نفانف » . ونعلق بالنون ، ويروي بالتاء مبنياً للمجهول . والشاهد فيه أنه عطف الكعب بالجر على الضمير المحرور بدون إعادة الجار ، والبصريون ينعونه ، والكوفيون يميزونه ، وكذلك أبو حيان من المتأخرين لكثرة وروده في الشعر (انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي) .

وقال آخرون : تأويل ذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ يقول : اتقوا الله ، واتقوا الأرحام لا تقطعوها .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ، إن الله كان عليكم رقيباً ﴿ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَخَيْرٌ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ» .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قول الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ يقول : اتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الله في الأرحام فصلوها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : اتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوه في الأرحام .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة في قول الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : هو قول الرجل : أنشدك بالله والرحم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ» .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثني أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : يقول : اتقوا الله في الأرحام فصلوها .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ قال : يقول : واتقوا الله في الأرحام فصلوها .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي حماد ، وأخبرنا أبو جعفر الخزاز ، عن جوير ، عن الضحاك ، أن ابن عباس كان يقرأ ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ يقول : اتقوا الله لا تقطعوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : اتقوا الأرحام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقرأ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصبا ، بمعنى : واتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، عطفًا بالأرحام في إعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره . قال : والقراءة التي لانستجيز للقارئ أن يقرأ غيرها في ذلك النصب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لما قد بينا أن العرب لاتعطف بظاهر من الأسماء على مكنى في حال الخفض ، إلا في ضرورة شعر ، على ما قد وصفت قبل .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : إن الله لم يزل عليكم رقيبًا ، ويعني بقوله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ : على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه : يا أيها الناس اتقوا ربكم ، والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر ، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب ، فتقول : إذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة ، فعلت هي وآخرون غيب معهم فعلا : فعلتم كذا ، وصنعت كذا ، ويعني بقوله ﴿رَقِيبًا﴾ : حفيظا ، محصيا عليكم أعمالكم ، متفقدًا رعايتكم حرمة أرحامكم : وصلتكم إياها ، وقطعكموها ، وتضييعكم حرمتها .

كما حدثني المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ : حفيظا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ على أعمالكم ، يعلمها ويعرفها ، ومنه قول أبي دواد الإيادي :

كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدُ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَلَبَّدُوا بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا

كَبِيرًا

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى ، يقول لهم : وأعطوا يامعشر أوصياء اليتامى أموالهم ، إذا هم بلغوا الحلم ، وأونس منهم الرشد ﴿وَلَا تَلَبَّدُوا﴾ بالطييب يقول : ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم .

(١) أورد البيت صاحب اللسان في (رقب) والرقب : الموكل بالضرب ، وهو أمين أصحاب الميسر : والضرباء جمع ضريب ، وهو الموكل بالقдах يضرب بها . ونواهد : جمع ناهد أو ناهدة : أي مرتفعة يصف حال الرقباء بأنهم يرفعون أيديهم عند ما يحيل الضرباء قдах الميسر في الخريطة ، لينمومهم من غش إن ظهر لهم .

Marfat.com

آخر غيره ، يعطيه المأخوذ منه ، أو يجعله مكان الذي أخذ ، فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال ، فمعلوم أن الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك : هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميتة ووالده دون صغارهم إلى ماله ، قول لامعنى له ، لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصغر منهم ، فلم يستبدل مما أخذ شيئاً ، فما التبديل الذي قال جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ ولم يبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً ، وأما الذي قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال ، فانهما أيضاً إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روى عن ابن مسعود أنه قال : إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها ، ففساده نظير فساد قول ابن زيد ، لأن من استعجل الحرام فأكله ، ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيئاً مكان شيء ، وإن كانا أرادا بذلك أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال ، فيكون أكلهم ذلك سبباً لحرمان الطيب منه ، فذلك وجه معروف ، ومذهب معقول يحتمله التأويل ، غير أن الأشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا ، لأن ذلك هو الأظهر من معانيه ، لأن الله جل ثناؤه إنما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها ، فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية ، فأخرجها من أن يكون من غير جنسه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ :

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا تخطوا أموالهم : يعنى : أموال اليتامى بأموالكم ، فتأكلوها مع أموالكم .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ يقول : لا تأكلوا أموالكم وأموالهم ، تخطوها فتأكلوها جميعاً .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى ، كرهوا أن يخالطوهم ، وجعل وليّ اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله ، فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ، قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ، وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَارْحَمُوا أَمْوَالَهُمْ ﴾ قال : فخالطوهم واتقوا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ :

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : إنه كان حوباً كبيراً إن أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء في قوله (إنه) دالة على اسم الفعل ، أعنى الأكل ؛ وأما الحوب : فانه الإثم ، يقال منه : حاب الرجل يحوب حوباً وحوباً وحيابة ، ويقال منه : قد تحوب الرجل من كذا ، إذا تأثم منه ، ومنه قول أمية بن الأسكر الليثي :
وإنّ مهاجـريـن تـكنـفـاهُ غداً تـثـدّ لـقـدّ نـحـطـنا وخابا ١

(١) هذا بيت لأمية بن الأسكر الجندعي الليثي من مقطوعة له ، يشكو فيها فراق ابنه « كلاب » بن أمية في كبره وهرمه ، ذكرت في « حسن الصحابة » في شرح أشعار الصحابة (١ : ٥٢ - ٥٥ طبعة دار السعادة سنة ١٣٢٤) ورواية البيت فيه :

أتاه مهاجـران تـكنـفـاهُ ففارق شيخه نـحـطـنا وخابا

تكنفه : أحاط به أو أخذه في كنفهما وحياتهما . وشيخه : أى أباه . والرواية فيه وخابا ، بالهاء المعجمة ، لا بالحاء كما رواه المؤلف ، من الحوب ، وهو الإثم ورواية المؤلف أصح معنى .

ومنه قيل : نزلنا بحوبة من الأرض ، وبحيبة من الأرض : إذا نزلوا بموضع سوء منها ، والكبير : العظيم ، فعني ذلك : أن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم ، إثم عند الله عظيم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو وعمر بن علي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال : إثمًا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال : إثمًا عظيمًا .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ كَانَ حُوبًا ﴾ أما حوبا : فإثمًا .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ﴿ حُوبًا ﴾ قال : إثمًا .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ يقول : ظلما كبيرا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد ، يقول في قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال : ذنبا كبيرا ، وهي لأهل الإسلام .
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول ﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ قال : إثمًا والله عظيمًا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَخِفُّمُ إِلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَسْمَىٰ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٥﴾

❖ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وإن خفتم يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهن فتعدّلوا فيه ، وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن ، فلا تنكحوهن ، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة إلى أربع ، وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة ، فلا تعدّلوا ، فانكحوا منهن واحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ﴿ وَإِنْ ۚ

خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ ﴿١٠﴾ فقالت: يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها، ففهموا أن ينكحوهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، ففهموا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال يونس بن يزيد، قال ربعة في قول الله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ قال: يقول: اتركوهن فقد أحلت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجعيد وأبو سعيد بن مسleme، قالوا: أنبأنا إسماعيل بن أمية، عن ابن شهاب، عن عروة، قال: سألت عائشة أم المؤمنين، فقلت: يا أم المؤمنين أرايت قول الله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نساءها، ففهموا عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق، ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء إن لم يكملوا لهن الصداق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى الليث، قال: ثنى يونس، عن ابن شهاب، قال: ثنى عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر مثل حديث يونس، عن ابن وهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، مثل حديث ابن حميد، عن ابن المبارك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزل، يعني قوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾... الآية، في اليتيمة تكون عند الرجل، وهي ذات مال، فلعله ينكحها لمالها، وهي لا تعجبه، ثم يضر بها، ويسىء صحبتها، فوعظ في ذلك.

قال أبو جعفر: فعلى هذا التأويل جواب قوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا تَقْسِطُوا﴾ قوله ﴿فانكحوا﴾. وقال آخرون: بل معنى ذلك: النهى عن نكاح ما فوق الأربع، حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قرشا، كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء، والأكثر، والأقل، فإذا صار معدما، مال على مال يتيمة الذي في حجره، فأنفقه، أو تزوج به، ففهموا عن ذلك: وقيل لهم: إن أنتم

خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها ، فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم إليها ، لما يلزمكم من مؤن نسائكم ، فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع ، وإن خفتم أيضا من الأربع ، ألا تعدلوا في أموالهم^٢ فاقصروا على الواحدة ، أو على ما ملكت أيمانكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عكرمة يقول في هذه الآية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ قال : كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ، ويكون عنده الأيتام ، فيذهب ماله ، فيميل على مال الأيتام ، قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ، فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ قال : كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والست والعشر ، فيقول الرجل : ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان ، فيأخذ مال يتيمة فيتزوج به ، فهو أن يتزوجوا فوق الأربع .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد الله بن أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ فإن الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى ، فنهى الله عن ذلك . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ، ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن ، فقل لهم : كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى ، فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ، ولا تنكحوا منهن إلا من واحدة إلى الأربع ، ولا تزيدوا على ذلك ، وإن خفتم ألا تعدلوا أيضا في الزيادة على الواحدة ، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : كان الناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء ، أو ينهوا عنه ، قال : فذكروا اليتامى ، فنزلت ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ قال : فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ

(١) كذا في الأصول . ولعله ضمن « تجاوزوا » معنى تزيدوا ، فعاده بعل .

(٢) الضمير في « أموالهم » : راجع إلى اليتامى . أي إن كان زواجكم أربعا يؤدي إلى الجور على أموال اليتامى . . . الخ .

أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴿١﴾ إِلَىٰ ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾ كانوا يشددون في اليتامى ، ولا يشددون في النساء ، ينكح أحدهم النسوة ، فلا يعدل بينهن ، فقال الله تبارك وتعالى : كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء ، فانكحوا واحدة إلى الأربع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ حتى بلغ ﴿أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ يقول كما خفتم الجور في اليتامى ، وهمكم ذلك ، فكذاك فخافوا في جمع النساء ، وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك ، فأحل الله جل ثناؤه أربعاً ، ثم الذي صيرهن إلى أربع قوله ﴿مِثْنَيْنِ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ، فإن خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴿يَقُولُ﴾ : إن خفت ألا تعدل في أربع فثلاث ، وإلا فثنتين ، وإلا فواحدة ؛ وإن خفت ألا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قوله ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يقول : ما أحل لكم من النساء ﴿مِثْنَيْنِ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى ألا تقسطوا فيهن .
حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء الإسلام ، والناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء فيتبعوه ، أو ينهوا عن شيء فيجتنبوه ، حتى سألوا عن اليتامى ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَيْنِ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾
حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، والناس على أمر جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه ، وكانوا يسألونه عن اليتامى ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ، مِثْنَيْنِ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ قال : فكما تخافون ألا تقسطوا في اليتامى ، فخافوا ألا تقسطوا وتعطلوا في النساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ قال : كانوا في الجاهلية ينكحون عشرة من النساء الأيامى ، وكانوا يعظمون شأن اليتيم ، فتفقّدوا من دينهم شأن اليتيم ، وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية ، فقال ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَيْنِ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كانوا في جاهليتهم لا يرزءون من مال اليتيم شيئاً ٢ ، وهم ينكحون عشرة من النساء ، وينكحون نساء آبائهم ،

(١) في خلاصة الخزر جى : محمد بن الفضل السدوسي ، أبو النعمان البصري الحافظ الملقب بعارم .

(٢) لا يرزءون : لا يأخذون منه شيئاً .

فتفقّدوا من دينهم شأن النساء ، فوعظهم الله في اليتامى ، وفي النساء ، فقال في اليتامى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَاَ فَنُكِّلْكُمْ إِلَيْهِ﴾ وقال ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ .
 حَدَّثَنَا عَنْ عَمَارٍ عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ ... إِلَى ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يَقُولُ : فَإِنْ خِفْتُمْ الْجَوْرَ فِي الْيَتَامَى وَغَمَّكُمْ ذَلِكَ ، فَكَذَلِكَ فَخَافُوا فِي جَمْعِ النِّسَاءِ ، قَالَ : وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْعَشْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَأَحَلَّ اللَّهُ أَرْبَعًا وَصِيرَهُمْ إِلَى أَرْبَعٍ ، يَقُولُ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فِي وَاحِدَةٍ ، فَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكُمْ وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : فَكَمَا خِفْتُمْ فِي الْيَتَامَى ، فَكَذَلِكَ فَتَخَوَّفُوا فِي النِّسَاءِ أَنْ تَزْنُوا بِهِنَّ ، وَلَكِنْ أَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عِيسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ يَقُولُ : إِنْ تَخَرَّجْتُمْ فِي وَلَايَةِ الْيَتَامَى وَأَكَلْتُمْ أَمْوَالَهُمْ ، إِيْمَانًا وَتَصَدِيقًا ، فَكَذَلِكَ فَتَخَرَّجُوا مِنَ الزَّانَا ، وَأَنْكِحُوا النِّسَاءَ نِكَاحًا طَيِّبًا ﴿مَشْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .
 حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، قَالَ : ثَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، مِثْلَهُ .
 وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى اللَّاتِي أَنْتُمْ وَلَاتُهُنَّ ، فَلَا تَنْكِحُوهُنَّ ، وَأَنْكِحُوا أَنْتُمْ مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْهُنَّ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْيَتِيمَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ هُوَ وَلِيُّهَا ، لَيْسَ لَهَا وَلِيٌّ غَيْرُهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَنَازِعُهُ فِيهَا ، وَلَا يَنْكِحُهَا لِمَالِهَا فَيُضِرُّ بِهَا ، وَيُسِيءُ صَحْبَتَهَا .
 حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثَنَا يُونُسُ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ : أَيُّ مَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ يَتَامَاكُمْ مِنْ قَرَابَاتِكُمْ ﴿مَشْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي ذَلِكَ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : تَأْوِيلُهَا : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ، فَكَذَلِكَ فَخَافُوا فِي النِّسَاءِ ، فَلَا تَنْكِحُوا مِنْهُنَّ إِلَّا مَا لَا تَخَافُونَ أَنْ تَجُورُوا فِيهِ مِنْهُنَّ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَى الْأَرْبَعِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ الْجَوْرَ فِي الْوَاحِدَةِ أَيْضًا فَلَا تَنْكِحُوهُنَّ ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا تَجُورُوا عَلَيْهِنَّ .

وَلَمَّا قُلْنَا : إِنْ ذَلِكَ أَوَّلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ افْتَتَحَ الْآيَةَ الَّتِي قَبْلُهَا بِالنَّهْيِ عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَخَلَطَهَا بِغَيْرِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى بِأَمْوَالِهِمْ﴾ ، وَلَا

تَتَّبِعُوا الْحَسْبِ بِالطَّيِّبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ،
 ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ اتَّقَوْا اللَّهَ فِي ذَلِكَ فَتَحَرَّجُوا فِيهِ ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ اتِّقَاءِ اللَّهِ ، وَالتَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ
 مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ظَنُّ التَّحَرُّجِ فِي أَمْرِ الْيَتَامَى ، وَأَعْلَمَهُمْ كَيْفَ التَّخْلُصِ لَهُمْ مِنَ الْجَوْرِ فِيهِمْ ، كَمَا عَرَفَهُمْ
 الْمُخْلَصُ مِنَ الْجَوْرِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى . فَقَالَ : انكحوا إِنْ أَمَنْتُمْ الْجَوْرَ فِي النِّسَاءِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَا أَبْجَتْ لَكُمْ
 مِنْهُنَّ وَحِلَّتْهُ ، مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَيْضًا الْجَوْرَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي أَمْرِ الْوَاحِدَةِ بِأَنْ تَقْدَرُوا عَلَى
 إِنْصَافِهَا . فَلَا تَنْكَحُوها ، وَلَكِنْ تَسَرُّوا مِنَ الْمَمَالِكِ ، فَإِنَّكُمْ أَحْرَى أَنْ لَا تَجُورُوا عَلَيْهِنَّ . لِأَنَّهُنَّ أَمْلَاكُمْ
 وَأَمْوَالَكُمْ ، وَلَا يُلْزِمُكُمْ لَهُنَّ مِنَ الْحَقُوقِ كَالَّذِي يُلْزِمُكُمْ لِلْحَرَائِرِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَكُمْ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ
 الْإِثْمِ وَالْجَوْرِ ، فِي الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْمَعْنَى مَا قُلْنَا ، مَتْرُوكٌ اسْتِغْنَى بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَنْ ذِكْرِهِ .
 وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى فَتَعَدَّلُوا فِيهَا ، فَكَذَلِكَ فَخَافُوا أَلَّا تَقْسُطُوا
 فِي حَقُوقِ النِّسَاءِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، فَلَا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ إِلَّا مَا أَمَنْتُمْ مَعَهُ الْجَوْرَ ، مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ ،
 وَإِنْ خِفْتُمْ أَيْضًا فِي ذَلِكَ فَوَاحِدَةً ، وَإِنْ خِفْتُمْ فِي الْوَاحِدَةِ فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَتَرَكَ ذَكَرَ قَوْلِهِ فَكَذَلِكَ فَخَافُوا
 أَنْ تَقْسُطُوا فِي حَقُوقِ النِّسَاءِ بِدَلَالَةِ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ ، أَوْ
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .

❖ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَأَيْنَ جَوَابُ قَوْلِهِ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى﴾؟ قِيلَ : قَوْلُهُ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا .

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الإقساط في كلام العرب : العدل والإنصاف ، وأن القسط : الجور
 والحيث ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما اليتامى ، فإنها جمع للذكوان الأيتام وإناسهم في هذا
 الموضع . وأما قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فانه يعني : فانكحوا ما حلَّ لكم منهنَّ دون
 ما حرم عليكم منهنَّ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك ، قوله
 ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ : ما حلَّ لكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد
 ابن جبيرة في قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ : ما حلَّ لكم .

❖ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ : وَلَمْ يَقُلْ : فَانكحوا من طاب
 لكم ، وإنما يقال ما في غير الناس ؟ قِيلَ : معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما معناه :
 فانكحوا نكاحا طيبا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ :
 لكم من النساء فانكحوا النساء نكاحا طيبا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ، فالمعنى بقوله ﴿ مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن ، فلذلك قيل « ما » ولم يقل « من » ، كما يقال : خذ من رقيقى ما أردت إذا عنيت ، خذ منهم إرادتك ، ولو أردت خذ الذى تريد منهم لقلت : خذ من رقيقى من أردت منهم ، وكذلك قوله ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ بمعنى : أو ملك أيمانكم ؛ وإنما معنى قوله ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع ، كما قيل ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ، ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ . وأما قوله ﴿ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فانما ترك إجراؤهن لأنهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع ، كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك إجراؤه ، وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع ، لا يجرى ذلك كله للعلّة التى ذكرت من العدول عن وجوهه ، ومما يدل على أن ذلك كذلك ، وأن الذكر والأنثى فيه سواء ، ما قيل فى هذه السورة وسورة فاطر : مثنى وثلاث ورباع ، يراد به الجناح ، والجناح ذكرها أنه أيضا لا يضاف إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث ، وأن الألف واللام لا تدخله ، فكان فى ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة ، ولو كان نكرة لدخله الألف واللام ، وأضيف كما يضاف الثلاثة والأربعة ، ومما يبين فى ذلك قول تميم بن أبي مقبل :

تَرَى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمِثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ^١

فردّ أحاد ومثنى على النعرات وهى معرفة ، وقد جعلها العرب نكرة فتجربها ، كما قال الشاعر :

قَتَلْنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ مِثْنَى وَمَوْحَدٍ بِأَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وَآخِرَ خَامِسٍ^٢

ومما يبين أن ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر :

وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ ثُنَاءَ وَمَوْحَدًا وَتَرَكْتُ مَرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّائِرِ^٣

وقول الشاعر :

مَنْتَ لَكَ أَنْ تَمْلَأَ مَنَايَا أَحَادَ أَحَادَ فِي شَهْرِ حَلَالٍ^٤

(١) أوردته فى اللسان (نعر) . وفيه « الخضر » فى مكان « الزرق » . قال الجوهري : النعرة مثال الهزة (بضم النون وفتح العين) : ذباب ضخم ، أزرق العين ، أخضر ، له إبرة فى طرف ذنبه ، يلسع بها ذوات الحافر خاصة ، وربما دخل فى أنف الحمار . واللبان : الصدر ، وأصعقتها صواهلها : أى قتلها صهيله .

(٢) أورد المؤلف البيت شاهدا على أن مثنى وموحد قد يستعملان مصروفين إذا نكرا . والبصريون يقولون : إن موحد ومثنى ومثلث ، ومربع وأحاد وثناء وثلاث ورباع متنوعة من الصرف للوصفية والعدل ، وهو مذهب سيبويه أو للتأنيث والعدل ، وهو مذهب الزجاج ، أو لتكرار العدل فيه ، وهو مذهب ثالث لغيرهما من البصريين ، كما ذكر صاحب اللسان فى (ثلث) .

(٣) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمى (ص ٤٦٦) كما فى لسان العرب (دبر) . وقال ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب : كذا وقع فى النسخ . وكذا روينا عن أبي نصر عن أبي على (يريد) القالى والصواب : « المدبر » ، كذا أنشده أبو عبيدة . يقوله صخر لبنى مرة بن سعد بن ذبيان .

(٤) منت لك المنايا : أى قدرت لك الأقدار . والبيت فى اللسان (منى) . والرواية فيه « فى الشهر الحلال » . ولم ينسبه لقائله . ونسبه ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير ص ٨٤٠ لعمر بن ذى الكلب . وفسره بقوله : هذا دعاء . منت لك : أى قدرت لك الأقدار لقائى وحدين فى الشهر الحلال . قلت : يتمنى لقاءه فى الشهر الحلال ، ليريه كيف يكون لقاء الأبطال .

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الربع والمربع عن جهته ، لم يسمع منها خماس ولا الخمس ، ولا السباع ولا المسبع ، وكذلك ما فوق الربع ، إلا في بيت الكميت ، فانه يروى له في العشرة عشار وهو قوله :
فَلَمْ يَسْتَرْيُثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالًا عَشَارًا
يريد عشارا عشرا ، يقال : إنه لم يسمع غير ذلك .

وأما قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإن نصب واحدة ، بمعنى : فإن خفتم ألا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهنّ عليكم ، فانكحوا واحدة منهنّ ، ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى : فواحدة كافية ، أو فواحدة مجزئة ، كما قال جل ثناؤه ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ وإن قال لنا قائل : قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع ، فكيف قيل : ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ وذلك في العدد تسع ؟ قيل : إن تأويل ذلك : فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، إما مثنى إن أمتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم ، وإما ثلاث إن لم تخافوا ذلك ؛ وإما أربع إن أمتم ذلك فيهنّ ، يدلّ على صحة ذلك قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ لأن المعنى : فإن خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ، ثم قال : وإن خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة ، فما ملكت أيمانكم .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإن تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام ، وقد قال تعالى ذكره ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وذلك أمر ، فهل من دليل على أنه من الأمر الذي هو على غير وجه الإلزام والإيجاب ؟ قيل : نعم ، والدليل على ذلك قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فكان معلوما بذلك أن قوله ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وإن كان مخرجه مخرج الأمر ، فإنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف النكاح الجور فيه من عدد النساء ، لا بمعنى الأمر بالنكاح . فإن المعنى به : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتخرجتم فيهنّ ، فكذلك فتخرجوا في النساء ، فلا تنكحوا إلا ما أمتم الجور فيه منهنّ ، ما أحلته لكم من الواحدة إلى الأربع . وقد بينا في غير هذا الموضع بأن العرب تخرج الكلام بلفظ الأمر ، ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد ، كما قال جل ثناؤه ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وكما قال ﴿لَيْسَ كُفْرُوًا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فخرج ذلك مخرج الأمر ، والمقصود به التهديد والوعيد ، والزجر والنهي ، فكذلك قوله ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ بمعنى النهي ، فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء ، وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال أهل التأويل .

(١) البيت للكميت (اللسان : عشر) وهو من شواهد النحاة ، على أنه لم يسمع صيغة فعال (بالضم) عن العدد ما فوق ربيع ، إلا في قول الكميت . . . وقاسه الكوفيون من الواحد إلى العشرة .

واستراثة : استبطاء . ورواه ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب ، وقال في شرحه : ومعنى يستريثوك : يجدونك رائثا ، أي بطيئا . ورميت : زدت . يقال : رمى على الحسين وأرمي : إذا زاد . يقول : لما نشأت نشأ الرجال ، أسربت في بلوغ الغاية التي يبلغها طلاب المعالي ، ولم يفتك ذلك حتى زدت عليهم بعشر خضال فقت بها السابقين ، وأياست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ۚ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يقول : فإن خفت ألا تعدل في واحدة ، فما ملكت يمينك .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ : السراري .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ۚ ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فإن خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك .
حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : ثنا جوير ، عن الضحاك ، قوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ قال : في الجامعة والحب .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ﴾ :

يعنى بقوله تعالى ذكره : وإن خفتم ألا تعدلوا في مثني أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة ، أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم ، فهو أدنى ، يعنى : أقرب ألا تعولوا ، يقول : أن لا تجورا ولا تميلا ، يقال منه : عال الرجل فهو يعمل عولا وعيالة ، إذا مال وجار ، ومنه عول الفرائض ، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص ؛ وأما من الحاجة ، فإنما يقال : عال الرجل عيالة ، وذلك إذا احتاج ، كما قال الشاعر :

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَىٰ غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَىٰ يَعْجِلُ^١

بمعنى يفتقر . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ﴾ قال : العول : الميل في النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ﴾ يقول : لا تميلا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ ذَلِكْ أَدْنَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا ﴾ : أن لا تميلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن

أبي هند ، عن عكرمة ﴿ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ قال : أن لا تميلا ، ثم قال : أما سمعت إلى قول أبي طالب :

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح من أربعة أبيات ذكرها اللسان في (عيل) . وعال يعيل من باب ضرب عيلة وعيولا : افتقر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن الزبير ، عن حريث ، عن عكرمة في هذه الآية ﴿أَلَا تَعُولُوا﴾ قال : أن لا تميلوا ، قال : وأنشد بيتا من شعر زعم أن أبا طالب قاله :
بِمِيزَانٍ قَبِسطٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً ۖ وَوَاظِنِ صِدْقٍ وَزَنَّهُ غَيْرُ عَائِلٍ
❦ قال أبو جعفر : ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية :

بِمِيزَانٍ صِدْقٍ لَا يُغِلُّ شَعِيرَةً ۖ لَهُ شَاهِدٌ مِّنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ ۖ
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ﴿أَلَا تَعُولُوا﴾ قال :
ألا تميلوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، مثله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحاق الكوفي ، قال : كتب
عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه ، إني لست بميزان لأعول .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عباد بن علي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك في قوله
﴿أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾ قال : لا تميلوا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾ :
أدنى أن لا تميلوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿أَلَا
تَعُولُوا﴾ قال : تميلوا .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾
يقول : ألا تميلوا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ
أَلَا تَعُولُوا﴾ يقول : تميلوا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،
عن ابن عباس ، قوله ﴿أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾ يعنى : ألا تميلوا .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾ يقول : ذلك أدنى ألا تميلوا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله ﴿ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَلَا تَعُولُوا﴾ قال : ألا تجوروا .

(١) البيت في لامية أبي طالب الطويلة يدافع بها عن ابن أخيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (السيرة لابن هشام طبعة الحلبي ،

١ : ٢٩٦) ولسان العرب : عيل (وفي رواية السيرة) « لا يخس » : أى لا ينقص ، وفي شرح أبي ذر للسيرة (ص ٩٠) ،

ويروى : « لا يخس » من قولهم : نخس بالمهد إذا نقضه وأفسده ، وعائل : جائر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن يونس ، عن ابن إسحاق ، عن مجاهد ﴿ ذَلِكْ أَدْنَى أَلَّا تَعْمَلُوا ﴾ قال : تميلوا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ﴿ ذَلِكْ أَدْنَى أَلَّا تَعْمَلُوا ﴾ ذلك أقل لنفقتك الواحدة ، أقل من ثنتين وثلاث وأربع ، وجاريتك أهون نفقة من حرة ﴿ أَنْ لَا تَعْمَلُوا ﴾ : أهون عليك في العيال .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : وأعطوا النساء مهرهن عطية واجبة ، وفريضة لازمة ؛ يقال منه : نحل فلان فلانا كذا ، فهو ينحله نحلة ونحلا .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ يقول : فريضة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ يعني بالنحلة : المهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ قال : فريضة مسماة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ قال : النحلة في كلام العرب : الواجب ، يقول : لا ينكحها إلا بشيء واجب لها صدقة ، يسميها لها واجبة ، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بصدائق واجب ، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق .

وقال آخرون : بل عني بقوله ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ أولياء النساء ، وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عن أبي صالح ، قال : كان الرجل إذا زوج أيمته أخذ صداقها دونها ، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ، ونزلت ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

(٤) أى بعد مجيئه بالشرعية السمعة .

(١) تقدم ذكره والتعريف به في ص ٢٣٤ من هذا الجزء .

وقال آخرون : بل كان ذلك من أولياء النساء ، بأن يعطى الرجل أخته الرجل ، على أن يعطيه الآخر أخته ، على ألا كثير مهر بينهما ، ففهموا عن ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أن أناسا كانوا يعطى هذا الرجل أخته ، ويأخذ أخت الرجل ، ولا يأخذون كثير مهر ، فقال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ .

❦ قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه ، وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ، ونهاهم عن ظلمهن ، والجور عليهن ، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذين قيل لهم ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَتِي وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ هم الذين قيل لهم ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ وأن معناه : وأتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة ، لأنه قال في الأول ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ولم يقل : فانكحوا ، فيكون قوله ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ مصروفا إلى أنه معنى به أولياء النساء دون أزواجهن ، وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن ، والمسمى لهن الصداق أن يوثوهن صدقاتهن دون المطلقات ، قبل الدخول ، ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق .

❦ القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾
يعنى بذلك جل ثناؤه : فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صدقاتهن ، طيبة بذلك أنفسهن ، فكلوه هنيئا مريئا .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ❦ فان طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ❦ قال : المهر .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا حرمي بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة ، عن عمارة في قول الله تبارك وتعالى ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ قال : الصدقات .

حدثني المثني ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ❦ فان طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ❦ قال : الأزواج .

حدثني المثني ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عبيدة ، قال : قال لي إبراهيم : أكلت من الهنيء المرىء ، قلت : ما ذاك ؟ قال : امرأتك أعطتك من صداقها

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم . قال : دخل رجل على علقمة وهو يأكل من

طعام بين يديه ، من شيء ، أعطته امرأته من صداقها أو غيره ، فقال له علقمة : ادن ، فكل من الهنيء المرىء .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ،
عن ابن عباس ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ يقول : إذا كان
غير إضرار ولا خديعة ، فهو هنيء مرىء كما قال الله جل ثناؤه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ قال : الصداق ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أن أناسا كانوا
يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته ، فقال الله تبارك وتعالى ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ يقول : ما طابت به نفسا في غير كره أو هوان ، فقد أحل الله لك ذلك أن تأكله هنيئًا مريئًا .

وقال آخرون : بل غنى بهذا القول : أولياء النساء ، فقليل لهم : إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا ، فكلوه هنيئًا مريئًا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا سيار ، عن أبي صالح في قوله ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ قال : كان الرجل إذا زوج ابنته عمد إلى صداقها فأخذه ، قال : فنزلت هذه الآية في الأولياء ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب ، التأويل الذي قلنا ، وأن الآية مخاطبة بها الأزواج لأن افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم ، وقوله ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ في سياقه .

وإن قال قائل : فكيف قيل : فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ، وقد علمت أن معنى الكلام : فإن طابت لكم أنفسهن بشيء ، وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع ، وذلك أنه تعالى ذكره ، قال ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ قيل : أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس ، فإن ذلك المستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف ، ضقت بهذا الأمر ذراعا وذراعا ، وقررت بهذا الأمر عينا ، والمعنى : ضاق به ذرعى ، وقررت به عيني ، كما قال الشاعر :

إِذَا التَّيَّازُ ذُو الْعَصَافَاتِ قَلْبُنَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا^١

فنقل صفة الذراع إلى ربّ الذراع ، ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل ، وكذلك وحد النفس في قوله ﴿فَإِنْ طَبِينَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ إذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر . وأما توحيد النفس من النفوس ، لأنه إنما أراد الهوى ، والهوى يكون جماعة ، كما قال الشاعر :

بِهَا جَيْفُ الْحَسْرِى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ^٢
وكما قال الآخر :

فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا^٣

وقال بعض نحوي الكوفة : جائز في النفس في هذا الموضع ، الجمع والتوحيد ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ، وأنفسا ، وضقت به ذراعا ، وذراعا ، وأذراعا ، لأنه منسوب إليك ، وإلى من تخبر عنه ، فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ، ولم يذهب الوهم إلى أنه ليس بمعنى جمع ، لأن قبله جمعا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن النفس وقع موقع الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد مؤدية معناه إذا ذكر بلفظ الواحد ، وأنه بمعنى الجمع عن الجمع . وأما قوله ﴿هَنَيْثًا﴾ فإنه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران : إذا جرب فعولج به ، كما قال الشاعر :

مَسْبَدَلًا تَبْدُو مَحَاسِنَهُ يَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقْبِ^٤

فكان معنى قوله ﴿فَكَكَلُوهُ هَنَيْثًا مَرِيثًا﴾ : فكلوه دواء شافيا ، يقال منه : هنأني الطعام ومرأني : أى صار لى دواء وعلاج شافيا ، وهنئى ومرئى بالكسر ، وهى قليلة ، والذين يقولون هذا القول يقولون يهنأنى ويمرأنى ، والذين يقولون هنأنى ، يقولون : يهنئى ويمرئى ، فاذا أفردوا ، قالوا : قد أمرأنى هذا الطعام إمرأ ، ويقال : هنأت القوم : إذا علمتهم ، سمع من العرب من يقول : إنما سميت هانثا لهنأ ، بمعنى : لتعول وتكنى .

(١) البيت للقطامى يصف بكرة اقتضبها ، وقد أحسن القيام عليها إلى أن قويت وسمحت ، وصارت بحيث لا يقدر على ركوبها ، لقوتها وعزة نفسها . قال ابن برى : هكذا أنشده الجوهري ، وفسر في شعره أن إليك : خذها لتركبها وتروضها . قال : وهذا فيه إشكال ، لأن سيبيه وجميع البصريين ذهبوا إلى أن إليك بمعنى تنح ، وأنها غير متعدية إلى مفعول ، وعلى ما فسروه في البيت يقضى أنها متعدية لأنهم جعلوها بمعنى خذها . قال : ورواه أبو عمرو الشيباني : لديك لديك ، عوضا من «إليك إليك» قال : وهذا أشبه بكلام العرب وقول النحويين ، لأن لديك بمعنى عندك ، وعندك في الإغراء تكون متعدية ، كقولك : عندك زيدا ، أى خذ زيدا من عندك . وقد تكون أيضا غير متعدية ، بمعنى تأخر . وقوله ذو العضلات : أى ذو اللحامات الغليظة الشديدة . والتياز : الرجل الكثير العضل ، وهو يتتيز في مشيته : يتقلع من الأرض ثقلا (اللسان : تيز) .

(٢) البيت لعلمقة بن عبدة التميمي ، من قصيدته الطويلة المشهورة . (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي ص ٤٢١) والحسرى : جمع حسير ، وهى الدواب التي كملت من السير فانت إعياء ، وصليب : يابس . والهاء في «هنا» : راجعة إلى المفاضة التي وصفها .

(٣) هذا عجز بيت للمسيب بن زيد مناة ، وصدره «لاتنكروا القتل وقد سبينا» ، وقد أنشده في اللسان (شجا) .

(٤) البيت لدريد بن الصمة الفارس المشهور من مقطوعة قالها يصف النساء حين ذهب ليخطبها من أبيها عمرو بن الشريد السلمي ، فرآها وكانت في ثياب عملها تنها بالقطران إبلا لهم جربى . والمتبذل : الذى اتخذ بذلة أو مبدلة ، وهى ثوب يمتحن للعمل . والهناء : القطران . والنقب بضم النون وبسكون القاف وبفتحة : جمع نقبة : القطع المتفرقة من الجرب . وقيل : أول ما يبدو منه وقبله :

مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالَى أَيْتَى جَرِبَ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم ، فقال بعضهم : هم النساء والصبيان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن سعيد بن جبير ، قال : اليتامى والنساء .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن في قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ قال : لاتعطوا الصغار والنساء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : المرأة والصبي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن شريك ، عن أبي حمزة ، عن الحسن قال : النساء والصغار ، والنساء أسفه السفهاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ قال : السفهاء : ابنك السفية وامراتك السفية ، وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ : اليتيم ، والمرأة » .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا حميد ، عن عبد الرحمن الرؤاسي ، عن السدي ، قال : يردّه إلى عبد الله ، قال : النساء والصبيان .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ أما السفهاء : فالولد والمرأة .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک ، قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ يعني بذلك : ولد الرجل وامراته ، وهى أسفه السفهاء .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاک في قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾ قال : السفهاء : الولد والنساء أسفه السفهاء ، فيكونوا عليكم أربابا .

حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن نبط ، عن الضحاک ، قال : أولادكم ونسأؤكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاک ، قال : النساء والصبيان .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : النساء والولدان .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا ابن أبي عنبسة ، عن الحكم **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : النساء والولدان .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾** أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزائنه ، ولا يملكه المرأة السفية والغلام السفية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن أبي مالك ، قال : النساء والصبيان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : امرأتك وبنيتك ، وقال : السفهاء : الولدان والنساء أسفه السفهاء ، وقال آخرون : بل السفهاء : الصبيان خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : هم اليتامى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : **﴿السفهاء﴾** : اليتامى . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** يقول : لاتنحلوا الصغار .

وقال آخرون : بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك ، قوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : لاتعط ولدك السفية مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى . حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** يقول : لاتسلط السفية من ولدك ، فكان ابن عباس يقول : نزل ذلك في السفهاء ، وليسوا اليتامى من ذلك في شيء .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري أنه قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل أعطى ماله سفية ، وقد قال الله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** رجل كان له على رجل دين ، فلم يشهد عليه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد رضي الله عنه يقول **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** . . . الآية ، قال : لاتعط السفه من ولدك رأسا ولا حائطا ، ولا شيئا هو لك قيا من مالك .
وقال آخرون : بل السفهاء في هذا الموضع : النساء خاصة دون غيرهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أن رجلا عمدا ، فدفع ماله إلى امرأته ، فوضعت في غير الحق ، فقال الله تبارك وتعالى **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد رضي الله عنه **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : النساء .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان ، عن الثوري ، عن حميد ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** قال : هن النساء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾** قال : نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم ، وهن سفهاء من كن أزواجا أو أمهات أو بنات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، قال : المرأة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : النساء من أسفه السفهاء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي عوانة ، عن عاصم ، عن مورك قال : مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة ، فقال لها ابن عمر **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾** .

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه عم بقوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾** فلم يخص سفها دون سفه ، فغير جائز لأحد أن يؤتي سفها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا أو أنثى ، والسفه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله ، هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وإفساده ، وسوء تدبيره ذلك .

ولنما قلنا ما قلنا من أن المعنى بقوله **﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾** هو من وصفنا دون غيره ، لأن الله جل ثناؤه ، قال في الآية التي تتلوها **﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾** فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا النكاح ، وأونس منهم الرشد ، وقد يدخل في اليتامى الذكور والإناث ، فلم يخص بالأمر بدفع مالهم من الأموال ، الذكور

دون الإناث ، ولا الإناث دون الذكور ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم إليهم ، وأجيز للمسلمين مبايعتهم ، ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم ، وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم ، هم المستحقون الحجر ، والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم ، وهم من وصفنا صفتهم قبل ، وأن من عدا ذلك ، فغير سفيه ، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ ، وأونس رشده . وأما قول من قال : عني بالسفهاء النساء خاصة ، فانه جعل اللغة على غير وجهها ، وذلك أن العرب لا تكاد تجمع فعلا على فعلاء ، إلا في جمع الذكور ، أو الذكور والإناث ؛ وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم ، جمعوه على فعائل وفعيلات ، مثل غريبة تجمع غرائب وغربيات ؛ فأما الغرباء فجمع غريب .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ فقال بعضهم : عني بذلك : لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها ، فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ، ولكن ارزقوهم أنتم منها ، إن كانوا ممن تلزمكم نفقته ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا ؛ وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك : منهم أبو موسى الأشعري ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وحضرمي ، وسند ذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يقول : لا تعط امرأتك وولدك مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك ، وأطعمهم من مالك واكسهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ، وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ، وَاکْسُوهُمْ ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يقول : لا تسلط السفیه من ولدك على مالك ، وأمره أن يرزقه منه ويكسوه حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال : لا تعط السفیه من مالك شيئا هو لك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تؤتوا السفهاء أموالهم ، ولكنه أضيف إلى الولاة ، لأنهم قوامها ومدبروها .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ابن جبیر في قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ وقد يدخل في قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أموال المنهين عن أن يؤتوهم ذلك ، وأموال السفهاء ، لأن قوله ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ غير مخصوص

(١) كذا بالنسخ ، والذي في الدر عن سعيد بن جبیر في قوله « ولا تؤتوا السفهاء » قال : هم اليتامى « أموالكم » قال : أموالهم ، بمنزلة قوله « ولا تقتلوا أنفسكم » اه ، وبه يتم دليل الدعوى .

منها بعض الأموال دون بعض ، ولا تمنع العرب أن تخاطب قوما خطابا ، فيخرج الكلام بعضه خبر عنهم وبعضه عن غيب ، وذلك نحو أن يقولوا : أكلتم يافلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى : أنك وأصحابك ، أو وقومك أكلتم أموالكم ، فكذلك قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ معناه : لا تؤتوا أيها الناس سفهاءكم أموالكم ، التي بعضها لكم وبعضها لهم ، فتضيعوها ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بالنهي عن إيتاء السفهاء الأموال كلها ، ولم يخص منها شيئا دون شيء ، كان بينا بذلك أن معنى قوله ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ إنما هو التي جعل الله لكم ولهم قياما ، ولكن السفهاء دخل ذكرهم في ذكر المخاطبين بقوله : لكم .

وأما قوله ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ فإن قياما وقيا وقواما في معنى واحد ، وإنما القيام أصله القوام ، غير أن القاف التي قبل الواو لما كانت مكسورة ، جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، كما يقال : صمت صياما ، وحلت حبالا ، ويقال منه : فلان قوام أهل بيته ، وقيام أهل بيته .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف . وقرأه آخرون ﴿قِيَامًا﴾ بألف ، قال محمد : والقراءة التي نختارها ﴿قِيَامًا﴾ بالألف ، لأنها القراءة المعروفة في قراءة أمصار الإسلام ، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد ، وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ، لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ ، وافقت في المعاني ، فأعجبنا إلينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام .

وبنحو الذي قلناه في تأويل قوله ﴿قِيَامًا﴾ قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال ثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك : ﴿أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ : التي هي قوامك بعد الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ فإن المال هو قيام الناس قوام معاشهم ، يقول : كنت أنت قيم أهلك ، فلا تغط امرأتك مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ يقول الله سبحانه : لا تعتمد إلى مالك ، وما حولك الله ، وجعله لك معيشة ، فتعطيه امرأتك أو بنيك ، ثم تنظر إلى ما في أيديهم ، ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنت الذى تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم وموئنتهم ، قال : وقوله : ﴿قِيَامًا﴾ بمعنى : قوامكم في معاشكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن قوله ﴿قِيَامًا﴾ قال : قيام عيشك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا بكر بن شروذ ، عن ابن مجاهد أنه قرأ ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ بالألف ، يقول : قيام عيشك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴿﴾ قال : لاتعط السفية من ولدك شيئاً هو لك قيم من مالك .

وأما قوله ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ؛ فأما الذين قالوا : إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أولياء السفهاء ، لأموال السفهاء ، فإنهم قالوا : معنى ذلك : وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من أموالكم طعامهم ، وما لا بد لهم منه ، من مؤنهم وكسوتهم ، وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى ، وسند كز من لم يذكر من قائله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾ قال : يقول : أنفقوا عليهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ يقول : أطعمهم من مالك واكسهم .

وأما الذين قالوا : إنما عنى بقوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أوليائهم ، فإنهم قالوا : معنى قوله ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ : وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء ، سفهاءكم من أموالهم ، طعامهم وما لا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم ، وقد مضى ذكر ذلك .

❦ قال أبو جعفر : وأما الذى يراه صواباً فى قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ من التأويل ، فقد ذكرناه ، ودللنا على صحة ما قلنا فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته .

فتأويل قوله ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ على التأويل الذى قلنا فى قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ وألفوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم فى أموالكم ، ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها ، وعلى سفهائكم منهم ، ممن لا تجب عليكم نفقته ، ومن غيرهم الذين تلون أمورهم من أموالهم ، فيما لا بد لهم من مؤنهم فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم ، لأن ذلك هو الواجب من الحكم فى قول جميع الحجة ، لاخلاف بينهم فى ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا فى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ :

❦ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : عدمهم عدة جميلة من البر والصلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وقولوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال : أمروا أن يقولوا لهم قولاً معروفاً في البر والصلة ، يعني النساء ، وهن السفهاء عنده حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿وقولوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال : عدة تعدوهم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادعوا لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وقولوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ إن كان ليس من ولدك ، ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه ، فقل لهم قولاً معروفاً ، قل لهم : عافانا الله وإياك ، وبارك الله فيك .
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصحة ، ما قاله ابن جريج ، وهو أن معنى قوله ﴿وقولوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ : أي قولوا يامعشر ولاية السفهاء ، قولاً معروفاً للسفهاء ، إذ صلحتهم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم ، ونخلينا بينكم وبينها ، فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم ، وما أشبه ذلك من القول ، الذي فيه حث على طاعة الله ، ونهي عن معصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥٦﴾

﴿يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى﴾ : واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم ، وصلاحهم في أديانهم ، وإصلاحهم أموالهم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن في قوله ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى﴾ قالوا : يقول : اختبروا اليتامى .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ابتلوا اليتامى : فجربوا عقولهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى﴾ قال : عقولهم .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى﴾ قال : اختبروهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَابْتَاسُوا إِلَيْتَايَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال : اختبروه في رأيه ، وفي عقله كيف هو إذا عرف أنه قد أنس منه رشد دفع إليه ماله ، قال : وذلك بعد الاحتلام .

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الابتلاء : الاختبار ، بما فيه الكفاية عن إعادته . وأما قوله ﴿إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ فإنه يعنى : إذا بلغوا الحلم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ : حتى إذا احتلموا .

حدثني علي بن داود قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال : عند الحلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال : الحلم .

القول في تأويل قوله ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ :

يعنى بقوله ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ : فإن وجدتم منهم وعرفتم .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ قال : عرفتم منهم ، يقال : أنست من فلان خيرا ، وقرئ بمد الألف إيناسا ، وأنست به أنس إنسا بقصر ألفها إذا ألفه ، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله ﴿فَإِنْ أَحْسَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ بمعنى : أحسستم : أى وجدتم .

واختلف أهل التأويل في معنى الرشد الذى ذكره الله في هذه الآية ، فقال بعضهم : معنى الرشد في هذا الموضع : العقل والصلاح في الدين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ عقولا وصلاحا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ يقول : صلاحا في عقله ودينه .

وقال آخرون : معنى ذلك : صلاحا في دينهم ، وإصلاحا لأموالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : رشدا في الدين وصلاحا وحفظا للمال .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ في حالهم ، والإصلاح في أموالهم .

وقال آخرون : بل ذلك العقل خاصة :

ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : لا تدفع إلى اليتيم ماله ، وإن أخذ بلحيته ، وإن كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : فإن أنستهم منهم رشداً قال : العقل .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو شبرمة ، عن الشعبي ، قال : سمعته يقول : إن الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده .
وقال آخرون : بل هو الصلاح ، والعلم بما يصلحه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : فإن أنستهم منهم رشداً قال : صلاحاً ، وعلماً بما يصلحه .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى الرشدي هذا الموضع : العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله ، وحوز ما في يده عنه ، وإن كان فاجراً في دينه ، وإذا كان ذلك إجماعاً من الجميع ، فكذلك حكمه إذا بلغ ، وله مال في يدي وصي أبيه ، أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته ، واجب عليه تسليم ماله إليه ، إذا كان عاقلاً بالغاً ، مصلحاً لماله ، غير مفسد ، لأن المعنى الذي به يستحق أن يولى على ماله الذي هو في يده ، هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يده ، فإنه لا فرق بين ذلك ، وفي إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله ، وإصلاح ما في يده ، الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له في مثل ذلك الحال ، وإن كان قبل ذلك في يد غيره لا فرق بينهما ، ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول في ذلك ، وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير ، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله ، فإن كان ما وصفنا من الجميع إجماعاً ، فبين أن الرشدي الذي به يستحق اليتيم إذا بلغ ، فأونس منه دفع ماله إليه ، ما قلنا من صحة عقله ، وإصلاح ماله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾ :

يعني بذلك تعالى ذكره : ولاية أموال اليتامى ، يقول الله لهم : فإذا بلغ أيتامكم الحلم ، فأنستهم منهم عقلاً وإصلاحاً لأموالهم ، فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تحبسوها عنهم .

وأما قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾ يعني : بغير ما أباحه الله لكم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ، قال : ﴿ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ﴾ يقول : لا تسرف فيها :

حدثنا محمد بن الحسن ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ إسرافاً قال : يسرف في الأكل ، وأصل الإسراف : تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبيح ، وربما كان ذلك في الإفراط ، وربما كان في التقصير ، غير أنه إذا كان في الإفراط ، فاللغة المستعملة فيه أن يقال : أسرف يسرف إسرافاً ، وإذا كان كذلك في التقصير ، فالكلام منه : سرف يسرف سرفاً ، يقال : مررت بكم فسرفتكم ، يراد منه : فسهوت عنكم وأخطأتكم ، كما قال الشاعر :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ مَا فِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ

يعنى بقوله : ولا سرف : لا خطأ فيه ، يراد به : أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئون بها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَبَدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿وَبَدَارًا﴾ ومبادرة ، وهو مصدر من قول القائل : بادرت هذا الأمر بمبادرة وبدارا ، وإنما يعنى بذلك جل ثناؤه : ولالة أموال اليتامى ، يقول لهم : لاتأكلوا أموالهم إسرافاً ، يعنى : ما أباح الله لكم أكله ، ولا مبادرة منكم بلوغهم ، وإيناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿إِسْرَافًا وَبَدَارًا﴾ يعنى : أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ إسرافاً وبَدَارًا يقول : لاتسرف فيها ، ولا تبادر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَبَدَارًا﴾ تبادرا أن يكبروا ، فيأخذوا أموالهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿إِسْرَافًا وَبَدَارًا﴾ قال : هذه لولى اليتيم خاصة ، جعل له أن يأكل معه ، إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه ، فيذهب بوجهه ، يقول : لأدفع إليه ماله ، وجعلت تأكله تشتهى أكله ، لأنك إن لم تدفعه إليه لك فيه نصيب ، وإذا دفعته إليه ، فليس لك فيه نصيب . وموضع أن في قوله : أن يكبروا نصب بالمبادرة ، لأن معنى الكلام : لاتأكلوها مبادرة كبرهم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ :

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ من ولالة أموال اليتامى على أموالهم ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بماله عن أكلها بغير الإسراف والبدار أن يكبروا ، بما أباح الله له أكلها به :

(١) البيت لجرير (كما في لسان العرب : هند) . والهنيدة : اسم للمائة من الإبل . ويحدوها : يسوقها ثمانية أعبد . والمن : التذكير بالعطاء على جهة الفخر به . والسرف : مجاوزة الحد في الإنفاق . أو الخطأ في الإنفاق ، ووضع الشيء في غير موضعه (وانظر ديوان جرير طبعة الصاوي ص ٣٨٩) .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش وابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ قال : لغناه من ماله ، حتى يستغنى عن مال اليتيم .

وبه قال : حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بغناه حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ قال : من مال نفسه ، ومن كان فقيرا منهم إليها محتاجا ، فليأكل بالمعروف .

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في المعروف الذي أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها ، فقال بعضهم : ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ، ثم يقضيه .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مصرف ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن زهير ، عن العلاء بن المسيب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : هم القرض .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، أنه قال في هذه الآية ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ قال : الذي ينفق من مال اليتيم يكون عليه قرضا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن قوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ قال : إنما هو قرض ، ألا ترى أنه قال ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال : فظننت أنه قالها برأيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو عليه قرض .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن سلمة ، عن علقمة ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : المعروف : : القرض ، ألا ترى إلى قوله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، مثل حديث هشام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعنى : القرض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول : إن كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيئا ، وإن كان فقيرا فليستقرض منه ، فإذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه ، فذلك أكله بالمعروف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : سمعت أبي يذكر عن حماد ، عن سعيد بن جبیر ، قال : يأكل قرضا بالمعروف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن سعيد بن جبیر ، قال : هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاؤه إذا أيسر ، يعنى قوله ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا حماد ، قال : سألت سعيد بن جبیر ، عن هذه الآية ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : إن أخذ من ماله قدر قوته قرضا ، فإن أيسر بعد قضاؤه ، وإن حضره الموت ولم يوسر تحلله من اليتيم ، وإن كان صغيرا تحلله من وليه . حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبیر فليأكل قرضا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبیر ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : هو القرض . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : لا يأكله إلا أن يضطر إليه ، كما يضطر إلى الميتة ، فإن أكل منه شيئا قضاؤه .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله ﴿فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : قرضا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَلْيَسْتَغْفِرْ كُلَّهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : سلفا من مال يتيمة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ابن أبي نجيح ، عن

مجاهد ، وعن حماد ، عن سعيد بن جبیر ﴿فَلَيْسَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قالوا : هو القرض ، قال الثوري ، وقاله الحكم أيضا : ألا ترى أنه قال ﴿يَا إِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ .
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حجاج ، عن مجاهد ، قال : هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاءه إذا أيسر ، يعني ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيْسَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ﴿فَلَيْسَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : القرض ، ألا ترى إلى قوله ﴿يَا إِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ .
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، قال : قرضا .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبیر ، قال : إذا احتاج الولي أو افتقر ، فلم يجد شيئا ، أكل من مال اليتيم ، وكتبه ، فإن أيسر قضاءه ، وإن لم يوسر حتى تحضره الوفاة ، دعا اليتيم ، فاستحل منه ما أكل .
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيْسَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ من مال اليتيم بغير إسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه .
 واختلف قائلو هذا القول في معنى أكل ذلك بالمعروف ، فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، قال : أخبرني من سمع ابن عباس يقول ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيْسَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : بأطراف أصابعه .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله .
 حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْأَلْ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول : فمن كان غنيا من ولي مال اليتيم فليستعفف عن ماله ، ومن كان فقيرا من ولي مال اليتيم ، فليأكل معه بأصابعه ، لا يسرف في الأكل ، ولا يلبس .
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا حرمي بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، عن عمار ، عن عكرمة في مال اليتيم يدك مع أيديهم ، ولا تتخذ منه قلنسوة .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء وعكرمة ، قالوا : تضع يدك مع يده .
 وقال آخرون : بل المعروف في ذلك ، أن يأكل ما يستدّ جوعه ، ويلبس ما واري العورة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ، قال : إن المعروف ليس يلبس الكتان ولا الحلل ، ولكن ما سدّ الجوع ووارى العورة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : ليس المعروف يلبس الكتان والحلل ، ولكن المعروف ما سدّ الجوع ووارى العورة .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن مغيرة ، عن إبراهيم نحوه .
حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو معبد ، قال : سئل مكحول عن وليّ اليتيم ، ما أكله بالمعروف إذا كان فقيراً ؟ قال : يده مع يده ، قيل له : فالكسوة ؟ قال : يلبس من ثيابه ، فأما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله ﴿ فَلْيَسَاءَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : ما سدّ الجوع ، ووارى العورة ، أما أنه ليس لبوس الكتان ، والحلل .
وقال آخرون : بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم ابن محمد ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أموال أيتام ، وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس : أأنت تبغى ضالتها ، قال : بلى ، قال : أأنت تنها جرباها ؟ قال : بلى ، قال : أأنت تليط أحياضها ؟ قال : بلى ، قال : أأنت تفرط عليها يوم ورودها ؟ قال : بلى ، قال : فأصب من رسلها ، يعني : من لبنها .
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، قال : جاء أعرابي إلى ابن عباس ، فقال : إن في حجري أيتاما ، وإن لهم إبلًا ، ولي إبل ، وأنا أمنع من إبل فقراء ، فإذا يحلّ لي من ألبانها ، قال : إن كنت تبغى ضالتها ، ونها جرباها ، وتلوط أحوضها ، وتسعى عليها ، فاشرب غير مضر بنسل ، ولا ناهك في الحلب .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية في هذه الآية ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسَاءَ كُلُّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : من فضل الرسل والثمره .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية في وإلى مال اليتيم ، قال : يأكل من رسل الماشية ، ومن الثمرة لقيامه عليه ، ولا يأكل من المال ، وقال : ألا ترى أنه قال ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود ، عن ربيع أبي العالية ٢ ، قال :

(١) لا ط الحوض يلوطه وفي رواية يليطه : أصلحه وملسه بالطين .

(٢) ربيع بن مهران ، كنيته أبو العالية . وفي الأصل : عن أبي العالية .

رخص لوليّ اليتيم أن يصيب من الرسل ، ويأكل من الثمرة ؛ وأما الذهب والفضة فلا بدّ أن تردّ ، ثم قرأ ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ألا ترى أنه قال : لا بدّ من أن يدفع .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه قال : إنما كانت أموالهم أدخل النخل والماشية ، فرخص لهم إذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : إذا كان فقيرا أكل من الثمر ، وشرب من اللبن ، وأصاب من الرسل .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ذكر لنا أن عمّ ثابت بن رفاعه ؛ وثابت يومئذ يقيم في حجره من الأنصار ، أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبيّ الله ، إن ابن أخي يقيم في حجرى ، فما يحلّ لى من ماله ؟ قال : « أن تأكل بالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْصِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ ، وَلَا تَتَّخِذَ مِنْ مَالِهِ وَفَرًا » وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل ، فيقوم وليه على صلاحه وسقيه ، فيصيب من ثمرته ، أو تكون له الماشية ، فيقوم وليه على صلاحها ، أو يلى علاجها وموئنتها فيصيب من جذاذها وعوارضها ورسليها ، فأما رقاب المال وأصول المال ، فليس له أن يستهلكه .

حدثت عن الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعنى : ركوب الدابة وخدمة الخادم ، فإن أخذ من ماله قرضا فى غنى ، فعليه أن يؤدّيه ، وليس له أن يأكل من ماله شيئا . وقال آخرون منهم : له أن يأكل من جميع المال إذا كان يلى ذلك ، وإن أتى على المال ولا قضاء عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن صبيح ، عن أبي إدريس ، عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا ، عن القاسم بن محمد ، قال : سئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عما يصلح لوليّ اليتيم ؟ قال : إن كان غنيا فليستعفف ، وإن كان فقيرا فليأكل بالمعروف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب كان يقول : يحلّ لوليّ الأمر ما يحلّ لوليّ اليتيم ، من كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الفضل بن عطية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال : إذا احتاج فليأكل بالمعروف ، فإن أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن

عكرمة والحسن البصرى ، قال : ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى ، فقال ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْأَلْ كُلُّهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ومعروف ذلك : أن يتقى الله في يتيمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه كان لا يرى قضاء على وليّ اليتيم إذا أكل وهو محتاج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ﴿ فَلْيَسْأَلْ كُلُّهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ في الوصى قال : لا قضاء عليه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْأَلْ كُلُّهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : إذا عمل فيه وليّ اليتيم أكل بالمعروف . حدثنا بشر بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : إذا احتاج أكل بالمعروف من المال ، طعمة من الله له .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن البصرى ، قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن في حجرى يتيما أفأضربه ؟ قال : «فِيمَا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ» ، قال : أفأصيب من ماله ؟ قال : بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا ، وَلَا وَاكِ مَالِكَ بِمَالِهِ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن الزبير بن موسى ، عن الحسن البصرى ، مثله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء أنه قال : يضع يده مع أيديهم ، فيأكل معهم . كقدر خدمته ، وقدر عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : وليّ اليتيم إذا كان محتاجا يأكل بالمعروف لقيامه بماله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْأَلْ كُلُّهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال : إن استغنى كفى ، وإن كان فقيرا أكل بالمعروف ، قال : أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم ، وحفظه إياها ، يأكل مما يأكلون منه ، وإن استغنى كفى عنه ، ولم يأكل منه شيئا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال بالمعروف الذى عناه الله تبارك وتعالى في قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَسْأَلْ كُلُّهُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ : أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه على وجه الاستقراض منه ، فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله ، وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمة إلا القيام بمصلحته ؛ فلما كان إجماعا منهم أنه غير مالكة ، وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيم كان رب المال أو مدركا رشيدا ، وكان عليه إن تعدى

فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه بإجماع من الجميع ، وكان والى اليتيم سبيله سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمة ، كان كذلك حكمه ، فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه سبيله ، سبيل غيره وإن فارقه في أن له الاستقراض منه عند الحاجة إليه ، كماله الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه إذا كان قيا بما به مصلحته ، ولا معنى لقول من قال : إنما عني بالمعروف في هذا الموضع أكل والى اليتيم ، من مال اليتيم ، لقيامه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه ، لأن والى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه ، للقيام بأمره ، إذا كان اليتيم محتاجا إلى ذلك بأجرة معلومة ، كما يستأجر له غيره من الأجراء ، وكما يشتري له من نصيبه غنيا كان والى أو فقيرا ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ على أن أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة ، وكانت الحال التي للولاية أن يؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء ، غير مخصوص بها حال غنى ، ولا حال فقر ، كان معلوما أن المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كل أحوالهم ، غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال . ومن أبي ما قلنا ، ممن زعم أن لولى اليتيم أكل مال يتيمة عند حاجته إليه ، على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية ؟ قيل له : أجمع على أن الذي قلت تأويل قوله ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فإن قال لا ، قيل له : فما برهانك على أن ذلك تأويله ، وقد علمت أنه غير مالك مال يتيمة ؟ فإن قال : لأن الله أذن له بأكله ، قيل له : أذن له بأكله مطلقا ، أم بشرط ، فإن قال بشرط ، وهو أن يأكله بالمعروف ، قيل له : وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الخالفين ، إن ذلك هو أكله قرضا وسلفا ، ويقال لهم أيضا مع ذلك : أرأيت المولى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتية ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها ، كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فأجتموها لهم ، فإن قالوا ذلك لهم ، خرجوا من قول جميع الحجة ، وإن قالوا ليس ذلك لهم ، قيل لهم : فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى ، وحكم ولاتهم واحد ، في أنهم ولالة أموال غيرهم ، فلن يقولوا في أحدهم شيئا إلا ألزموا في الآخر مثله ، ويسئلون كذلك عن المحجور عليه ، هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه نحو سؤلناهم عن أموال المجانين والمعاتية .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ : قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا دفعتم يا معشر ولالة أموال اليتامى إلى اليتامى أموالهم ، فأشهدوا عليهم ، يقول : فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم ، ودفعكموه إليهم . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ يقول : إذا دفع إلى اليتيم ماله ، فليدفعه إليه بالشهود ، كما أمره الله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يُشهدهم ، وإلى اليتيم على دفعه مال يتيمة إليه . كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَكُفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ يقول : شهيدا ، يقال منه : قد أحسبني الذي عندي ، يراد به : كفاي ، وسمع من العرب : لأحسبكنم من الأسودين ، يعني به : من الماء والتمر ، والمحسب من الرجال : المرتفع الحسب ، والمحسب : المكفي .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

﴿٧﴾ يعني بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه ، وللإناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده ، وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة ؛ وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية ، كانوا يورثون الذكور دون الإناث .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : كانوا لا يورثون النساء ، فنزلت ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : نزلت في أم كُحَّة وابنة كُحَّة وثعلبة وأوس بن سويد ، وهم من الأنصار ، كان أحدهم زوجها ، والآخر عمّ ولدها ، فقالت : يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته ، فلم نورث ، فقال عمّ ولدها : يا رسول الله لا تركب فرسا ، ولا تحمل كلا ، ولا تنكأ عدواً يكسب عليها ، ولا تكتسب ، فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ قال : كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء ، وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وإن كان ذكرا ، فقال الله تبارك وتعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ إلى قوله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ .

﴿٧﴾ قال أبو جعفر : ونصب قوله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر ، كقول القائل : لك على حق واجب ، ولو كان مكان قوله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ اسم صحيح لم يجز نصبه ، لا يقال : لك عندي حق درهما ، فقوله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ كقوله : نصيبا فريضة وفرضا ، كما يقال : عندي درهم هبة مقبوضة .

(١) نكأت المدو أنكزهم ، من باب فتح : لغة في نكيتهم : أكثرت فيهم الجراح والقتل ، فوهنوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾

❦ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية ، هل هو محكم ، أو منسوخ ؟ فقال بعضهم : هو محكم .

ذكر من قال ذلك

ثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الشيباني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : محكمة ، وليست منسوخة ، يعني قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ . . . الآية .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي ، قالا : هي محكمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث .

وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ قال : هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي ، قالا : هي محكمة ليست بمنسوخة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ، عن سفيان ، وثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه سئل عن قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ فقال سعيد : هذه الآية يتهاون بها الناس ، قال : وهما وليان : أحدهما يرث ، والآخر لا يرث ، والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم ، قال : يعطيهم قال : والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولا معروفا ، وهي محكمة ، وليست بمنسوخة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم بنحو ذلك ، وقال : هي محكمة وليست بمنسوخة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطرف ، عن الحسن ، قال : هي ثابتة ، ولكن الناس بخلوا وشحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور والحسن ، قالوا : هي محكمة ، وليست بمنسوخة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هي قائمة يعمل بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ ما طابت به الأنفس حقا واجبا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالوا في قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ قال : هي محكمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن قتادة ، عن يحيى بن يعمر ، قال : ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس : هذه الآية ، وآية الاستئذان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، وهذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هي ثابتة . وقال آخرون : منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالوا : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد أنه قال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ ﴾ قال : كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث ، فلما أنزل الله المواريث لأهلها جعلت الوصية لذوى القرابة الذين يحزنون ولا يرثون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن قتادة ، قال : سألت سعيد بن المسيب ، عن هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ ﴾ قال : هي منسوخة حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث ، فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : نسختها آية الميراث .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، مثله .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ . . . الآية ، إلى قوله (قَوْلًا مَعْرُوفًا) ، وذلك قبل

أن تنزل الفرائض ، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض ، فأعطى كل ذي حق حقه ، فجعلت الصدقة فيما سمي المتوفى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، قال : نسختها المواريث .

وقال آخرون : هي محكمة وليست بمنسوخة ، غير أن معنى ذلك : وإذا حضر القسمة ، يعنى بها : قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به ، قالوا : وأمر بأن يجعل وصيته في ماله ، لمن سماه الله تعالى في هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ابن محمد ، أن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية ، فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه ، وتلا هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ قال القاسم : فذكرت ذلك لابن عباس ، فقال : ما أصاب إنما هذه الوصية ، يريد الميت أن يوصى لقرباته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرني ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد ، أخبره أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ، فذكر نحوه .

حدثنا عمران بن موسى الصفار ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب في قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ﴾ قال : أمر أن يوصى بثله في قرباته .

حدثنا ابن المبارك ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : إنما ذلك عند الوصية في ثلثه .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن المسيب ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ قال : هي الوصية من الناس .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ﴾ قال : القسمة : الوصية ، كان الرجل إذا أوصى قالوا : فلان يقسم ماله ، فقال : ارزقوهم منه ، يقول : أوصوا لهم ، يقول للذي يوصى ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ فإن لم توصوا لهم ، فقولوا لهم خيرا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال : هذه الآية محكمة غير منسوخة ، وإنما

عنى بها : الوصية لأولى قربي الموصى ، وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، أن شيئا من

أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتنا في كتابه ، أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن

يقال له ناسخ لحكم آخر ، أو منسوخ لحكم آخر ، إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ ، والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه ، غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه ، وإن كان جائزا صرفه إلى غير النسخ ، أو يقوم بأن أحدهما ناسخ ، والآخر منسوخ ، حجة يجب التسليم لها ، وإذا كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع ، وكان قوله تعالى ذكره ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ محتملا أن يكون مرادا به : وإذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية ، أو لوقربته ، واليتامى والمساكين ، فارزقوهم منه ، يراد : فأوصوا لأولى قرابتكم الذين لا يرثونكم منه ، وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً ، كما قال في موضع آخر : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ولا يكون منسوخاً بآية الميراث لم يكن لأحد صرفه إلى أنه منسوخ بآية الميراث ، إذ كان لادلالة على أنه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة ، وهو محتمل من التأويل ما بينا . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة الموصى ماله بالوصية أو لوقربته واليتامى والمساكين ، فارزقوهم منه ، يقول : فاقسموا لهم منه بالوصية ، يعنى : فأوصوا لأولى القربى من أموالكم ، وقولوا لهم ، يعنى الآخرين وهم اليتامى والمساكين ، قولاً معروفاً ، يعنى : يدعى لهم بخير ، كما قال ابن عباس ، وسائر من ذكرنا قوله قبل . وأما الذين قالوا : إن الآية منسوخة بآية الميراث ، والذين قالوا : هى محكمة ، والمأمور بها ورثة الميت ، فانهم وجهوا قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ يقول : فأعطوهم منه ، وقولوا لهم قولاً معروفاً ، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك ، وسند ذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة موارثهم أن يصلوا أرحامهم ويتأملهم من الوصية إن كان أوصى ، وإن لم تكن وصية وصل إليهم من موارثهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ . . . الآية ، يعنى : عند قسمة الميراث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، أن أباه أعطاه من ميراث المصعب حين قسم ماله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يرضخون لهم عند القسمة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، عن حطان : أن أبا موسى أمر أن يعطوا إذا حضر قسمة الميراث أو لوقربى واليتامى والمساكين والحيوان من الفقراء .

(١) يرضخون لهم : يعطونهم عطاء يسيراً .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، وابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن حطان بن عبد الله الرقاشي ، قال : قسم أبو موسى بهذه الآية ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ويحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن حطان ، عن أبي موسى في هذه الآية ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ . . . الآية ، قال : قضى بها أبو موسى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن العلاء بن بدر في الميراث ، إذا قسم قال : كانوا يعطون منه التابوت ، والشئ الذي يستحيا من قسمته .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن الحسن وسعيد بن جبير ، كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي العالية والحسن ، قالوا : يرضخون ويقولون قولا معروفا في هذه الآية ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ ، ثم اختلف الذين قالوا : هذه الآية محكمة ، وإن القسمة لأولى القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث إن كان بعض أهل الميراث صغيرا ، فقسم عليه الميراث ولّى ماله ، فقال بعضهم : ليس لولّى ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيئا ، لأنه لا يملك من المال شيئا ، ولكنه يقول لهم قولا معروفا ، قالوا : والذي أمره الله بأن يقول لهم معروفا ، هو ولّى مال اليتيم ، إذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم ، إلا أن يكون ولّى ماله أحد الورثة ، فيعطيه من نصيبه ، ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من أنصباهم ، قالوا : فأما من مال الصغير الذي يولى على ماله لا يجوز لولّى أن يعطيهم منه شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السديّ ، عن أبي سعيد ، قال : سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ قال : إن كان الميت أوصى لهم بشئ أنفذت لهم وصيتهم ، وإن كان الورثة كبارا رخصوا لهم ، وإن كانوا صغارا ، قال وليهم : إني لست أملك هذا المال وليس لي ، وإنما هو للصغار ، فذلك قوله ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال : هما وليان : ولّى يرث ، وولّى لا يرث ، فأما الذي يرث فيعطى ، وأما الذي لا يرث ، فقولوا له قولا معروفا .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن داود ، عن الحسن وسعيد بن جبير ، كانا

يقولان ذلك عند قسمة الميراث ، إن كان الميراث لمن قد أدرك ، فله أن يكسر منه ، وأن يطعم الفقراء والمساكين ، وإن كان الميراث ليتامى صغار ، فيقول الولي : إنه ليتامى صغار ، ويقول لهم قولاً معروفاً .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي سعيد ، عن سعيد بن جبیر ، قال : إن كانوا كباراً رضخوا ، وإن كانوا صغاراً اعتذروا إليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سليمان الشيباني ، عن عكرمة ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى ﴾ قال : كان ابن عباس يقول : إذا ولي شيئاً من ذلك يرضخ لأقرباء الميت ، وإن لم يفعل اعتذر إليهم ، وقال لهم قولاً معروفاً .

حدثنا أحمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ هذه تكون على ثلاثة أوجه : أما الأول : فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم . وأما الثاني : فانهم يحضرون فيقتسمون إذا كانوا رجالاً ، فيبغى لهم أن يعطوهم . وأما الثالث : فتكون الورثة صغاراً ، فيقوم وليهم إذا قسم بينهم ، فيقول للذين حضروا حقكم حقاً وقرباكم قرابة ، ولو كان لي في الميراث نصيب لأعطيتكم ، ولكنهم صغار ، فإن يكبروا فسيعرفون حقكم ، فهذا القول المعروف .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن سعيد أنه قال ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ قال : إذا كان الوارث عند القسمة ، فكان الإناء والشئ الذي لا استطاع أن يقسم فليرضخ لهم ، وإن كان الميراث لليتامى ، فليقل لهم قولاً معروفاً .

وقال آخرون منهم : ذلك واجب في أموال الصغار والكبار ، لأولى القربى واليتامى والمساكين ، فإن كان الورثة كباراً ، تولوا عند القسمة إعطاءهم ذلك ، وإن كانوا صغاراً تولي إعطاء ذلك منهم ولي ما لهم ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس في قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ فحدث عن محمد ، عن عبيدة أنه ولي وصية ، فأمر بشاة فذبحت ، وصنع طعاماً لأجل هذه الآية ، وقال : لولا هذه الآية لكان هذا من مالي ، قال : وقال الحسن : لم تنسخ ، كانوا يحضرون ، فيعطون الشئ والثوب الخلق ، قال يونس : إن محمد بن سيرين ولي وصية ، أو قال أيتاماً ، فأمر بشاة فذبحت ، فصنع طعاماً ، كما صنع عبيدة .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن محمد ، أن عبيدة قسم ميراث أيتام ، فأمر بشاة فاشتريت من ما لهم ، وبطعام فصنع ، وقال : لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ ... الآية ، فكان من ذهب من القائلين ، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبیر ، ومن قال :

يرضخ عند قسمة الميراث لأولى القربى واليتامى والمساكين تأول قوله ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ : فأعطوهم منه وكان الذين ذهبوا إلى ما قال عبدة وابن سيرين ، تأولوا قوله ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ : فأطعموهم منه .
واختلفوا في تأويل قوله ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ فقال بعضهم : هو أمر من الله تعالى ذكره ولاية اليتامى أن يقولوا لأولى قرابتهم واليتامى والمساكين إذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الأموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها ، أن يعتذروا إليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار .
كما حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال : هو الذي لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا ؛ قال : يقول : إن هذا المال لقوم غيب ، أو ليتامى صغار ولكم فيه حق ، ولسنا نملك أن نعطيكم منه شيئا ، قال : فهذا القول المعروف .

وقال آخرون : بل المأمور بالقول المعروف الذي أمر جل ثناؤه أن يقال له ، هو الرجل الذي يوصى في ماله ، والقول المعروف ، هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير ، وقد ذكرنا قائل ذلك أيضا فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا

سَدِيدًا ①

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : وليخش الذين يخضرون موصيا يوصى في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية به فيمن لا يرثه ، ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده ، كما لو كان هو الموصى ، يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ، وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتياال .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ . . . إلى آخر الآية ، فهذا في الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصى بوصية تضر بورثته ، فأمر الله سبحانه الذي يسمعه أن يتق الله ويوفقه ، ويسدده للصواب ، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيعة .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ يعني :

الذى يحضره الموت ، فيقال له : تصدّق من مالك ، وأعتق ، وأعط منه في سبيل الله ، ففهموا أن يأمره بذلك ، يعنى : أن من حضر منكم مريضا عند الموت ، فلا يأمره أن ينفق ماله في العتق ، أو الصدقة ، أو في سبيل الله ، ولكن يأمره أن يبين ماله ، وما عليه من دين ، ويوصى في ماله لذوى قرابته الذين لا يرثون ، ويوصى لهم بالخمسة أو الربع ، يقول : أليس يكره أحدكم إذا مات وله ولد ضعاف ، يعنى صغار ، أن يتركهم بغير مال ، فيكونوا عيالا على الناس ، فلا ينبغي أن تأمره بما لا ترضون به لأنفسكم ، ولا أولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ قال : يقول : من حضر ميتا فليأمره بالعدل والإحسان ، ولينه عن الحيف والجور في وصيته ، وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ قال : إذا حضرت وصية ميت ، فمره بما كنت أمرا نفسك بما تتقرب به إلى الله ، وخف في ذلك ما كنت خائفا على ضعفك لو تركتهم بعدك ، يقول : فاتق الله وقل قولا سديدا ، إن هو زاع .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ ، فَلْيَسَخُشُوا اللَّهَ وَلْيَسَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا الرجل يحضره الموت ، فيحضره القوم عند الوصية ، فلا ينبغي لهم أن يقولوا له : أوص بمالك كله ، وقدم لنفسك ، فإن الله سيرزق عيالك ، ولا يتركوه يوصى بماله كله ، يقول للذين حضروا ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا ، لا شيء لهم الضيعة بعده ، فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم ، فيقول له القول السديد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، قال : ذهبت أنا والحكم ابن عيينة إلى سعيد بن جبیر ، فسألناه عن قوله ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ . . . الآية ، قال : قال الرجل يحضره الموت ، فيقول له من يحضره : اتق الله ، صلهم ، أعطهم برهم ، ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لأولادهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبیر في قوله ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ قال : يحضرهم اليتامى فيقولون : اتق الله وصلهم وأعطهم ، فلو كانوا هم لأحبوا أن يبقوا لأولادهم .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَلْيَسَخُشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ . . . الآية ، يقول : إذا حضر أحدكم

من حضره الموت عند وصيته ، فلا يقل : أعتق من مالك ، وتصدق ، فيفرق ماله ، ويدع أهله عيلاً ، ولكن مروه ، فليكتب ماله من دين وما عليه ، ويجعل من ماله لذوي قرابته خمس ماله ، ويدع سائر لورثته .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ . . . الآية ، قال : هذا يفرق المال حين يقسم ، فيقول الذين يحضرون : أقللت زد فلانا ، فيقول الله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال في ولده بالعدل إذا أكثر أبق على ولدك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وليخش الذين يحضرون الموصي وهو يوصي ، الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفا ، فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم ، أن ينهوه عن الوصية لأقربائه ، وأن يأمره بامساك ماله ، والتحفظ به لولده ، وهم لو كانوا من أقرباء الموصي ، لسرهم أن يوصي لهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، قال : ذهبت أنا والحكم ابن عيينة ، فأتينا مقسما ، فسألناه ، يعني عن قوله ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾ . . . الآية ، فقال ما قال سعيد بن جبیر ، فقلنا كذا وكذا ، فقال : ولكنه الرجل يحضره الموت ، فيقول له من يحضره : اتق الله وأمسك عليك مالك ، فليس أحد أحق بمالك من ولدك ، ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم ، لأحبوا أن يوصي لهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : قال مقسم : هم الذين يقولون : اتق الله وأمسك عليك مالك ، فلو كان ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصي لهم .
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي ، وقرأ ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾ قال : قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لأهلها ، كما أن لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة ، لأحب أن يوصي لهم ، وإن كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذي يحق عليه ، فإن ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه ، فليتنق الله هو ، فليأمره بالوصية وإن كان هو الوارث ، أو نحوه من ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أمر من الله ولاية اليتامى أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم ، ولا يأكلوا أموالهم إسرافا وبدارا أن يكبروا ، وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاية ولده الصغار بعدهم لهم بالإحسان إليهم ، لو كانوا هم الذين ماتوا ، وتركوا أولادهم يتامى صغارا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ يعني بذلك :

الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف ، يخاف عليهم العيلة والضيعة ، ويخاف بعده أن لا يحسن إليهم من يليهم ، يقول : فان ولى مثل ذريته ضعافا يتامى ، فليحسن إليهم ، ولا يأكل أموالهم إسرافا وبدارا ، خشية أن يكبروا ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولاً سديداً .

وقال آخرون : معنى ذلك : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، يكفيهم الله أمر ذريتهم بعدهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن عطية بن دريج بن عطية ، قال : ثنى عمى محمد بن دريج ، عن أبيه ، عن الشيباني ، قال : كنا بالقسطنطينية أيام مسامة بن عبد الملك ، وفينا ابن محيريز وابن الديلمي وهاني بن كلثوم ، قال : فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان ، قال : فضقت ذرعاً بما سمعت ، قال : فقلت لابن الديلمي : يا أبا بشر بودى أنه لا يولد لي ولد أبداً ، قال : فضرب بيده على منكبي وقال : يا ابن أخي لا تفعل ، فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل ، إلا وهى خارجة إن شاء وإن أبى ، قال : ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله منه ، وإن تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك ؟ قال : قلت بلى ، قال : فتلا عند ذلك هذه الآية ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ، فليستقوا الله وليستقوا قولاً سديداً .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالآية قول من قال : تأويل ذلك : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم في حياتهم ، أو قسموها وصية منهم بها لأولى قربتهم ، وأهل اليتيم والمسكنة ، فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب ، فليأمرؤا من حضروه ، وهو يوصى لذوى قرابته ، وفي اليتامى والمساكين ، وفي غير ذلك بما له بالعدل ، وليتقوا الله ، وليقولوا قولاً سديداً ، وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية ، وما اختاره المؤمنون من أهل الإيمان بالله وبكتابه وسنته .

ولمّا قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل ، من أن معنى قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين ، فأوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الأدلة ، فإذا كان ذلك تأويل قوله ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ﴾ . . . الآية ، فالواجب أن يكون قوله تعالى ذكره ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ، بما أذنهم فيه ، إذ كان ذلك عقيب الآية التى قبلها في حكم الوصية ، وكان أظهر معانيه ما قلنا ، فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى مع اشتباه معانيهما من صرف حكمه إلى غيره بما هو له غير مشبه .
وبمعنى ما قلنا فى تأويل قوله ﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ قال من ذكرنا قوله فى مبتدأ تأويل هذه الآية ، وبه كان ابن زيد يقول .

(١) لم أجده أحداً من رجال هذا السند إلى دريج ، فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ قال : يقول قولاً سديداً ، يذكر هذا المسكين وينفعه ، ولا يححف بهذا اليتيم وارث المؤدى ، ولا يضر به ، لأنه صغير لا يدفع عن نفسه ، فانظر له كما تنظر إلى ولدك لو كانوا صغاراً ، والسديد من الكلام : هو العدل والصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿ يعني بذلك جل ثناؤه ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴿ يقول : بغير حق ﴾ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴿ يوم القيامة ، يأكلهم أموال اليتامى ظلماً في الدنيا نار جهنم ﴾ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ قال : إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلماً ، يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ، ومن مسامعه ، ومن أذنيه وأنفه وعينه ، يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني أبوهارون العبدى ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به ، قال : « نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقَتُومٍ لَهُمْ مَشَافِيرُ كَمَشَافِيرِ الْإِبِلِ ، وَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مِنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْفَلِهِمْ ، قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ قال : قال أبي : إن هذه لأهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ، ويأكلون أموالهم .

وأما قوله ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ فإنه مأخوذ من الصلا ، والصلا : الاصطلاء بالنار ، وذلك التسخن بها ، كما قال الفرزدق :

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيَرِيضَ فِيهَا وَالصَّلَا مُتَكَنِّفٌ ١

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٦٠) يقول : قاتل الكلب أهله عن النار من شدة البرد ، والصلا بفتح الصاد مقصور الصلا بكسرهما : مقاساة حر النار . قال في اللسان : إذا كسرت مددت ، وإذا فتحت قصرت . وأنشد بيت الفرزدق ، ونسبه إلى امرئ القيس خطأ (انظر : صلى) .

وَصَالِيَةً لِلصَّلَاةِ

وكما قال العجاج :

ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الأمور ، من حرب أو قتال أو خصومة ، أو غير ذلك ،

كما قال الشاعر :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بَحَرَهَا الْيَوْمَ صَالِي

فجعل ما باشر من شدة الحرب وإجراء القتال ، بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ بفتح الياء

على التأويل الذي قلنا ، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ بضم الياء ، بمعنى يحرقون من قولهم : شاة مصلية ، يعني : مشوية .

قال أبو جعفر : والفتح بذلك أولى من الضم لإجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا

الْأَشْقَى﴾ ولدلالة قوله ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ على أن الفتح بها أولى من الضم . وأما السعير :

فإنه شدة حر جهنم ، ومنه قيل : استعرت الحرب : إذا اشتدت ، وإنما هو مسعور ، ثم صرف إلى سعير ، قيل : كف خضيب ، ولحية دهن ، وإنما هي مخضوبة صرفت إلى فعيل .

فتأويل الكلام إذا : وسيصلون نارا مسعرة : أي موقودة مشعلة ، شديدا حرها .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ فوصفها بأنها مسعورة ،

ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها ، وهي كذلك ، فالسعير إذا في هذا الموضع صفة للجحيم على ما وصفنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِابْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ : يعهد الله إليكم ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ يقول يعهد إليكم ربكم إذا مات الميت منكم ، وخلف أولادا ذكورا وإناثا ، فلولده الذكور والإناث ميراثه أجمع بينهم ، للذكر منهم مثل حظ الأنثيين ، إذا لم يكن له وارث غيرهم ، سواء فيه صغار ولده

(١) البيت للحارث بن عباد البكري من قصيدة قالها في حرب وائل . (مجموع أشعار العرب ١ : ٥٩) . والنعامة : اسم فرسه

التي يحارب عليها . وجناتها : الذين شبوا ناراها وأوقدوها . وصالي : محترق بنارها .

وكبارهم وإنّهم في أن جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظّ الأنثيين، ورفع قوله : « مثل » ، بالصفة ، وهي اللام التي في قوله ﴿لِلذَّكَرِ كَرِهُنَّ﴾ ولم ينصب بقوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ لأن الوصية في هذا الموضع عهد وإعلام بمعنى القول ، والقول لا يقع على الأسماء المخبر عنها ، فكأنه قيل : يقول الله تعالى ذكره : لكم في أولادكم للذكر منهم مثل حظّ الأنثيين ، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبينا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة ، على ما بين ، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقى العدو ، ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ، ولا للنساء منهم ، وكانوا يخصصون بذلك المقاتلة دون الذرية ، فأخبر الله جلّ ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا في هذه الآية ، وفي آخر هذه السورة ، فقال في صغار ولد الميت وكبارهم وإنّهم ، لهم ميراث أبيهم ، إذا لم يكن له وارث غيرهم ، للذكر مثل حظّ الأنثيين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين : قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ، ولا الصغار من الغلمان ، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر ، وترك امرأة يقال لها أم كحّة وترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة يأخذون ماله ، فشكت أم كحّة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ ثم قال في أم كحّة ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَ كُنَّ إِثْنًا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ﴾ .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم ، وقالوا : تعطى المرأة الربع والثلث ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة ، اسكتوا عن هذا الحديث ، لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه ، أو نقول له فيغيره ، فقال بعضهم : يا رسول الله ، أنعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ، ولا تقاتل القوم ، ونعطى الصبي الميراث ، وليس يغني شيئا وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ، لا يعطون الميراث إلا من قاتل ، ويعطونه الأكبر فالأكبر .

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل أن المال كان للولد قبل نزوله ، وللوالدين الوصية ، فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أو عطاء ،

(١) في تاج العروس ، أم كحّة ، بالضم : امرأة نزلت في شأنها الفرائض .

عن ابن عباس في قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس مع الولد ، وللزوج الشطر ، والرابع ، وللزوجة الربع والثلث .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ قال : كان ابن عباس يقول : كان المال وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ما حدثنا به محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض ، فتوضأ ونضح على من وضوئه فأفقت ، فقلت : يا رسول الله إنما يرثني كلاله ، فكيف بالميراث ، فنزلت آية الفرائض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة يمشيان ، فوجداني لأعقل ، فدعا بوضوء فتوضأ ، ثم رش على فأفقت ، فقلت : يا رسول الله كيف أصنع في مالي ؟ فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ﴾ :
يعنى بقوله ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ فإن كان المتروكات نساء فوق اثنتين ، ويعنى بقوله نساء : بنات الميت فوق اثنتين ، يقول : أكثر في العدد من اثنتين ، فلهن ثلثا ما ترك ، يقول : فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته إذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن .

واختلف أهل العربية في المعنى بقوله ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ فقال بعض نحوي البصرة بنحو الذي قلنا ، فإن كان المتروكات نساء ، وهو أيضا قول بعض نحوي الكوفة .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : فإن كان الأولاد نساء ، وقال : إنما ذكر الله الأولاد ، فقال ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ثم قسم الوصية ، فقال ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ وإن كان الأولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الأولاد .

قال أبو جعفر : والقول الأول الذي حكيناه عن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي ، لأن قوله : وإن كن ، لو كان معنيا به الأولاد ، لقليل : وإن كانوا ، لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث ، وإذا ذلك كذلك ، وإنما يقال : كانوا لا كن .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ :

يعنى بقوله : وإن كانت المتروكة ابنة واحدة ، فلها النصف ، يقول : فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه إذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكر ولا أنثى .

فإن قال قائل : فهذا فرض الواحدة من النساء ، وما فوق الاثنين ، فأين فريضة الاثنين ؟ قيل : فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك . وأما قوله ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ فإنه يعنى : ولأبوى الميت ، لكل واحد منهما السدس من تركته ، وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد ، لا يزداد واحد منهما على السدس إن كان له ولد ذكر أو ولد أو أنثى ، واحدا كان أو جماعة .

فإن قال قائل : فإذا كان كذلك التأويل ، فقد يجب أن لا يزداد الوالد مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت ، وذلك إن قلته قول خلاف لما عليه الأمة مجمعون من تصييرهم باقى تركه الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها لوالده أجمع ؟ قيل : ليس الأمر فى ذلك كالذى ظننت ، وإنما لكل واحد من أبوى الميت السدس من تركته مع ولده ذكر أو ولد أو أنثى ، واحدا كان أو جماعة ، فريضة من الله له مسماة ، فإن زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة إذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فإنما زيدها ثانيا لقرب عصبية الميت إليه ، إذ كان حكم كل ما أبقتة سهام الفرائض ، فلاولى عصبية الميت ، وأقربهم إليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الأب أقرب عصبية ابنه وأولاهها به إذا لم يكن لابنه الميت ابن .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ﴾ : فإن لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى ، وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ يقول : فلأُمّه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك .

فإن قال قائل : فمن الذى له الثلثان الآخران ؟ قيل له الأب . فإن قال قائل : بماذا ؟ قلت : بأنه أقرب أهل الميت إليه ، ولذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان ، إذ كان قد بين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده أن كل ميت فأقرب عصبته به أولى بميراثه بعد إعطاء ذوى السهام المفروضة سهامهم من ميراثه ، وهذه العلة هى العلة التى من أجلها سُمى للأم مسمى لها ، إذا لم يكن الميت خلف وارثا غير أبويه ، لأن الأم ليست بعصبية فى حال للميت ، فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت ، وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها ، إذ كان قد عرفهم فى جملة بيانه لهم من له بقايا تركه الأموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم ، وكان بيانه ذلك معينا لهم على تكرير حكمه مع كل من قسم له حقا من ميراث ميت ، وسُمى له منه سهما .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ :

إن قال قائل : وما المعنى الذى من أجله ذكر حكم الأبوين مع الإخوة ، وترك ذكر حكمهما مع الأخ

الواحد؟ قلت : اختلاف حكمهما مع الإخوة الجماعة والأخ الواحد ، فكان في إبانة الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع إخوته غنى ، وكفاية عن أن حكمهما فيما ورثا منه غير متغير عما كان لهما ، ولا أخ للميت ، ولا وارث غيرهما ، إذ كان معلوما عندهم أن كل مستحق حقا بقضاء الله ذلك له ، لا ينتقل حقه الذي قضى به له ربه جل ثناؤه ، عما قضى به له إلى غيره ، إلا بنقل الله ذلك عنه إلى من نقله إليه من خلقه ، فكان في فرضه تعالى ذكره للأم ما فرض ، إذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده ، لوائح الدلالة الواضحة للخلق أن ذلك المفروض هو ثلث مال ولدها الميت حق لها واجب ، حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها ، فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الإخوة الجماعة وترك تغييره مع الأخ الواحد ، علم بذلك أن فرضها غير متغير عما فرض لها إلا في الحال التي غيره فيها من لزوم العباد طاعته دون غيرها من الأحوال .

ثم اختلف أهل التأويل في عدد الإخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين لهم بإحسان ، ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام في كل زمان عنى الله جل ثناؤه بقوله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ فلائمه السدس ^١ اثنتين كان الإخوة أو أكثر منهما ، اثنتين كانتا أو كنّ إناثا ، أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورا ، أو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى ، واعتلّ كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الأمة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قطع العذر مجيئه ، ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول : بل عنى الله جل ثناؤه بقوله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ : جماعة أقلها ثلاثة ، وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الأم عن ثلثها مع الأب بأقل من ثلاثة إخوة ، فكان يقول : في أبوين وأخوين للأم الثلث ، وما بقى فللأب ، كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنى ابن أبي ذئب ، عن شعبة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس أنه دخل على عثمان رضى الله عنه ، فقال : لم صار الأخوان يردان الأم إلى السدس ، وإنما قال الله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والأخوان في لسان قومك ، وكلام قومك : ليسا بإخوة ، فقال عثمان رضى الله عنه : هل أستطيع نقض أمر كان قبلى ، وتوارثه الناس ، ومضى في الأمصار ^٢ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن المعنى بقوله ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ اثنتان من إخوة الميت فصاعدا ، على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، لنقل الأمة ورائة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة ، وإنكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك . ^٣ فإن قال قائل : وكيف قيل في الأخوين إخوة ، وقد علمت أن الأخوين في منطق العرب مثالا لا يشبه

مثال الإخوة في منطقها ؟ قيل : إن ذلك وإن كان كذلك ، فإن من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنيهما ، وإن اختلفا في بعض وجوههما ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان مستفيضا في منطقها ، منتشرا مستعملا في كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رءوسهما ، وأوجعت منهما ظهورهما ، وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال : أوجعت منهما ظهورهما ، وإن كان مقولا : أوجعت ظهورهما كما قال الفرزدق :

بِمَا فِي فُؤَادِيْنَا مِنَ الْحُبِّ وَالْهَوَىٰ فَيَسْبِرُ أَمْسِهَاضُ الْفُؤَادِ الْمَشْغَفِ

غير أن ذلك وإن كان مقولا ، فأفصح منه : بما في أفئدتنا ، كما قال جل ثناؤه ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فلما كان ما وصفت من إخراج كل ما كان في الإنسان واحدا إذا ضم إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر ، فصار اثنين من اثنين ، فلفظ الجمع أفصح في منطقها ، وأشهر في كلامها ، وكان الأخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الإنسان من أعضائه واحدا لا ثاني له ، فأخرج أنثييهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت ، فقليل إخوة في معنى الأخوين ، كما قيل ظهور في معنى الظهرين ، وأفواه في معنى فوين ، وقلوب في معنى قلبين ، وقد قال بعض النحويين : إنما قيل إخوة ، لأن أقل الجمع اثنان ، وذلك أنه إذا ضم شيء إلى شيء صار جميعا بعد أن كانا فردين فجمعا ، ليعلم أن الاثنين جمع ، وهذا وإن كان كذلك في المعنى ، فليس بعلة تنبي عن جواز إخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاثنيه بمثال ، وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه ، وصورتها ، لأن من قال أخواك قاما ، فلا شك أنه قد علم أن كل واحد من الأخوين فرد ضم أحدهما إلى الآخر ، فصارا جميعا بعد أن كانا شتى عنوان الأمر ، وإن كان كذلك فلا تستجير العرب في كلامها أن يقال : أخواك قاموا ، فيخرج قولهم : قاموا ، وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الأخوين وهما بلفظ الاثنين ، لأن لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مثالا معروفا عندهم ، وصورة إذا غير مغير ما قد عرفوه فيهم أنكروه ، فكذلك الأخوان وإن كان مجموعين ضم أحدهما إلى صاحبه ، فلهما مثال في المنطق ، وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم ، فغير جائز أن يغير أحدهما إلى الآخر إلا بمعنى مفهوم ، وإذا كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل .

❦ فإن قال قائل : ولم نقصت الأم عن ثلثها بمصير إخوة الميت معها اثنين فصاعدا ؟ قيل : اختلفت العلماء في ذلك ، فقال بعضهم : نقصت الأم عن ذلك دون الأب ، لأن على الأب مؤنهم دون أمهم .

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ص ٤٥ ه طبعة الصاوي) . وهو مرتبط ببيتين قبله ، وهما :

دَعَوْتُ الَّذِي سَوَّى السَّمَوَاتِ أَيْدِيَهُ وَلِلَّهِ أَدَّتِي مِنْ وَرِيدِي وَالنَّطْفِ
لَيْسَ شَغْلَ عَنِّي بِعَمَلِهَا بِزَمَانَةٍ تُدَلِّهُهُ عَنِّي وَعَسْنَاهَا فَتُسْعِفُ
بِمَا فِي فُؤَادِيْنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْهَوَىٰ فَيَبْرَأُ مِنْهَا ضُفُؤَادِ الْمُسْقَفِ

والمنهاض : الذي هيض بتشديد الياء : أي هيج مرة بعد مرة . ويرى من الشوق في موضع من الحب . والمسقف في موضع المشغف كما في الأبيات . والمسقف : الذي وضع عليه خشب الجائر . والمشغف الذي أحرق الحب شغافه . وهذه الرواية أليق ، لأن القلب لا توضع عليه الجائر . والمشغف بالعين بدل الغين : أصوب وأجمل ، وهو الذي احترق بنار الحب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلَاُمُّهُ الثَّلَاثُ﴾ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمُّهُ السُّدُسُ ﴿أَنْزَلُوا الْأُمَّ وَلَا يَرِثُونَ﴾ ، وَلَا يَحْجِبُهَا الْأَخُ الْوَاحِدُ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَيَحْجِبُهَا مَا فَوْقَ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا حَجَبُوا أُمَّهُمْ مِنَ الثَّلَاثِ ، لِأَنَّ أَبَاهُمْ يَلِي نِكَاحَهُمْ ، وَالنَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ دُونَ أُمَّهُمْ .
وقال آخرون : بل نقصت الأم السدس ، وقصر بها على سدس واحد معونة لإخوة الميت بالسدس الذي حجبا أُمَّهُمْ عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : السدس الذي حجبتة الإخوة الأم لهم إنما حجبا أُمَّهُمْ عنه ليكون لهم دون أُمَّهُمْ ، وقد روى عن ابن عباس خلاف هذا القول ، وذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن غينة ، عن عمرو ابن دينار ، عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس ، قال : الكلالة : من لا ولد له ولا والد .
﴿ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَوَّلَى ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ : إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَرَضَ لِلْأُمِّ مَعَ الْإِخْوَةِ السُّدُسَ لِمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ مَصْلَحَةِ خَلْقِهِ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَانَ لِمَا أُلْزِمَ الْآبَاءُ لِأَوْلَادِهِمْ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا كَلَفْنَا عِلْمَهُ ، وَإِنَّمَا أَمَرْنَا بِالْعَمَلِ بِمَا عَلِمْنَا . وَأَمَّا الَّذِي رَوَى عَنْ طَاوُسٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَوْلُ لِمَا عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مُخَالَفٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ أَنَّ لِمِيرَاثِ الْأَخِي مِيتَ مَعَ وَالِدِهِ ، فَكُنِيَ لِجَمَاعِهِمْ عَلَى خِلَافِهِ شَاهِدًا عَلَى فُسَادِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت المذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته ، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات ، وهو عليه من تركته ، ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها ، بعد قضاء دينه كله ، فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ، ولا لأحد ممن أوصى له بشيء إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته ، وإن أحاط بجميع ذلك ، ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه ، فإن جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده إلى ورثته ، إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك ، وإن شاءوا ردوه ، فأما ما كان من ذلك إلى الثلث فهو ماض عليهم ، وعلى كل ما قلنا من ذلك الأمة مجمعة .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر ، وهو ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث الأعور ، عن علي رضي الله عنه

قال : إنكم تقرأون هذه الآية ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا زكرياء بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ رضوان الله عليه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن الحرث ، عن عليّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قال : يبدأ بالدين قبل الوصية .

واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ، وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة ﴿يُوصِي بِهَا﴾ على معنى ما لم يسم فاعله .

قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ على مذهب ما قد سمي فاعله ، لأن الآية كلها خبر عن قد سمي فاعله ، ألا ترى أنه يقول ﴿وَلَا بَوِيهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ فكذلك الذي هو أولى بقوله ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أن يكون خبراً عن قد سمي فاعله ؛ لأن تأويل الكلام : ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، من بعد وصية يوصي بها ، أو دين يقضى عنه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسمة ميراث ميتكم فيهم ، على مسمى لكم ، وبينه في هذه الآية ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ يقول : أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم أن تعطوهموها ، فإنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشدّ نفعاً لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فقال بعضهم : يعنى بذلك : أيهم أقرب لكم نفعاً في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ، قوله ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ يقول : أطوعمكم الله من الآباء والأبناء ، أرفعكم درجة يوم القيامة ، لأن الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم في بعض . وقال آخرون : معنى ذلك : لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قال بعضهم : في نفع الآخرة ، وقال بعضهم : في نفع الدنيا .
وقال آخرون في ذلك بما قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قال : أيهم خير لكم في الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرضى لهم المواريث لم يأت بآخريين يشركونهم في أموالكم .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ :
يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ وإن كان له إخوة فلأمه السدس ، فريضة ، يقول : سها ما معلومة موقته بينها الله لهم ، ونصب قوله : فريضة على المصدر من قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ للذكر مثل حظ الأنثيين ، فريضة فأخرج فريضة من معنى الكلام ، إذ كان معناه ما وصفت ، وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله : فإن كان له إخوة فلأمه السدس فريضة ، فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ كما تقول : هو لك هبة ، وهو لك صدقة منى عليك .
وأما قوله ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فإنه يعنى جل ثناؤه : إن الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس ، فأنهوا إلى ما يأمركم يصلح لكم أموركم ، حكما : يقول : لم يزل ذا حكمة في تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض ، وفيما يقضى بينكم من الأحكام ، لا يدخل حكمه خلل ولا زلل ، لأنه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ
مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تَوْصُونَ
بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ

مِنْهُمْ مَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ
يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٦﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث إن لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى ، فإن كان لهن ولد : أى فإن كان لأزواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى ، فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ، ميراثا لكم عنهن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، يقول : ذلكم لكم ميراثا عنهن مما يبق من تركتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التى يمتن وهى عليهن ، ومن بعد إنفاذ وصاياهن الجائزة إن كن أوصين بها .
القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ ، فإن كان لكم ولد فلما هن الثمن مما تركتكم من بعد وصية توصون بها أو دين :
يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ وَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ : ولأزواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث إن حدث بأحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ، ذكر ولا أنثى ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ يقول : فإن حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى ، واحدا كان الولد أو جماعة ﴿ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ﴾ يقول : فلأزواجكم حينئذ من أموالكم وتركتهن التى تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التى حدث بكم حدث الوفاة وهى عليكم ، ومن بعد إنفاذ وصاياكم الجائزة التى توصون بها ؛ وإنما قيل ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ فقدّم ذكر الوصية على ذكر الدين ، لأن معنى الكلام : إن الذى فرضت لمن فرضت له منكم فى هذه الآيات إنما هو له من بعد إخراج أى هذين كان فى مال الميت منكم ، من وصية أو دين ، فلذلك كان سواء تقديم ذكر الوصية قبل ذكر الدين ، وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية ، لأنه لم يرد من معنى ذلك إخراج أحد الشئين : الدين ، والوصية من ماله ، فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن كان رجل أو امرأة يورث كلاله .

ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل الإسلام ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾
يعنى : وإن كان رجل يورث متكلل النسب ، فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم : تكلله النسب تكللا وكلالة ، بمعنى : تعطف عليه النسب . وقرأ بعضهم ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ بمعنى : وإن كان رجل يورث من يتكلله ، بمعنى : من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت .
واختلف أهل التأويل فى الكلالة ، فقال بعضهم : هى ما خلا الوالد والولد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الوليد بن شجاع السكوني ، قال : ثنى على بن مسهر ، عن عاصم ، عن الشعبي ، قال : قال

أبو بكر رضى الله عنه : إني قد رأيت في الكلالة رأيا ، فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يكن خطأ فني والشيطان ، والله منه برىء ، إن الكلالة : ما خلا الولد والوالد ؛ فلما استخلف عمر رضى الله عنه ، قال : إني لأستحي من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر في رأى رآه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، قال : ثنا الشعبي ، أن أبا بكر رضى الله عنه قال في الكلالة : أقول فيها برأى ، فإن كان صوابا فمن الله : هو ما دون الولد والوالد ؛ قال : فلما كان عمر رضى الله عنه ، قال : إني لأستحي من الله أن أخالف أبا بكر .

حدثنا أبو بشر بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي ، أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما قالا : الكلالة من لا ولد له ولا والد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن السميطة ، قال : كان عمر رجلا أيسر ، فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا ، يديرها ، إلا أنه قال : أتى على حين ولست أدري ما الكلالة ، ألا وإن الكلالة : ما خلا الولد والوالد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي بكر ، قال : الكلالة ما خلا الولد والوالد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس ، قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس ، قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ابن الحنفية ، عن ابن عباس ، قال : الكلالة : ما خلا الولد والوالد .

حدثنا ابن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد السلولى ، عن ابن عباس ، قال : الكلالة : ما خلا الولد والوالد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ﴾ قال : الكلالة : من لم يترك ولدا ولا والدا .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد ، قال : ما رأيتهم إلا قد اتفقوا أن من مات ولم يدع ولدا ولا والدا أنه كلاله .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد ، قال : ما رأيتهما إلا قد أجمعوا أن الكلالة : الذى ليس له ولد ولا والد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد ، قال : الكلالة : ما خلا الولد والوالد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن سليم بن عبد ، قال : أدركتهم وهم يقولون : إذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ﴾ والكلالة : الذى لا ولد له ولا والدا ، لأب ولا جد ولا ابن ولا ابنة ، فهو لاء الإخوة من الأم .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، قال فى الكلالة : مادون الولد والوالد .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد ، وكل من لا ولد له ولا والد ، فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والزهرى وأبي إسحاق ، قال : الكلالة : من ليس له ولد ولا والد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن محمد ، عن معمر ، عن الزهرى وقتادة ، وأبي إسحاق ، مثله . وقال آخرون : الكلالة : مادون الولد ، وهذا قول عن ابن عباس ، وهو الخبر الذى ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه ، أنه ورث الإخوة من الأم السدس مع الأبوين . وقال آخرون : الكلالة : ما خلا الوالد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن شعبة ، قال : سألت الحكم عن الكلالة ؟ قال : فهو ما دون الأب .

واختلف أهل العربية فى الناصب للكلالة ، فقال بعض البصريين : إن شئت نصبت كلالة على خبر كان ، وجعلت يورث من صفة الرجل ، وإن شئت جعلت كان تستغنى عن الخبر نحو : وقع ، وجعلت نصب كلالة على الحال : أى يورث كلالة كما يقال : يضرب قائما . وقال بعضهم : قوله كلالة ، خبر كان ، لا يكون الموروث كلالة . وإنما الوارث الكلالة ١ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله ﴿يُورَثُ﴾ وخبر كان يورث ، والكلالة وإن كانت منصوبة بالخروج من يورث ، فليست منصوبة على

(١) قوله « وإنما الوارث الكلالة » أى على جعل الرجل هو الوارث على قراءة الفعل مبنيًا للمجهول كما فى الكشف .

الحال ، ولكن على المصدر من معنى الكلام ، لأن معنى الكلام وإن كان رجل يورث متكلمه النسب كلاله ، ثم ترك ذكر متكلمه اكتفاء بدلالة قوله : يورث عليه .
واختلف أهل العلم في المسمى كلاله ، فقال بعضهم : الكلاله : الموروث ، وهو الميت نفسه ، سمي بذلك إذا ورثه غير والده وولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ قولهم في الكلاله ، قال : الذي لا يدع والدا ولا ولدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كنت آخر الناس عهدا بعمر رضى الله عنه ، فسمعتة يقول ما قلت ، قلت : وما قلت ؟ قال : الكلاله : من لا ولد له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ويحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن عبد ، عن ابن عباس ، قال : الكلاله : من لا ولد له ولا والد .

وقال آخرون : الكلاله : هي الورثة الذين يرثون الميت إذا كانوا إخوة أو أخوات أو غيرهم إذا لم يكونوا ولدا ولا ولدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم في ذلك .

وقال آخرون : بل الكلاله : الميت والحى جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الكلاله : الميت الذى لا ولد له ولا والد ، والحى كلهم كلاله ، هذا يرث بالكلاله ، وهذا يورث بالكلاله .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى ما قاله هؤلاء ، وهو أن الكلاله الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده ، وذلك لصحة الخبر الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال : قلت يا رسول الله ، إنما يرثنى كلاله ، فكيف بالميراث .

وبما حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، قال : كنا مع حميد بن عبد الرحمن في سوق الرقيق ، قال : فقام من عندنا ثم رجع ، فقال : هذا آخر ثلاثة من بنى سعد حدثوني هذا الحديث ، قالوا : مرض سعد بمكة مرضا شديدا ، قال : فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقال : يا رسول الله لى مال كثير . وليس لى وارث إلا كلاله ، فأوصى بمالى كله ، فقال : لا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن العلاء بن زياد ، قال : جاء شيخ إلى عمر رضى الله عنه ، فقال : إني شيخ وليس لى وارث إلا كلاله أعراب متراخ نسبهم ، أفأوصى بثلاث مالى ؟ قال : لا ، فقد أنبأت هذه الأخبار عن صحة ما قلنا في معنى الكلاله وأنها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث :

يعنى بقوله جل ثناؤه : وله أخ أو أخت : وللرجل الذى يورث كلاله أخ أو أخت يعنى أخا أو أختا من أمه .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يعلى بن عطاء ، عن القاسم ، عن سعد ، أنه كان يقرأ : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ قال سعد : لأمه حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت القاسم بن ربيعة يقول : قرأت على سعد : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ قال سعد : لأمه .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن القاسم ابن ربيعة ، عن فاتك ، قال : قرأت على سعد ، فذكر نحوه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا يعلى بن عطاء ، عن القاسم بن ربيعة ، قال : سمعت سعد بن أبي وقاص قرأ : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّهِ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم إن كان واحدا فله السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم ، فهم شركاء في الثلث ، سواء الذكر والأنثى ، وقوله ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إذا انفرد الأخ وحده ، أو الأخت وحدها ، ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لأمه ، فإن اجتمع أخ وأخت أو أخوان لثالث معهما لأمه ، أو أختان كذلك ، أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما ، فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لأمه السدس : ﴿وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ يعنى : فإن كان الإخوة والأخوات لأم الميت الموروث كلاله أكثر من اثنين : ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يقول : فالثلث الذى فرضت لاثنيهم إذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت الموروث كلاله شركة بينهم إذا كانوا أكثر من اثنين إلى ما بلغ عددهم على عدد رؤوسهم ، لا يفضل ذكر منهم على أنثى فى ذلك ، ولكنه بينهم بالسوية .

﴿فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ، وَقَدْ ذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ ، فَقِيلَ : وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ ، قِيلَ : إِنْ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا قَدِمَتْ ذَكَرَ اسْمَيْنِ قَبْلَ الْخَبَرِ فَعَطَفَتْ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِأَوْثَمِ أَتَتْ بِالْخَبَرِ أَضَافَتْ الْخَبَرَ إِلَيْهِمَا أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا إِلَى أَحَدِهِمَا ،

واذا أضافت إلى أحدهما، كان سواء عندها إضافة ذلك إلى أى الاسمين اللذين ذكرتهما إضافته، فنقول: من كان عنده غلام أو جارية، فليحسن إليه، يعنى: فليحسن إلى الغلام، وفليحسن إليها، يعنى: فليحسن إلى الجارية، وفليحسن إليهما. وأما قوله ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ وقد تقدم ذكر الأخ والأخت بعطف أحدهما على الآخر، والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما فى قوله ﴿وَلَهُ أُخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ فإن ذلك إنما جاز لأن معنى الكلام: ولكل واحد من المذكورين السدس القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا﴾: أى هذا الذى فرضت لأخى الميت الموروث كلاله وأخته أو إخوته وأنحواته من ميراثه وتركته، إنما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذى كان عليه يوم حدث به حدث الموت من تركته، وبعد إنفاذ وصاياه الجائزة التى يوصى بها فى حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته. كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ والدين أحق ما بدئ به من جميع المال، فيؤدى عن أمانة الميت، ثم الوصية، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم.

وأما قوله ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكره: من بعد وصية يوصى بها غير مضار ورثته فى ميراثهم عنه.

كما حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ قال: فى ميراث أهله.

حدثنى القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ قال: فى ميراث أهله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنى يزيد، قال: ثنى سعيد، عن قتادة. قوله: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ إن الله تبارك وتعالى كره الضرر فى الحياة وعند الموت ونهى عنه، وقدم فيه فلا تصلح مضارة فى حياة ولا موت.

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى، قال: ثنا عبيدة بن حميد، وثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليه جميعا، عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس فى هذه الآية ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ قال: الضرر فى الوصية من الكبار.

حدثنا ابن أبى الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الضرر فى الوصية من الكبائر.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

حدثنا ابن المنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الحيف فى الوصية من الكبائر.

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عديّ وعبد الأعلى ، قالا : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الصرار والحيف في الوصية من الكبائر .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النصر ، قال : ثنا عمرو بن المغيرة ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الصرار في الوصية من الكبائر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو عمرو التيمي ، عن أبي الضحى ، قال : دخلت مع مسروق على مريض ، فإذا هو يوصي ، قال : فقال له مسروق : اعدل لاتضل . ونصبت «غير مضار» على الخروج من قوله «يوصي» وإذا هو يوصي ، فإن نصبه من قوله «يوصيكم الله في أولادكم» للدكر مثل حظ الأنثيين» وسائر ما أوصى به في الاثنين ، ثم قال : «وصية من الله» مصدرا من قوله «يوصيكم» . وقد قال بعض أهل العربية : ذلك منصوب من قوله «فلكل واحد منهما السدس وصية من الله» قال : هو مثل قولك : لك درهمان نفقة إلى أهلك .

والذي قلناه بالصواب أولى ، لأن الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة الموارث في هاتين الآيتين بقوله «يوصيكم الله» ثم ختم ذلك بقوله «وصية من الله» أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده ، فنصب قوله «وصية» على المصدر من قوله «يوصيكم» أولى من نصبه على التفسير من قوله «فلكل واحد منهما السدس» لما ذكرنا ، ويعنى بقوله تعالى ذكره «وصية من الله» : عهدا من الله إليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم «والله عليم» يقول : ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ، ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسابه من ميراثه ، ومن يحرم ذلك منهم ، ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما ، وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم . «حليم» يقول : ذو حلم على خلقه ، وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والبأس منهم ، دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإنائهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله «تلك حدود الله» فقال بعضهم : يعني به : تلك شروط الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي «تلك حدود» شروط الله . يقول : شروط الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تلك طاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ يعنى : طاعة الله ، يعنى : المواريث التي سمي الله .
وقال آخرون : معنى ذلك : تلك سنة الله وأمره .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : تلك فرائض الله .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما نحن مبينونه ، وهو أن حدّ كل شيء ما فصل بينه وبين غيره ، ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين : حدود ، لفصولها بين ما حدّ بها وبين غيره ، فكذلك قوله ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ معناه : هذه القسمة التي قسمها لكم ربكم ، والفرائض التي فرضها لأحيائكم من موتاكم في هذه الآية على ما فرض وبين في هاتين الآيتين حدود الله ، يعنى : فصول ما بين طاعة الله ومعصيته في قسمكم مواريث موتاكم ، كما قال ابن عباس ، وإنما ترك طاعة الله ، والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها ، والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . . . الآية التي بعدها ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

فتأويل الآية إذا : هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم ، فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته ، وحدود لكم تنهون إليها فلا تتعدوها ، وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم ، وفيما نهاكم عنه منها ، ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم ، فقال لفريق أهل طاعته في ذلك ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في العمل بما أمره به ، والانتفاء إلى ما حدّه له في قسمة المواريث وغيرها ، ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، فقوله ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ يعنى : بساتين تجري من تحت غروبها وأشجارها الأنهار ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ يقول : باقين فيها أبدا ، لا يموتون فيها ، ولا يفنون ، ولا يخرجون منها ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يقول : وإدخال الله إياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعنى : الفلج العظيم .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ﴿ . . . الآية ، قال : في شأن المواريث التي ذكر قبل .
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ التي حدّ خلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة ، فأنهوا إليها ولا تعدوها إلى غيرها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

❦ يعني بذلك جل ثناؤه ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في العمل بما أمراه به من قسمة الموارث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله ، مخالفا أمرهما إلى ما نهياه عنه ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ يقول ويتجاوز فصول طاعته ، التي جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته ، وغير ذلك من حدوده ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ يقول : باقيا فيها أبدا ، لا يموت ، ولا يخرج منها أبدا ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يعني : وله عذاب مذل من عذاب به مخز له .
وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ . . . الآية في شأن الموارث التي ذكر قبل ، قال ابن جريج : ومن يعص الله ورسوله ، قال : من أصاب من الذنوب ما يعذب الله عليه .
❦ فإن قال قائل : أو يخلد في النار من عصي الله ورسوله في قسمة الموارث ؟ قيل : نعم ، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكاً في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين ، أو علم ذلك ، فحاد الله ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال : حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قول الله تبارك وتعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنْثَىٰ﴾ . . . إلى تمام الآيتين ، أيورث من لا يركب الفرس ، ولا يقاتل العدو ، ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال ، استنكاراً منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده ، ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم ، على ما قسمه في كتابه ، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله ، استنكاراً منه حكمهما ، كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين ، الذين فيهم نزلت ، وفي أشكالهم هذه الآية ، فهو من أهل الخلود في النار ، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك ، يصير بالله كافراً ، ومن ملة الإسلام خارجاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

❦ يعني بقوله جل ثناؤه ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ والنساء اللاتي يأتين بالزنا : أي يزني ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ وهن محصنات ذوات أزواج ، أو غير ذوات أزواج ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ﴾

مِنْكُمْ ﴿ يَقُولُ : فَاِسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ بِمَا أَتَيْنَ مِنَ الْفَاحِشَةِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، يَعْنِي : مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا ﴾ عَلَيْهِنَّ ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾ يَقُولُ : فَاحْبِسُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴿ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ يَقُولُ : حَتَّى يَمُتْنَ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ يَعْنِي : أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ مَخْرَجًا وَطَرِيقًا إِلَى النِّجَاةِ مِمَّا أَتَيْنَ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ .

وَبَنَحَوْا مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : ثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ، فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ قَالَ : الْحَدِّ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ قَالَ : الزَّانَا ، كَانَ أَمْرٌ بِحَبْسِهِنَّ حِينَ يَشْهَدُ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ حَتَّى يَمُتْنَ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ وَالسَّبِيلُ : الْحَدُّ .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ إِلَى ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا زَنَتْ حَبِسَتْ فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَمُوتَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ فَإِنْ كَانَا مُحْصَنَيْنِ رَجْمًا ، فَهَذَا سَبِيلُهُمَا الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ ، وَهُوَ الْجَلْدُ وَالرَّجْمُ .

حَدَّثَنِي بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ كَانَ هَذَا مِنْ قَبْلِ الْحُدُودِ ، فَكَانَا يُؤْذِيَانِ بِالْقَوْلِ جَمِيعًا ، وَبِحَبْسِ الْمَرْأَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ، فَكَانَ سَبِيلٌ مِنْ أَحْصَنَ جِلْدَ مِائَةٍ ثُمَّ رُمِيَ بِالْحِجَارَةِ ، وَسَبِيلٌ مَنْ لَمْ يَحْصَنَ جِلْدَ مِائَةٍ ، وَنَفَى سَنَةً .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : الْفَاحِشَةُ : الزَّانَا ، وَالسَّبِيلُ : الرَّجْمُ وَالْجَلْدُ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضِلٍ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّدِ ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴿ إِلَى ﴾ ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي قَدْ نَكَحْنَ وَأَحْصَنَ ، إِذَا زَنَتِ الْمَرْأَةُ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَحْبَسُ فِي الْبَيْتِ ، وَيَأْخُذُ زَوْجُهَا مَهْرَهَا

فهو له ، فذلك قوله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حتى جاءت الحدود فنسختها ، فجلدت ورجمت ، وكان مهرها ميراثا ، فكان السبيل هو الجلد .

حدثت ، عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال : الحد ، نسخ الحد هذه الآية . حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد ، ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال : جلد مائة ، الفاعل والفاعلة .

حدثنا الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الجلد . حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان ابن عبد الله الرقاشي ، عن عبادة بن الصامت ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي ، نكس رأسه ، ونكس أصحابه رؤوسهم ؛ فلما سرى عنه رفع رأسه ، فقال : قد جعل الله له سبيلا ، الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ؛ أما الثيب : فتجلد ثم ترجم ؛ وأما البكر : فتجلد ثم تنفى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حطان بن عبد الله ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الثَّيْبُ بِالثَّيْبِ تُجْلَدُ مِائَةً ، وَتُرْجَمُ بِالْحِجَارَةِ ، وَالْبِكْرُ : جُلْدُ مِائَةٍ ، وَنَفْيُ سَنَةٍ » . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله أخى بنى رقاش عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي ، كرب لذلك ، وتربده له وجهه ، فأنزل الله عليه ذات يوم ، فلقى ذلك ، فلما سرى عنه قال : « خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا . الثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جُلْدُ مِائَةٍ . ثُمَّ رَجَمُ بِالْحِجَارَةِ ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ : جُلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال : ابن زيد في قوله ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال : يقول : لاتنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ؛ ولم يخرجهن من الإسلام ، ثم نسخ هذا ، وجعل السبيل التي ذكر أن يجعل لها سبيلا ، قال : فجعل لها السبيل ، إذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت ، وجعل السبيل للبكر جلد مائة .

حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ قال : الجلد والرجم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبي جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان ابن عبد الله الرقاشي ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُذُوا عَنِّي

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنًا سَبِيلًا : الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ ، الثَّيِّبُ يُجْلَدُ وَتُرْجَمُ ، وَالْبِكْرُ يُجْلَدُ وَتُنْفَى .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن إسماعيل ابن مسلم البصري ، عن الحسن ، عن عبادة بن الصامت ، قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ احمر وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا نزل عليه الوحي ، فأخذه كهيفة الغشى لما يجد من ثقل ذلك ، فلما أفاق قال : « خذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنًا سَبِيلًا ، الْبِكْرَانِ يُجْلَدَانِ وَيُنْفَيَانِ سَنَةً ، وَالثَّيِّبَانِ يُجْلَدَانِ وَيُرْجَمَانِ » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله ﴿أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهْنًا سَبِيلًا﴾ قول من قال السبيل التي جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة ، وللكرين جلد مائة ، ونفي سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم ولم يجلد : وإجماع الحجة التي لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب ؛ وصحة الخبر عنه ، أنه قضى في البكرين بجلد مائة ، ونفي سنة ، فكان في الذي صح عنه من تركه ، جلد من رجم من الزناة في عصره دليل واضح على وهي الخبر الذي روى عن الحسن عن حطان عن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : السبيل للثيب المحصن : الجلد والرجم . وقد ذكر أن هذه الآية في قراءة عبد الله : وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ ، والعرب تقول : أتيت أمرا عظيما ، وبأمر عظيم ، وتكلمت بكلام قبيح ، وكلاما قبيحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ : والرجل والمرأة اللذان يأتيانها ، يقول : يأتیان الفاحشة ، والهاء والألف في قوله ﴿يَأْتِيَانِيَا﴾ عائدة على الفاحشة التي في قوله ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ والمعنى : واللذان يأتیان منكم الفاحشة فأذوهما . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ فأذوهما فقال بعضهم : هما البكران اللذان لم يحصنا ، وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها ، وقالوا : قوله ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ معنى به الثيبات المحصنات بالأزواج ، وقوله ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ يعنى به : البكران غير المحصنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، ذكر الجوارى والفتيان اللذين لم ينكحوا ، فقال : ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ فأذوهما .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ البكران فأذوهما .

وقال آخرون : بل عنى بقوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ الرجلان الزانيان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ الرجلان الفاعلان لا يكتفى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ : الزانيان .

وقال آخرون بل عنى بذلك الرجل والمرأة ، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن عطاء ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ فأذوهما قال : الرجل والمرأة .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالوا ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا ، فقال : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ فأذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عَنْهُمَا ، إن الله كان تَوَّابًا رَحِيمًا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء وعبد الله ابن كثير . قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ قال : هذه للرجل والمرأة جميعا .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ قول من قال : عنى به البكران غير المحصنين إذا زنيا ، وكان أحدهما رجلا ، والآخر امرأة ، لأنه لو كان مقصود بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ قصد البيان عن حكم الزواني ، لقليل : والذين يأتونها منكم فأذوهم ، أو قيل : والذي يأتياها منكم . كما قيل في التي قبلها ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ﴾ فأخرج ذكرهن على الجمع ، ولم يقل : واللذان يأتيان الفاحشة ، وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد ، وذلك أن الواحد يدل على جنسه ، ولا تخرجها بذكر اثنين ، فتقول : الذين يفعلون كذا ، فلهم كذا ، والذي يفعل كذا ، فله كذا ، ولا تقول : اللذان يفعلان كذا ، فلهما كذا ، إلا أن يكون فعلا لا يكون إلا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية ، فإذا كان ذلك كذلك ، قيل بذكر الاثنين ، يراد بذلك الفاعل والمفعول به ، فإما أن يذكر بذكر الاثنين ، والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به ، أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين .

فذلك ما لا يعرف في كلامها ، وإذا كان ذلك كذلك ، فبَيِّن فساد قول من قال : عني بقوله : ﴿وَاللَّذَّانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ الرجلان ، وصحة قول من قال : عني به الرجل والمرأة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله ﴿وَاللَّذَّانِ يَأْتِيَانِ الْفَاحِشَةَ﴾ لأن هذين اثنان وأولئك جماعة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا ، لأنه أغلظ في العقوبة من الأذى ، الذي هو تعنيف وتوبيخ ، أو سب وتعيير ، كما كان السبيل التي جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للأبكار من جلد المائة ، ونفي السنة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عَنْهُمَا ، إن الله كان تَوَّاباً رَحِيماً :

اختلف أهل التأويل في الأذى الذي كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتیان الفاحشة من قبل أن يجعل لهما سبيلا منه ، فقال بعضهم : ذلك الأذى ، أذى بالقول واللسان ، كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ قال : كانا يؤذيان بالقول جميعا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عَنْهُمَا فكانت الجارية والفتى إذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يترك ذلك . وقال آخرون : كان ذلك الأذى ، أذى باللسان ، غير أنه كان سبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ يعني : سبا .

وقال آخرون : بل كان ذلك الأذى باللسان واليد .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح . قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَاللَّذَّانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ فَأَذُوهُمَا فكان الرجل إذا زنى أوذى بالتعيير ، وضرب بالنعال .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانين المذكورين إذا أتيا ذلك وهما من أهل الإسلام ، والأذى قد يقع بكل مكروه نال الإنسان من قول سيئ باللسان ، أو فعل ، وليس في الآية بيان أن ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ . ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئها قطع العذر ، وأهل التأويل في ذلك

مختلفون ، وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد ، وجائز أن يكون كان أذى بأيهما ، وليس في العلم بأن ذلك كان من أى نفع في دين ولا دنيا ، ولا في الجهل به مضرّة ، إذ كان الله جلّ ثناؤه قد نسخ ذلك من محكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما ، وفي اللاتي قبلهما ؛ فأما الذي أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وأما الذي أوجب في اللاتي قبلهما ، فالرجم الذي قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، وأجمع أهل التأويل جميعا على أن الله تعالى ذكره قد جعل لأهل الفاحشة من الزناة والزواني سبيلا بالحدود التي حكم بها فيهم .

وقال جماعة من أهل التأويل : إن الله سبحانه نسخ بقوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو : قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ قال : كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحد المفروض . حدثنا أبو هشام : قال : ثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ . الآية . قال : هذا نسخته الآية في سورة النور ، بالحد المفروض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالوا في قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ . الآية . نسخ ذلك بآية الجلد ، فقال : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح . قال : ثني معاوية بن صالح . عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ فأنزل الله بعد هذا ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِّنْ نِّسَائِكُمْ﴾ . الآية جاءت الحدود فنسختها .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال سمعت الضحاك يقول : نسخ الحد هذه الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ . الآية ، قال : نسخها الحدود ، وقوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ نسخها الحدود . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ . الآية ، ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها إذا زنت وهي محصنة رجمت ، وأخرجت ، وجعل السبيل للذكر جلد مائة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ قال : نسختها الحدود .
 وأما قوله ﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ فإنه يعنى به جل ثناؤه : فإن تابا من الفاحشة التي أتيا ، فراجعوا طاعة الله بينهما وأصلحا ، يقول : وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما ، والعمل بما يرضى الله ، فأعرضوا عنهما ، يقول : فاصفحوا عنهما ، وكفوا عنهما الأذى الذي كنت أمرتكم أن تؤذوهما به ، عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ، ولا تؤذوهما بعد توبتهما .
 وأما قوله ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ فإنه يعنى : أن الله لم يزل راجعا لعبيده إلى ما يحبون إذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيمًا بهم ، يعنى : ذا رحمة ورافة .
 القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤

يعنى بقوله جل ثناؤه ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ : ما التوبة على الله لأحد من خلقه ، إلا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ يقول ما الله براجع لأحد من خلقه إلى ما يحبه من العفو عنه ، والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه ، إلا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم ، جهالة منهم ، وهم بربهم مؤمنون ، ثم يراجعون طاعة الله ، ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار ، وترك العود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم ، وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره ، فقال ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ .
 وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في معنى قوله ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه ، وذهب إلى أن عمله السوء هو الجهالة التي عنها .
 ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة .
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا أن كل شيء عصى به فهو جهالة ، عمدا كان أو غيره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : كل من عصى ربه فهو جاهل ، حتى ينزع عن معصيته .
 حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ﴿ إِنَّمَا تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ لَمَّا كُنْتُمْ فِي سَاءِ مَا كُنْتُمْ عَمَلِينَ ﴾

التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴿١٠٠﴾ قَالَ : كل من عمل بمعصية الله فذلك منه بجهل حتى يرجع عنه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ ما دام يعصى الله فهو جاهل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، عن أبي النضر ، عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : من عمل السوء فهو جاهل ، من جهالته عمل السوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : من عصى الله فهو جاهل ، حتى ينزع عن معصيته . قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها . قال ابن جريج ، وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ قال : الجهالة : كل امرئ عمل شيئاً من معاصي الله فهو جاهل أبداً حتى ينزع عنها ، وقرأ ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ وقرأ ﴿ إِلَّا تَتَصَرَّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال : من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته .

وقال آخرون : معنى قوله ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ : يعملون ذلك على عمد منهم له . ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن مجاهد ﴿ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : الجهالة : العمد .

قال : حدثنا ابن وكيع . قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : الجهالة : العمد .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال : الدنيا كلها جهالة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : تأويلها : إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء ، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوا بها عامدين كانوا للإثم ، أو جاهلين بما أعد الله لأهلها وذلك أنه غير موجود في كلام العرب ، تسمية العامد للشيء الجاهل به ، إلا أن يكون معنياً به أنه جاهل

بقدر منفعة ومضرته ، فيقال : هو به جاهل ، على معنى جهله بمعنى : نفعه وضره ؛ فأما إذا كان عالماً بقدر مبلغ نفعه وضره ، قاصداً إليه ، فغير جائز من غير قصده إليه أن يقال هو به جاهل ، لأن الجاهل بالشئ هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه ، أو يعلمه فيشبه فاعله ، إذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الأمر ، وهو به جاهل ، فيخطئ موضع الإصابة منه ، فيقال : إنه لجاهل به ، وإن كان به عالماً لإتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله إلا أهل الجهل به ، وكذلك معنى قوله ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ قيل فيهم : يعملون السوء بجهالة وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله ، عامدين إتيانه ، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام ، لأن فعلهم ذلك كان من الأفعال التي لا يأتي مثله إلا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فقليل لمن أتاه وهو به عالم ، أتاه بجهالة ، بمعنى : أنه فعل فعل الجهال به ، لأنه كان جاهلاً .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه : أنهم جهلوا كنهه ما فيه من العقاب ، فلم يعلموه كعلم العالم ، وإن علموه ذنباً ، فلذلك قيل ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنهه ما فيه ، وذلك أنه جل ثناؤه ، قال ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوءاً على علم منه بكنهه ما فيه ، ثم تاب من قريب توبة ، وذلك بخلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه ، وقوله : «باب التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وخلاف قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ :

اختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم ، وقبل موتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ والقريب قبل الموت ما دام في صحته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبي النضر ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال : في الحياة والصحة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ والقريب فيما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران بن حدير ، قال : قال أبو مجلز : لا يزال الرجل في توبة حتى يعاين الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : القريب : ما لم تنزل به آية من آيات الله تعالى ، وينزل به الموت .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك ، ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت ، فإذا تاب حين ينظر إلى ملك الموت ، فليس له ذلك . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم يتوبون من قبل الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن الضحاك ، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ قال : كل شيء قبل الموت فهو قريب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ قال : الدنيا كلها قريب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ قبل الموت .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، عن أبي قلابة ، قال : ذكر لنا أن إبليس لما لعن وأنظر . قال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ، فقال تبارك وتعالى : وعزتي لأمنعه التوبة ما دام فيه الروح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن قتادة ، قال : كنا عند أنس بن مالك ، وثم أبو قلابة . فحدث أبو قلابة . قال : إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس ، سأله النظرة ، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم . فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي لأمنعه التوبة ما دام فيه الروح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس سأله النظرة ، فأنظره إلى يوم الدين ، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ، قال : وعزتي لأحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح .

حدثني ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ إبْلِسَ لَمَّا رَأَى آدَمَ أَجْوَفَ ، قَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا أَخْرُجُ مِنْ جَوْفِهِ مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَعِزَّتِي لَا أُسْئِلُ بِبَيْتِهِ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد ، عن

أى أيوب بشير بن كعب ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : تأويله : ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه ، وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم ، وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة ، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ، ولا يعقلوا التوبة ، لأن التوبة لا تكون توبة إلا ممن ندم على ما سلف منه ، وعزم فيه على ترك المعادة ، وهو يعقل الندم ، ويختار ترك المعادة ، فأما إذا كان بكرب الموت مشغولاً ، وبغم الحشرجة مغموراً ، فلا إخاله إلا عن الندم على ذنوبه مغلوباً ، ولذلك قال : من قال : إن التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد بنفسه ، فإن كان المرء في تلك الحال يعقل عقل الصحيح ، ويفهم فهم العاقل الأريب ، فأحدث إنابة من ذنوبه ، ورجعة من شروده عن ربه إلى طاعته كان إن شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين إليه من إجرامهم من قريب بقوله ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان الله عليهما حكيماً :

يعنى بذلك جل ثناؤه ﴿ فَأُولَٰئِكَ ﴾ فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴿ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ دون من لم يتب ، حتى غلب على عقله وغمرة حشرجة ميتته ، فقال : وهو لا يفقه ما يقول : ﴿ إِنِّي تَبْتُ الْآنَ ﴾ خداعاً لربه ونفاقاً في دينه ، ومعنى قوله ﴿ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ : يرزقهم إنابة إلى طاعته ، ويتقبل منهم أوبتهم إليه ، وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم .

وأما قوله ﴿ كَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ فإنه يعنى : ولم يزل الله جل ثناؤه عليماً بالناس من عباده المنيبين إليه بالطاعة بعد إدبارهم عنه ، المقبلين إليه بعد التولية ، وبغير ذلك من أمور خلقه ، حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته ، وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ، ولا يدخل أفعاله خلل ، ولا يخلطه خطأ ولا زلل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكَفَرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارًا وَلَيْسَ أَعْتَدْنَا لَهُمُ عَذَابًا أَلِيماً ۝١٨

يعنى بذلك جل ثناؤه : وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله ، حتى

إذا حضر أحدهم الموت ، يقول : إذا حشرج أحدهم بنفسه ، وعاین ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه قال : وقد غلب على نفسه ، ونحیل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرتة : إني تبت الآن ، يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة ، لأنه قال ما قال في غير حال توبة .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن يعلى بن نعمان ، قال : أخبرني من سمع ابن عمر يقول : التوبة مبسوطة ما لم يسق ، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ ثم قال : وهل الحضور إلا السوق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ قال : إذا تبين الموت فيه ، لم يقبل الله له توبة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبي النضر ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فليس لهذا عند الله توبة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت إبراهيم بن ميمون ، يحدث عن رجل من بني الحارث ، قال : ثنا رجل منا ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، حتى ذكر شهرا ، حتى ذكر ساعة ، حتى ذكر فواقا ، قال : فقال رجل : كيف يكون هذا والله تعالى يقول ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فقال عبد الله : أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : التوبة مبسوطة ما لم يؤخذ بكظمه .

واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فقال بعضهم : عني به أهل النفاق .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال : نزلت الأولى في المؤمنين ، ونزلت الوسطى في المنافقين ، يعني ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ والأخرى في الكفار ، يعني ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ .

وقال آخرون : بل عني بذلك أهل الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : بلغنا في هذه الآية ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ قال : هم المسلمون ، ألا ترى أنه قال ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . وقال آخرون : بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الإيمان ، غير أنها نسخت .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿ فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَأَرْجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَى مَشِيئَتِهِ ، فَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام ، وذلك أن المنافقين كفار ، فلو كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ معنى مفهوم ، لأنهم إن كانوا هم والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار ، فلا وجه لتفريق أحد منهم في المعنى الذي من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة . وفي تفرقة الله جل ثناؤه بين أسماهم وصفاتهم بأن سمي أحد الصنفين كافرا ، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ، ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم ، وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا ، وفساد ما خالفه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار ، فوضع الذين خفض ، لأنه معطوف على قوله ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ . وقوله ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يقول : هؤلاء الذين يموتون وهم كفار ، أعتدنا لهم عذابا أليما ، لأنهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبي النضر ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ أولئك أبعد من التوبة .

واختلف أهل العربية في معنى ﴿ أَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ فقال بعض البصريين : معنى ﴿ أَعْتَدْنَا ﴾ : أفعلنا من العتاد ، قال : ومعناها : أعددنا . وقال بعض الكوفيين : أعددنا وأعتدنا معناها واحد ، فعنى قوله : ﴿ أَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾ أعددنا لهم ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يقول : مؤلما موجعا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا

مَا تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝

❦ يعني تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ يقول : لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا نِكَاح نِسَاءِ أَقَارِبِكُمْ وَأَبَائِكُمْ كَرَّهَا .
❦ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ كَانُوا يَرِثُونَهُنَّ ، وَمَا وَجْهُ تَحْرِيمِ وَرَاثَتِهِنَّ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النِّسَاءَ مَوْرَثَاتُ كَمَا الرِّجَالُ مَوْرَثُونَ ؟ قِيلَ : إِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ مَعْنَى وَرَاثَتِهِنَّ إِذَا هُنَّ مِتْنَّ فَرَكْنَ مَالًا ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَنَّهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ إِحْدَاهُنَّ إِذَا مَاتَ زَوْجُهَا كَانَ ابْنُهُ أَوْ قَرِيبُهُ أَوْ لِيٌّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْهَا بِنَفْسِهَا ، إِنْ شَاءَ نِكَاحُهَا وَإِنْ شَاءَ عَضْلُهَا فَمِنْهَا مَنْ غَيْرُهُ وَلَمْ يَزُوجْهَا حَتَّى تَمُوتَ ، فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَحَظَرَ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ حَلَائِلِ آبَائِهِمْ ، وَنَهَايَهُمْ عَنْ عَضْلِهِنَّ عَنْ النِّكَاحِ .
وَبَنَحُو الْقَوْلَ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، يَعْنِي الشَّيْبَانِي ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ قَالَ : كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقُّ بِامْرَأَتِهِ ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزْوِجَها ، وَإِنْ شَاءُوا زَوْجَها ، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يَزُوجُها ، وَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا ، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِي ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ أَرَادَ ابْنُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ ، عَنْ يَزِيدِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَا فِي قَوْلِهِ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَرِثُ امْرَأَةً ذِي قَرَابَتِهِ ، فَيَعْضُلُهَا حَتَّى تَمُوتَ ، أَوْ تَرُدَّ إِلَيْهِ صَدَاقُهَا ، فَأَحْكَمَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ نَهَاكَمُ عَنْ ذَلِكَ .
حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ عَلِيَّةٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ ، عَنْ أَبِي مَجَلَزٍ فِي قَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ قَالَ : كَانَتْ الْأَنْصَارُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ حَمِيمُهُ وَرِثَ حَمِيمَهُ امْرَأَتَهُ ، فَيَكُونُ أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّ نَفْسِهَا .

(١) أَحْكَمَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ : مَنَعَ مِنْهُ وَنَهَى عَنْهُ (النهاية لابن الأثير) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ . . . الآية ، قال : كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه ، فهو أحقّ بامرأته ، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى منه بصداقها أو تموت فيذهب بما لها .

قال ابن جريج : فأخبرني عطاء بن أبي رباح أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل ، فترك امرأة ، حبسها أهلها على الصبي يكون فيهم ، فنزلت ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ . . . الآية ، قال ابن جريج ، وقال مجاهد : كان الرجل إذا توفي أبوه كان أحقّ بامرأته ، ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها ، أو ينكحها إن شاء أخاه أو ابن أخيه . قال ابن جريج : وقال عكرمة : نزلت في كبيشة بنت معن ، ابن عاصم من الأوس ، توفي عنها أبوقيس بن الأسلت ، فجنح عليها ابنه ، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يانبي الله ، لأنا ورثت زوجي ، ولا أنا تركت فأنكح ، فنزلت هذه الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ قال : كان إذا توفي الرجل كان ابنه الأكبر هو أحقّ بامرأته ينكحها إذا شاء إذا لم يكن ابنها ، أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، قال : سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك . حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ ، فإن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه ، فإذا مات وترك امرأته ، فإن سبق وارث الميت ، فألقى عليها ثوبه فهو أحقّ بها أن ينكحها بمهر صاحبها ، أو ينكحها فيأخذ مهرها ، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهم أحقّ بنفسها .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان الباهلي ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ كانوا بالمدينة إذا مات حميم الرجل وترك امرأة ، ألقى الرجل عليها ثوبه ، فورث نكاحها ، وكان أحقّ بها ، وكان ذلك عندهم نكاحا ، فإن شاء أمسكها حتى تفتدى منه ، وكان هذا في الشرك .

حدثنا يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد في قوله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ قال : كانت الوراثة في أهل يثرب بالمدينة ههنا ، فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه ، كما يرث أمه لا يستطيع أن يمنع . فإن أحب أن يتخذها اتخذها . كما كان أبوه يتخذها ، وإن كره فارقها ، وإن كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر . فإن شاء أصابها ، وإن شاء فارقها ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا﴾ .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ﴾ وذلك أن رجلا من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم ، ألقى ثوبه على امرأته ، فورث نكاحها ، فلم ينكحها أحد غيره ، وحبسها عنده ، حتى تفتدى منه بفدية ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ﴾ .

حدثني ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا سفيان . عن علي بن بزيمة ، عن مقسم ، قال : كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها ، فجاء رجل فألقى عليها ثوبه ، كان أحق الناس بها ، قال : فنزلت هذه الآية ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ﴾ .

فتأويل الآية على هذا التأويل : يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها ، فترك ذكر الآباء والأقارب والنكاح ، ووجه الكلام إلى النهي عن وراثة النساء ، اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام ، إذ كان مفهوما معناه عندهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء تركائهن كرها ، قال : وإنما قيل ذلك لأنهم كانوا يعضلون أياما هن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني الثني ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ﴾ قال : كان الرجل إذا مات وترك جارية ، ألقى عليها حميمه ثوبه ، فمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوجها ، وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت ، فيرثها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري في قوله ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا ﴾ قال : نزلت في ناس من الأنصار كانوا إذا مات الرجل منهم فأملك الناس بامراته وليه ، فيمسكها حتى تموت فيرثها ، فنزلت فيهم .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، القول الذي ذكرناه عن قال معناه : لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقاربكم ، لأن الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث ، فذلك لأهله نحو وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء ، فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن ، وأنه إنما حظر أن يكرهن موارثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن إذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكا عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل متفعة ما استأجر من الدور والأرضين وسائر ماله منافع ، فأبان الله جل ثناؤه لعباده أن الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجته ، معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز لإجارتها ، فإن المالك بضع زوجته إذا هو مات لم يكن ما كان

له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده ، كما لهم من الأشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو إجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه .

وأما قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَأْوِيلُهُ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ : أَيُ وَلَا تَحْبِسُوا يَامَعْشَرَ وَرَثَةٍ مِنْ مَاتَ مِنَ الرِّجَالِ أَزْوَاجَهُمْ ، عَنْ نِكَاحٍ مِنْ أَرْدَنِ نِكَاحِهِ مِنَ الرِّجَالِ كَمَا يَمْتَنُ ، فَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ : أَيُ فَتَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِذَا مَتْنِ ، مَا كَانَ مَوْتَاكُمْ الَّذِينَ وَرَثَتُمُوهُمْ سَاقُوا إِلَيْهِنَّ مِنْ صَدَقَاتِهِنَّ ، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ ، جَمَاعَةٌ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهُمْ ، مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَعُكْرَمَةُ .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَلَا تَعْضُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ نِسَاءَكُمْ فَتَحْبِسُوهُنَّ ضَرَارًا ، وَلَا حَاجَةَ لَكُمْ إِلَيْهِنَّ فَتَضَرُّوا بِهِنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدَقَاتِهِنَّ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : ثَنَى مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ يَقُولُ : لَا تَقْهَرُوهُنَّ ﴿لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يَعْنِي الرِّجْلُ تَكُونُ لَهُ الْمَرْأَةُ وَهُوَ كَارِهِ لَصَحْبَتِهَا ، وَلَهَا عَلَيْهِ مَهْرٌ ، فَيَضْرِبُهَا لِتَفْتَدِيَ .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ يَقُولُ : لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْبِسَ امْرَأَتَكَ ضَرَارًا حَتَّى تَفْتَدِيَ مِنْكَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي سَمَّاكُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ ابْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأُخْرَى فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مُعَمَّرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَمَّاكُ بْنُ الْفَضْلِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ فِي قَوْلِهِ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾ ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ، قَالَ : نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأُخْرَى فِي الْإِسْلَامِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ فِي الْإِسْلَامِ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا الْحَمَّانِيُّ ، قَالَ : ثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قَالَ : لَا تَحْبِسُوهُنَّ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَفْضُلٍ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّدِيِّ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضٍ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ ، أَمَّا تَعْضُلُوهُنَّ ، فَيَقُولُ : تَضَارُّوهُنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ .
حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ ، يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّمْعَاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قَالَ : الْعَضْلُ : أَنْ يَكْرَهُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ، فَيَضْرِبُهَا حَتَّى تَفْتَدِيَ مِنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ .

وقال آخرون : المعنى بالنهي عن عضل النساء في هذه الآية : أولياؤهن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَدْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ كالعضل في سورة البقرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون : بل المنهي عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه إياها ، وقالوا : ذلك كان من فعل الجاهلية ، فهو عنه في الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان العضل في قريش بمكة ، ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه ، فيفارقها على أن لا تزوج إلا بأذنه ، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد ، فإذا خطبها خاطب ، فإن أعطته وأرضته أذن لها ، وإلا عضلها ، قال : فهذا قول الله ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَدْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ . . . الآية .

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الأدلة . وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَدْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ قول من قال : نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التصديق عليها والإضرار بها ، وهو لصحبها كاره ، ولفراقها محب ، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة ، لأنه لاسبيل لأحد إلى عضل امرأة ، إلا لأحد رجلين : إما لزوجها بالتصديق عليها وحبسها على نفسه ، وهو لها كاره ، مضارة منه لها بذلك ، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك ، أو لوليها الذي إليه إنكاحها ، وإذا كان لاسبيل إلى عضلها لأحد غيرهما ، وكان الولي معلوما أنه ليس ممن آتاها شيئا ، فيقال : إن عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها ، كان معلوما أن الذي عني الله تبارك وتعالى بنهي عن عضلها ، هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضرارا لتفتدي منه .

وإذا صح ذلك ، وكان معلوما أن الله تعالى ذكره لم يجعل لأحد السبيل على زوجته بعد فراقه إياها وبينونها منه ، فيكون له إلى عضلها سبيل لتفتدي منه من عضله إياها ، أتت بفاحشة أم لم تأت بها ، وكان الله جل ثناؤه قد أباح للأزواج عضلهن إذا أتت بفاحشة مبينة ، حتى يفتدين منه ، كان بينا بذلك خطأ التأويل الذي تأوله ابن زيد ، وتأويل من قال : عني بالنهي عن العضل في هذه الآية : أولياء الأيامي ، وصحة ما قلنا فيه ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ في موضع نصب عطفاً على قوله ﴿ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا ﴾ ومعناه : لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن ، وكذلك هي فيما ذكر في حرف ابن مسعود ، ولو قيل : هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ :

يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يحلّ لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن ، وأنتم لصحبتهن كارهون ، وهن لكم طائعات ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فيحلّ لكم حينئذ الضرار بهن ، ليفتدين منكم .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناها : الزنا ، وقال : إذا زنت امرأة الرجل حلّ له عضلها والضرار بها ، لتفتدى منه بما آتاها من صداقها . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الحسن في البكر تفجر ، قال : تضرب مائة ، وتنفي سنة ، وتردّ إلى زوجها ما أخذت منه

وتأول هذه الآية : ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عطاء الخراساني في الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ما ساق إليها ، وأخرجها ففسخ ذلك الحدود .

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : إذا رأى الرجل من امرأته فاحشة ، فلا بأس أن يضارّها ، ويشقّ عليها حتى تختلع منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرني معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ وهو الزنا ، فإذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الكريم أنه سمع الحسن البصري ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ قال : الزنا ، قال : وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان : فإن فعلت حلّ لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدى .

وقال آخرون : الفاحشة المبينة في هذا الموضع : النشوز .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ وهو البغض والنشوز ، فإذا فعلت ذلك ، فقد حلّ له منها الفدية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن عليّ بن بزيمة ، عن مقسم في قوله

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَفْخُشْنَ﴾ في قراءة ابن مسعود ، قال : إذا عضلت وآذتك فقد حل لك أخذ ما أخذت منك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مطرف بن طريف ، عن خالد ، عن الضحاك بن مزاحم ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ قال : الفاحشة ههنا النشوز ، فإذا نشزت حل له أن يأخذ خلعتها منها . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ قال : هو النشوز .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ فإن فعلن إن شئتم أمسكنموهن ، وإن شئتم أرسلتموهن . حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت للضحاك بن مزاحم يقول في قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ قال : عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع إلى النساء ، فقال ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ والفاحشة : العصيان والنشوز ، فإذا كان ذلك من قبلها ، فإن الله أمره أن يضربها ، وأمره بالهجر ، فإن لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية .

قال أبو جعفر : وأولى ما قيل في تأويل قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ أنه معنى به كل فاحشة من بداعة باللسان على زوجها ، وأذى له وزنا بفرجها ، وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ كل فاحشة مبينة ظاهرة ، فكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنا أو نشوز ، فله عضلها على ما بين الله في كتابه ، والتضييق عليها حتى تفتدى منه بأي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى ، وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كالذي حدثني يونس بن سليمان البصري ، قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، قال : ثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهَوْنَهُ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال : ثنا صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ النِّسَاءَ عِنْدَكُمْ عَوَّانٌ ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، وَمِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا وَلَا يَفْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم ، أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا ، وأن لا تعصيه في معروف وأن الذى يجب لها من الرزق والكسوة عليه ، إنما هو واجب عليه ، إذا أدت هى إليه ما يجب عليها من الحق بتركها إبطاء فراشه غيره ، وتركها معصيته في معروف ، ومعلوم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا » إنما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم . وإذا كان ما روينا في ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين أن لزواج المرأة إذا أوطأت امرأتها نفسها غيره ، وأمكنت من جماعها سواه ، أن له منعها من الكسوة والرزق بالمعروف ، مثل الذى له من منعها ذلك إذا هى عصته في المعروف ، وإذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه إياها ماله منعها حقا لها واجبا عليه ، وإذا كان ذلك كذلك فبين أنها إذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فأخذ منها زوجها ما أعطته أنه لم يأخذ ذلك عن عضل منهى عنه ، بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح ، وإذا كان ذلك كذلك كان بيننا أنه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى ، الذى استثناءه من العاضلين بقوله ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ وإذا صح ذلك ، فبين فساد قول من قال ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ منسوخ بالحدود ، لأن الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التى هى زنا . وأما العضل : لتفتدى المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله إياها ، وتضييقه عليها إذا هى نشزت عليه لتفتدى منه حق له ، وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر .

فمعنى الآية : ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم ، فتضيقوا عليهن ، وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ من زنا أو بذاء عليكم ، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهره ، فيحل لكم حينئذ عضلهن ، والتضييق عليهن ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق ، إن هن افتدين منكم به .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ﴿ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ فقرأه بعضهم ﴿ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ بفتح الياء ، بمعنى أنها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت ، وقرأه بعضهم ﴿ مَبْيُتَنَةٍ ﴾ بكسر الياء ، بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة ، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة أمصار الإسلام ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب في قراءته الصواب ، لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهى ظاهرة بينة ، وإذا ظهرت فبإظهار صاحبها إياها ظهرت ، فلا تكون ظاهرة بينة إلا وهى مبينة ولا مبينة إلا وهى مبينة ، فلذلك رأيت القراءة بأيتهما قرأ القارئ صوابا .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ :

يعنى جل ثناؤه بقوله ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ : وخالقوا أيها الرجال نساءكم . وصاحبوهن بالمعروف ، يعنى بما أمرتكم به من المصاحبة ، وذلك إمساكنهن بأداء حقوقهن التى فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إلهن ، أو تسريح منكم لهن بإحسان .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ ﴾

بالمعروف ﴿يقول: وخالطوهن﴾ ، كذا قال محمد بن الحسين ، وإنما هو خالقوهن من العشرة وهي المصاحبة .
القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ :

يعنى بذلك تعالى ذكره : لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ، ولا نشوز ،
كان منهن ، ولكن عاشروهن بالمعروف وإن كرهتموهن ، فلعلمكم أن تكرهوهن ، فتمسكوهن ،
فيجعل الله لكم في إمساكنكم إياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن ، أو عطفكم
عليهن بعد كراهتكم إياهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله
﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ يقال : فعسى الله
أن يجعل في الكراهة خيرا كثيرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ﴿وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال : الولد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس
﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والخير الكثير : أن يعطف عليها ، فيرزق الرجل ولدها ، ويجعل
الله في ولدها خيرا كثيرا ، والهاء في قوله ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ على قول مجاهد الذي ذكرناه
كناية عن مصدر تكرهوا ، كأن معنى الكلام عنده : فإن كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ، ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا ، ولو كان تأويل الكلام : فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه
خيرا كثيرا ، كان جائزا صحيحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ

شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِشْمًا مَبِينًا ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ وإن أردتم أيها المؤمنون
نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ﴾ يقول : وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من
المهر قنطارا ، والقنطار : المال الكثير ، وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه والصواب من
القول في ذلك عندنا ، فلا تأخذوا منه شيئا ، يقول : فلا تضروا بهن إذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما
آتيتموهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ : طلاق امرأة مكان أخرى ، فلا يحل له من مال المطلقة شيء وإن كثّر .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أَتَأْخُذُونَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ مَهْرِهِنَّ﴾ : ﴿بِهْتَانًا وَإِنَّمَا مَسِينًا﴾ :

يعنى بقوله تعالى ﴿أَتَأْخُذُونَ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ مَهْرِهِنَّ﴾ : ﴿بِهْتَانًا﴾ يقول : ظلما بغير حق ﴿وَإِنَّمَا مَسِينًا﴾ يعنى : وإنما قد أبان أمر أخذه أنه بأخذه إياه لمن أخذه منه ظالم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١١

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ : وكيف تأخذونه ، وعلى أى وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن إذا أردتم طلاقهن ، واستبدال غيرهن بهن أزواجهن ، وقد أفضى بعضكم إلى بعضكم فتباشرتم وتلامستم ، وهذا كلام ، وإن كان مخرجه مخرج الاستفهام ، فإنه فى معنى النكير والتغليظ ، كما يقول الرجل لآخر : كيف تفعل كذا وكذا ، وأنا غير راض به على معنى التهديد والوعيد ، وأما الإفضاء إلى الشيء فإنه الوصول إليه بالمباشرة له ، كما قال الشاعر :

بلى أفضى إلى كُتُبَةٍ بدأ سيرها من باطنٍ بَعْدَ ظاهِرٍ ١

يعنى بذلك : أن الفساد والبلى وصل إلى الحرز ، والذي عني به الإفضاء فى هذا الموضع : الجماع فى الفرج . فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : وكيف تأخذون ما آتيتموهن وقد أفضى بعضكم إلى بعض بالجماع وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الحميد بن بيان القناد ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله ،

عن ابن عباس ، قال : الإفضاء : المباشرة ، ولكن الله كريم يكنى عما يشاء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن بكر ، عن ابن عباس

قال : الإفضاء : الجماع ، ولكن الله يكنى

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم بن بكر بن عبد الله المزني ، عن ابن عباس ، قال :

الإفضاء : هو الجماع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ﴿وقد

أفضى بعضكم إلى بعض﴾ قال : مجامعة النساء .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

(١) كذا فى الأصول ، ولم نثر على البيت فى معانى القرآن للفراء ولا فى معاجم اللغة ، والكتبة بالضم كما فى اللسان : الحرزة

ملق ضم السير كلا وجهيهما . وقال اللحياني : الكتبة : السير الذى تخرز به المزايدة والقربة ، والجمع كتب ، بالفتح التاء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يعني : الجامعة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ :

أى ما وثقت به لهنّ على أنفسكم من عهد ، وإقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم ، من إمساكهنّ بمعروف ، أو تسريحهنّ بإحسان ، وكان في عقد المسلمين النكاح قديما ، فيما بلغنا أن يقال للنكاح : الله عليك لتمسكنّ بمعروف أو لتسرحنّ بإحسان .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، وقد كان في عهد المسلمين عند إنكاحهم الله عليك لتمسكنّ بمعروف ، أو لتسرحنّ بإحسان . واختلاف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جلّ ثناؤه بقوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ . فقال بعضهم : هو إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك في قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال : هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال ، فإمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، قال : وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها : أنكحناكها بأمانة الله ، على أن تمسكها بالمعروف أو تسرحها بإحسان .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال : الميثاق الغليظ الذي أخذه الله للنساء : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وكان في عقدة المسلمين عند نكاحهنّ : أيم الله عليك لتمسكنّ بمعروف ، ولتسرحنّ بإحسان .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن الحسن ، ومحمد بن سيرين في قوله ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

وقال آخرون : هو كلمة النكاح التي استحلّ بها الفرج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : كلمة النكاح التي استحل بها فروجهن .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم المكي ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : قوله نكحت .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن محمد بن كعب القرظي ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : هو قولهم : قد ملكت النكاح .
حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن مجاهد ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : كلمة النكاح .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : الميثاق : النكاح .
حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا سالم الأفطس ، عن مجاهد ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : كلمة النكاح قوله نكحت .
وقال آخرون : بل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَخَذَ تَمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر وعكرمة ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قالوا : أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله .
حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ والميثاق الغليظ : أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله .
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال : الميثاق الذي عنى به في هذه الآية ، هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح ، من عهد على إمساكها بمعروف ، أو تسريحها بإحسان ، فأقر به الرجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم ، وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .
واختلف في حكم هذه الآية ، أم منسوخ ؟ فقال بعضهم : محكم ، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها إذا أراد طلاقها ، إلا أن تكون هي المريدة الطلاق .
وقال آخرون : هي محكمة ، وغير جائز له أخذ شيء مما آتاها منها بحال ، كانت هي المريدة للطلاق أو هو ومن حكى عنه هذا القول بكر بن عبد الله بن المزني .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عقبة بن أبي المهنا ، قال : سألت بكرا عن المختلة أياخذ منها شيئا ؟ قال : لا ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .
وقال آخرون : بل هي منسوخة ، نسخها قوله ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ قال : ثم رخص بعد ، فقال ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ، فَلِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ قال : فنسخت هذه تلك .
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : إنها محكمة غير منسوخة ، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها إذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ، ولا رية أتت بها ، وذلك أن الناسخ من الأحكام ، ما نفي خلافه من الأحكام ، على ما قد بينا في سائر كتبنا ، وليس قوله ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ﴾ نفي حكم قوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ لأن الذي حرّم الله على الرجل بقوله ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ، وَآتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أخذ ما آتاها منها ، إذا كان هو المرید طلاقها .

وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ فهو إذا كانت هي المريدة طلاقه ، وهو كاره له ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع ، وليس في حكم إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، وإذا كان ذلك كذلك لم يجوز أن يحكم لإحداهما بأنها ناسخة ، وللأخرى بأنها منسوخة ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني ، من أنه ليس لزواج المختلة أخذ ما أعطته على فراقه إياها ، إذا كانت هي الطالبة للفرقة وهو الكاره ، فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أمر ثابت بن قيس بن شماس بأخذ ما كان ساق إلى زوجته وفراقها إن طلبت فراقه ، وكان النشوز من قبلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلًا ۝

قد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم ، فجاء الإسلام وهم على ذلك ،

فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن ، وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به إن هم اتقوا الله في إسلامهم وأطاعوه فيه .
ذكر الأخبار التي رويت في ذلك

حدثني محمد بن عبد الله المحرمي ، قال : ثنا قراد ، قال : ثنا ابن عيينة وعمر بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون ما يحرّم إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين ، قال : فأنزل الله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ - وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ . . . الآية ، قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الله ، إلا أن الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ، ويجمعون بين الأختين ، فمن ثم قال الله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قال : نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة ، كانت تحت الأسلت أبيه ، وفي الأسود بن خلف ، وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكانت عند أبيه خلف ، وفي فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسد ، وكانت عند أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أمية ، وفي منظور بن رباب ، وكان خلف على مليكة ابنة خارجة ، وكانت عند أبيه رباب بن سيار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها ، أتحل لابنه ؟ قال : هي مرسلة ، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال : قلت لعطاء : ما قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قال : كان الأبناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ . . . الآية ، يقول : كل امرأة تزوجها أبوك وابنك ، دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام .
واختلف في معنى قوله ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فقال بعضهم : معناه : لكن ما قد سلف فدعوه ، وقالوا هو من الاستثناء المنقطع .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تنكحوا نكاح آبائكم ، بمعنى : ولا تنكحوا كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام ﴿لَإِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ . يعني : أن نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلا ، إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الإسلام ، فإنه معفو لكم عنه .

وقالوا : قوله ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ كقول القائل للرجل : لا تفعل ما فعلت ، ولا تأكل ما أكلت بمعنى : ولا تأكل كما أكلت ، ولا تفعل كما فعلت .
وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم ، إلا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم ، فإن نكاحهن لكم حلال كان لأنهن لم يكن لهن حلال ، وإنما ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا ، وساء سبيلا .
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ . . . الآية ، قال : الزنا ، إنه كان فاحشة ومقتا ، وساء سبيلا فزاد ههنا المقت .
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله ، أن يكون معناه : ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم إلا ما قد سلف منكم ، ففضي في الجاهلية ، فإنه كان فاحشة ومقتا ، وساء سبيلا ، فيكون قوله ﴿ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ من صلة قوله ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ ويكون قوله ﴿ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ﴾ بمعنى المصدر ، ويكون قوله ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ بمعنى الاستثناء المنقطع ، لأنه يحسن في موضعه ، لكن ما قد سلف فضي ، إنه كان فاحشة ومقتا ، وساء سبيلا .
فإن قال قائل : وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من أهل التأويل ، وقد علمت أن الذين ذكرت قولهم في ذلك ، إنما قالوا : أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء ، وأنت تذكر أنهم إنما نهوا أن ينكحوا نكاحهم ، قيل له : وإن قلنا إن ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل ، إذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم ، وإنه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ، ابتدئ مثله في الإسلام ، بنهي الله جل ثناؤه عنه ، لقيل : ولا تنكحوا من نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، إذ كان « من » لبني آدم و « ما » لغيرهم ، ولا تقل : ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء ، فإنه يدخل في « ما » ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم ، فحرم عليهم في الإسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء ، وكل نكاح سواه ، نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الإسلام ، مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم .
ومعنى قوله ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ : إلا ما قد مضى ، لأنه كان فاحشة ، يقول : إن نكاحكم الذي سلف منكم ، كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الإسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة ، يقول : معصية ﴿ وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ : أي بئس طريقا ومنهجيا ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها .

القول في تأويل قوله تعالى :

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ

الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي جُحُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ
بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

يعنى بذلك تعالى ذكره : حرم عليكم نكاح أمهاتكم ، فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه ،
وكان ابن عباس يقول في ذلك ، ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن الثوري ، عن
الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : حرم من النسب
سبع ، ومن الصهر سبع ، ثم قرأ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ
الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ قال : والسابعة ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن
عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : يحرم من النسب سبع ، ومن الصهر سبع ، ثم قرأ ﴿ حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ . . . إلى قوله ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

حدثنا ابن بشار مرة أخرى ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن
إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن
ابن عباس ، قال : حرم عليكم سبع نسبا ، وسبع صهرا ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبي ، عن علي بن صالح ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس ، قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ قال : حرم الله من النسب
سبع ، ومن الصهر سبعا ، ثم قرأ ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ ﴾ . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مطرف ، عن عمرو بن سالم مولى الأنصار ، قال : حرم من
النسب سبع ، ومن الصهر سبع ، حرمت عليكم أمهاتكم ، وبنااتكم ، وأخواتكم ، وعماتكم ، وخالاتكم ،
وبناات الأخ ، وبناات الأخت ، ومن الصهر : أمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة ، وأمّهات
نساءكم . وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن ، فلا جناح
عليكم ، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ثم قال ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، فكل
هؤلاء اللواتي سماهن الله تعالى وبين تحريمهن في هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك

عليه من الرجال ، بإجماع جميع الأمة ، لاختلاف بينهم في ذلك ، إلا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن ، فان في نكاحهن اختلافاً بين بعض المتقدمين من الصحابة إذا بانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها ، هل هن من المبهات ، أم هن من المشروط فيهن الدخول بيناتهن ، فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهات ، وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها ، وقالوا : شرط الدخول في الربيبة دون الأم ، فأما أم المرأة فطلقة بالتحريم . قالوا : ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله ﴿ وَرَبَائِكُمْ ﴾ إلا في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ إلا في دَخَلْتُمْ بهن فوضع موصولاً به قوله ﴿ وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ جاز أن يكون الاستثناء في قوله ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ من جميع المحرمات بقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ . الآية ، قالوا : وفي إجماع الجميع على أن الاستثناء في ذلك إنما هو مما وليه من قوله ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ أبين الدلالة على أن الشرط في قوله ﴿ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ إلا في دَخَلْتُمْ بهن مما وليه من قوله ﴿ وَرَبَائِكُمْ ﴾ إلا في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ إلا في دَخَلْتُمْ بهن دون أمهات نسائنا . وروى عن بعض المتقدمين أنه كان يقول : حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي لم ندخل بهن ، وإن حكمهن في ذلك حكم الربائب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاص بن عمرو ، عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها ، أيتزوج أمها ، قال : هي بمنزلة الربيبة .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، عن خلاص ، عن علي رضي الله عنه ، قال : هي بمنزلة الربيبة .

حدثنا حميد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : إذا ماتت عنده ، وأخذ ميراثها ، كره أن يخلف على أمها ، وإذا طلقها قبل أن يدخل بها ، فإن شاء فعل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت ، قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عكرمة بن خالد ، أن مجاهداً قال : ﴿ وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ وَرَبَائِكُمْ إلا في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أريد بهما الدخول جميعاً . قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بالصواب ، أعني قول من قال : الأم من المبهات ، لأن الله لم يشترط معهن الدخول بيناتهن ، كما شرط ذلك مع أمهات الربائب ، مع أن ذلك أيضاً إجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه .

وقد روى بذلك أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ، غير أن في إسناده نظراً ، وهو ما حدثنا به

المثنى ، قال : ثنا حبان بن موسى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا المثنى بن الصباح ، عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا نَكَحَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمِّهَا ، دَخَلَ بِالْإِبْنَةِ أَمْ كَمْ يَدْخُلُ ؛ وَإِذَا تَزَوَّجَ الْأُمَّ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا ، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَ الْإِبْنَةَ » .

❦ قال أبو جعفر : وهذا خبر وإن كان في إسناده ما فيه ، فإن في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال لعطاء : الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها ، أيحل له أمها ؟ قال : لا ، هي مرسلة ، قلت لعطاء : أكان ابن عباس يقرأ ﴿ وَأُمِّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ اللّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ؟ قال حجاج : قلت لابن جريج : ماتبرأ ؟ قال : كأنه قال : لا لا . وأما الربائب فانه جمع ربيبة ، وهي ابنة امرأة الرجل ، قيل لها ربيبة لتربيته إياها ، وإنما هي مربوبة صرفت إلى ربيبة ، كما يقال : هي قبيلة من مقبولة ، وقد يقال لزواج المرأة : هو ربيب ابن امرأته ، يعني به : هو رابته ، كما يقال : هو جابر وجبير ، وشاهد وشهيد .
واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ فقال بعضهم : معنى الدخول في هذا الموضع : الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة . عن ابن عباس ، قوله ﴿ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ والدخول : النكاح . وقال آخرون : الدخول في هذا الموضع : هو التجريد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قلت لعطاء ، قوله ﴿ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ ما الدخول بهن ؟ قال : أن تهدي إليه فيكشف ، ويعس ، ويجلس بين رجلها ، قلت : رأيت إن فعل ذلك في بيت أهلها ؟ قال : هو سواء ، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها ، قلت : تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بأمها إلا ما يحرم على من أمته إن صنعت بأمها ؟ قال : نعم سواء ؛ قال عطاء : إذا كشف الرجل أمة وجلس بين رجلها أنهاه عن أمها وابنتها .

❦ قال أبو جعفر : وأولى القولين عندى بالصواب في تأويل ذلك ، ما قاله ابن عباس ، من أن معنى الدخول : الجماع والنكاح ، لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين : إما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس ، وهو الوصول إليها بالخلوة بها ، أو يكون بمعنى الجماع ، وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها ، أو قبل النظر إلى فرجها بالشهوة

ما يدلّ على أن معنى ذلك : هو الوصول إليها بالجماع ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه .

وأما قوله ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فانه يقول : فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بأمهات ربائبكم اللاتي في حجوركم ، فجامعتموهن حتى طلقتموهن ، فلا جناح عليكم ، يقول : فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك .

وأما قوله ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ فانه يعنى : وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم ، وهى جمع حليلة وهى امرأته ، وقيل : سميت امرأة الرجل حليلته ، لأنها تحلّ معه فى فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم ، أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح ، دخل بها أو لم يدخل بها .

فان قال قائل : فما أنت قائل فى حلائل الأبناء من الرضاع ، فان الله تعالى إنما حرّم حلائل أبنائنا من أصلابنا ؟ قيل : إن حلائل الأبناء من الرضاع ، وحلائل الأبناء من الأصلاب سواء فى التحريم ، وإنما قال ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ لأن معناه : وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ، قوله ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ قال : كنا نتحدث والله أعلم أنها نزلت فى محمد صلى الله عليه وسلم ، حين نكح امرأة زيد بن حارثة ، قال المشركون فى ذلك ، فنزلت ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ ، ونزلت ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ، ونزلت ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

وأما قوله ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ فان معناه : وحرّم عليكم أن تجمعوا بين الأختين عندكم بنكاح ، فان فى موضع رفع ، كأنه قيل : والجمع بين الأختين ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما قد مضى منكم ﴿فَإِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ الذنوب عباده إذا تابوا إليه منها ﴿رَحِيمًا﴾ بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم ، يخبر بذلك جل ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح فى جاهليته ، وقبل تحريمه ذلك ، إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه ، فأطاعه باجتنابه ، رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه .

تمّ الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبري

ويليه الجزء الخامس

وأوله القول في تأويل قوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾

